

في إفريقيّة الخضر

مُشَاهَدَاتٌ وَأَنْطِبَاعَاتٌ وَأَحَادِيثٌ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام للجماعة الإسلامية في المدينة المنورة



توزيع دار الثقافة

بيروت

حقوق الطبع محفوظة

٥١٣٨٨ ٢١٩٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الى حضرة صاحب الساحة الشيخ محمد بن ابراهيم
آل الشيخ ، مفتي الديار السعودية ، ورئيس الجامعة
الاسلامية اهدي هذا الكتاب ، رمزاً للشكر و عرفان
الجميل .

محمد العبودي



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وامام الهداة المهتدين ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم الى يوم الدين .

وبعد .. فقد قدر لي أن أقوم بزيارات متعددة الى بعض الاقطار الافريقية ضمن رحلتين لم يفصل بينهما الا أقل من سنتين ، وقد سجلت خلال زياراتي في مذكرات يومية انطباعاتي ومشاهداتي في تلك الاقطار .

وحين كنت أكتب تلك المذكرات لم أكتبها لتكون تأليفا ، وحتى بعد كتابتها لم أكن أظن أنها ستكون كذلك ، حتى اطلع عليها بعض اخواني ، فأشار علي بأن أحاول اظهارها في كتاب لانها تشتمل على بعض المعلومات والأحاديث عن بلاد تكاد تكون مجهولة لدى جمهوره

القراء في البلدان العربية ، كما أنها تتضمن معلومات وملاحظات عن الأوضاع الاسلامية وأحوال المسلمين في تلك الاقطار، فاستجبت لذلك ركونا الى حسن الظن برأيه، وليس يقينا مني بأن ما كتبه لنفسي من مذكرات وانطباعات يستحق النشر والاذاعة . وعلى كل حال فان ما في الكتاب من مذكرات يومية انما هو انطباعات ومشاهدات لا تصل بطبيعتها الى درجة الدراسة والبحث العميق . أما ما جاء فيه عن أحوال الاسلام والمسلمين فأنني أرجو أن يجد فيه الباحثون الذين يهمهم هذا الامر بعض ما يحسن الاطلاع عليه ، ويفيد .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .

المؤلف

تَصْدِير

لقد أسست الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لكي تستقبل العدد العديد من أبناء المسلمين في شتى أنحاء العالم ، فتوفر لهم الدراسة الاسلامية النقية في عاصمة الاسلام الأولى ، لكي يعودوا - بعد اتمام دراستهم - الى بلادهم دعاة للخير ، وهداة للنور الاسلامي المبين .

وقد درجت الجامعة الاسلامية على أن تخصص كل عام منحا دراسية توزعها على المسلمين في مختلف الأقطار تحتضن من يستفيدون منها من قبل أن يغادروا بلادهم حتى يعودوا اليها . وكانت رئاسة الجامعة الاسلامية تضع في الاعتبار الأول حاجة القطر الذي تخصص له المنح الدراسية الاسلامية الى التعليم الاسلامي قبل النظر في حجمه السكاني ، أو مساحته القطرية ، أو كثرة النسبة العددية للمسلمين فيه ، وذلك من باب البداءة بالأهم قبل المهم ، والأولى على غيره .

ولكن كانت رئاسة الجامعة تجد شيئاً من الغموض عندما تحاول أن ترسم التقدير الصحيح لبعض البلدان الاسلامية ، أو البلدان التي يقطنها مسلمون ، وذلك بسبب النقص في المعلومات . لذلك طرح هذا الموضوع على

البحث في مجلس الجامعة - في أخريات عام ١٣٨٣ هـ الموافق لعام ١٩٦٤ م ، وهو العام الثالث لانشاء الجامعة ، فرأى المجلس ايفاد بعثة تحت رئاسة الامين العام للجامعة (كاتب هذه السطور) تسافر الى بعض الاقطار الافريقية المحتاجة للتعليم الاسلامي ، وتطلع على أحوال المسلمين هناك . ثم تأتي بتقارير وافية عما شاهدته .

وهكذا سارع صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، نائب رئيس الجامعة الاسلامية ، الى العمل على انجاح هذا المشروع كعادته الحميدة في المسارعة الى فعل الخيرات .

وكان أن رفعت رئاسة الجامعة الاسلامية الأمر الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز حفظه الله ، وذلك للعرض على جلالته وطلب الموافقة ، فحظي المشروع بالموافقة السامية ، بل ان جلalته لم يقتصر على ذلك ، وانما أمر بأن تصطحب البعثة معها مبالغ من المال تدفع باسم الجامعة في المدينة المنورة الى المؤسسات والمدارس والهيئات الاسلامية في البلاد التي تزورها البعثة على الا يعلن عن ذلك ، أي عن المبالغ المالية شيء ، والا ينشر عنه شيء في الصحف في حينه ، وأن يكون عمل البعثة مقتصرًا على النشاط الاسلامي ، والا تقحم نفسها في أي نشاط سياسي قد يؤثر على اداء مهمتها الاسلامية الخالصة .

خطة العمل :

تألفت البعثة على النحو التالي :

محمد بن ناصر العبودي ، الأمين العام للجامعة ،
(كاتب هذه السطور) : رئيسا .

فضيلة الشيخ عمر محمد فلالي ، مدير دار الحديث
بالمدينة ، والمدرس بالمسجد النبوي الشريف : عضوا .

فضيلة الشيخ أبو بكر جابر بن موسى ، المدرس بالجامعة
الاسلامية ، والواعظ بالمسجد النبوي الشريف : عضوا .
ورسمت رئاسة الجامعة عمل البعثة فيما يلي :

١ - الاتصال بزعماء المسلمين وعلمائهم في الدول التي
تزورها البعثة للاطلاع منهم على أحوال المسلمين
وفهم مشاكلهم .

٢ -لقاء محاضرات وكلمات دينية في الاندية والمساجد
والجمعيات الاسلامية .

٣ - تنظيم جداول احصائية للسكان المسلمين في كل قطر
ومواضع سكنهم منه ، ونسبتهم الى مجموع
سكانه من غير المسلمين .

٤ - تقدير حاجة كل بلد الى المساعدات التي يمكن
تقديمها سواء من الجامعة الاسلامية ، أو من
الهيئات الأخرى في المملكة .

٥ - بذل المساعدة المالية للجمعيات والهيئات ، والافراد

الدعاة من المسلمين ، للمساعدة على بناء المساجد ،
أو سير الدراسة في المدارس ، وتشجيع الدعاة على
الدعوة ، وذلك في حدود المبالغ المالية التي تحملها
البعثة .

٦ - توزيع المصاحف والكتب والمطبوعات الاسلامية
حسب تقدير البعثة ، على أن تعد بذلك
بيانات ترسل بواسطة احدى السفارات السعودية
القريبة من البلد الذي تصرف له الكتب .

٧ - الاطلاع على النشاط الموجود في الدعوة الى الاسلام
بين المواطنين وغيرهم في كل بلد ، ومعرفة ما اذا كان
هناك نشاط معاد للاسلام فيه ، ومدى فعاليته .

٨ - كتابة ايضاات مفصلة عن أحوال المسلمين المادية ،
ومركزهم الاجتماعي ، في كل بلد تزوره البعثة .

٩ - تنظيم جداول بعناوين ومراكز الهيئات والشخصيات
الاسلامية الموجودة في كل بلد تزوره البعثة ، ليسهل
الرجوع اليها عند الحاجة .

١٠ - تحرّي الجمعيات والشخصيات الاسلامية التي
تستحق المساعدة أكثر من غيرها اما لاتساع نشاطها،
أو اخلاص أفرادها ، أو لانه يرجى أثرها في الدعوة
أكثر من غيرها ، وذلك ليكون لها الأولوية من
المساعدات في المستقبل ، اذا لم يمكن تعميم
المساعدة على الجميع .

- ١١ - تقدير المنح الدراسية التي يحتاجها كل بلد في الجامعة
الاسلامية في المدينة حسب درجة حاجته للتعليم
الاسلامي .
- ١٢ - المساعدة على طبع النشرات والكتيبات الاسلامية
في حدود امكانيات البعثة .
- ١٣ - تقدير حاجة المدارس الاسلامية الى وجود
المدرسين السعوديين الذين يدرسون الدين الاسلامي
واللغة العربية ، والذين قد تتوفر الظروف في
المستقبل لابتعاثهم الى تلك البلاد .
- ١٤ - تقدير حاجة المسلمين هناك الى الكتب والمطبوعات
الاسلامية باللغة العربية واللغات الاخرى .
- ١٥ - جمع المعلومات الممكنة عن الشخصيات والجمعيات
الاسلامية في البلاد المجاورة للاقطار التي ستزورها
البعثة .
- ١٦ - تقديم الاقتراحات عمّن تراهم البعثة أهلاً لأن
تدعوهم الجامعة الاسلامية لالقاء محاضرات فيها ،
أو للتعاون معهم في مجال الثقافة الاسلامية .
- ١٧ - تقديم الاقتراحات بأسماء الشخصيات الاسلامية
التي تستضيفها الهيئات والمؤسسات الاسلامية
السعودية التي تعنى بشؤون المسلمين في الخارج
لغرض تقوية الروابط الاسلامية العامة .
- ثم زودت رئاسة الجامعة الاسلامية البعثة بأكثر من ثلاثة

عشر ألف كتاب اسلامي يضاف الى ذلك مقدار من المصاحف والاجزاء القرآنية الكريمة لتقوم بتوزيعها في تلك البلاد . وقد شحن الجزء الأكبر منها قبل سفر البعثة من ميناء جدة الى مقديشو ، عاصمة جمهورية الصومال ، لكي تقوم البعثة بالتوزيع منها بطريق السفارة السعودية هناك . وما أن علمت رابطة العالم الاسلامي بقرب سفر البعثة حتى أرسل معالي الامين العام للرابطة الشيخ محمد سرور الصبان مبلغا ماليا طيبا مساهمة من الرابطة في عمل البعثة وliyاضاف الى المبالغ المالية التي تحملها البعثة من الجامعة ، ويصرف مصارفها .

هذا وقد غادرنا المملكة العربية السعودية عن طريق مطار جدة الدولي الى مطار الخرطوم في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٣٨٤ هـ الموافق لليوم الرابع من شهر اغسطس عام ١٩٦٤ م . تلك كانت قصة بداية رحلتي الاولى الى إفريقيا ، وسوف أستصحبك - أيها القارئ الكريم - الى أكثر البلدان والقرى والديساكر التي مررنا بها في تلك الرحلة ، عندما نقرأ معا مذكراتي اليومية ، فيما بعد ، ان شاء الله . وقد استغرق سفرنا مدة ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ، زرنا خلالها السودان ، وأرتيرية ، والحبشة ، والصومال ، وكينية ، واوغندا ، وبوروندي ، وتجانيق ، وروديسية الشمالية ، (زامبية) .

الرحلة الثانية :

بعد أن قدمنا من رحلتنا الأولى رفعنا الى رئاسة الجامعة الاسلامية تقاريرنا التي وضعناها عن الرحلة ، فسارع فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز الى دراسة ما جاء فيها ، وكان أهم ما عمله فضيلته أن قدم اقتراحا لسماحة رئيس الجامعة ، الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ بأن تكون لجنة لدراسة التقارير المذكورة من أعضاء عن الجامعة الاسلامية ، ودار الافتاء ، ووزارة الخارجية ، ووزارة المعارف ، ورابطة العالم الاسلامي .

وقد وافق سماحة رئيس الجامعة على الاقتراح المذكور ، وانتأم شمل اللجنة . وكان من أهم توصياتها اقتراح بأن ترصد الحكومة السعودية مبالغ معينة من المال ، وتعتمد وظائف تقدر في البدء بخمسين وظيفة ، تخصص لتعيين مدرسين ومرشدين يتعاقد معهم للعمل في أقطار افريقية المختلفة ، ويوضح لعملهم نظام خاص ، ويكون عملهم بعيدا عن التدخل في الأمور السياسية ، وانما يقتصر على العمل في حقل التدريس والارشاد ، وتقديم النصح الديني المحض .

وكان أن قام سماحة مفتي الديار السعودية ، الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة ، برفع هذا

الأمر الى جلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز حفظه الله وزاده توفيقاً وتأيداً، فوافق جلالتة على ذلك . وأصدر أمره السامي الى وزارة المالية والاقتصاد الوطني برصد المبالغ المطلوبة ، وفتح الوظائف اللازمة على أن يتم ذلك كله على يدي سماحة المفتي ، وأن يكون تنفيذه بوساطة دار الافتاء . وقد عهد سماحة المفتي حفظه الله الى فضيلة نائبه في الافتاء الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بالقيام على تنفيذه واخراجه كاملاً الى حيّز الوجود . فصعد فضيلة الشيخ ابراهيم بن محمد بالأمر ، وأخذ في الاجراءات السريعة الكفيلة بعدم تأخيره .

وكان من بين ما رآه فضيلته أن يصدر فضيلة المفتي ، رئيس الجامعة ، أمراً يقضي بتكليف السفر الى عدد من الاقطار الافريقية المحتاجة للتعليم الاسلامي وذلك للاتصال بالجمعيات الاسلامية ، والاتفاق معها على تعيين أماكن المدرسين ، والمرشدين هناك ، ثم اكمال الاجراءات اللازمة لاستقبالهم وتيسير اقامتهم . فوافق سماحته على ذلك . وتقدم لجلالة الملك فيصل المعظم بالتماس اعطائي مبالغ مالية مما أمر جلالتة برصده للدعوة في إفريقيا أقوم بتوزيعها على الجمعيات والهيئات الاسلامية ، وقد وافق جلالتة على ذلك ، وأصدر أمره السامي الى وزارة المالية بصرف المبالغ المطلوبة . وهي تزيد أضعافاً على المبالغ التي كنا قد وزعناها في رحلتنا الاولى .

وقد رأى فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية ،
الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، أن أقوم بجانب أداء
المهمة المذكورة بمهمة اخرى ، وهي تقديم المنح الدراسية
في الجامعة الاسلامية الى المسلمين في تلك الاقطار الافريقية
واختيار الطلبة الذين يستفيدون من المنح المذكورة ، واكمال
ترحيلهم الى المدينة المنورة . وهكذا أصبحت المهمة التي
وكل الي أمر تنفيذها في هذه الرحلة الثانية ذات ثلاث شعب:

أ - تعيين أماكن المدرسين والمرشدين في أقطار شرقي
ووسط إفريقيا الذين تزمع دار الافتاء ارسالهم اليها .

ب - توزيع الاعانات المالية على الهيئات والمؤسسات
والشخصيات الاسلامية هناك .

ج - تقديم المنح الدراسية من الجامعة الاسلامية
واختيار الطلاب للمنح المذكورة .

هذا وقد اخترت لمرافقتي في هذه الرحلة الاستاذ
عبدالله بن حمود البحوث ، رئيس المحاسبة بالجامعة
الاسلامية ، وذلك لخبرته في الشؤون المالية والحسابية التي
أحتاجها في ضبط أوراق المبالغ المالية التي أحملها ، ولأنه
لا بد لي من مرافق في تلك الرحلة الطويلة ، رأيت فيه خير
من يصلح لذلك .

وهكذا غادرنا المدينة المنورة يوم السبت ٥ جمادى

الاولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢١ اغسطس عام ١٩٦٦ .

ترتيب الكتاب :

ان محتويات هذا الكتاب عبارة عن مشاهدات وانطباعات في مذكرات يومية كما قدمت ، لذلك أبقيتها كما كتبتها ، ولم أضف اليها أي شيء مما يمكن اضافته من المصادر المكتوبة التي تحدثت عن تلك البلاد ، لانها معروفة للباحثين ، وليس لمن يريد الاطلاع عليها . وليس من اللائق أن يأخذ المرء ما ذكره غيره ، وينسبه الى نفسه . ولم أحذف من مذكراتي الا ما كان منها شخصيا محضا، او متصلا بالحديث عن بعض الشخصيات الاسلامية والمقابلات التي تمت مع المسؤولين المسلمين مما لا يحسن نشره ، أو لا فائدة في ذكره .

وقد رتبت يوميات الرحلة الاولى لكل بلد على حدة ، ثم أتبعها بيوميات الرحلة الثانية أو الثالثة اليه ان وجدت ، ثم أتبع ذلك بحديث عن الاوضاع الاسلامية فيه حسبما توصلت اليه بنفسني مع زملائي وذلك ليسهل الرجوع اليه لمن أراد ، أي انني لم أرتب اليوميات على التسلسل التاريخي لها .

المساعدات :

لقد بلغ عدد الجهات والمؤسسات والهيئات والمدارس

الاسلامية التي صرفنا لها اعانات مالية أكثر من (٣٢٠) مؤسسة ، كما أننا قدمنا منحاً دراسية في الجامعة الاسلامية لجميع البلدان التي زرناها ، وقد وصل أكثر الطلبة من تلك البلدان وهم الآن يواصلون دراستهم في الجامعة الاسلامية .

كما ارسلت دار الافتاء ، ولا تزال ترسل جماعات من المدرسين والمرشدين الى الاقطار الافريقية المختلفة ، وهم الآن يؤدون الاعمال المنوطة بهم في حقل الارشاد والتعليم والتوجيه الاسلامي على خير وجه ولله الحمد .

وبعد : فان ما ورد في هذا الكتاب ليس تقريراً عما تم انجازه في تينك الرحلتين فذلك له مكانه في الاوراق والملفات الرسمية ، ولكنه حديث الرحلة ذاتها ، أو هو الحديث على هامش المهمة الرسمية وليس عن المهمة نفسها .

وفي الختام فان الواجب يقتضي أن أقدم وافر الشكر وجزيل الامتنان لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبدالله بن باز، نائب رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، الذي كانت مساعيه السبب الاول في الاسراع بانجاز الرحلتين المذكورتين .

كما أقدم شكري لفضيلة نائب المفتي لشؤون الافتاء ، الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ، على ما بذله من جهود صادقة في سبيل اتمام الرحلة الثانية .

أما سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس الجامعة
الاسلامية الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، فهو صاحب
الفضل ، بعد الله ، في كل ما تم في هذا الشأن مما اقتضاني
اهداء الكتاب لسماحته قياما بواجب الشكر وعرفان الجميل .

ولا يمكن أن أنسى تقديم الشكر لاخواني وزملائي
في الجامعة الاسلامية ، سواء منهم من رافقني في السفر ،
ومن قام بعلمي خلال غيابي عن الجامعة ، وأخص منهم
المشايخ : الشيخ عمر محمد فلالي ، والشيخ أبا بكر جابر
ابن موسى ، والاستاذ عبدالله بن حمود الباحوث - الذين
كانوا من خير الرفقة لي في السفر ، والذين آسوني
بالاشتراك معي في تحمل المتاعب التي صادفتني خلاله .

والله - وحده - المسؤول أن ينصر دينه ، ويعلي
كلمته ، ويوفق المسلمين قادة وشعبا الى العمل بما يجمع
كلمتهم ، ويلهم شعثهم ، على هدى من كتاب الله ، وسنة
نبيه (صلى الله عليه وسلم) حتى تعود للاسلام نضارته ،
وللمسلمين عزتهم وكرامتهم ، انه سميع قريب ، مجيب
الدعوات .

المؤلف

المدينة المنورة

محمد بن ناصر العبودي
الامين العام للجامعة الاسلامية

في جمهورية السودان



يوم الثلاثاء: ٢٦/٣/١٣٨٤ هـ
٤ / ٨ / ١٩٦٤ م

الى بور سودان :

غادرنا جدة بطائرة سودانية من طراز داكوتا ذات المحركين في الساعة الحادية عشرة صباحا بالتوقيت الزوالي وقد قال لنا المضيف وهو شاب سوداني ، لطيف المعشر ، حريص على القيام بواجبه : ان الرحلة ستستغرق خمسين دقيقة .

وقد مضت المدة كلها فوق مياه البحر الاحمر ، ثم رأينا مدينة بور سودان من الجو جميلة نظيفة ، شوارعها الرئيسية مسفلتة ، وان كان الطابع الصحراوي الذي يميز المدن في بلادنا هو الغالب على مظهرها .

وقد هبطنا في المطار ، ولبثنا فيه ثلاثين دقيقة ، قدم لنا خلالها الشراب - عصير الليمون بالمجان - .

وقد لاحظت ان العمال الذين باشروا الخدمة بالطائرة على الارض والذين يعملون في المطار قلة ومع ذلك قد كانت خدمتهم جيدة ، وجلهم من شمال السودان فيما يظهر من سحنهم عدا اثنين فعليهم طابع الجنوب : جنوب السودان .
اما الجو في بور سودان فقد توقعت ان يكون اشد

حرارة لانتي كنت قد قرأت في كتب الرحالين القدماء امثال ابن جبير ، وابن بطوطة ، ان مواني الشاطيء الافريقي للبحر الاحمر اشد البلاد التي زاروها حرا . كما ان بور سودان اشتهرت خاصة بحرارة جوها . ومع ذلك فقد شعرت بأن الجو مشابه لجو مدينة جدة ، ان لم يكن الطف منه . ولعل الجو فيها اليوم غير عادي .

ان مطار بور سودان يعتبر مطارا صغيرا ، ولكن يظهر على جميع العاملين فيه الاخلاص لعملهم ، والحرص على سمعة بلادهم .

اما سحن الناس والوانهم ، فانه على الرغم من قصر المسافة بين جدة وبور سودان ، وعدم اختلاف المناخ بينهما اختلافا كبيرا ، فان المرء يلاحظ ان الاختلاف بالالوان بينهما اكثر من الاختلاف في الجو ، فبينما نرى اللون الاسمر هو الغالب في جدة نرى اللون البني او على الادق اللسون السوداني المميز لابناء السودان هو الاغلب هنا .

ولا غرو فنحن الآن في بور سودان قد تجاوزنا عتبة القارة الافريقية ، واوشكنا على الدخول فيها .

الى الخرطوم :

اقلعت بنا الطائرة في يسر بعد ان امضينا ثلاثين دقيقة في مطار بور سودان تماما كما اخبرنا من قبل .

اننا الآن في القارة الافريقية ، ولكننا لم نتوغل فيها ،
فما زلنا نرى الارض تحتنا على الرغم من مضي ساعة على
قيام الطائرة ، صحراوية ، او شبه صحراوية ، وهي عبارة
عن هضاب ومرتفعات جبلية مما يجعل مناظرها تشبه مناظر
بعض الجهات في بلادنا ، وخاصة في المنطقة الغربية .

لقد اشتد الحر داخل الطائرة مع ان ارتفاعها يزيد عن
١٢ الف قدم ، ولا غرو فنحن الآن في منتصف النهار
والمنطقة صحراوية او شبه صحراوية كما اسلفت . ثم شعرنا
بعد ذلك بأننا بدأنا نقرب من منطقة الخرطوم ، وقد
تغيرت المناظر تحتنا تماما فالخضرة تكسو اجزاء منها ،
والاشجار الكثيفة تملأ الوديان .

لقد اعجبنا ذلك وقال الذين كانوا معنا في الطائرة :
لا عجب ، فهذا الوقت في الخرطوم وما حولها ، هو فصل
الامطار الموسمية التي تهطل بغزارة كل عام .

ثم دخلت الطائرة وسط السحب الكثيفة ، المطرة
التي كانت تطبق على منطقة الخرطوم حتى نزلت على مستوى
السحاب .

وهنا رأينا منظرا رائعا ، هو منظر العاصمة السودانية
المثلثة أي التي تتكون من ثلاث مدن هي : الخرطوم ،
والخرطوم بحري ، وأم درمان ، على ضفاف النيل ، أو على

الاصح النيلين حيث يلتقي النيل الازرق بالنيل الابيض
ويمتزجان في روعة بالغة .

في مطار الخرطوم :

حطت بنا الطائرة في مطار الخرطوم ، وقد استقبلنا
الموظف المسؤول فقادنا الى مكتب الجوازات والصحة
والجمرك .

الربيع :

كان الجو في الخرطوم ربيعا حقا ، فالنسيم العليل ،
والجو المغلف بالسحب الكثيفة التي كانت تمطر رذاذا ثم
تهتنا قد سحرنا نحن الذين لم يمض على مجيئنا من الجو
الصحراوي اللافح في بور سودان اكثر من ساعتين ، وقبلها
بساعة من جدة .

ان المرء لا يتصور هنا أنه في افريقية بلاد الشمس
المحرقة ، والحر الذي يذيب كبد الضب - كما يقولون .

لقد نسينا مثل هذا الجو منذ ان ولّى الربيع الادبار
في بلادنا وحتى في الربيع لا يمكن ان يتوفر جو كهذا الا
بعد هطول الامطار وتشبع الارض بالرطوبة .

رأينا مطار الخرطوم مطارا متوسطا تظهر عليه العناية
الفائقة والنظافة التامة ، وكانت الاجراءات مقبولة ومعقولة

حيث لا تعقيد ولا تساهل ، فالسؤال عن العملة وتسجيلها في
اقرارات رسمية وتفتيش الحقائق كل ذلك جرى يسر
وسهولة .

الخرطوم :

مدينة جميلة ، كثيرة الشوارع المتقاطعة ، شوارعها
الرئيسية كثيرة التشجير ، حتى تكاد تختفي تحت ظلال
الاشجار ، ومعظم بيوتها تتكون من طابق واحد ، الا ان
العمارات المتعددة الطوابق قد بدأت تغزو المدينة ، وخلاصة
القول ان الخرطوم بكاملها اشبه بضاحية جميلة منها
بعاصمة مكتظة بالسكان مليئة بالحركة ، والواقع انها كذلك
اذ ان العاصمة السودانية المثلثة تتكون من الخرطوم ،
وخرطوم بحري ، وأم درمان ، فأم درمان تعتبر الحي
الشعبي ، وخرطوم بحري حي الجيش ، ومدينة الخرطوم
حي الدوائر الحكومية ورجال المال والاعمال الاجانب ،
ومساكن ذوي اليسار من السودانيين لا سيما وأن أغلب
مساكن مدينة الخرطوم حديثة البناء وحديثة التخطيط ،
لذلك نجد شوارعها مستقيمة ، ومنازلها مقسمة الى قطع
متساوية خالية من الزوايا .

أما الوجوه فأكثر السحن هي اللون السوداني بطبيعة
الحال وهو اللون البني ، اما الجنس الزنجي فقليل جدا
يتكون من القادمين من جنوب السودان .

المروء :

ان اول ما يسترعي انتباه الزائر مثلنا هو نظام السير الذي يخالف المروء عندنا فيتجه الى اليسار حتى ان المروء منا ليخشى ان تصطدم السيارات بعضها ببعض وخاصة عندما تتقابل بسرعة فيأخذ كل منها بشماله ، واغلب السيارات ان لم تكن كلها عدا سيارات الدبلوماسيين ورجال السلك السياسي من الاجانب سيارات صغيرة وبعضها من (موديلات) قديمة ، وأكثر السيارات التي تسير في شوارع الخرطوم سيارات اجرة أي سيارات عمومية ، اما السيارات الخصوصية فهي قليلة نسبيا واذا نظرنا الى مجموع السيارات التي تسير في شوارع الخرطوم وهي عاصمة دولة يبلغ عدد سكانها أكثر من عشرة ملايين نسمة استطعنا ان نقول : ان السيارات في السودان قليلة بالنسبة الى غيرها من البلدان العربية التي لم يكتشف فيها النفط كسورية مثلا وهذا يدلنا على ان اقتصاد السودان اقتصاد نام وليس اقتصادا مزدهرا ولكننا لمسنا فيما بعد الاخلاص في العمل من الجميع في أن يجعلوا بلادهم في مصاف البلاد العربية المتقدمة ، ان لم يطمحوا الى أكثر من ذلك .

في الفندق :

أشار علينا سائق السيارة التي اوصلتنا من المطار الى البلد ان تنزل في فندق الاكروبول ، ولم نجد غير أن نطيع

رأيه فوافقنا ان ننزله . وهو فندق اوروبي الطراز، واوروبي كامل في الخدمة فيه وطريقة تقديم الطعام ، يديره رجل يوناني مع اولاده ، واغلب نزلائه من الاجانب ويتقاضى يوميا ٢،٧٥ جنيه سوداني أي مقابل المبيت والاكل الذي يعد من أفخر الاكل في فنادق البلاد العربية .

جامع الخرطوم الكبير :

صلينا المغرب فيه فراعنا ان وجدناه غاصا بالناس قبل أذان المغرب بوقت وبعض الحاضرين فيه يصغون الى درس يلقيه شيخ معمم قالوا عنه: انه شيخ المعهد الديني في الخرطوم، وقد كان المصلون كثرة حقا ، وقد لبث بعضهم في المسجد بعد الصلاة لينصتوا الى الشيخ الذي واصل درسه ، بعد صلاة المغرب على شكل حلقة من حلقات الدرس على الارض.

ويلاحظ الزائر فرقا بينهم في الصلاة وبين ما ألفناه في بلادنا ، من ذلك ان الامام يكبر تكبيرة الاحرام فيكبر الجميع خلفه بصوت مرتفع ترتج له جنبات المسجد ، ومنها ان الامام عند التسليم يجهر بالجملة الاولى من التسليمة الاولى (السلام عليكم) ثم لا يظهر غيرها ، يتابعه الناس بصوت مرتفع تضرب له انحاء المسجد ايضا بالتسليم من الصلاة ، ومنها ان الذي يصلي بجانبك يصفحك بعد انقضاء الصلاة بقوة وحرارة .

أما المسجد فهو واسع ، جميل البنيان بغير اسراف ،
تحيط به فسقية مكشوفة عامرة بالاشجار الباسقة .

يوم الاربعاء : ٢٧/٣/١٣٨٤ هـ

٥ / ٨ / ١٩٦٤ م

ذهبنا الى السفارة السعودية على امل اللقاء مع السفير
الشيخ محمد بن عبيكان لانه سبق لنا معه لقاء في الجامعة
الاسلامية في المدينة المنورة ، وكلمناه عن مهمة البعثة فعرفنا
انه غائب عن السودان لاشتراكه في مؤتمر الدبلوماسيين
السعوديين في البلاد العربية ، ووجدنا على رأس العمل
بالسفارة القائم بالاعمال الاستاذ عبدالله بن عبد الرحمن
الطيبي ، الأمين الاول ، وقد استقبلنا استقبالا طيبا ولما
اخبرناه عن مهمتنا ، بادر فأخذ منا جوازاتنا واتصل ببعض
سفراء الدول التي لا يوجد لها ممثلات في المملكة العربية
وذلك للحصول منها على التأشيرات اللازمة للدخول الى
تلك البلاد والحصول منها ايضا على التوصيات التي تحتاجها
البعثة لاداء مهمتها ومساعدتنا ان احتجنا الى مساعدة .

وقد تناول الحديث الطويل معه الشؤون الاسلامية
وخاصة بجنوب السودان واخبار شرق افريقيا ووسطها
عامة ، فكان مما قال : اني أرى انه ينبغي لمن يذهب لتلك
الاقطار الا يذهب باسم الدعوة الى الاسلام ، لان هناك

كثير من الرسميين وغيرهم من المتعصبين ضد الاسلام ، الذين لا يمكّنوكم من اداء مهمتكم كما تريدون . فقلت : ان هذا ما كنا قد قررناه من قبل ، اما ما يختص بجنوب السودان فقلت: انا نتمنى لو اتاحت لنا فرصة زيارته ولو لم يكن ذلك، في برنامجنا ، حتى ندرس ما يمكن ان تقدمه للاسلام هناك في نطاق امكانياتنا . فقال : ان هذا شيء طيب ثم اتصل فوراً بمدير مكتب وزير الداخلية وهو أي المدير ضابط كبير في الجيش ومن المهتمين بشؤون الاسلام فقال له : ان هنا بعض الاخوان الذين يودون السفر الى جنوب السودان اذا لم يكن هناك مانع من ذلك ، فأجابه المتكلم : بأنه لا مانع من ذلك ونحن مستعدون لاعطائهم التصاريح بالسفر المطلق الا ان الوقت الآن هو موسم الفيضانات ومطار جوبا ، عاصمة الجنوب صغير وكثيرا ما يقفل عدة ايام بسبب الفيضانات ، فاذا كان هذا لا يعتبر مانعا في نظرهم فنحن مستعدون ، ثم قلت له : ان وقتنا محدود وامامنا الآن عشرة اقطار يتعين علينا زيارتها وهي من الاقطار التي تعتبر مقفلة في وجه الاسلام والمسلمين ومن الممكن لنا زيارة جنوب السودان في فرصة اخرى .

ثم قال الاخ الطبيشي : انني اعرف ان الحكومة السودانية تود لو امكنها نشر الدين الاسلامي في جنوب السودان ولكنها تلاقى مشاكل كثيرة في هذا الموضوع وفي حين ان المسيحيين من الجنوب يجدون من يسندهم ممن

المسيحية في الخارج فان المسلمين هناك لا يجدون من يساعدهم من الحكومات الاسلامية، بل ان بعض الحكومات الاسلامية تسيء اليهم بحجة التقرب من المسيحيين الافريقيين. وقال : انه سمع من مسؤول سوداني كبير قوله : لماذا لا يساعدنا المسلمون على حل مشكلة الجنوب بصفتهم مسلمين ؟ فقلت له : ان هذا صحيح وان من الواجب على الحكومات الاسلامية عامة بذل كل ما في وسعها من مساعدة على نشر التعليم الاسلامي في جنوب السودان .

ثم اتصل بمدير مكتب وزير الداخلية ، وقال لنا اني ارى انه يترتب لكم مقابلة مع الوزير فقلت : لا بأس .

هذا وقد انهينا الاجتماع معه بعد ان دعانا الى تناول العشاء عنده مساء الغد .

في أم درمان :

ركبنا السيارة من الخرطوم الى أم درمان ولا يفصلنا عنها الا جسر على النيل الابيض حيث تلتقي اطراف المدينتين، وقد الفيناها مدينة شعبية معظم بيوتها ان لم يكن جميعها ذات طابق واحد وبعضها مبني بالطين على الرغم من الامطار الغزيرة التي تشهدها السودان في موسم الامطار والتي اكثر ما تهدم تلك البيوت وقد لاحظنا ان شوارعها وازقتها ومقاهيها ومطاعمها أقل كثيرا من مستوى مثيلاتها في

الخرطوم ، وان كان قد جرى فيها عمل اصلاحى كبير كما لاحظنا انها مدينة تجارية فهي تغص بمراكز الحركة التجارية التي تظهر عليها انها تتعامل مع اجزاء كبيرة من السودان ، اذ تصدر وتستورد البضائع الكثيرة الا أنه من الملاحظ ان اسماء بعض اللذين يمتلكون المتاجر من اصل اوروبي ، أو من (الخواجات) - كما يسميهم السودانيون - وهذا أمر ظاهر .

في مسجد أم درمان :

وقد صلينا صلاة المغرب والعشاء في مسجد أم درمان، وسرني اذ رأيت الدروس الدينية فيه متصلة الحلقات من بعد العصر حتى صلاة العشاء ، كما لاحظت انه يحضر حلقات الدرس والوعظ عدد كبير من الناس ، والشعب السوداني شعب متدين رقيق الحاشية لطيف المعشر ما ان يرانا في مكان عبادة ويعرف اتنا قد جئنا من المدينة المنورة حتى يبادر الى تحيتنا واطهار اكرامنا ، وقد القى زميلنا الشيخ أبو بكر جابر موسى ، موعظة في المسجد بعد صلاة العشاء نالت اعجاب الحضور الذين صافحونا جميعا ودعوا لنا بالتوفيق .

يوم الخميس: ٢٨/٣/١٣٨٤ هـ

٦ / ٨ / ١٩٦٤ م

استعرضنا في الصباح قائمة الاسماء التي في مفكرتنا
للاشخاص والجمعيات الاسلامية فوجدنا فيها رئيس القضاة
ومفتي الجمهورية السودانية ، ورئيس مصلحة الشؤون
الدينية. وكان قد زارنا هذا الصباح بعض الطلبة السودانيين
في الجامعة الاسلامية فذهبنا الى بناء رئاسة القضاة
الشرعيين والافتاء والمحكمة الكبرى .

مع مفتي السودان :

اسمه الشيخ حسين المفتي ، وهو مفتي الجمهورية
السودانية : رجل في نحو السبعين من عمره ، قال لنا : انه
امضى أكثر من اربعين سنة في العمل الحكومي وقد قدمنا
له انفسنا ، وعرفناه بأننا من المنتسبين للجامعة الاسلامية
في المدينة المنورة بمناسبة وجودنا في السودان الشقيق ، رأينا
لزاما علينا ان نزروركم ، ورحب بنا ، وتحدث معنا طويلا
عن الشؤون الدينية في السودان . ويظهر كرم رجال
العلم المؤمن في خلقه وتفكيره ، كما يتميز بطيبة القلب ،
وسلامة الصدر . ثم توجهنا الى زيارة : رئيس قضاة
السودان او ، قاضي القضاة كما يسمونه ، واسمه الشيخ
حسين اليميني . وقد قابلنا بشيء من التحفظ وخاصة

عندما تطرق الكلام معه الى موضوع الاسلام في جنوب السودان .

ثم ذهبنا لزيارة الدكتور كامل الباقر مدير مصلحة الشؤون الدينية في السودان ، وذلك للاطلاع منه على الشؤون الدينية عامة وعلى ما يختص بالمشاكل التي تواجهها الدعوة الى الاسلام في جنوب السودان خاصة ، فلم نجد له سبب غيابه عن السودان ، واستقبلنا في المبنى نفسه الشيخ يوسف اسحاق حمد النيل المراقب العام للشؤون الدينية . وهو رجل ازهري التعليم ، وكان قد قضى بضع سنين بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة ، وقد ودعناه آسفين لعدم لقاءنا برئيس مصلحة الشؤون الدينية .

في دار القائم باعمال السفير السعودي :

كان الاستاذ عبدالله عبد الرحمن الطيبيشي القائم باعمال السفير السعودي بالسودان قد وجه الينا دعوة لتناول العشاء في منزله دعى اليها بعض الدبلوماسيين العرب وخصّ منهم بالذات الذين نحتاج اليهم في طلب تأشيرات الدخول الى الدول التي لا يوجد لها ممثلات في جدة ، ومنهم قنصل الكويت الذي سيكتب لنا خطاب توصية الى القنصل الفخري الكويتي في تانجنيقا وكينيا ، والقائم باعمال السفارة الاردنية ، والوزير التونسي المفوض الذي سيجهز لنا تأشيرات الدخول الى الكونغو الفرنسي سابقا

(كونفو برازافيل) وقد لبثنا في بيته مدة تزيد على الساعتين تناولنا خلالها طعام العشاء الذي كان عبارة عن مائدة كبيرة تكفي لآكثر من عددنا ضعفين ، وقد تناول الحديث مختلف الشؤون وخاصة منها ما يتعلق بالسودان وجوّه واقتصادياته في ظروفه الحاضرة .

يوم الجمعة : ٢٩/٣/١٣٨٤ هـ

٧/٨/١٩٦٤ م

في خرطوم بحري :

توجهنا صباحا الى خرطوم بحري في جولة سريعة وقد طافت بنا السيارة كل مناطق خرطوم بحري وشاهدنا مبنى جامعة الخرطوم في الطريق ، ثم وصلنا الى مباني الاقسام الداخلية لبعض كليات الجامعة ، كما شاهدنا العمل الذي كان يجري لانشاء جسر ضخم على النيل بعد ان يتحد النيلان الازرق والايض ، يصل بين خرطوم بحري وبين ام درمان ، وكان الاتصال بينهما يتم عادة اما بالذهاب الى الخرطوم ، ومن هناك الى ام درمان ، واما بالذهاب بواسطة قارب نهري ، وقد شاهدنا ذلك اليوم .

وقد راعتنا عظمة النيل هنا باتساعه ، وضخامته وعظم المقادير الهائلة من المياه التي يتكون منها . ومما

يدعو للأسف انك لا ترى المزروعات على ضفتيه ممتدة الى مسافات بعيدة ، مما يؤكد الشعور الذي ينطبع في ذهن الزائر للسودان الشقيق ، ان هناك امكانيات ضخمة في السودان ولكنها تحتاج الى امكانيات كثيرة للاستفادة منها واستغلالها من الاموال الطائلة ، والخبرات الفنية المتعددة. ثم تجولنا في منطقة تبعد عن ضفة النهر حوالي ثلاثة كيلو مترات فرأينا بعض الفلات الجميلة ، وسط الاحياء الفقيرة المبنية بالطين ، والتي لا ترتفع عن الارض اكثر من المترين مما جعلنا نذكر بعض منازل هجر البادية عندنا في نجد في السابق .

الخرافات :

مررنا بطريقنا بسقبرة وطنية ، قبورها لاصقة بالارض ، فرأينا فوق بعض القبور رايات صغيرة مثل التي يلعب بها الاطفال فسألنا مرافقنا السوداني عنها ، فقال : ان بعض النسوة يأتين بهذه الاعلام للتقرب الى صاحب القبر الذي يكون من المشايخ المعتقدين عندهن وذلك لكي يشفع لهن عند الله في قضاء حوائجهن ، كما يخيل لهن ومثل هذه البدع والخرافات منتشرة في السودان - للأسف - ويحتاج من يتصدى لعلاجها الى حكمة ومهارة ، لانها متأصلة في نفوس كثير من العامة ، يصعب انتزاعها من نفوسهم بسهولة ، وهي منتشرة انتشارا كبيرا .

الروح الدينية :

والروح الدينية في السودان قوية ، وللدين في نفوس العامة من الناس مكانة كبيرة ، ولكن توجد اشياء في السودان ظاهرة لا يستطيع المرء الا ان يلاحظها وهي انتشار الخمر والحانات في كل مكان من العاصمة كما ان شرب الخمر هنا ظاهر اكثر منه في أي بلد عربي ، حتى من البلاد التي ضعفت الروح الدينية فيها .

واعظم طائفتين دينيتين في السودان هما: طائفة الانصار اتباع السيد عبد الرحمن المهدي . وطائفة الختمية ، اتباع السيد الميرغني ، ولكل من هاتين الطائفتين قبة على قبر زعيمها .

وقد بدأت تنتشر الآن ، ولكن ببطء ، حركات الاصلاح الديني التي تدعوا الى تنقية الدين الاسلامي من شوائب الشرك والبدع ، والرجوع الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه .

وانصار السنة في السودان لهم جماعة في كل بلدة تقريبا ، ولكن لصراحتهم في التحذير من الشرك والبدع ، يجدون معارضة من كثير من الناس ، ويرجى ان تتسع دعوتهم في المستقبل ، مع انتشار التعليم .

في مسجد خرطوم بحري :

بعد ان قمنا بجولة في ما حول خرطوم بحري ،
توجهنا الى مسجد خرطوم بحري الكبير ، حيث صلينا
الجمعة فيه ، والقى زميلاي في المصلين موعظتين ، كان لهما
وقع طيب في نفوسهم وقد احاطونا من كل جانب بالسلام
والتحية وغمرونا بعواطفهم الطيبة . وقد كان خطيب
الجامع قد القى والحق يقال خطبة بليغة مناسبة قبل الصلاة .

مطاعم الخرطوم :

تناولنا طعام الغداء في احد المطاعم في خرطوم بحري ،
وعلى ذكر المطاعم نقول : ان اكثر المطاعم الشعبية في السودان
تنقصها النظافة ، ويتولى الخدمة فيها فتيان يكونون في
بعض الاحيان من جنوب السودان بملابس غير نظيفة
ومعاملتهم للزبائن غير رقيقة ، الا ان المطاعم المذكورة
رخيصة جدا ، اذا قورنت بأسعار المطاعم في البلاد العربية
الاخري حتى مصر .

اما المطاعم النظيفة فاعلها يديرها اجانب من اصل
اوروبي ، او من يسمونهم (الخواجات) وهي غالية
الاسعار ، اي ان ثمن نظافة المطعم يزيد السعر اكثر من مئة
في المئة ، فان النظافة لا تكلف تفقات تساوي هذا المبلغ .

يوم السبت : ٢٠/٣/١٣٨٤ هـ

٨/٨/١٩٦٤ م

في البنك المركزي السوداني :

ذهبنا صباحا الى البنك المركزي السوداني لاستبدال نقد سوداني بالصككات (الشيكات) السياحية التي نحملها ، وكانت الاجراءات شديدة ، والقيود على العملة كثيرة واسترعى انتباهنا في البنك كثرة الفتيات السودانيات ، الموظفات فيه ، وبهذه المناسبة نذكر : ان لا ترى المرأة السودانية في الشوارع والاسواق كما تراها في شوارع البلاد العربية الاخرى ، فخرج النساء قليل ، والمرأة السودانية على وجه العموم متحشمة اذا خرجت للشارع .

في حديقة الحيوان :

ركبنا اليها من الفندق الذي نزل فيه بالسيارة فوجدناها في شارع النيل ، وهو شارع طويل يمتد على ضفة النيل ويشبه كورنيش النيل في مصر ولا يقل عنه جمالا وروعة ، وهذا الشارع يعتبر في نهاية الجمال حيث تشتبك في سمائه فروع الاشجار الصغيرة التي غرست على جانبيه ، ويشمل الظلال الوارف جميع تلك المنطقة التي تعتبر منطقة الوزارات والمصالح الحكومية الكبيرة .

دخلنا الحديقة فألقيناها قد نسقت تنسيقا جميلا ،
ومحتوياتها كثيرة نسيبا ، وان كانت لا تصل الى مستوى
حديقة الحيوان في الجزيرة - في مصر .

وأغلب الاشياء الغريبة فيها هي من الحيوانات
الاستوائية كأنواع من الوعول لا عهد لنا بمثلها ومجموعة
طيبة من الطيور الافريقية ، أما المعروضات الاخرى فهي
عادية .

ومما استرعى انتباهنا فيها « اللاما » حيوان أمريكية
الجنوبية الشهير ، ونوع من أنواع طيور البجع كبير
يسمونه « ابو سعن » ، والنيص ويسمونه « أبو الشوك »
وهو في قدر العناق التي لها شهران ، ظهره وجنباه مكسوة
شوك طويل ، كان أهل نجد يستعملونه قديما في الكتابة .
كما شاهدنا الكنغر : حيوان استراليا المشهور ، ذا اليدين
القصيرتين والرجلين الطويلتين ، والذي يحمل صغاره في
كيس في بطنه . أما الطيور فكثيرة ، وأجمل ما فيها
مجموعة من الطيور الصغيرة الملونة جلبت من خط
الاستواء ، الى جانب أنواع من الغرائق والرهو .
وبالحديقة مقصف نظيف ، وهي جميعها مغروسة
بالاشجار الوارفة الظلال .

في الخرطوم جنوب :

انه حي في جنوبي مدينة الخرطوم يسمونها « الخرطوم

جنوب» دعينا فيه للغداء عند بعض الاخوان ، وهو يعتبر امتدادا للخرطوم ، وارضه رملية ذهبية ، حتى لتذكرنا ببعض أراضي القصيم في نجد . وتنشأ الآن فيها البيوت ذات الطابق الواحد التي تتميز بها ضواحي الخرطوم . وأهم شيء يعنى به السودانيون عند تخطيط ضاحية هو تشجيرها ، لأن المياه الجوفية متوفرة وقريبة من السطح ، ويكفي أن تغرس الاشجار وتتعمد لمدة قليلة ثم تترك لتنمو على الامطار وعلى المياه الجوفية ، لأن مجرى النيل قريب جدا ومنه تتشبع الأرض بالرطوبة وتتوفر المياه الجوفية ، ولأن جو السودان في أيام الجفاف - وفي فصل الربيع خاصة - تشتد فيه حرارة الشمس حتى تكثر الاصابة بضربة الشمس عند التعرض لها .. فيكون في تشجير المدن ما يوفر الظل فيها .

يوم الاثنين : ٢/٤/١٣٨٤ هـ

١٠/٨/١٩٦٤ م

كنت أصبت منذ أمس بالانفلونزا ، وكانت شديدة الوطأة ، بحيث لم أستطع مغادرة الفراش ، وانزويست في سريري بالغرفة طيلة اليوم . وقد تحاملت على نفسي اليوم ، وذهبت الى المصرف العثماني في الخرطوم ، لاستبدال جنيهات سودانية بصكات سياحية ، والنظام

المالي هنا أن لا يستبدلها الا المصرف ، وقد خسرنا في تلك العملية ما يساوي ٣٥ ٪ تقريبا ، اذ أن سعر الجنيه السوداني في جدة يساوي دولارين بالضبط - حسب شرائنا للمبلغ المسموح بادخاله وقدره عشر جنيهات عندما أردنا السفر الى السودان - وقد باعوه لنا بالمصرف بأكثر من ثلاثة دولارات ، أي أنهم أخذوا منا دولارا كاملا في كل جنيه صرفناه لأن هذا هو سعر الجنيه السوداني الرسمي .

ثم ذهبنا الى السفارة السعودية ، وكان الذي أخرجنا عن السفر هو عدم حصولنا على تأشيرة الدخول الى أوغندا وكينية، وكانت السفارة السعودية قد كتبت للسفارة البريطانية تطلب منحن تأشيرة دخول الى تلك البلاد ، نظرا لعدم وجود ممثلات دبلوماسية لها في السودان . وقد ذكرت السفارة البريطانية أنها لا تستطيع ذلك الا بتفويض من الحكومتين وانها أبرقت لهما ويجب علينا انتظار جواب البرقية . وقد أسفنا لهذا الامر لانه سيفرض علينا مزيدا من الإقامة في الخرطوم ، ونحن لا نريد ذلك لأن البقاء طويلا في السودان ليس من هدفنا وانما يبدأ عملنا بعد ذلك . وقلت للقائم بالاعمال الاستاذ عبدالله الطييشي : ان الافضل أن نسافر ، وعندما تأتي الاجابة الى السفارة البريطانية في الخرطوم تحولها الى السفارة البريطانية في أديس أبابا ، ونستريح من عناء الانتظار وضياع الوقت . فقال : ان

هذا لا بأس به ، ويمكن سؤالهم عنه ، وان كنت أرى أن
تتظروا قليلا لثلاثا تمروا بنفس الدور في الحبشة عندما
تأتون الى السفارة السعودية هناك وتطلبون منها نفس
الطلب .

يوم الثلاثاء : ٣/٤/١٣٨٤ هـ

١١/٨/١٩٦٤

زارنا عدة مرات فضيلة الشيخ الزبير عبد الحمود ،
وهو عالم ديني سوداني ، وامام جامع عبد المنعم في جنوب
الخرطوم ، وصاحب مكتبة دينية في جامع الخرطوم الكبير ،
وواعظ في قسم الوعظ والارشاد في ادارة الشؤون الدينية،
وهو رقيق الحسّ ثاقب النظرة ، استفدنا منه كثيرا في
الاستفسار عن بعض الاشياء التي لا نعرفها في السودان ،
وقد قرأت اليوم في الفندق ما حصلت عليه من الصحف
السودانية ، وبهذه المناسبة أقول كلمة عن :

الصحافة السودانية :

تصدر في الخرطوم عدة صحف ، وهي : الرأي العام ،
الصحافة ، الايام ، الثورة ، وهذه الاخيرة تنطق بلسان
الحكومة ، وجميع تلك الصحف ضعيفة في الاخراج والطباعة
صغيرة الحجم ، ويصح القول بأن صحافة السودان لا يمكن

أن تقارن بالصحافة السعودية التي تفوقها في كل ما ذكرناه ،
والتي يقبل عليها السودانيون ، ولكنهم لا يجدونها الا في
السفارة السعودية ويمتدحون اخراجها ومادتها .

يوم الاربعاء : ١٣٨٤/٤/٤ هـ

١٩٦٤/٨/١٢ م

عادت الي الانفلونزا منذ ليلة البارحة بشكل أعنف ،
وقد أنهكتني بالحمى والصداع وأنا منذ يومين لم أتناول
طعاما .

وقد ذهبت اليوم بالسيارة الى عيادة طبيب سوداني
ففحص صدري وبطني ، وقال : هذه انفلونزا ، فينبغي لك
أن تصبر هذين اليومين لأن هذا دور لا يمكن تلافيه . ثم
كتب لي دواء على الصيدلية ، وقد اشترى أحد الاخوان
الدواء وأحضره اليّ وكنت على أشد حالة من الضيق
والألم .

يوم الخميس : ١٣٨٤/٤/٥ هـ

١٩٦٤/٨/١٣ م

على الرغم من الادوية التي ذكرها الطبيب ، وأخذتها
بشمن غال ، فلم أزل مريضا وان كانت الحمى قد خفت قليلا

ولم أتناول طعاما ما منذ أيام . وكان الطيب قد قال لي : يستحسن أن تتناول عصير الفاكهة . وعلى الرغم من أن العاصمة السودانية المثلة يجري من تحتها نهران عظيمان : هما النيل الأزرق والنيل الأبيض ، فإن السودان يعتبر أفقر البلاد العربية في الفاكهة التي اعتدنا تناولها في الشرق الأوسط - كالتفاح والعنب - وهو أغلاها سعرا لما يستورد منها . فكيلو العنب مثلا يباع بنصف جنيه ، أي أكثر من ستة ريالات سعودية .. و كيلو الطماطم بأربعين قرشا ، أي خمسة ريالات .. أما البرتقال والتفاح والشمائم ، فلا يوجد .. وانما يوجد من الفواكه «المانجو» وهو رخيص نوعا .. وكذلك يوجد الجوافة ويبيع الكيلو بما يساوي ريالاً سعودياً ، الى جانب الموز الذي هو من أرخص أنواع الفواكه عندهم . والسبب في عدم زراعة الارض والاستفادة من المياه الكثيرة المتدفقة من النيل وغيره، هو عدم استطاعة السودانيين فلاحه الارض على الوجه المطلوب ، من جهة ، كما قيل لنا ، وعدم ملاءمة المناخ هنا لفواكه الشرق الاوسط أو منطقة حوض البحر الابيض المتوسط من جهة أخرى .

يوم الجمعة : ١٣٨٤/٤/٦ هـ

١٩٦٤/٨/١٤ م

هطلت الأمطار اليوم ليلا بشكل غزير لم يسبق أن

رأيناه هنا ، وبذلك تحسن الجو وازدادت برودته ،
لان برودة الجو هنا في هذا الوقت هي بسبب المطر ليس
غير .

الصيف في الربيع ، والربيع في الصيف :

وعجيب أمر السودان ، فأشد أيامه حرا ، فيما يذكرون،
هي أيام الربيع في غيره من الاقطار المعتدلة الشمالية . ففي
شهور مارس وابريل ومايو تشتد الحرارة حتى تصل الى
(٥٠) درجة مئوية ، فيما يذكرون . فتعطل المدارس
ويذهب القادرون الى خارج السودان هربا من الحر . ويكون
الحر الشديد مصحوبا في الغالب برياح (خمسينية) حارة
تسفو التراب حتى توصله الى داخل خزانات الملابس في
المنازل ، فاذا دخل فصل الصيف الحقيقي - ويسمونه هنا
الخريف - وذلك في شهر يوليو ، بدأ موسم الامطار
وتحسن الجو وهبطت درجة الحرارة وخدمت الرياح
السافية ، وأخذ أهل السودان في الخارج يفكرون في زيارة
السودان وقضاء الاجازة فيه .

وبعد الخريف صيف !!

حتى اذا حل شهر اكتوبر ، وانكسر سلطان الحر في
البلاد الاخرى ، وبدأ البرد في بعضها ، عاد الحر الى
السودان ، فأخذ يصلي الأبدان لفترة من الزمن ، ثم حل

فصل الشتاء وهو لا يختلف عن الفصل الذي يسمونه فصل الخريف ، والذي يقع في الصيف ، الا في كونه لا تنزل الامطار فيه .

اللغة :

السودان بلد عربي - من حيث اللغة - ولا تسمع فيه من يتكلم غير العربية حتى أهل الجنوب الذين يسكنون في الخرطوم ، والذين هم من أصل زنجي يتكلمون العربية بلهجة مكسرة . وتتميز اللهجة السودانية بقربها من لهجة الحجاز . فكلمة « مويه » التي تعني (ماء) لا تنطق كما ينطقها الحجازيون الا في السودان ، وكذلك ترقيق الراء في كثير من الكلمات مما لا يشارك الحجازيين فيه الا السودانيون . واذا كان لكل لهجة عربية ما تتميز به وتشتهر من كلمة كاشتهار الشاميين بكلمة « شو » بمعنى (ماذا ؟) ، والعراقيين بكلمة « ماكو » ، أي (لا يوجد) ، والمصريين بكلمة « ازاي » بمعنى (كيف ؟) ، فان السودانيين يتميزون بكلمة « براه » بمعنى (وحده) أو (على حدة) ، وهي كلمة لا أعرف أصلها .

اللون :

اللون الغالب على السودانيين هو لون البن المصنوع في السودان ، وهو لون أهالي شمال السودان ، ويوجد الى

جانبه اللون الأسود الفاحم وهو لون أهل الجنوب ، كما يوجد بعض ذوي اللون الابيض في العاصمة خاصة ، وهؤلاء معظمهم من اليونانيين والسوريين والمصريين الذين استوطنوا السودان منذ عهد طويل .

ويمتاز السودانيون بأجسامهم الممتلئة وقاماتهم المديدة وأبدانهم التي تظهر عليها القوة .

أبو جنزير :

رأينا قريبا من (فندق فيكتوريا) وفي فضاء على جانب شارع رئيسي عام ، قوما يذبحون بقرة ، فاستغربنا ذلك في هذا المكان من مدينة الخرطوم ، وفي حي يعتبر من الاحياء الراقية فيها ، لانه حي المال والاعمال . ولما سألنا خادم الفندق عن ذلك ، فأجاب ببساطة : انه أبو جنزير .. فلم نفهم شيئا . فأضاف : هذا أبو جنزير - ولي من أولياء الله - مات ودفن هنا ، وأخذ الناس يتبركون به ، ويأتون الى قبره ، يذبحون عنده الذبائح ، وما هذه البقرة التي رأيتم الا واحدة منها . فأفهمناه أن ذلك لا يجوز ، وأن الذبح لغير الله شرك ، وأن الميت في قبره لا ينفع ولا يضر ، بل هو محتاج الى من ينفعه بالدعاء والاستغفار له . فقال : أقول لكم الحق ، ان بعض الناس اخذوا يشكون في أبو جنزير هذا لأنه كان عليه جنزير قد أحيط به حماية له من الاذى تبرع به أحد الذين

يعتقدون صلاحه . ولكن أحد اللصوص سرق الجزير
المذكور ، فلو كان ذلك الميت ينفع أو يضر لدفع عن نفسه
أذى اللص .. ولكن كثيرا من الناس يأتون اليه من
باب التقليد وبدون بصيرة .

ثم قال : حتى بلدية الخرطوم تركت الارض التي تحيط
بالقبر فضاء ، مع أن ما حولها قد عمه البنيان لانها قد
أصبحت ملكا لصاحب القبر ، ومجاملة للناس الذين
يعتقدون به . وقد أسفنا لذلك ، وسألنا الله سبحانه وتعالى
أن يفتح بصائر اخواننا السودانيين وينقذهم من تلك
الخرافات التي هي من مخلفات عصور الانحطاط ، وتفشي
الخرافات والخزعبلات في العالم الاسلامي ، وهي مناقضة
لروح الدين الاسلامي الصافي النقي الذي لا يجوز للمسلم
أن يتعلق قلبه بغير الله سبحانه وتعالى .

* * *

في السودان .. ثمانية



يوم الاحد : ١٣٨٨/٢/٢٣ هـ
١٩٦٨/٦/١٢ ،

من جدة الى الخرطوم :

غادرنا مطار جدة الدولي في تمام الساعة التاسعة والنصف صباحا بالتوقيت الزوالي على متن طائرة سعودية نفائة من طراز (دوجلاس دي سي ٩) وكان جميع الركاب من السودانين ، وأكثرهم من العائلات . وقد ركبت في الدرجة الأولى في الطائرة ، ولم يكن معي فيها غير رجل دبلوماسي ، أما بقية الركاب فهم في الدرجة الثانية .

أعلن المضيف أن الرحلة من جدة الى الخرطوم ستدوم ساعة ونصفا ، وأن ارتفاع الطائرة سيكون ٢٨ ألف قدم .

لم يمض عشر دقائق على استمرار الطائرة في الطيران حتى لاح لنا الشاطئ الافريقي من البحر الاحمر ، وقد مضت عشر دقائق أخرى قبل أن تتجاوز البحر فعلا الى إفريقيا .

وقد قارنت بين هذه الرحلة والرحلة السابقة على طائرة داكوتا ، فبدا الفرق واضحا جدا ، فالمسافة الى الخرطوم استغرقت في المرة الماضية أكثر من ثلاث ساعات طيران ، أما هذه المرة فهي ساعة ونصف فقط ، ولكن الرحلة على

الطائرات الصغيرة ، ذات القدرة المحدودة على الارتفاع ، فيها من المتعة باستجلاء مناظر الارض تحتك ما يعوض التعب الذي يجده المسافر فيها .

افريقية مرة ثالثة :

لم أكن أظن أنني أعود الى إفريقيا مرة ثالثة بهذه السرعة ، ولكن الواجب هو الذي جعلني أستجيب الى رغبة رئاسة الجامعة الاسلامية في السفر ، وذلك بغية القيام بمهمة في السودان والصومال . المهمة الأولى في السودان ، تتعلق ببحث التعاقد مع بعض المدرسين للجامعة وبالاطلاع على نشاط المركز الاسلامي الافريقي الذي أنشئء هناك لخدمة نشر الدين الاسلامي في افريقية ، وتساهم فيه المملكة العربية السعودية ببعض المدرسين ، والاطلاع على نشاط الهيئات الاسلامية هنا في هذا الميدان . لا سيما أن ادارة المركز المذكور طلبت المزيد من المساعدات ، ولم يكن هناك معلومات كافية متوفرة عنه . أما المهمة الثانية ، فهي في الصومال ، وتتلخص في الاطلاع على أوضاع معهد التضامن الاسلامي في مقديشو ، الذي أنشأته الحكومة السعودية ، وتشارك الجامعة الاسلامية ورابطة العالم الاسلامي في الاشراف عليه وادارته .

ها أنذا في جو افريقية ، ولكن ارتفاع الطائرة لم يمكنني من تبين الارض تحتي ، الا أن ما ظهر هو الفرق

بين الرحلة الاولى وهذه الرحلة: إننا كنا في السابق في موسم الأمطار ، وفي هذه المرة ، فلم يكن قد حان بعد ، لذلك تبدو الأرض أقل خضرة مما كانت عليه في السابق .

وبعد طيران دام ساعة وثلثا لاحت لنا منطقة الخرطوم ، وكان المنظر الرائع للنيل العظيم حيث يبدو النيلان - الازرق والاييض - منفصلين ، ثم يجتمعان في مكان المقرن فيكوّنان النيل العظيم ، ومع ذلك فان المرء لا يمكن أن يزايله الشعور بالأسف من أن هذا النيل العظيم لا تمتد الخضرة على شطيه بعيدا ، خلاف ما ينبغي أن يكون . ولا شك أن المشاريع الزراعية الكبيرة تحتاج الى وقت وخبرة ومال - أرجو أن يتمكن إخواننا السودانيون من الحصول عليها في المستقبل - وتعمير الأراضي التي يمكن أن تصل اليها مياه النيل .

في مطار الخرطوم :

عندما هبطنا في مطار الخرطوم ، وجدنا الاخ عبد الله غلام ، من السفارة السعودية في الخرطوم ، وقد قام بتسهيل الاجراءات في المطار ، وقد انتهت قبل الركاب الآخرين ، ولم تفتش حقائبي على الرغم من أن التفتيش كان شديدا على الركاب الآخرين ، ثم اتقلنا بسيارة السفارة الى فندق آكروبول في الخرطوم .

أما مطار الخرطوم فلم يجر عليه أي تعديل منذ

أن رأيته قبل أربع سنوات . وهو مطار نظيف ولكنه صغير
بالنسبة الى مركز السودان .

أما الجو في الخرطوم فهو شديد الحرارة ، وقد وصلت
درجة الحرارة اليوم الى (٤٦) درجة مئوية ، وهذا خلاف
ما كان عليه الوضع في المرة السابقة ، حيث جئنا في أواخر
شهر يوليو ، وكان موسم الأمطار على أشده ، والجو
لطيف لهذا السبب ، وقد نزلنا في فندق اكروبول ، الذي
نزلناه سابقا ، وهو فندق يملكه رجل يوناني ويديره مع
أولاده ، وهو فندق نظيف ويعتبر من أحسن فنادق
الدرجة الثانية ، أو هو في آخر فنادق الدرجة الأولى ،
واجرة الغرفة الواحدة ذات السرير الواحد فيه هي جنيهان
 وخمسة وسبعون قرشا سودانيا - أي ما يعادل - ٣٣-ريال
بالصرف الرسمي للعملة السودانية .

جولة في الخرطوم :

هذه هي المرة الثانية لي في الخرطوم ، ولم أجدها
تغيرت عما كانت عليه في الماضي . وأول ما يلفت نظر الزائر
هو ملابس السودانيين التي تتكون من شكلين رئيسيين :
أولهما ، الملابس التقليدية الضافية التي تتكون من
الجلباب الواسع الفضفاض الذي يشبه الى حد كبير الجلابية
المصرية ، وفوقه عمامة كبيرة ذات طيات متعددة - تبلغ
ما بين خمس الى سبع طيات - ولهذه العمامة أهمية كبيرة في

السودان ، لانها تقي الرأس أشعة الشمس التي تكون عمودية ، وشديدة الوطأة في بعض فصول السنة ، وبالتالي قد تسبب اصابة من يتعرض لها بضربة الشمس . الشكل الثاني ، الملابس الشعبية ، وهي عبارة عن قميص عجيب ، يمكن وصفه بأنه يشبه «مودة» الشوال ، فهو عبارة عن قميص قصير الاكمام طويل الذيل بحيث يصل الى حد الركبة ، تحته سروال قصير جدا ، بحيث لا يرى . فقط هذا هو كل اللباس ، وهو كما ترى لباس اقتصادي وعملي بالنسبة لجو السودان الحار . على أن اللباس الافرنجي قد أخذ يغزو أوساط المثقفين والمتصلين بالاجانب من السودانيين . ولكن التعقيد يأتي في ملابس السيدات ، حيث ترتدي المرأة الزي الوطني ، الذي يتكون من أشياء لا أعرف منها الا ظاهرها ، وهو عبارة عن رداء فضفاض يسمونه « الثوب » ، تلف به جسمها من أسفل الركبة الى أعلى الرأس ، وهو على وجه العموم لباس محتشم طيب . أما السودانيات اللواتي يقلدن الاوروبيات في الزي فهن اقل من القليل حتى مذيعة التلفزيون تلبس اللباس الوطني .

يوم الاثنين : ١٣٨٨/٢/٢٤ هـ

م ١٩٦٨/٦/١٣

حضر اليّ الاستاذ عبدالله غلام في الفندق ، وبعد أن

ذهبنا الى الشركة الايطالية لتثبيت الحجز الى مقديشو ،
ذهبنا الى مقر السفارة السعودية في الخرطوم رقم (٣) ،
وقد قابلت سعادة السفير ، الشيخ محمد العيكان ، ولبثت
عنده طويلا - تحدثنا معا عن الوضع الاسلامي في السودان،
وما يمكن ان يؤديه للاسلام وللثقافة العربية بصفته جسرا
بين العرب والافريقيين - .

في المركز الاسلامي الافريقي :

ثم ذهبنا الى المركز الاسلامي الافريقي في أم درمان ،
بسيارة السفارة السعودية ، وكان السائق يخبرني عما نمر
به - وهي أشياء كنت قد مررت عليها من قبل ولكن لا يزال
بعضها يلفت نظري - وأهمها أن شيطان النيل أو بعضها
عارية من الاشجار والخضرة ، وتذكرت قول الشاعر :

ومن العجائب والعجائب جمّة
قرب الشفاء وما اليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

لم نجد من المسؤولين في المركز الاسلامي سوى
شخص واحد، حيث أن المركز في عطلة، والطلاب والمدرسون
قد خرجوا . كما زرت مركز جمعية أنصار السنّة المحمدية ،

وبحثت عن الاستاذ محمد هاشم هدية ، رئيس الجمعية ،
قلم أجده فيه .

وقد اتصلت ببعض الطلبة الافريقيين الذين يدرسون
في المعهد التابع للمركز الاسلامي الافريقي في أم درمان ،
وبعضهم من السنغال ، وبعضهم من ارتيرية ، والحقيقة أن
فكرة المركز فكرة طيبة ومفيدة ، وهو الآن يشغل بناية
مستأجرة وهي صغيرة وغير كافية وتبغني مساعدته بكل
تأكيد ، لأنه قائم الآن على تبرعات أصحاب الخير والغيرة
على الاسلام من اخواننا السودانيين . ثم انتقلنا منه الى
الجامعة الاسلامية بأم درمان ، وقابلنا في الادارة الاستاذ
يوسف خليفة ، المسجل العام ، وكذلك قابلنا الدكتور كامل
الباقر ، مدير الجامعة ، وبعض المدرسين فيها مثل الدكتور
علي عبد الواحد وافي ، وجرى البحث مع الجميع حول
رسالة الجامعة الاسلامية في كل من أم درمان والمدينة
المنورة ، ونظرا لضيق الوقت ، فقد تركت ادارة الجامعة على
أمل العودة اليها غدا ان شاء الله .

يوم الثلاثاء : ٢٥/٢/١٣٨٨ هـ

١٤/٦/١٩٦٨ م

ذهبت اليوم الى الجامعة الاسلامية بأم درمان ،
فاصطحبني الاستاذ السيد يوسف خليفة ، المسجل العام ،

في احدى سيارات الجامعة الى مقر الدراسة فيها ، وهو في مكان بعيد عن مقر ادارة الجامعة . وقد دخلنا أولا بناية المكتبة وأعجبت بكثرة محتوياتها والنشاط الهائل في قسم الفهرسة والتصنيف فيها ، ويقول السيد يوسف : انه يوجد في المكتبة مدير مسؤول وفيها كذلك من الموظفين ثلاثة من الخريجين الجامعيين ، أحدهم منخرج من مصر ، والآخران متخرجان من الجامعة في أم درمان ، وهذا خلاف الكتبة والموظفين الذين يبلغ عددهم (١٣) موظفا . وتشغل المكتبة بناء صغيرا من طابقين ، وقد خصص للمكتبة ١٠٪ من مجموع موازنة الجامعة ، وكتب على مدخلها العبارة التالية: «الجامعة : استاذ ، طالب ، كتاب» . ثم تجولنا في مبنى كلية الشريعة والقانون ، ومبنى كلية الآداب وهي مبان صغيرة وغير لائقة . وكان يتخلل جميع اجتماعاتنا مع المسؤولين في الجامعة الحديث عن الغرض الذي ينبغي ان تؤديه كل من الجامعة الاسلامية في أم درمان وفي المدينة المنورة في حقل الدعوة الاسلامية ، وبخاصة في افريقية . والاستاذ يوسف خليفة ممن تخصصوا في تدريس اللغة العربية لغير العرب - حيث مارس تعليم اللغة العربية في جنوب السودان للمواطنين هناك بضع سنوات .

على مائدة السفير :

كان سعادة السفير قد دعانا أمس الى حفلة غداء اليوم،

وقد دعا اليها عددا من كبار العلماء والمشايخ في السودان ،
وبعض الصحفيين منهم : السيد يحيى عبد القادر ، صاحب
جريدة انباء السودان ، بالاضافة الى أعضاء السفارة
السعودية جميعا . وكانت فرصة طيبة تبادلنا فيها المعلومات
والاحاديث عن أحوال السودان ، ثم ذهبت بعد عصر اليوم
الى حديقة الحيوان ، حيث جدت العهد بها ، لانني قد
رأيتها منذ أربع سنوات ، ولم أجد أنه قد جد فيها جديد .

حالة الاسلام في جنوب السودان :

لقد مررنا بالسودان في طريقنا الى اريتريا واثيوبية
ولم يكن السودان مقصودا لنا بالذات لانه قطر اسلامي
مفتوح للافكار الاسلامية وحالة المسلمين فيه معروفة للجميع
ومع ذلك فقد قمنا باتصالات مع المسؤولين عن الشؤون
الاسلامية فيه ومن بينهم سماحة رئيس القضاة الشرعيين
الشيخ (حسين اليميني) وفضيلة مفتي الجمهورية السودانية
الشيخ حسين المفتي وبعض المسؤولين في مصلحة الشؤون
الدينية وبعض العلماء الآخرين وشيوخ المعاهد الدينية وائمة
المساجد الكبيرة اما المعاهد الدينية فلم نستطع الاطلاع على
سير الدراسة فيها لانها كانت مغلقة بمناسبة العطلة الصيفية
وقد قام زميلاي بالقاء كلمات وعظات دينية في مساجد
العاصمة السودانية المثثة .

الاسلام في جنوب السودان :

لقد تبين لنا من الاتصالات التي قمنا بها والمعلومات التي حصلنا عليها ان مسألة الجنوب السوداني في أساسها مسألة دينية ، وان ما يبدو في ظاهره نزاعا بين شمال السودان وجنوبه انما أصله هو في الحقيقة الاختلاف بين ثقافتين دينيتين ، وقد بدأت مشكلة الجنوب منذ أن اخذ الاستعمار الانكليزي مع مطلع القرن الميلادي العشرين يعمل على فصل الجنوب عن الشمال ويسهل للارساليات التبشيرية العمل والاقامة في جنوب السودان ويضع العراقيين او يسد الطريق كلية امام الدعوة الى الاسلام هناك .

الاقتراحات :

ونرى ان مسألة الوضع في جنوب السودان لا ينبغي ان يقتصر الاهتمام بها على السودانيون وحدهم لان بقاء جنوب السودان داخل الحضيرة الاسلامية يحتاج الى تعضيد من المسلمين خارج السودان مثلما تساعد الهيئات العالمية الاقلية السودانية المسيحية في الجنوب بحيث كانت تمددها بالمال والمبشرين وغير ذلك من الوان المساعدة ، ونرى ان تكون مساعدة السودانيون في هذا الموضوع على شكل فتح مراكز اسلامية صغيرة في قرى وارياف جنوب السودان للدعوة للدين الاسلامي على ان يشتمل كل مركز على كتاب

صغير يتولى التدريس فيه مدرس واحد ويقرر لكل طالب يدخله مقدار من الخبز او غيره من الطعام يوميا مع كسوة بسيطة تصرف كلما دعت الحاجة وتوكل مهمة التدريس والتبشير المذكورين الى السودانيين ممن يعرفون بالدين والصلاح والاستعداد للدعوة والارشاد، على ان تصرف لهم مكافأة شهرية لا تزيد على كفايتهم مدة تفرغهم لذلك العمل عن طريق سفارات الدول الاسلامية في الخرطوم أو بواسطة مندوب خاص من الدولة الاسلامية التي ترغب بالمساعدة يتفاهم مع الرسميين السودانيين المعنيين بالشؤون الاسلامية على خطة العمل الدائم وان تعنى المراكز المذكورة بايواء الاطفال والاحداث من ابناء غير المسلمين لكي تتولى تنشئتهم تنشئة اسلامية ، ولا شك في أن هذا العمل اذا نفذ بحكمة ووفق خطة مدروسة وبرنامج طويل الامد فانه سوف تكون له نتائج طيبة في المستقبل .

مصلحة الشؤون الدينية في السودان :

لقد انشأت الحكومة السودانية قسما للوعظ والارشاد الديني في مصلحة الشؤون الدينية بلغت موازته هذا العام ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م ، ٥٥ الف جنيه سوداني حسب الاحصاءات الرسمية ويستهدف هذا القسم ارشاد المسلمين في أمور دينهم ، ويقول رئيس المصلحة الدكتور كامل باقر : ان قسم الوعظ والارشاد في المصلحة لم يؤسس من أجل

التبشير الاسلامي في الجنوب وانما يقوم بالتبشير بالدين
الاسلامي في جنوب السودان هيئات وشخصيات اخرى
مستقلة .



في اريترية



يوم الاحد : ٨ / ٤ / ١٣٨٤ هـ

١٦ / ٨ / ١٩٦٤ م

السفر الى اريتريا

جاءتنا سيارة الشركة المصرية للطيران في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحا أي بعد طلوع الشمس ، وأخذتنا من الفندق الذي نزلنا فيه في الخرطوم الى المطار ، حيث جلسنا هناك قرابة الساعة والنصف. ثم ركبنا الطائرة المصرية النفاثة ، وهي من طراز (كوميت ٤ سي) .

وقد أعلنت مضيغة الطائرة أن رحلتنا ستكون لمدة ساعة واحدة ، وان ارتفاع الطائرة سيكون (٣٤) ألف قدم ، وستسير بسرعة (٨٥٠) كيلومترا في المتوسط. وكانت الارض تبدو من تحتنا ، بعد أن جاوزنا منطقة الخرطوم ،جنة خضراء لا ترى فيها بقعة خالية من الخضرة، وقد تناولنا طعام الافطار في الطائرة ... واستمر المنظر من تحتنا منظرا عجيبا غريبا يشبه منظر جبال لبنان ، من الطائرة ، لولا عدم ظهور منازل حديثة فيه . ولا غرو فهذا الموسم هو موسم الامطار في جميع هضاب افريقية الشرقية .

وكنا نرى الارض أحيانا ، وتختفي أحيانا أخرى، تحت سحب خفيف يبدو لنا وكأنه قد لاصق الارض لشدة ارتفاع الطائرة .

أما ركاب الطائرة ، فهم خليط من الايطاليين والاثيوبيين ، ولكنهم بمجموعهم لم يشغلوا الا ما يساوي خمسة مقاعد في الطائرة أو أقل ، وبقي أكثرها خاليا من الركاب .

وبعد أن مضى على قيامنا حوالي الخمسين دقيقة ، بدأت الطائرة تهبط هبوطا سريعا ، وبدأت معالم الارض تتضح أسفل منا ، فاذا هي جبال شاهقة خضراء مجللة بالخضرة تتخللها وديان خضراء تجري في مسايها المياه ، وبسرعة لامست عجلات الطائرة الارض وقد وجدنا ابنية المطار وجميع ما فيه في غاية من النظافة والتنظيم . وعندما كنا في الطائرة استلمنا من المضييفة استمارات الدخول ، وهي مكتوبة بالانكليزية والحبشية . فسألنا المضييفة : هل يكفي أن نملأها بالعربية ؟ فأجابت : نعم . ولكننا عندما سلمناها للموظف المختص في المطار ، قال : ان العربية لا تكفي ، علما بأننا وجدنا هذا الموظف وجميع زملائه في المطار، من الموظفين والجمالين والمفتشين ، يتكلمون العربية . وقد قاموا هم بملئها باللغة الانكليزية ، ثم ذهبنا الى الجمرک ، ووجدنا أمتعتنا جاهزة ، فعاملونا معاملة طيبة ، ولم يفتحوا حقائبنا ، وانما سألونا عن الممنوعات عندهم - وهي العملة الاجنبية ، وأجهزة الراديو ، وما أشبه ذلك - ثم تركنا المطار الى البلد ، وكانت معاملتهم غاية في اللطف والكرم .

في أسمره :

حاولنا أن نكلم سائق سيارة الاجرة التي أقلتنا من المطار الى مدينة أسمره بالانكليزية فكلمنا بالعربية ، وقد تحدث الينا عن كل ما سألناه بالعربية .

وقد نزلنا في فندق النجمة بجانب الشارع الرئيسي في أسمره ، وهو شارع هيلاسيلاسي ، وكان يسمى سابقا شارع موسولينني ، وطوله ١١٠٠ ، واجرة السرير في الفندق المذكور (٣) دولارات حبشية في الليلة، أي ما يساوي خمسة ريالات سعودية وهو فندق غاية في النظافة ، ومستوى الخدمة فيه عال جدا ، ولكن أجور العمال هنا رخيصة ، ومستوى المعيشة منخفض .

العريية :

أول ما يعجب له السائح العربي الذي يصل الى أسمره أن جميع الناس فيها بدون استثناء مسلمهم ومسيحيهم يتكلمون العربية أو شيئا منها ، حتى لتشعر عندما تكلمهم أنك في بلد عربي ، على أنهم يتكلمون أيضا لغتهم المحلية ، وهي التجرينية ، ونصف كلماتها - تقريبا - عربية ، وهي غير الامهرية ، اللغة الرسمية للدولة ، والتي لا يحسن التكلم بها الا أقل القليل من الموظفين ، كما أن هناك اللغة الايطالية التي يعرفها كثير منهم لانها لغة المستعمرين السابقين للبلاد ،

وقد كان جميع الموظفين والخدم في الفندق الذي نزلناه يعرفون شيئاً من العربية ، والكلمة المستعملة للفندق عندهم هي «لوكاندة» .

السكان :

إذا أنعمت النظر في وجوه السكان هنا رأيت معظمهم يشبهون الصوماليين - أي انهم من الذين ينتمون في الاصل الى الجنس القوقازي ، وليسوا من الزوج ، ويوجد بينهم كثير من الايطاليين ، ومن الجنس الهجين الذي توالد من الايطاليين والارتيريين . كما نرى هنا كثيرا من العرب الذين هاجروا الى اسمره من جنوب الجزيرة العربية ، وخاصة حضرموت وعدن ، ولا يفترقون عن الاهالي هنا الا بما يميزهم من اللون الابيض قليلا بالنسبة الى اهالي البلاد . ويتميز الوطنيون هنا بلونهم الاسمر ، شديد السمرة ، أي الاسود غير الحالك ، وأجسامهم النحيلة وقاماتهم المديدة . وهم جنس متميز ينتمون الى العرق القوقازي الاسيوي ، كما قدمت .

الجو :

الجو هنا بارد شديد البرودة ، حتى ليشبه اقصى أيام البرد في الحجاز أي في مكة وجدة وقد أضطررنا ان نشترى ملابس اضافية من شدة البرد ، وكنا نغلق النوافذ وتتدثر

بالاغطية المضاعفة . أما الشمس فلا نشعر بها لانها متحجبة
أكثر الوقت بسبب الغيوم ، علما بأننا الآن في أشد الحرارة
بالنسبة لبلاد البحر الابيض المتوسط فنحن في شهر اغسطس
الذي يقول عنه العراقيون : «آب ، اللهاب» ، لانه يصيب
الناس بلهيب الحر . ولا عجب فأسمرة ترتفع عن سطح
البحر أكثر من سبعة آلاف قدم اضافة الى أن هذا الوقت
يعتبر فصل الشتاء هنا لانه موسم الامطار في شرق افريقية ،
كما أسلفت .

يوم الاثنين : ٩ / ٤ / ١٣٨٤ هـ

١٧ / ٨ / ١٩٦٤ م

خرجنا في الصباح نتجول في أسمرة ، وهي مدينة
جميلة نظيفة الشوارع ، كل ما فيها ينطق بالذوق الجميل ،
ومتاجرها الكبرى غاصة بالسلع الفاخرة ، وان كان معظم
السلع الموجودة فيها أعلى منها في بلادنا بكثير ، ومن ذلك
الادوية حيث توجد هنا صيدليات فخمة ، وقد اشترت
منها دواء لنفسي بأكثر من ضعف قيمته في المدينة المنورة ،
ولما سألت صاحب الصيدلية عن ذلك ، قال : ان سببه هو
الجمرك .

مسجد الخلفاء الراشدين :

وصلنا في تجوالنا الى مسجد ضخم فخم نظيف ، هو

مسجد الخلفاء الراشدين ، فصلينا فيه الظهر ، وقد سررنا كثيرا لاقبال المصلين ، بحيث ازدحم بهم المسجد على سعته . وملحق به اماكن للوضوء جميلة ونظيفة ، كما ألحق به ايضا غرف جانبية كبيرة ، يسمون الواحدة منها خلوة - وهي مفروشة ايضا - وتستعمل لالقاء الدروس الدينية . وقد علمنا أن مفتي ارتيريا يلقي دروسا هنا في المسجد بعد المغرب .

شارع هيلاسيلاسي :

وفي المساء ، تجولنا في شارع هيلاسيلاسي ، كان يسمى شارع موسولينني سابقا ، وهو الشارع الرئيسي في البلدة ، وتحف بجانيه المتاجر الكبيرة الجميلة التي يملك أكثرها الايطاليون . وقد دخلنا في بقاعة كبيرة يملكها أحد الايطاليين ، واشترينا منها أنواعا من الفاكهة ، وهي رخيصة ، من ذلك كيلو البرتقال الوطني |٨٠| سنت ، الرمان |٦٠| سنت ، الفلفل الاخضر |٣٠| ست ، الخيار |٦٠| سنت ، الطماطم |٨٠| سنت . واذا قورنت أسعار الخضر والفاكهة سواء أكانت من انتاج محلي أم مستوردة بمثيلاتها في السودان ، كان البون شاسعا بين أسعار السودان الغالية ، وبين أسعار ارتيرية الرخيصة وفواكهها الجيدة . ولكن مما يشوه جمال هذا الشارع كثرة المتسولين من العجزة والصبيان وكثرة المتسكعين من الشبان الذين لا هم لهم الا

مراقبة الغادين والرائحين ، ونصب شرك الحيلة للحصول منهم على تقود وقد عرض علينا أحدهم شراء العملة الاجنبية بالسوق السوداء ، ولما مانعنا في ذلك ، قال : انه يوجد لديه ويسكي فاخر ، وما كدنا نتخلص منه حتى لاحقنا وقال : انه لديه شيء آخر ، فأسرعنا بالابتعاد عنه .

يوم الثلاثاء : ١٠/٤/١٣٨٤ هـ

١٨/٨/١٩٦٤ م

ذهبنا الى سوق العرب للاجتماع بالسيد علي عبدالله هزاع ، سكرتير الجالية العربية في أسمره ، وهو سعودي الجنسية ، ويشغل بالتجارة ، وذلك للاتفاق معه على موعد لزيارة مدرسة الجالية العربية في أسمره .

أما السوق فقد كانت تقام فيه في السابق معظم تجارة البلاد ، حيث كانت التجارة بأيدي العرب ، ولكن دولة التجار العرب الآن في اضمحلال ، كما كانت معظم الحوائث فيه يملكها العرب في السابق ، أما الآن فانه يوجد فيه غيرهم من التجار على أنه لا تزال طائفة منهم باقية تشتغل بالتجارة بمقدار .

يوم الاربعاء : ١١/٤/١٣٨٤ هـ

١٩٦٤/٨/١٩ م

في مدرسة الجالية العربية :

زرنا مدرسة الجالية العربية في أسمره فذهبنا الى حانوت السيد علي عبدالله الهزاع ، سكرتير الجالية العربية ، وهو الذي يشرف على المدرسة مع سالم باحبيش ، رئيس الجالية العربية ، وهي تضم جميع العرب القاطنين في ارتيرية ، ومن جميع الدول العربية سواء من السعوديين أو اليمانيين أو المصريين أو غيرهم . وقد ذهبنا بسيارة الاخ علي عبدالله الهزاع وهو سعودي الجنسية ومن بلاد غامد بمقاطعة عسير . وقد وجدنا الدراسة منتظمة بالمدرسة وان كان عدد الطلبة لم يستكمل بعد العطلة الصيفية ، وهي تضم |٢٢| فصلا ومجموع طلابها (٦٧٣) طالبا ، وفيها فصول للبنات ، ويبين على قسما ت وجوهم اللون العربي الاسمر الذي زادته الشمس الافريقية سمرة على سمرة ، وجميع الدراسة في هذه المدرسة باللغة العربية ، وهي المدرسة العربية المدنية الوحيدة في ارتيرية . حيث ان دراسة اللغة العربية قد أصبحت مقتصرة الآن على المعاهد الدينية فقط . ويبلغ عدد مدرسيها (٢٨) مدرسا كلهم من المواطنين الذين سبق لهم ان تعلموا في مصر أو السودان . وتشرف على امتحانات المدرسة البعثة التعليمية المصرية في السودان وذلك

حتى تعترف الحكومة المصرية بشهادات المدرسة ، وبالتالي
تقبل من يستطيعون اكمال دراستهم في مصر . وقد لبثنا
فيها قرابة الساعتين ، وخرجنا منها معجبين بما شاهدناه فيها
من الاقبال على التعلم من أبناء الجالية العربية ، ولكن معظم
فصولها مزدحمة ، وهي تقع في بناء تملكه الجالية العربية ،
وقد تم بناؤها على مرحلتين ، كما تملك الجالية العربية
عمارة وبعض الحوانيت موقوفة على المدرسة تغل شهريا
أكثر من سبعمائة دولارا حبشيا ، أي ما يعادل (١٢٠٠) ريالا
سعوديا تنفق مع باقي الاعانات والتبرعات على حاجات
المدرسة .

يوم الخميس : ١٢/٤/١٣٨٤ هـ

١٩٦٤/٨/٢٠ م

الى مدينة مصوع :

خرجنا مع طلوع الشمس الى محطة (الترينه) وهي
عربة قطار واحدة تسير بقوة الديزل ، وتشبه في مظهرها عربة
الترام ، فركبناها الى مصوع في تمام الساعة السابعة والربع
صباحا ، واجرة الشخص الواحد (٣) دولارات حبشية ،
أي ما يعادل خمسة ريالات سعودية . وقد سارت (الترينه)
المذكورة بنا على قضبانها الحديدية في طريق وسط مناظر
غاية في الروعة حيث تخترق الانفاق المتعددة التي شقها

الايطاليون في الجبال والتي يبلغ عددها أكثر من خمسة وعشرين نفقا ، وحيث تنتقل من ربوة عالية الى احضان جبل لا يكاد يدرك بصرك قمته فوقك ، ثم الى شفا هاوية لا يدرك بصرك قعرها ، وكلها سواء ، مرتفعاتها أو منخفضاتها مكسوة بالشجر الاخضر والحشائش النضرة ، مما يخلب اللب ويأخذ بمجامع القلوب . زد على ذلك أن سير العربة المذكورة لا يتعدى سرعة (٣٥) كيلو مترا في الساعة ، مما يمكن الراكب من التمتع أكبر وقت بتلك المناظر الخلابة ، ومما زاد الرحلة بهجة وأدخل اليها عنصرا طريفا أن الركاب في العربة كانوا خليطا من الامم وان كانت غالبيتهم من المواطنين ، فهناك الى جانبنا نحن عائلة دنمركية مكونة من رجل وزوجته وطفلهما ، وسواح ايطاليون ، وحتى المواطنون فهم خليط من مدن متعددة ، وقد استغرقت تلك الرحلة الممتعة أربع ساعات كاملة استرحنا خلالها في قرية تدعى (جندع) في منتصف الطريق - يكثر حولها أشجار البرتقال واليوسف أفندي ، وهم يبيعون الكيلو بسبعين سنتا ، أي ما يقارب الريال السعودي - وذلك لمدة سبع دقائق فقط .

مصوع:

أول ما رأينا من مصوع بيوتا وطنية ، يقولون ان هذا هو الحي الوطني ، وهو عبارة عن أكواخ وعشش

وأخصاص من القش ، ول بعضها واجهات خشبية في بعض الاحيان ، وأزقتها جميعها ضيقة وغير مرصوفة ، وهي تقع على البر ، ثم وصلنا الى طريق مدفون في الماء الضحل ، ومنه دخلنا الى جزيرة مصوع التي تقع فيها البلدة الرئيسية ، والتي كانت تسمى في القديم جزيرة باضع أو بازع ، وهي بلدة يصح أن يقال فيها المثل : « عزيز قوم ذل » . فظواهر الامور فيها تشير الى أنها كانت بلدة تجارية قوية عامرة بالاستيراد والتصدير ، لانها الميناء الرئيسي لارتيرية كلها ، وان كان ميناء عصب موجودا في الجنوب ، فانه لم يكن يؤثر على مكائنتها الهامة . ومعظم بيوتها مبنية بالحجارة والاشباب تشبه بيوت مدينة جدة القديمة ، ما عدا أطراف المدينة حيث بنيت البيوت الحقيرة بالخشب الى جانب الاكواخ الحقيرة ، وهي بلدة مهملة الآن ، شوارعها ترابية ، وحركة البيع والشراء فيها خامدة ومعظم حوانيتها مغلقة . أما أهلها فيشبهون في مظهرهم أهالي ساحل تهامة الجنوبية ، وهم نحاف القوام يرتدي معظمهم مندبلا من القماش قد لفته حول عورته أو سروالا قصيرا ليس غير ، ما عدا علية القوم ، وهم قلة ، فيلبسون اللباس الكامل لابناء جنوب الجزيرة العربية - الذي يتكون من جلباب وسترة بيضاء خفيفة وعمامة قد أديرت حول طاقة نظيفة -

واللغة السائدة فيها هي العربية ، وكثير من سكانها لا يعرفون غير العربية والبعض يعرفون الى جانبها لغة

وطنية أخرى ، وان كانوا يعتمدون العربية في كتاباتهم الرسمية . ولافتات الحوانيت مكتوبة بالعربية ، عدا بعض الحوانيت القليلة التي يملكها الايطاليون هنا ، وأكثرها بارات (أي حانات لشرب الخمر) ومقاهي ومطاعم ، فهم يكتبون لافتات محلاتهم باللغة الايطالية ، وقد يكون بجانبها اللغة الانكليزية ، وما عدا الدوائر الرسمية حيث تكتب لافتاتها باللغة الامهرية ، وهي اللغة الرسمية منذ أن ضمت اريتريا الى الحبشة .

سألنا عن فندق يملكه مسلم ، فدلونا على فندق يسمى فندق الكردي . قالوا انه فندق المسلمين ، فنزلناه ووجدنا بعد ذلك أن خدمه من النساء السوداوات المترهلات من النصرانيات ، وهن ذوات شعر منفوش وقد جمعه الى خلف رؤوسهن ، ولم يقين على مقدم الرأس الا شيئا قليلا من أصول الشعر في خطوط صغيرة تشبه أثر المحراث في الارض المزروعة ، ومع ذلك يتبرجن ويتبخترن في مشيتهن كأنما يخيل اليهن أنهن بذلك يفتن السواح أو الزوار ، الواقع أنهن لا يستطعن الا فتنة الرجال البائسين من الوطنيين الذين ذكرت وصفهم آنفا . وبعد أن استقر بنا المقام في الفندق استرحنا قليلا ، ثم ذهبنا الى الصلاة في مسجد الشافعي الذي يقع قريبا من الفندق ، ورغم أن الامام قد انتظر كثيرا بعد الاذان الا أنه لم يحضر للصلاة معه الا ستة أشخاص من أهل البلاد ، صلى بهم في ركن

من المسجد وفي غير المحراب الرئيسي ملتصقا مجرى الهواء من النوافذ لان المحراب الرئيسي ليس فيه نافذة ، هذا رغما عن أن المسجد فيه مراوح كبيرة - ولكن الجو هنا في مصوع حار رطب شبيه بجو جدة في أيام الرطوبة وشمسها حارة تخترق حرارتها الرؤوس . وبعد أن أنهينا الصلاة ، وسلمنا على الامام الذي لم ينبسط معنا في الحديث عدنا الى الفندق فسألنا عن كيفية الحصول على الغداء ، فنادوا لنا صيبا ، قالوا له : أرهم مطعم المسلمين !.. فتقدمنا الصبي وأدخلنا مطعما واسعا كبيرا ، قال لنا صاحبه - ويظهر انه عربي الاصل من جنوب الجزيرة العربية - أنه يسمى « مطعم الجزيرة » ، وقد رحب بنا وقدم لنا طعاما جيد الطهو رخيص الثمن ، الا أن الذي يؤسف له أنه مثل كثير من مطاعم المسلمين في هذه البلاد تنقصه النظافة ، لا سيما ما يتعلق من ذلك بابدان الخدم والمباشرين فيه ، اذ أن معظمهم يترك نصفه الأعلى عريانا وهو يذهب ويجيء في هذا الجو الرطب الحار ، والعرق يتصبب من جسمه ومن وجهه فيبدو شكله منفرا صادًا عن الاكل . وبعد أن عرف صاحب المطعم ، الذي كان يجلس عند الباب لاستلام الحساب جنسيتنا ، أكرمنا بأن جعل الشاي الذي تناولناه على حسابه الخاص . وتلك عادة متبعة في مطاعم المسلمين في اريتيرية - ما ان ندخل مطعما منها حتى يبادرنا صاحبه والخدم فيه بالتحية والاحترام لأنهم يعرفون من زينا أننا

قادمون من الحجاز ، ثم يختمون اكرامهم بتقديم الشاي بالمجان من صاحب المطعم . وقد كان ثمن الوجبة التي تناولناها ونحن ثلاثة أشخاص - وهي وجبة دسمة كاملة ضمت اللحم والسمك والمعكرونة وغير ذلك - دولارين وثمانية سنتات - أي ما يعادل (٤) ريالات سعودية تقريبا ، لنا ونحن ثلاثة . وبعد أن صلينا العصر تجولنا في أنحاء البلدة ، فصادفنا رجلا يذكر أنه من نسل المصريين الذين يحكمون مصوع في القرن الماضي ، وأن ابنه وأخاه يعملان الآن في جدة . فتعرف علينا وتطوع بأن يطوف بنا أنحاء مدينة مصوع ويشرح لنا معالمها ، فشكرناه على ذلك . وأخذنا نتجول معه في أنحاء البلدة ، وقد تبين لنا أنها غير كبيرة ، وقدرنا سكانها الحاليين بما لا يزيد عن الاربعة آلاف نسمة . وقد مررنا فيما مررنا عليه بمكتب فرع الجالية العربية في مصوع ووجدنا فيه رجلا يمانيا ذكر لنا أن معظم العرب إن لم يكونوا كلهم قد هجروا «مصوع» وقال : انه كان عدد العرب في مصوع سابقا خمسة عشر ألف ، منهم خمسة آلاف من الرعايا السعوديين فقط ، أما الآن وبعد أن كثر الخير والعمل في البلاد السعودية ، وقل ذلك في مصوع ، فقد تركها العرب وأصبح لا يوجد فيها الآن عدد يذكر ، وقال : ان مكتب الجالية قد رحل منذ يومين أكثر من ثلاثين شخصا عادوا الى بلادهم منهم بعض السعوديين ورحلوا على نفقة الحكومة

السعودية . وقد أخذنا نتمشى على ساحل البحر ، مع صاحبنا ، في الجهة الجنوبية من البلد ، وقد انتشرت فيه ييون خشبية - ومساحته قصيرق - أما من الجهة الشرقية حيث يوجد فنار لهداية السفن وبجانبه السجن العمومي ومستشفى للأمراض الصدرية ، وهو بناء خشبي قديم بال ، ويتولى خدمة المرضى فيه عدد من الراهبات .

رأس مدر :

وهو (بضم الميم والبدال) ، وهذا المكان الذي يقع فيه الفنار المذكور يسمى رأس مدر ، وهو المكان الذي نزل فيه المهاجرون الأولون من الصحابة عند هجرتهم من مكة المكرمة الى الحبشة لما اشتد أذى الكفار على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأبحروا من الشعبيّة قرب جدة ونزلوا في هذا المكان ، على أصح الاقوال ، والمراد بملك الحبشة الذي ورد ذكره هنا هو ملك ارتيرية وأجزاء مما يسمى الآن أثيوبيا ، وهو النجاشي الذي لا زال يوجد مدفن يزعم أنه له ، في بلدة تحمل اسمه حتى هذا الوقت ، وتقع على بعد حوالي (١٥٠) كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من أسمرّة في الطريق الى ميناء عصب على البحر الاحمر في جنوب ارتيرية . وكانت مصوع تسمى في ذلك الوقت جزيرة باضع أو بازع على ما يقال ، وكانت

مصوع في ذلك الوقت جزيرة حيث لم يكن يوجد الطريق المذكور الذي يوصلها الآن بالبر الرئيسي لارتيرية .

البغاء في مصوع :

مررنا بعدد كبير من النسوة عند أعتاب بعض البيوت وبعض الحوانيت ، وقد رشت الواحدة منهن باب بيتها وجلست عنده ، وبعضهن أخذن يجهزن مباخر المصطكى عندما رأيننا في أول الشارع . فعجبنا من كونهن لا يتسترن ، فقليل لنا : ان عملهن هو البغاء ، وفتح أبواب بيوتهن معناه الدعوة الصريحة الى الدخول - وهن يمارسن عرض أنفسهن علنا . وفي الليل تخرج الواحدة منهن سريرها وتبيت خارج بيتها في الشارع - رجاء أن تظفر بصيد يقع في شباكها ، وقد استفظعت هذا الأمر وسألت غير واحد عن صحته فأيده . هذا مع أنه ليس فيهن ما يغري ، ولكن :

لكل ساقطة في الحي لاقطة
وكل بائرة يوما لها رجل

الشيخ الحمال ومشايخ آخرون :

مررنا أثناء تجوالنا في مصوع بما يشبه المسجد الصغير تتوسطه قبة صغيرة يعلوها هلال صدىء ويحيط به

فضاء مسور يبلغ عرضه حوالي المترين . فأشار اليه مراقبنا وقال : ان هذا مقام الشيخ الحمال وهو مدفون تحت هذه القبة ، ويأتي اليه الناس للزيارة . ثم يتطلع اليها منتظرا أن نطلب منه أن نزور هذا الشيخ ونستمطر بركاته المزعومة . ولكننا سألناه عن حاله فقال : انه الشيخ الحمال الذي يحمل عن أهل مصوع المصائب ويحمل حاجات الناس . وقال : انه شيخ ذو كرامات ، وأن من كراماته أن أناسا سرقوا له خروفا وأبحروا به معهم ، فلما علم الشيخ بذلك دعا الخروف فجاء ، أي الخروف ، يمشي على الماء حتى وصل اليه . وكان يحكي ذلك بصيغة التسليم واليقين . ثم أشار الى مدفن آخر وقال : ان هذا هو الشيخ سعيد وهو شيخ ذو كرامات ويعظمه الحضارم . ثم مررنا بمقبرة قديمة جدا ، فقال : ان هذه المقبرة مليئة بالأولياء ، وأن الناس يشاهدونهم في الليل ومع كل ولي منهم شمعة موقدة وهو يخرج من قبره ويتجول بها فيما حوله ، ولما حاولنا أن نبين له أن الميت لا يمكن أن ينفع أحدا أو يضره وانما هو محتاج الى من ينفعه بالدعاء له والترحم عليه والتصدق عنه ، سكت غير مقتنع .. وهكذا نجد ، مع الاسف ، أن الخرافات تتعاون مع أعداء الاسلام على ابعاد المسلمين هنا عن روح الدين الاسلامي النقي .

ثم اتجه بنا الى قلب البلد حيث توجد ساحة صغيرة فيها مقاه وطنية قدرة . فطلب لنا الشاي في أحدها وقد قامت

معركة بيننا وبين أسراب من الذباب كانت تحاول أن تجهز على أكواب الشاي وتشربه معنا . ولما رأى حرصى على طرد الذباب رغم الحاح أسرابه ، قال : يا أخي توكل على الله ، فالصحة والعافية منه وهذه بلدة صحية . فقلت له الصحة والعافية ، كما قلت ، من عند الله سبحانه وتعالى ، ولكنه تعالى لم يجعلهما في هذه القدارة ، فسكت غير مقتنع أيضا .

وكنا بقرب جامع الحنفي ، فذهبنا لصلاة المغرب فيه ، فألفيناه مسجداً واسعاً نظيفاً جميلاً جدد بناؤه حديثاً . وقد سررنا أن وجدناه قد اكتظ بالمصلين لصلاة المغرب ، وعلى الرغم من كون الامام أذن للصلاة ثم أقام مباشرة فإن المسجد قد اكتظ بالحاضرين في انتظار الصلاة قبل أذان المغرب ، وبعد الصلاة سلمنا على امامه ويدعى (محمد علي عمر عجيل) وذكر نفسه أنه فقيه قارئ للقرآن وغير عالم أو (فقي) كما يقول .

ليلة ليلاء في مصوع :

عدنا الى الفندق بعد أن تعشينا في مطعم يملكه حضرمي ، فحاولنا النوم وكان الجو حاراً رطباً خانقاً ، وقد وقف هواؤه وأخذنا العطش ، فطلبنا من الفندق ماء بارداً ، فقالوا : لا يوجد الماء هنا . وكانوا يحضرون لنا ماء معدنياً هو الماء الصالح للشرب هناك ، فيبيعون الزجاجات منه

بأربعين سنتا . ومع ذلك فقد ذكروا أنه لا يمكنهم الحصول عليه الآن ولا يوجد غيره الا الماء الموجود في خزان الفندق، وهو ماء ساخن مرّ المذاق . فبتنا بشر ليلة هناك ، وحارب النوم جفوننا وذكرنا ليلنا الهادىء الجميل في أسمره حيث كان المرء لا يحتاج الى استدعاء النوم ، بل يواتيه بمجرد أن يتدثر ويغطي نفسه بالبطانيات الصوفية .

يوم الجمعة : ١٣/٤/١٣٨٤ هـ

٢١/٨/١٩٦٤ م

العودة الى أسمره :

وفي الصباح الباكر ، وفي تمام الساعة السابعة ، تناولنا الفطور في مطعم ايطالي هناك ، نظيف ولكنه غالي الثمن ، ثم ركبنا (الترينه) عائدين من حيث أتينا الى أسمره .. وعلى الرغم من أننا كنا قد مررنا بالطريق ذاته أمس ، فان ذلك لم يفقدنا التمتع بالنظر الى جمال الطريق وخضرة الجبال الشاهقة والوديان السحيقة .

بعد هواء مصوع الرطب الثقيل ، وشوارعها المتربة ، ومناظر أهلها « شبه العراة » عدنا الى أسمره ذات النسيم العليل ، والهواء البليل ، والشوارع النظيفة المعبدة التي يعوزك فيها أن ترى التراب ان أردت أن تراه ، ومنظر أهلها الذين يقفزون من الشارع الى الرصيف قفزاً

وينقزون في مشيهم نقزا . وكان لذلك أثره في نفوسنا ، لا سيما بعد أن دخلنا الى فندقنا النظيف الجميل الذي لا يمكن أن ترى فيه حتى القذاة ، والذي يكرر الخدم الحبشيون تنظيفه في اليوم أكثر من مرة فكان أن أسرنا الى أسرتنا المريحة في غرفتنا فيه ، ولولا وقت الصلاة وحرصنا على أن نؤديها واليوم الجمعة في جماعة المسلمين لاستسلمنا للنوم استسلام المحروم من النعيم ، وقع فيه .

وقد أدينا صلاة الجمعة في مسجد الخلفاء الراشدين بأسمرة ، وقد غص المسجد وامتأأ بالمصلين ، ومما زاد المنظر روعة منظر الشباب ، بل الصبيان الذين حضروا مع آبائهم لصلاة الجمعة ، وقد خطب امام المسجد واسمه (عبده أحمد) بالناس خطبة قديمة مسجوعة استلها من أحد الكتب المصنفة قديما ، وكان الأحرى به في مثل هذا الاجتماع أن يخطب في الناس خطبة تعالج أدواءهم وتمس مشاعرهم ، وتذكرهم بالله وتحببهم بالعمل الصالح لخيرهم ولخير الاسلام والمسلمين . وقد ألقى بعد الصلاة شيخ يمان موعظة ذكر الحاضرين فيها بالموت وخوفهم منه وقد ألقاه باللغة العربية التي سبق أن قلت انهم جميعا يتكلمونها ويفهمون ما يلقي بها .

يوم السبت : ١٤/٤/١٣٨٤ هـ

٢٢/٨/١٩٦٤ م

في المركز الاسلامي :

ذهبنا اليوم بعد صلاة الفجر لزيارة مكتبة المعهد الديني الاسلامي في أسمره وهي تقع في الجانب الغربي من مسجد الخلفاء الراشدين المتقدم ذكره ، وقد علمنا فيما بعد أن المسجد والمكتبة والمعهد المذكور والميدان الذي يقع أمام المسجد ، وهو مسور محفوظ ، ويسمى ميدان صلاة العيد لأن صلاة العيد تقام فيه ، وقاعة المحاضرات التابعة للمسجد : كل ذلك يطلق عليه اسم المركز الاسلامي ويشرف عليه مفتي الديار الارتيرية ، الشيخ ابراهيم المختار ، وقد أنشئ في عهد الاستعمار الايطالي وهو من المشاريع التي شجع الايطاليون على انشائها .

منظر مؤلم :

وفي الطريق الى المركز ، رأينا منظرا مؤلما ، فعلى الرغم من نزول المطر رذاذا خفيفا ، وجدنا كومة من الاطفال المتشردين يبلغ عددهم زهاء بضعة عشر ، وقد التف بعضهم على بعض حتى كونوا كتلة لا تعرف منها رأس الطفل من رجل آخر ، وناموا على الرصيف - وقد صنعوا صنيعهم هذا ليتقوا به برد الصباح حتى يدفئ كل منهم

الآخرين . وكان منظرهم وهم على هذه الصفة وقد ارتدوا أسمالا بالية وملابس قدرة مما يدمي الفؤاد . وبالله عليك كيف تكون أخلاق هؤلاء الذين يعيشون في مثل الجو وعلى مثل تلك الصفة ..؟

وصلنا الى المكتبة فألفيناها مكتبة طيبة حافلة بأهم المراجع في جميع العلوم وأكثرها باللغة العربية وفيها بعض المؤلفات التاريخية باللغة الايطالية . كما تحتوي على بعض المجموعات من الصحف الارتيرية التي صدرت في عهود مختلفة .. وقد نظمت في خزائن جميلة ، وقد وعدناهم بارسال بعض الكتب الاسلامية التي تنقص المكتبة . وقد ارسلناها اليهم فعلا بعد ذلك .

المطاعم :

لقد واجهتنا في ارتيرية مشكلة اعتبرناها غير هينة بالنسبة لنا بصفتنا من المنتسبين الى العلم وهي : ان المطاعم الاسلامية كما يطلقون عليها ويعنون بها ما يملكه ويديره المسلمون من المطاعم كثير منها رخيص الثمن ولكنه غير نظيف الى درجة أن المرء الذي كان قد تعود النظافة لا يستطيع أن يقاوم تقززه منها . وان المطاعم النظيفة سواء من حيث الاثاث أو من حيث الطعام المقدم فيها هي المطاعم الافرنجية أو المطاعم الايطالية كما تسمى ، لأن الايطاليين يملكونها ويديرونها ، وهي مناسبة الاثمان وان

كانت أعلى من المطاعم التي يديرها المسلمون . وقد فرحنا حين وجدنا هذه المطاعم الإيطالية النظيفة لأنها اتقذتنا من الحاجة الى دخول المطاعم غير النظيفة ، ولكننا ما أن تقف حول المطعم منها أو نخرج منها حتى يبادرنا من يرانا من المسلمين الارتيريين فينكر علينا ويقول : هذه مطاعم (كريستيان) أي مسيحيين ، لا ينبغي أن تدخلوها ، وانما عليكم أن تدخلوا مطاعم المسلمين ، والذي لا ينكر علينا منهم بلسانه ينكر بقلبه وبنظراته ، ونحن نحرض أشد الحرص على شعور اخواتنا المسلمين هنا ولا نحب أن يأخذوا عنا فكرة أننا نترك مطاعمهم الى مطاعم المسيحيين ، والا فأني حرج على المسلم في أن يأكل من طعام أهل الكتاب؟ وقد سألنا بعد ذلك بعض العارفين بالامور من رجال العلم هنا ، فقالوا : ان العامة هنا قد اعتادوا أن يعتبروا الدخول في مطعم طائفة دينية غير طائفتهم ضربا من المجاملة الدينية بل من الميل والركون الى دين الغير ، فاعتبر المسلمون انه لا يجوز أن يدخل المسلم مطاعم المسيحيين ، واعتبر المسيحيون أنه لا يجوز أن يتناول المسيحي طعاما في مطاعم المسلمين .. وعلى ذكر المطاعم ، أقول : اتنا وجدنا في مطاعم ارتيرية خبزا يسمونه « الكسرة » عرفنا أنه يصنع من «السمح» وهو نبات ذو حبوب دقيقة جدا تشبه حبوب الدخن ، ولكنها أصغر منها بكثير ، وقد كان معروفا في نجد إبان عهد الامارات ، أي قبل الحكم السعودي

الشامل ، وتوفر الخيرات فيها .

على مائدة سكرتير الجالية العربية :

دعانا اليوم الى تناول طعام العشاء في بيته الأخ محمد عبدالله هزاع ، سكرتير الجالية العربية في ارتيرية ، وهو سعودي - كما قدمت - وقد أعد لنا مائدة عربية ذكرتنا ببلادنا وقدم لنا القهوة العربية (المبهرة) بالهيل التي افتقدناها ولم نجدتها منذ فارقنا البلاد .

الاذاعات العربية :

ان منطقة أسمره ، بل منطقة ارتيرية كلها تعتبر مجالا للاذاعات العربية لقربها منها ، فهنا كما في الخرطوم لا تسمع على الموجة المتوسطة ليلا الا الاذاعات العربية التي قد اعتاد العربي على سماعها في البلاد العربية في الشرق الأوسط ، الا أن هناك محطتين في السودان وفي ارتيرية هما أغلب المحطات استماعا ، وهما محطة صوت العرب ، والاذاعة السعودية التي تصل الى هذين القطرين واضحة قوية ، حتى لتكاد تفوق وضوحها في كثير من مناطق المملكة . ونظرا لعدم وجود اذاعة عربية خاصة بارتيرية تذيع على الموجة المتوسطة فان المستمعين هنا يستمعون الى جانب الاذاعتين المذكورتين الى الاذاعة السودانية التي تذيع الاغاني السودانية وهي محببة اليهم وقريبة من

ذوقهم .

اما الاذاعة اليومية الواضحة ، فهي اذاعة القاعدة الامريكية في أسمره ، وهي تذيع طوال اليوم تقريبا على الموجة المتوسطة ولكنها تذيع بالانكليزية ، كما تذيع الموسيقى والتمثيلات بالانكليزية ، ومعظم الاهالي هنا، حتى المثقفون منهم ، لا يعرفون الانكليزية ، وانما اللغة العامة هي اللغة التجريدية ، وهي اللغة الوطنية ، وهي قريبة من الحبشية ، ولكنها تختلف عنها اختلافا كبيرا ، تليها اللغة العربية كلغة ثانية ، وتليها اللغة الايطالية كلغة ثالثة . وقد بدأت اللغة الانكليزية تحل محل العربية والايطالية في الدوائر الرسمية خاصة ، وبمناسبة الحديث عن اللغة التجريدية ، اقول أنني قد عملت مقارنة للاعداد فيها وفي العربية ، وهي كما يلي :

<u>العربية</u>	<u>التجريدية</u>
واحد	احدى
اثنين	كلتي
ثلاثة	سلستي
أربعة	أربعتي
خمسة	حموشتي

التجريدية

شدوشي

شبوغي

شومنتي

تسعاتي

عسرتي

عشرين

ثلاثين

أربعين

خمسين

ستين

سبعين

ثمانين

تسعين

العربية

سنة

سبعة

ثمانية

تسعة

عشرة

عشرين

ثلاثين

أربعين

خمسين

ستين

سبعين

ثمانين

تسعين

ومن ذلك يظهر أن اللغة التجريدية قريبة من اللغة العربية ، ولا عجب في ذلك فهي إحدى اللغات السامية ، شقيقات اللغة العربية . إلى جانب تأثير الاتصال بالعرب في العصور الحديثة .

يوم الاحد : ١٥/٤/١٣٨٤ هـ

٢٣/٨/١٩٦٤ م

الى مدينة كرن :

ركبنا الحافلة «الاولويس» من المحطة في أسمره في السابعة صباحا ، وكانت الاجرة من أسمره الى كرن دولارا وربع دولار ، أي ما يساوي ريالين وربع ريال سعودي ، وتبلغ المسافة واحدا وتسعين كيلو مترا . وقد اكتظت الحافلة بالركاب ، وكلهم من الوطنيين الارتيريين ما بين رجال ونساء ، وكان المطر ينزل رذاذا ، وقد أغلق الركاب نوافذ السيارة وقد كان في ازدحامهم وتكاثرتهم في السيارة واغلاق النوافذ ما ضايقتنا . وقد سارت السيارة تتهادى بحملها الثقيل ، ووقفت بنا بعد مسيرة ثلاثين كيلو مترا عند عدة أكواخ تكون قرية صغيرة، فنزل الركاب لمدة ثلاث دقائق اشترى بعضهم فطورا خفيفا من صبية عرضه على الركاب ومع ذلك فقد رأينا لافتة على عشة قدرة تحمل حروف (بار) أي حانة خمر . وكان منظر الطريق رائعا : فالارض كلها مكسوة ببساط سندسي أخضر ، والوهاد والنجاد سواء في الخضرة والمطر يهطل أحيانا ويتوقف احيانا أخرى ، والسحب الكثيفة السوداء تجلج الافق ، وقد أخذ الطريق الآن يخترق جبالا شاهقة تتخللها وديان سحيقة ترعى فيها الانعام من الابل والابقار والاعنام ، وتجري فيها بقايا

مياه الامطار . منظر لا يمكن للراء أن ينساه ، يفوق في خضرته خضرة جبل لبنان . أما الرعاة الريفيون هنا ، فهم شديدا السمرة حتى تصل سمرتهم الى السواد ، وقد لبسوا أسمالا متسخة تبدأ من فوق الركبة وتنتهي بعمامة ذات طيات متعددة على الرأس . وفي الطريق رأينا مزرعة واسعة نضرة يتوسطها قصر فخم يقف شامخا في هذه المنطقة النسي تنتشر فيها أكواخ الاهالي وعششهم ، وهو لتاجر ايطالي يملك مزارع للفاكهة احداها هذه المزرعة ويصدر معظم منتجاته الى المملكة . وهو يتعامل مع السيد حسن شربتلي ، فيما قيل لنا .

ولم يبق على وصولنا الآن الى كرن الا كيلو مترات قليلة ، وهاهم الاهالي يسرون على جانب الطريق المسفلت ما بين راجل وراكب ، وبعضهم قد أحضر معه حملا من الحطب اليابس ليبيعه في مدينة كرن ، فاوقر دابته : حماره أو بعيره وأخذ بذنبه الى كرن وقد سألنا عن قيمة حمل البعير من الحطب ، فقيل لنا : انه يساوي ستين سنتا ، أي ما يعادل على وجه التقريب ريال سعودي .

لا يمكن لمن يمر بهذا الطريق الجبلي الوعر الا أن يعجب بجهود الذين قاموا على بنائه وسفلتته ، اذ أنه يصعد أحيانا الى قمم الجبال ، ثم يتلوى في أحضانها الى السفح في طيات عجيبة ، وقد استدعي الأمر في بعض

الاحيان اقامة بناء كبير من الحجارة المنقوشة مع بناء مسابيل للمياه لكي يمكن للطريق أن يستمر . وقد قام على بناء هذا الطريق الايطاليون عندما كانوا يحكمون اريتيرية ، ولا يسع المرء وهو يراه الا أن يقول بحق : لقد صنعت ايطاليا لاريتيرية شيئا كثيرا . وبهذه المناسبة فان الاهالي يذكرون عهد ايطاليا بالمدح والتقدير سواء منهم المسلمون والمسيحيون ، الا فيما يتعلق بشيء واحد ، وهو التمييز على نطاق واسع ، فكانوا يجعلون للوطنيين مطاعم منفصلة ومدارس منفصلة ، حتى السيارات العامة لا يمكن أن يركب الأهالي في المخصص منها للايطاليين ولكن لم يكن للافريقيين في ذلك الوقت صوت يرتفع لسمع العالم شكواهم . ومع ذلك فما زالت اللغة الايطالية تدرس في المدارس ، وما يزال معظم الناس يتكلمون الايطالية . وأكبر الجاليات الاجنبية في أسمره هي الجالية الايطالية والايطاليون هم أصحاب المتاجر الكبيرة ، والصيدليات والحانات الفخمة ، بل حتى البقالات الكبيرة ، كما تقدم .

في مدينة كرن :

وصلنا مدينة كرن بعد مسيرة (٩٣) كيلو مترا ، كما قدمت ، وقد استقبلنا بالحي الوطني الذي يتكون من أكواخ نظيفة وشوارع مستقيمة ، وقد غرست على جوانبها أشجار الظل ولكنها غير مسفلتة . ثم دخلنا الى قلب المدينة ، حيث

يبدأ من هناك الحي الاوربي أو على وجه الدقة الحي الايطالي ، وهو عبارة عن فيلات جميلة تحيط بها وتزين واجهاتها حدائق غناء ، وقد أظلت الاشجار الخضراء جميع شوارعها .

أفطرنا بخروف :

لم نكن قد تناولنا طعام الافطار في أسمره بسبب ضيق الوقت ، فكان أن رأينا مقهى بلديا غير بعيد من محطة الاوتوبيس ، فاتجهنا اليه ، وجلسنا على كراس معدة فيه ، ثم طلبنا من صاحبه أن يحضر لنا مائدة وشايا فلم يكده يحضر المائدة حتى جللتها أسراب من الذباب ، فلم نستطع أن نشرب الشاي ، فسألنا رجلا ايطاليا عن مطعم نظيف ، فأشار الى مطعم غير بعيد . ذهبنا اليه فوجدناه غاية في النظافة ، وقدم لنا فطورا كاملا مكونا من البيض والجبن والزبدة والمربي مع القهوة والشاي . وطلب منا عند فراغنا (٤) دولارات و (٨) سنتات ، أي ما يساوي حوالي ثمانية ريالات سعودية ، وبعد ان تجولنا في سوق كرن رأينا رجلا معه عنز كبيرة الحجم سمينة وبها بقية من لبن ، فسألناه من باب الاستطلاع عن ثمنها فقال انه يبيعه لنا بخمسة دولارات أي ما يعادل ثمانية ريالات سعودية ونصفا ، فتعجبنا وقلنا اذن فقد أفطرنا بما يساوي قيمة خروف . ثم نادانا صاحب العنز ، وقال: انه مستعد لكي يخفض لنا

الشن . وقال لنا رجل آخر : ان معه تيس ليس بكبير ، وانه يبيعه بثلاثة دولارات أي خمسة ريالات سعودية .

وقد علمنا بعد ذلك أن المواشي رخيصة في كرن خاصة وفي أرتيرية على وجه العموم وانه يوجد مع الاسف شركتان اسرائيليتان تذبجان الماشية وتحفظان لحمها ثم يرسل معلبا الى اليهود في المنطقة المحتلة من فلسطين . كما ان جزءا من المواشي تصدر من هنا الى المملكة . وليس هذا بغريب لوفرة المراعي من اشجار واعشاب ولكون الاهالي لا يحسنون الا الرعي وزراعة بعض المحاصيل البسيطة كالذرة والفول السوداني .

كيلو الجواثة بقرش :

وفي تجوالنا في سوق كرن رأينا سوقا بسيطا هناك ، شاهدنا فيه نوعا كبيرا من الجواثة اعجبنا ، فسألنا البائع عن قيمته ، فأجابنا : الكيلو بقرش ، والقرش عندهم عشرة سنتات ، اي ما يعادل ثلاثة قروش سعودية ونصف .

كما وجدنا ان الكيلو من اليوسفي ويسمونه المنديرين بخسة وثلاثين سنتا وكيلو البرتقال وهو وطني وغير جيد بستين سنتيما ، وكيلو القرع ذي القشر الابيض كالموجود في نجد تماما يباع بعشرين سنتا وكيلو اللحم البقري بسبعين سنتيما أي ما يعادل ريالا وربعا من

الريالات السعودية والبيضة الواحدة بأربعة سنتيمات أي بقرش وربع سعودي والدجاجة بدولار أي ريالين الا ربعا . ومع هذا الرخص المتناهي في أسعار المنتجات الزراعية المحلية فان كل شيء مستورد او معلب هو غالي الثمن الى درجة يصل الى ضعف اسعاره في بلادنا ، ومظهر الأهالي مظهر الجائعين ، ذلك لأن أجور العمال ورواتب الموظفين منخفضة ايضا ، فالعامل غير المتمرن يتقاضى فيما قيل لنا سبعين سنتيما أي ريالاً وربع ريال سعودي ومرتب شيخ المعهد في اغردات سبعون دولاراً حبشياً أي مائة وعشرون ريالاً تقريباً في الشهر ومساعدته ستون دولاراً ، والمدرس اربعون دولاراً أي ما يعادل سبعين ريالاً في الشهر . والتقينا بطريق الصدفة بموظف حكومي استرشدناه عن بعض الأشياء فأبى الا أن يكرمنا ويصحبنا الى بعض الاماكن ، وله في العمل مدة اربع سنوات وهو يتقاضى تسعين دولاراً حبشياً في الشهر ، ويشعر انه قد حصل على خير كثير ، مع انه يحمل شهادة اتمام الدراسة الثانوية .

اذن نحن ارخص اسعاراً منهم :

فالعبرة ليست بالقيمة المصرفية للعملة ، وانما بالدخل الحقيقي للعاملين في أي بلد ، فالعامل هنا الذي يشتغل بسبعين سنتيما يومياً لا يحصل الا على اقل من كيلو لحم بقري مقابل مجهوده اليومي على حين ان العامل الذي

يشتغل في بلادنا بتسعة ريالات يحصل على كيلوين من اللحم البقري بعمله ، لأن الكيلو أقل من الاقة وأقة اللحم البقري في بلادنا تساوي في المعدل اربعة ريالات وعلى هذا يمكن قياس جميع الاسعار هنا . اما السلع المستوردة ومن ضمنها الادوية فهي أغلى مما هي عليه في بلادنا كثيرا ، وغني عن القول ان الموظف الذي يتقاضى تسعين دولارا او مائة دولار وهي تعادل بالقيمة المصرفية حوالي مائة وستين ريالاً سعودياً ويحتاج الى شراء حاجات مستوردة من بينها الادوية والثياب كما يحتاج الى المنتجات الوطنية لا يمكن أن تقارن حالته بحالة زميله الموظف في بلادنا والذي يتقاضى في المتوسط سبعمائة ريال سعودي . هذا بالإضافة الى أن الوظائف قليلة وان أكثر الناس لا يجدون حتى ذلك المرتب .

دخلنا الى السوق الوطني في كرن وقد غص بالقرويين وسكان البادية واليوم هو يوم العيد عندهم وهو يوم السوق فيما يذكرون . وهو سوق يذكر المرء بما كانت عليه حالة الاسواق في بعض بلدان المملكة قبل أكثر من ثلاثين سنة والتي لا يعرفها الجيل الجديد في بلادنا الآن . فالبضائع المعروضة بدائية والحوانيت صغيرة ، وقد لفت نظرنا قسم يبع الحبوب في السوق ويعرض فيه العيش كما يسمونه ويعنون به الذرة واذا اطلقوا كلمة العيش فهم يعنون الذرة فقط وهي غذاؤهم الوحيد ولا غذاء لهم غيرها

ولا يعرفون اكل القمح او الشعير ، وقد وجدنا انواعا متعددة من الذرة معروضة هنا والبدوي يأتي فيملاً جراه من العيش تماما كما كان يفعل البدوي في بلادنا في الماضي ، وقد لفت نظري ان من بين الموجودين هنا من القرويين وأهل البدو جماعات يشتركون مع الاهالي في أن لونهم اسود ولكن تقاطيعهم تقاطيع عربية واضحة وشعورهم سبطة وقد سألت احدهم بالعربية وكل الاهالي هنا يحسنون التكلم بها عن القبيلة التي ينتمي اليها فقال انه من قبيلة بني عامر وقال :

نحن عرب جئنا من بلاد العرب ، فقلت له : وهل لكم لغة اخرى غير العربية ؟ فقال : نعم لنا رطانة أخذناها من أهل البلاد ولكننا نعرف العربية كلنا .

وقد عرفنا بعد ذلك ان بني عامر في ارتيرية قبائل كثيرة. وقضينا سبع ساعات في مدينة كرن ، وتجولنا في أرجاء البلدة واطلعنا من مرتفع هناك على فيلات الاوروبيين وعلية القوم ويجاورها اكواخ المواطنين وعششهم وهم تكاد تكون ثمانين بالمائة من المنازل في كرن . ثم صلينا صلاة الظهر في جامع كرن وتعرفنا على امامه ويدعى (ابو بكر صالح) وهو في الوقت نفسه شيخ المعهد الديني الاسلامي في كرن ، والمعهد ملحق بالمسجد الجامع وقد زرنا المعهد واطلعنا على ما فيه من اثار قليلة

ضئيل وهو يضم فيما ذكر لنا شيخه ثلاثة فصول وعدد طلابه مائة وخمسون طالبا وهذا المعهد يقوم على تبرعات المحسنين من المسلمين ولا تتدخل الحكومة في شؤونه ويقولون إن في قائمة المتبرعين افراد الجالية العربية في اريتيرية وخاصة السعوديين والحضارم منهم . وقد قدمنا للمعهد مساعدة مالية باسم الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة .

الى مدينة اغردات :

ركبنا الحافلة (الاوتوبيس) في الساعة الرابعة بعد الظهر متجهين الى اغردات ، وتبلغ المسافة ٨٠ كيلو مترا ، وكانت السيارة مزدحمة بالركاب من المواطنين ، وسرنا في طريق يشبه الطريق بين أسمره وكرن ، الا أن الوديان هنا اخذت تتسع وهي مزروعة بالذرة والبقول السوداني .

وقد شاهدنا في الطريق عشرات الاسراب من الطيور المهاجرة التي كنا في بلادنا نمتطي السيارات وتقضي الاوقات الطويلة في البحث عنها وهي هنا آمنة مطمئنة لا يزعجها احد ولما سألنا عن ذلك قالوا لنا ان المواطنين هنا لا يستطيعون الصيد لأمر اولها : ان حمل السلاح هنا ممنوع والثاني : ان الذي لديه بنديقة مرخصة مشغول بتحصيل معيشته ، ولا يمكن أن يتفرغ للصيد ، وقالوا : ان الذين يصيدون هنا هم الامريكانيون وبعض العرب وقالوا : ان الظباء

والارانب والحجل واصناف الطيور المهاجرة موجودة بكثرة ولكن لا صائد ، فقلت : سبحان الله ما أشبه بلادهم في هذا الوقت ببلادنا في الوقت الماضي حيث كان الصيد وفيرا وكان الاهالي لا يستطيعون ملاحقته وصيده بسبب ضيق ذات اليد وانشغالهم بتحصيل الضروري من معاشهم . وقد مررنا بعدة قرى تتألف جميع منازلها من عشش وأكواخ تتكوّن من غرفة واحدة تبنى جدرانها من القش الا ما كان منها لوجهاء القوم فتبنى جدرانها من الطين وتسقف جميعها بالقش على شكل مخروطي .

اغردات :

تعتبر هذه المدينة من المدن المهمة في ارتيرية وذلك لأنها بلدة زراعية وتقع في منطقة زراعية ايضا . وهي كغيرها من مدن ارتيرية عدا العاصمة اسمرة يستقبلك اول ما تدخلها اكواخ المواطنين المبنية من القش ثم تنفذ منها الى قلب المدينة وهي مبنية بالحجارة والقليل منها بالاسمنت المسلح عدا بنايات خاصة ، وتبدو منارة الجامع في اغردات شاهقة الى جانبها قبة مرتفعة وقد قالوا لنا : ان هذا المسجد قديم ولكن الامبراطور هيلاسيلاسي أمر بتجديده بناءه بعد اتحاد ارتيريا مع الحبشة مجاملة للمسلمين .

وقد نزلنا في الفندق الوحيد الموجود في البلدة والذي لا يوجد غيره ويسمونه هنا « البرقو » وهي لفظة

ايطالية بمعنى قصر . وهو فندق واطىء المستوى ويديره
الايطاليون وقد الحقوا به مطعما ومقصفا وحانة ، ومعظم
نزلائه من الايطاليين . وكنا قد اتفقنا قبل ذلك مع
احد الاخوان لكي يستقبلنا هناك ويساعدنا بالتعرف على
احوال المسلمين ، ووعدناه الفندق المذكور ولكنه لم يحضر
وأرسل بعد ذلك شخصا آخر واعتذر بأنه عرف أنه مراقب
من الشرطة الحبشية . وانه لم ير من المصلحة ان يلتقي
بنا . وقد لاحظنا نحن ان شخصا نام عند باب
غرفتنا في الفندق وذهب مع الفجر . وكنا نرى الاستعدادات
العسكرية هنا ظاهرة وواضحة ، وذلك لأن منطقة اغردات
من المناطق التي تعتبر ميدانا لنشاط الثوار الوطنيين الارتيريين
الذين يجاهدون المتخلص من النير الحبشي . وقد
قمنا بجولة في سوق البلدة ، ووجدنا كيلو الموز بعشرين
سنتيما أي ما يساوي ثلث ريال سعودي وقد صلينا المغرب في
المسجد الجامع واعجبنا ان رأينا اعدادا كبيرة من
المصلين قد دخلوا المسجد قبل أذان المغرب بنصف ساعة في
انتظار الصلاة ، وما ان اذن المغرب حتى كان المسجد قد
اكتظ بمن فيه وقد القى شيخ المسجد درسا دينيا يتضمن
بحثا في الفقه وشرحا للحديث النبوي حتى اذان العشاء وكان
المطر يهطل ولكن ارض البلدة كانت رملية فلم تحدث
مستنقعات من جراء ذلك اما طرقها فلا يوجد فيها شيء مسفلت.

يوم الاثنين : ١٦/٤/١٣٨٤ هـ .

٢٤/٨/١٩٦٤ م .

خرجنا في جولة الى سائر انحاء مدينة اغردات ، وقد علم بقدمونا بعض السعوديين هنا وهم يشتغلون بالتجارة وعلى رأسهم احمد القحم وغانم عبد الله فبحثوا عنا في السوق ثم طلبوا منا الانتظار لديهم فاعتذرنا وهم جميعا من بلاد غامد وزهران . وقد لاحظنا ان مدينة اغردات كمدينة كرن وما حولها تعتبر مقاطعات اسلامية خالصة وتكاد تعتبر عربية لأن اللغة العربية منتشرة هناك بحيث لا يكاد يشعر السائح العربي بأنه غريب عن البلاد العربية هنا اللهم الا اذا سمع الاهالي يخاطب بعضهم بعضا باللغة الارتيرية التجريبية ، وكلهم يتكلمون العربية وينطقونها من غير لكنة . ونظرا لكثرة اتصال اهالي تلك المنطقة بالسودان فانك تلاحظ الشبه هنا حتى في اللهجة بين السودانية والارتيرية ، واتصالهم بالسودان يكاد يعادل اتصالهم بشرق ارتيرية .

وقد زرنا المعهد الديني الاسلامي في اغردات واطلعنا على ما فيه وهو كالمعهد الديني الاسلامي في كرن فقير في اثائه وكتبه وهو ايضا مثل معهد كرن يقوم على تبرعات المحسنين وشيخ المعهد هو الشيخ عبدالله الزوز من خريجي معهد ام درمان الديني في السودان وطلاب المعهد

في عطلة ولكن يوجد بعض الطلبة الذين يدرسون في المدارس الحكومية .

وقد قام المعهد على تعليمهم اللغة العربية والدروس الاسلامية حيث لا يوجدان في المدارس الحكومية . وقد قدمنا للمعهد مساعدة مالية باسم الجامعة الاسلامية جريا على عادتنا في تقديم المساعدات المالية للمؤسسات الاسلامية هناك . ثم اسرعنا في الخروج من اغردات نظرا لضيق الوقت ولكثرة الذباب فيها .

العودة الى اسمره :

عدنا من اغردات الى اسمره مارين بكرن على حافلة (أتوبيس) مزدحمة بالركاب من المواطنين واستغرقت الرحلة خمس ساعات ، حيث وصلنا اسمره في تمام الساعة الرابعة . وقبل وصولنا لاسمره بتسعة كيلومترات اوقفت الشرطة سيارتنا وحضر ضابط وجندي عند كل باب من بابي السيارة وفتشوا الركاب فردا فردا قال لنا الركاب انهم يبحثون عن الاسلحة كما صعدوا الى السيارة وفتشوها وعندما ارادوا تفتيشنا ذكرنا لهم اننا سعوديون فتركونا .

وقد كان شعورنا ونحن نعود الى اسمره نفس شعورنا عندما عدنا اليها من مصوع وهو أن أسمره تعتبر بجوها ونظافة شوارعها ومحلاتها العامة جنة للسائح في ذلك

الجو الافريقي ، وتمنينا لو كان بإمكاننا أن يطيل المكث في أسمرة ولو أياماً قليلة ، ولكن برنامج رحلتنا كان مرسوما يتأثر بالتأخر ونحن لم نأت هنا سائحين .

يوم الثلاثاء : ١٧/٤/١٣٨٤ هـ .

٢٤/٨/١٩٦٤ م .

جولة في ضواحي أسمرة :

أخذنا صديقنا الأخ علي عبدالله هزاع في سيارته الخاصة في جولة على انحاء اسمرة وضواحيها وقد زاد ذلك اعجابنا بالاعمال العمرانية الجليلة التي قام بها الايطاليون هناك وان كانت اطراف البلد ليست كقلبها بطبيعة الحال ، ولكن الاحياء الشعبية مرتبة المنازل منسقة البنيان . وقد وجدنا ان اكثر تلك المنازل الشعبية تتكون من غرفة واحدة ومنافعها ، يسكنها الرجل بعائلته ولكنها منازل مبنية من الآجر والاسمنت المسلح ولا أثر لأكواخ القش هناك . وقد زرنا فيما زرنا (حي اكرما) الاسلامي في أسمرة وهو حي شعبي الا انه انظف من الحي الشعبي المسيحي حيث يسكن فقراء المواطنين من المسيحيين ، كما رأينا مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني والعجيب ان أهل أسمرة يزورون هذا المسجد كل اربعة ويزعمون ان سبب بنائه ان احدهم رأى في المنام ان الشيخ عبد القادر قد جاء الى اسمرة ، وجلس

على صخرة هناك فبنوا مسجدا في هذا المكان وسموا
الصخرة مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني الا ان امام
المسجد الحالي وهو امام غير خرافي قد اغلق الباب على
تلك الصخرة المذكورة فانقطعت زيارة الناس لها والتبرك بها
فجزاه الله خيرا . وبهذه المناسبة ، مناسبة الجولة ، فقد سألنا
صاحبنا عن قيمة صفيحة البنزين هنا فقال ان الممتاز يباع
بتسعة دولارات وعشرين سنتيما أي ما يعادل ستة عشر
ريالا سعوديالا اما البنزين العادي فيقل عن ذلك بدولار واحد
أي تصبح قيمته اربعة عشر ريالا سعوديالا وبضعة قروش .
وكذلك تباع صفيحة الديزل بستة دولارات أي عشرة
ريالات سعودية وذلك بسبب الجمارك المفروضة عليه ، وعلى
عكس ذلك السيارات ، فالجمارك عليها ليست فاحشة ،
والمعتقد حسب ما فهمنا ان الضريبة على السيارات الصغيرة
غير الفخمة كالفولكس واجين والفيات الصغيرة لا تتجاوز
عشرين بالمائة، ولذلك نجد غالب السيارات هنا من السيارات
الصغيرة وكثير منها من موديلات قديمة تصل الى ما قبل
موديل الاربعين ، اما السيارات الامريكية فهي نادرة جدا .

يوم الاربعاء : ١٨ / ٤ / ١٣٨٤ هـ .

٢٦ / ٨ / ١٩٦٤ م .

ذهبنا مبكرين الى مكتب الخطوط الجوية الاثيوبية
وحجزنا للسفر غدا الخميس الى اديس أبابا فضربوا لنا

موعدا تمام الساعة السادسة من صباح الغد على ان
تغادر الطائرة اسمره في تمام الساعة السابعة الى اديس أبابا
عاصمة الحبشة . وقد تركنا أسمره آسفين على جوها الجميل
وفنادقها النظيفة الرخيصة . والحقيقة انها مكان طيب ملائم
لقضاء اجازة ممتعة لولا انها اشتهرت بانها مقصد طلاب
المتعة الرخيصة والحرية المطلقة في اقتراف الملاذ المحرمة . وما
أحق أسمره بقول الشاعر :

في منزل يعجب النساءك خلوته
وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

* * *

الإسلام والمسلمون في أريترية

لقد دخلنا اريتريه بجوازات سفر عادية عليها تأشيرات دخول للسياسة وكان دخولنا عن طريق الخرطوم وذلك لثلاثي استرعي اتباه المسؤولين في اريتريه الذين نعلم ان سياستهم معاداة الاسلام ومناهضة اهله والداعين اليه ، وكنا نخشى اذا ما عرفت هويتنا ان لا تتمكن من اخذ المعلومات التي نريد الحصول عليها وان يكون ذلك سببا للاحاق الضرر بمن نتصل بهم من زعماء المسلمين من اهل البلاد . وقد قصدنا العاصمة « اسمره » ثم سافرنا بطريق البر الى شرقي البلاد حيث زرنا مدينة مصوع ثم عدنا الى اسمره ومن هناك سافرنا الى غرب البلاد وزرنا مدينة « كرن » ، ومدينة « اغردات » ولم تقم بالقاء محاضرات أو كلمات دينية في مساجد اريتريه حذرا من أن نلفت الانظار اليها ولان ذلك ممنوع الا باذن من السلطات المختصة كما قيل لنا . وكنا نتصل بمن نتصل بهم من اهل العلم والفضل خفية ، وبطرق غير مكشوفة ، وبتلك الطريقة قمنا بدفع مبالغ من المال كمساعدة رمزية باسم الجامعة الاسلامية الى عدد كبير من الكتاتيب والهيئات الاسلامية التي تفقدناها هناك .

كما خصصنا كميات من المصاحف والاجزاء القرآنية الكريمة والكتب الاسلامية لتلك المؤسسات على طريق الهدية من الجامعة الاسلامية كما شجعنا كلا من مدير معهد « كرن » ومدير معهد « اغردات » الدينين

على انشاء مكتبة اسلامية في معهديهما وتعهدها بارسال كمية من الكتب والمراجع الدينية نواة للمكتبتين المذكورتين على ان ترسل تلك الكتب بواسطة السفارة السعودية في اديس أبابا ، وقد ارسلت فعلا بعد ذلك .

الملاحظات : نتيجة لاتصالاتنا الواسعة في اريتريه والتي كانت تتم خفية ، في اكثر الاحيان وبطرق غير واضحة كما تقدم تحققنا مما يلي : -

اولا - ان الحكومة الاثيوبية تشدد الضغط على المسلمين في اريتريه وتسير في ذلك وفق سياسة دقيقة مستترة يشارك في تنفيذها بعض اليهود الاثيوبيين والمستشارين الاسرائيليين ، واهم مظاهر هذه السياسة ما يلي :

اولا : الضغط على المدارس القليلة الباقية هناك التي تدرس العلوم الاسلامية ، وتعنى باللغة العربية والتي كانت موجودة قبل الحكم الاثيوبي وذلك بعدم التأشير للمدرسين العرب بالدخول الى اريتريا والتدريس في تلك المدارس ، وفرض رسوم جمركية عالية على الكتب الاسلامية سواء أكانت مدرسية أم غير مدرسية ، وملاحقة المدرسين الوطنيين الذين يبدون حيوية ونشاطا في تعليم الدين الاسلامي ، والدفاع عنه ، وزجهم في السجون بدون محاكمة .

وعدم الاعتراف بشهادات المدارس الاسلامية ، وقد اغلقت فعلا نتيجة لذلك بعض المدارس الاسلامية ومن بينها المعهد الديني في مصوع .

ثانيا : صدور قرار حكومي مشدد بالغاء تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية وغير الحكومية التي لها صلة بالدولة ، والتشديد على عدم استعمال اللغة العربية في المكاتب الحكومية ومكاتب الشركات وغيرها في المناطق والمدن الاسلامية التي كانت تستعمل اللغة العربية ، واستبدال الانجليزية بها اذا لم يمكن استعمال اللغة الامهرية لغة الدولة الرسمية ، وآخر مثال على ذلك صدور قرار حكومي بمنع استعمال اللغة العربية في المحاكم الشرعية للمسلمين واستبدالها بالامهرية حتى الاختتام المكتوبة بالعربية صدر الامر الحكومي بتغييرها الى الامهرية وان كان هذا الامر لم يطبق حتى الآن بسبب معارضة رجال القضاء الاسلامي في ذلك ورفعهم التماسا الى الامبراطور بابقاء اللغة العربية وما يزال الامر معلقا حتى رحيلنا من اريتيرية .

ثالثا : بث جاسوسية محكمة حول الشخصيات الاسلامية سواء من المواطنين أو من يقدون الى اريتيرية من الخارج بالاضافة الى التشديد على عدم دخول

الشخصيات الاسلامية قبل وصولها الى البلاد ، وكان من نتائج تلك السياسة اننا لم نستطع مقابلة احدى الشخصيات الاسلامية الكبرى هناك الا بعد جهد كبير ، وبعد ان اتصلت به بواسطة احد العرب المقيمين هناك وقد تم اللقاء خفية .

رابعا : بث المبشرين المسيحيين في البلاد الاسلامية ومنحهم الاراضي والاقطاعات وتسهيل انشاء المدارس النصرانية وملاجئ الايتام التابعة للكنيسة لمحاولة التأثير في ناشئة المسلمين من الفقراء والايتام ، وتغيير دينهم وتشئتهم تنشئة نصرانية .

خامسا : ابعاد المسلمين عن دوائر الحكومة ، ومراتب الجيش ، وحصرها في ايدي الاحباش واليهود .

سادسا : تسهيل هجرة البغايا الى المناطق والاحياء الاسلامية في المدن ومنح الرخص لهن بمزاولة البغاء ومضاعفة فتح الحانات ومحلات شرب الخمر بقصد اضعاف الروح الاسلامية وانتشار الفساد الخلقي بين المسلمين .

سابعا : عدم السماح للطلبة من المواطنين المسلمين بالسفر الى البلاد الاسلامية لتعلم الدين الاسلامي هناك ، ومن ابرز مظاهر ذلك رفض الحكومة الحبشية المنح التي قدمتها الحكومة السعودية للطلبة المسلمين في

ارتيرية والحبشة للتوجه من هناك الى الجامعة
الاسلامية بالمدينة المنورة .

ثامنا : رفض الحكومة الحبشية صراحة السماح للدول
العربية بافتتاح قنصليات في ارتيرية ومن تلك الدول
المملكة العربية السعودية .

الاسلام في ارتيرية :

الشعب الارتيري شعب مسلم عريق في الاسلام ، وقد
دخل الاسلام الى تلك البلاد في اوقات مبكرة بل انها كانت
اول قطر دخله المسلمون خارج الجزيرة العربية اذ كانت
الهجرة الاولى المعروفة بهجرة الحبشة الى ارتيرية وليست
الى الحبشة المعروفة الآن بأثيوبيا .

ويبلغ مجموع عدد سكان ارتيرية مليوناً وسبعمائة
الف نسمة منهم ٧٤٪ من المسلمين والبقية من المسيحيين
واقليّة ضئيلة من الوثنيين وهذا حسب الاحصاءات
الرسمية الحكومية زمن الاحتلال الانجليزي ومن المحتمل
اذ تكون نسبة عدد المسلمين اكثر من ذلك بكثير .

وتنقسم ارتيرية الى ثمان مديريات، خمس منها خالصة
للمسلمين وهي : مديرية مصوع ، ومديرية كرن ، ومديرية
الساحل ، ومديرية عصب ، ومديرية اغردات وثلاث منها
مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وهي : مديرية اكس غزاي،

ومديرية سراي ، ومديرية حماسين التي تقع ضمنها اسمره
العاصمة .

وينقسم السكان قبليا الى (٣.١) قبيلة ، منها (٢٢٦)
قبيلة مسلمة و (٧٥) قبيلة مسيحية يوجد فيها اقلية اسلامية.

النشاط الاسلامي والنشاط المعادي للاسلام :

منذ ان اتحدت ارتيرية رسميا مع الحبشة والاسلام في
موقف الدفاع ، وقد أخذ المسلمون على غرة ، واصبح همّ
الذين يستطيعون العمل للاسلام الدفاع عن مراكزهم
الاسلامية ، ومع ذلك فانه يوجد بعض الدعاة الى الاسلام في
القرى والمناطق الريفية النائية ومن بينهم الشيخ محمد
الحسن في غرب البلاد والسودان ، ولكن اولئك الدعاة
قلة وامكاناتهم ضئيلة ، وهم على جانب من الخوف والحذر
من ان تكتشف الحكومة نشاطهم فتوقفه ، ولذلك فان
البعثة لم تر من هو على استعداد للعمل علنا في الحقل
الاسلامي ، وترى ان يكون واسطة المساعدات احدي
السفارات الاسلامية . او مندوبا خاصا يأتي من الخارج
باسم السياحة .

٢ - اما النشاط المعادي للاسلام فانه يتمثل في كثرة
المدارس المسيحية والملاجيء التي تشرف عليها الكنيسة ،
وفي تسهيل التحاق خريجي المدارس المسيحية بالوظائف

العامة في الحكومة وفي الشركات ، وان اعظم من ذلك خطرا هو خطر الملاحيء الخيرية النصرانية حيث تتولى تربية بعض اطفال المسلمين وتنشئتهم تنشئة نصرانية معادية للاسلام ، كما يوجد في البلاد نشاط صهيوني هام وخاصة على الصعيد التجاري حيث تتولى شركتان اسرايليتان شراء المواشي وذبحها وتعليب لحومها ثم تصدر الى اسرايل والخارج وتعتمد مضايقة التجار المسلمين العرب وغيرهم .

حالة المسلمين المادية :

اذا استثنينا بعض الشخصيات العربية المقيمة في ايرتيرة والتي تملك شيئا من الثروة فان المسلمين يعتبرون في الدرجة المتوسطة من الناحية المادية بالنسبة الى اهالي المنطقة ويشغل معظم المسلمين بالزراعة وتربية الانعام من الابل والبقر والغنم ، وهم في الغالب ارفع في المستوى المادي من المسيحيين الاريتيريين الاصليين ، ولكن تتخذ تدابير لرحلتهم عن الميدان الاقتصادي بالسماح للشركات والشخصيات اليهودية بالعمل في التجارة ومضايقة المسلمين بقصد ابعادهم عن الميدان التجاري .

المدارس والمؤسسات الاسلامية :

زارت البعثة المؤسسات والمدارس الآتية :

اولا - المركز الاسلامي في أسمرة وقد انشيء في

العهد الايطالي وعليه اوقاف كثيرة اوقفها المسلمون ويشتمل على ما يلي :

أ - المسجد الجامع الكبير ويسمى مسجد الخلفاء الراشدين وهو مسجد كبير فخم ساعدت على بنائه الحكومة الايطالية في عهد الاستعمار وملحق به عدة خلوات لتدريس القرآن الكريم ولكن لا يدرس فيها الآن الا درس ديني بعد العصر للكبار ، والمسجد مفروش فرشاً حسناً ولا يحتاج الى شيء .

ب - المكتبة الاسلامية : وهي مكتبة عامرة بالمراجع الاسلامية بالعربية وبالكتب التاريخية بالاطالية وتضم حوالي (٣٠٠٠) مجلد وقد اهدت اليها البعثة كمية من الكتب العربية التي تنقصها . والمكتبة تشغل بناية خاصة ملاصقة لمسجد الجامع المذكور وفيها قاعتان صالحتان احدهما لخزائن الكتب والاخرى للمطالعة ، وينقص المكتبة بعض الكتب الاسلامية والعربية الحديثة التي يتشوق النشء الجديد الى قراءتها بالعربية .

ج - المعهد الديني الاسلامي : وقد انشيء في زمن الوصاية وقامت على انشائه الحكومة المصرية في عهد الملك فاروق . ويشغل مبنى ملاصقا للجامع ويتكون ذلك المبنى من (٦) غرف محيطة بفناء صغير .

وقد كان هذا المعهد الاسلامي يعتمد على ما كانت

تقدمه له الحكومة المصرية التي كانت تقوم بإرسال المدرسين المصريين فيه ودفع نفقات تنقلاتهم ومراتبهم الشهرية كما تقوم بتأمين الكتب الدراسية اللازمة له . وقد امتنعت الحكومة الاثيوبية في السنوات الاخيرة عن منح تصاريح الإقامة للمدرسين المصريين فاكتفت الحكومة المصرية بتعيين بعض خريجي الأزهر من المواطنين الاريتيرين للتدريس فيه وقامت بدفع مراتبهم الشهرية على نفقتها كما كانت ترسل مندوبا من قبلها للإشراف على الامتحانات السنوية فيه ، ويقول المشرفون عليه ان مساعدات الحكومة المصرية للمعهد قد اخذت تتضاءل في الآونة الاخيرة . ويضم المعهد المذكور (١٢٥) طالبا موزعين على (٤) فصول ويتولى التدريس (٦) مدرسين ومناهجه الدراسية قريبة من مناهج المعاهد الأزهرية الثانوية .

د - مصلى العيد : وهو قريب من المسجد الجامع ويفصل بينهما شارع عام الى المصلى وهو ساحة جميلة محاطة بسور ومنخفضة عن مستوى الشوارع المجاورة .

هـ - قاعة المحاضرات وهي قاعة متوسطة السعة ملحقة بالمسجد الجامع تخصص لالقاء المواعظ وقد تستعمل للاحتفال البدعي بموالد بعض المشائخ والمعتقدين كالشيخ عبد القادر الجيلاني .

ثانيا - معهد كرن الاسلامي : ويديره الشيخ ابو بكر

صالح عبدالله وهو متخرج من معهد ام درمان الديني في السودان ومقره ملحق بجامعة مدينة كرن الكبير . وعدد طلبته (١٣٠) طالبا تقريبا والمدرسون (٤) ومرتب المدير (٧٠) دولارا اثيوبيا أي (١٢٠) ريالاً سعودي وراتب مساعده (٦٠) دولارا اثيوبيا أي (١٠٥) ريالاً سعودية والمدرس (٤٠) دولارا ، وهو قائم على تبرعات المحسنين وليس له اوقاف ، وهناك لجنة لمساعدة المعهد تجمع التبرعات له وسكرتيرها يسمى محمد ابراهيم نبراي في كرن والمعهد في امس الحاجة الى الكتب الاسلامية حتى المقررات المدرسية غير متكاملة فيه .

ثالثا - معهد اغردات الاسلامي : ويديره الشيخ عبد الله الزور وهو متخرج من معهد ام درمان الديني في السودان وعدد طلابه حوالي (٥٠) طالبا وفي ايام العطلة المدرسية يحضر الى المعهد بعض الطلبة ، وهناك طلبة يحضرون بعد العصر ويوم الاحد فقط لتعلم القرآن الكريم ، والمدرسون ثلاثة وبنائته اهلية قامت على تفقات مجموعة من المسلمين (١) وقد ذكر لنا مديره ان المدرسين لم يستلموا رواتب منذ مدة لعدم وجود نقود في صندوق التبرعات ولكنهم يقومون بالتدريس في هذه الايام تطوعا .

١ - وقد قابلنا بعض المسلمين فقال مدير المعهد ان هذا الاخ قد تبرع لبناية المعهد بمائة لبنة من الاسمنت .

رابعاً - معهد مصوع :

وقد وجدته البعثة مع الاسف مغلقا قد انقطعت الدراسة فيه بسبب نضوب موارده المالية التي منها فقدان بعض البيوت الموقوفة عليه .

خامساً - زارت البعثة عددا كبيرا من الجوامع والمساجد الصغيرة التي تضم بعض الخلوات لتعليم القرآن الكريم ، وهي ترى ان الجوامع والمساجد الموجودة في اريتيرية كافية بالنسبة الى حاجة المسلمين في الوقت الحاضر . وانه ينبغي ان توجه الجهود الى الناحية التعليمية حفاظا على دين الناشئة من المسلمين ان يضيع وتبصيرا للمسلمين البالغين في امور دينهم .

سادساً - مدرسة الجالية العربية في اسمره ومؤسسها الشيخ احمد عبيد باحْبَيْش رئيس الجالية العربية وهي مدرسة كبيرة تضم (٦٣٠) طالبا ويتولى التدريس فيها (٢٦) مدرسا كلهم من الوطنيين الاريثريين ويبلغ مجموع مرتبات المدرسين وباقي الموظفين (٥٠٠٠) دولار اثيوبي أي ثمانية آلاف ريال سعودي شهريا تقريبا وتشغل مبنى خاصا بها موقوفا عليها ، كما ان لها بعض المباني الموقوفة التي تدر عليها مبلغا شهريا لا يكفي كفاية تامة مصاريفها الكثيرة وقد سبق للحكومة السعودية ان تبرعت للمدرسة المذكورة بمبلغ عشرين الف ريال منذ اربع سنوات كما اخبرنا سكرتير

الجمالية العربية بذلك وقال ان التبرع المذكور استغل في شراء دار تؤجر شهريا ويدفع ريعها للمدرسة وتساعد الحكومة المصرية المدرسة المذكورة بالكتب الدراسية كما ترسل اليها عددا من المدرسين ليتولوا اجراء الامتحانات فيها لانها قد خصت - أي الحكومة المصرية - ست منح دراسية في الجامعات المصرية للمتفوقين من طلاب المدرسة المذكورة كل عام، وهي تعتبر مدرسة مدنية اي ليست دينية ومنهجها قريب الشبه بمنهج المدارس الثانوية المصرية الا ان الذي يجعل لها أهمية خاصة كونها تدرس اللغة العربية وكون التدريس فيها باللغة العربية كما انها وسيلة لمحافظة الناشئة على اللغة العربية في هذا الوسط المعادي وجميع طلبتها من المسلمين عدا ثلاثة فقط من المسيحيين العرب من اصل لبناني .

الاقتراحات :

على ضوء ما سبق تقترح ما يلي :

اولا - ان تتبنى احدى الحكومات انشاء ملجأ لاطفال المسلمين من الايتام وابناء الفقراء والمعوزين يتسع لمائتي طفل على الاقل في المرحلة الاولى ويزود بعدد من المدرسين والمربين من الارثوذكسيين المسلمين وبخاصة من خريجي المدارس الاسلامية في المملكة او غيرها ان وجدوا والا فمن أي جنس امكن . وذلك لاقتادهم من الالتحاق بالملاجيء

والمدارس غير الاسلامية ، على ان يتم انشاء هذا الملجأ بالاتصال بالحكومة الاثيوبية فاذا وافقت كان بها وان لم توافق فيمكن ان يوكل امر انشائه الى بعض كبار المسلمين في اريتيرية وتتولى الاتفاق عليه الحكومات الاسلامية .

ثانيا - معاضدة المعاهد والكتاتيب الاسلامية الموجودة الآن معاضدة مالية على ان تكون مساعدتها عن طريق استئجار دور لها وشراء اثاث وكتب ودفن رواتب بعض المدرسين الذين لا يستطيع المسؤولون عن المدارس دفع رواتبهم .

ثالثا - زيادة المنح الدراسية المخصصة للطلبة الاريتيريين في الجامعة الاسلامية وغيرها من المدارس الدينية في المملكة وغيرها من البلاد الاسلامية .

رابعا - تخصيص عدد من المنح للدراسة في الجامعات الدينية في البلدان الاسلامية لبعض خريجي المدارس المدنية في اريتيرية من ابناء المسلمين هناك وذلك حتى لا يقتصر نشاط المسلمين على المجال الديني، وان يكون منهم المهندس والطبيب والمحامي الخ .

خامسا - بذل المساعدة الممكنة في نطاق الظروف السياسية القائمة الآن للمسلمين الاريتيريين الذين يقاتلون الاحباش الآن في غرب وشمال اريتيرية طلبا لاستقلال البلاد

وفصلها عن تلك الامبراطورية المتعصبة ، ولقد لمسنا أثر الثورة في البلاد ولكننا لم نستطع الحصول على المعلومات الدقيقة المعتمدة عنها اذ لم يكن هدف البعثة تقدير الظروف السياسية الا بالقدر الذي تتصل فيه بالشئون الدينية .

* * *

في بلاد الحبشة

يوم الخميس : ١٩/٤/١٣٨٤ هـ

٢٧/٨/١٩٦٤ م

الى اديس ابابا :

ذهبنا في الساعة السادسة صباحا أي مع طلوع الشمس الى مكتب الخطوط الجوية الاثيوبية في أسمرة وهو قريب منا وهناك حملت سيارة الشركة امتعتنا وخرجنا الى مطار اسمرة وودعنا ذلك المطار الجميل الذي يعتبر البوابة الجوية للبلد الجميل (اسمرة) وكانت اجراءات الركوب في غاية من اليسر والسهولة حيث لم يطلبوا منا حتى جوازات السفر وعاملونا معاملة كريمة شأنهم معنا في قدومنا الى اسمرة ، ولم يفتشوا امتعتنا لانا في رحلة داخلية .

وفي تمام الساعة السابعة صباحا ركبنا الطائرة وهي طائرة نفثة كبيرة من طراز بوينج مطلية من الخارج بألوان صفراء وحمراء طبقا للذوق الحبشي ، ولم يكن يبلغ عدد ركاب الطائرة الا اقل من نصف مقاعدها . وقد اعلنت المضيئة للركاب ان الرحلة ستستغرق (٥٥) دقيقة من اسمرة الى اديس ابابا علما بأن المسافة بينهما بالطريق البري تبلغ ١٠٣٠ كيلومترا تماما كالمسافة بين الرياض وجدة . وقد كان كلامها بالحبشية ثم بالانكليزية . وكانت هيئة الخدم في الطائرة مكونة من ثلاث مضيفات ومضيف واحد وكلهم من الاحباش ، وتمتاز الفتيات بملاحة الشكل ، وهن يتحلين

بأدب جم ، وقد قدموا لنا طعام افطار خفيفا في الطائرة .
وكنا طوال الرحلة نظير على هضاب جبلية خضراء
تخللها الوديان المكتظة بالمياه التي كانت تبدو حمراء
لاختلاطها بالطيني من سرعة جريانها وانحدار مجاريها حتى
وصلنا اديس أبابا بعد ساعة الا خمس دقائق بالضبط كما
اعلنت المضيئة . وقد تبيّنا معالم المنطقة من خلال قطع
السحاب بعد أن تدنت الطائرة الى الارض ، فاذا باكثرها
تجري فيه مياه الامطار وتغطي بعض المساحات المحروثة.
ولا غرو فهذا هو موسم الامطار في هضبة الحبشة ، وبسبب
هذه الامطار يفيض نهر النيل في مصر ، اذ ان القسم
الاكبر من مياهه في هذا الوقت تأتي من النيل الازرق
الذي تسبب هذه الامطار فيضانه ، ومن حسن حظنا ان
الامطار متوقفة عند وصولنا الى اديس أبابا والافقد
قيل لنا ان الامطار تستمر في الهطول اكثر ساعات الليل
والنهار في هذا الفصل من السنة .

اديس أبابا :

نزلنا في المطار فاذا هو دون مطار اسمره بكثير ، ولم
نمر بأية اجراءات لأن الرحلة كانت داخلية كما قدمت ،
وقد ركبنا سيارة اجرة من المطار الى المدينة وكان
سائقها مسيحيا حبشيا يتكلم العربية بصعوبة كما يتكلم
الانكليزية ، كذلك ، وقد كان حديثنا معه مخلوطا بالعربية

اذا عجز عن التعبير بالعربية عبر بالانكليزية وبالعكس ،
وقال انه قد تعلم ما تعلمه من العربية لانه كان قد اشتغل
في أسمره حيث العربية يعرفها الجميع هناك . ولما مررنا
بكنيسة قال : (هذا مسجدنا احنا الكريستان) أي : هذا
معبدنا نحن المسيحيين ، ولما سألتناه : هل يوجد لديكم
مسلمون ؟ قال : كثير جدا ، انهم أكثر من نصف السكان ،
وقال : ان العرب كثيرون في اديس أبابا ، ففيها من اليمانيين
وحدهم ستة آلاف ، ثم اخذ يشرح لنا كل ما نمر به من
الاماكن والميادين وغيرها ، وكنا قد اخذنا اسم فندق
رجل عربي من جنوب الجزيرة العربية ، اسمه محمد سعيد
في اديس ابابا ، ذكر اسمه لنا احد الاخوان في أسمره ، فطلبنا
من السائق ان يوصلنا اليه فأبى ، وقال : ذلك الفندق لا
يليق بكم فذلك فندق غير نظيف ، ثم اتى بنا بالقرب من
الفندق المذكور وأرانا اياه وقال : لقد اريتكم اياه لتقتنعوا
فوجدنا كلامه صحيحا وكانت تحف بالفندق المذكور ما
يشبه المخاضة المتخلفة من مياه الامطار سوداء اللون
كالحمأة ، من فرط مكث الاوساخ فيها ، فتركناه وقلنا :
اذاً فاختر لنا فندقا صاحبه عربي فقال : هذا لكم عليّ ، ثم
انطلق بنا الى فندق فخم ضخم وقال هذا صاحبه عربي ،
وهذا صحيح فان الذي يملكه عربي يدعى محمد نديم
يماني الاصل ومديره عربي لبناني ، فألفيناه من فنادق
الدرجة الاولى يضارع فندق الحرمين الكبير في جدة ،

ويقرب من فندق الشرق في الرياض ، وأرانا غرفة فخمة ملحقا بها قاعة للجلوس ، وطلب للسريير الواحد ١٣ دولارا أي ما يساوي ٢٢ ريالاً سعودياً ، ولم نجد غرفة تتسع لنا نحن الثلاثة فأرانا ركنا آخر غير المبنى الرئيسي للفندق فاذا هو عدة فيلات خشبية من طابقين تحمل كل منها رقما حرفيا متسلسلا ، فسكنا في غرفة واحدة بثمانية عشر دولارا يوميا أي ما يعادل (٣٢) ريالاً سعودياً نحن الثلاثة وهي اجرة زهيدة حقا اذا ما قيست بمستوى اثاث الفندق ورياشه والخدمة فيه والمياه الجارية الساخنة في كل غرفة وهو يقع في حي نظيف ويسمى (يياسا اثيوبيا) فاعتبرنا ذلك توفيقا من الله تعالى وشكرنا لذلك السائق لطفه معنا وتقديناه عشرة دولارات حبشية فشكرنا وحى رأسه تحية لنا شأن الاحباش .

بعد ان استرخنا قليلا خرجنا في جولة حول الفندق وقد وصلنا الى السوق العربي الذي يتألف معظم اصحاب الحوائث فيه من التجار العرب واغلبهم من جنوب الجزيرة العربية واليمن وفيهم قليل من السعوديين من سكان جبال السروات وانت في هذا المكان لا تجد صعوبة في التكلم بالعربية ، وفي غيره من الاماكن من اديس أبابا ، لا تعدم في الفنادق والحوائث التجارية الكبيرة والمكتبات وسيارات الاجرة من يكلمك بالعربية من الاحباش المسيحين انفسهم ، الا ان مكانة اللغة العربية في اسمره لا

يمكن ان تصل اليها مكائتها هنا في اديس أبابا ، وذلك بسبب قلة عدد العرب الساكنين في الحبشة بالنسبة الى اريتيرية ، وسبب كثرة السكان المسلمين في اريتيرية ، وكثرة السياح من العرب الذين يقدون الى اسمره كل عام ، وقد هالنا ان نرى ان مستوى مدينة اديس أبابا لا يمكن بحال ان يقارن بمستوى مدينة اسمره من حيث نظافة الشوارع وطريقة رصفها ، وكثرة المرصوف منها وخدمات البلدية فيها ، مع ان اديس أبابا هي العاصمة واسمره عاصمة اريتيرية التي تعتبر الآن رسميا مقاطعة من مقاطعات اثيوبيا .

وقد كانت ارصفة الشوارع الرئيسية في اديس أبابا موحلة بحيث لا يستطيع المرء منا ان يمشي فيها الا زهو رافع طرف ثوبه جانبا لتلا يصيبه الوحل ، لا سيما اننا قد عرفنا ان بعض الناس الاحباش يبولون في الشوارع ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك بأن يقف احدهم ووجهه الى الجدار وبقاه للناس يبول واقفا ثم يمضي لشأنه بعد ذلك ، ويزيد من صعوبة السير فيها انها مرصوفة بحجارة غير متناسقة فتتجمع الاوحال والمياه فيها ، اما وسط الشارع فهو معبد بالاسفلت ولكن مستوى السفلتة ضعيف جدا والحفر والاختلاط فيه كثيرة . وان اول ما يسترعي نظر السائح من بلادنا الى هذه البلدة كثرة الاشجار فيها حتى ليخيل اليك في بعض المواطن ان المدينة عبارة عن غابة ، ولا

غرو ، فان هذه المدينة عندما انشئت قبل تسعين عاما كان جزء منها غابة كبيرة أمر الامبراطور الذي انشأها ويدعى الامبراطور منليك ان تترك وسمى المدينة (اديس أبابا) أي الزهرة الجديدة ، والظاهر ان لكلمة اديس علاقة بكلمة حديث ، بمعنى جديد في العربية . وقد عدنا مع الظهر الى الفندق حيث تناولنا الغداء في قاعة الطعام الفخمة التي لا تقل فخامة عن احسن فنادق الدرجة الاولى في بلادنا .

المطر المتواصل :

لقد كان من حسن حظنا كما قلت أن السماء لم تمطر منذ وصلنا الى اديس أبابا اليوم ، وكان المطر قد نزل وابلا في الصباح قبل قدومنا كما اخبرنا بعد ذلك ، وقد بدأ المطر يهطل والسحب الكثيفة تجلجل السماء ، والبرق يلعب في النهار لظلمة الجو ، وهزيم الرعد المتواصل يصم الآذان . وقد استمر المطر حتى بعد العشاء فلم نستطع عمل شيء سوى البقاء في الغرفة والمطالعة .

يوم الجمعة : ٢٠/٤/١٣٨٤ هـ

٢٨/٨/١٩٦٤ م

اصبحنا اليوم على سماء ملبدة بالغيوم وقد اخذ المطر يهطل منذ الفجر واستمر حتى قرب صلاة

الجمعة ، فاضطررنا الى البقاء هنا محبوسين (حبس حشمة)
كما يقول العامة في نجد ، ليس لنا هم غير القراءة وطلب
الاكل والشاي والقهوة ، الذي كان خدَم الفندق يحضرونه
من المطعم تحت المظلات الواقية من المطر ، والواقع ان
الخدم الاثيوبيين بل وجميع الاثيوبيين يتمتعون بأدب جم ،
ومعاملة طيبة ، ولا يمكن لاحدهم اذا لقيك الا ان يحيي
رأسه تحية لك واحتراما ، وهم يعرفون من شكلنا والواننا
انا عرب فتجد من يعرف منهم العربية يبادر فيكلمك بما
يحفظه من العربية ، الا في الاوساط الاخرنجية حيث لا
يعرف الموظف اللغة العربية فيشيرون الى معرفتهم لك بأنك
عربي ويكلمونك بالانكليزية ولكن لا ينسون ان يدخلوا
في الحديث كلمة مشهورة من العربية ككلمة (ما في) أي
ما فيه او كلمة (خلاص) او ما أشبه ذلك . ومن هذا النوع
خدم الفندق الذي نزلنا فيه وهو فندق (اتبي) بمعنى
(اختي) بالحشية او فندق الملكة وهو فندق من الدرجة
الاولى كما قدمت ومعظم نزلائه من الاوروبيين والامريكيين
وفيهم صينيون وهم جميعا يتفاهمون بالانكليزية والخدم
يعرفون انكليزية ضعيفة مما يتصل بعملهم كطلب
الطعام والشراب ، ونحن نتفاهم معهم بالانكليزية ، عدا
المدير فهو عربي مسيحي من لبنان يتكلم العربية
بطلاقة . ان منظر المطر المنهمر من سماء مظلمة مدة
طويلة ، ونحن نرقبه وراء النوافذ الزجاجية لشرفة

غرفتنا لهو منظر غريب علينا نحن الذين عشنا في بيئة صحراوية ، وقد اوقف الحركة ومنعنا وغيرنا من الدخول والخروج الا في سيارة ، لذلك فقد مضى هذا اليوم ثقيلًا متباطئًا .

الا ان امام (الجامع الأنور) في اديس أبابا ويدعى الشيخ حامد عون وهو يمني زارنا في الفندق في مساء هذا اليوم وقد افادنا ببعض المعلومات عن التقارب بين اللغة الحبشية والعربية وغير ذلك وقال : ان هطول المطر هذا اليوم حال دون حضور عدد اكبر من الحاضرين لصلاة الجمعة .

يوم السبت : ٢١/٤/١٣٨٤ هـ .

٢٩/٨/١٩٦٤ م .

ذهبنا مبكرين الى السفارة السعودية وقد استقبلنا القائم باعمال السفارة الاستاذ عبد العزيز فتحي من مكة المكرمة استقبالا كبيرا وابي الا ان تناول طعام الغداء معه في بيته وكان معنا زميله في السفارة وهو الاستاذ محمود السني من جدة ، وقد وجدنا عندهم احد الزعماء المسلمين في الحبشة ودار البحث طول الوقت عن العادات والتقاليد في الحبشة وعن جو البلاد ومعلومات اخرى عن احوال الاسلام والمسلمين في الحبشة .

وبعد أن تناولنا جميعا طعام الغداء في بيته ، اخذنا بسيارته الخاصة الى بعض نواحي مدينة اديس أبابا وكان المطر ينهمر مدرارا كأفواه القرب ، والشوارع تجري فيها المياه كالجداول الصغيرة ، ولكن بعد ان وقف المطر ذهب اكثر المياه من الشوارع ولم يبق الا في المواضع المنخفضة وعلى افاريز الطرق غير المسفلتة ، وقد ساعد على عدم بقاء الماء هنا كون منطقة اديس أبابا تمثل الهضبة الحبشية التي هي عبارة عن مجموعة من المرتفعات الجبلية تتخللها المنخفضات ومسائل المياه .

شلالات سبت :

ثم ذهبنا بالسيارة الى شلالات سبت وهي مساقط للمياه من جبال غربي اديس أبابا وسط حديقة تابعة لاملاك الامبراطور هيلاسيلاسي ، ولم يكن الطريف هو رؤية الشلالات وحدها ولكن الطرافة الى جانب ذلك في منظر ضواحي اديس أبابا . وقد خرجنا من الجبهة الجنوبية الغربية مع طريق مسفلت قالوا انه يصل الى منطقة (جما) ويمتد مسافة ٣٥ كيلو مترا ، وكانت (الفيلات) الجميلة تتناثر على جانبي الطريق وهي فيلات يسكن اكثرها الديلوماسيون وعلى باب كل فيلا شرطي او اكثر للحراسة ثم خرجنا من المدينة الى ضواحي يحار الطرف في جمالها الطبيعي فالارض كلها خضراء ما عدا مسالك

الاقدام بين الحشائش ، والاشجار الطبيعية والمغروسة
تنتثر في مجموعات تكوّن غابات وان كان معظم تلك
الاشجار من اشجار الاخشاب التي تستعمل للوقود وبناء
المنازل ، وبين فينة واخرى يمر الطريق المسفلت فوق مجرى
للمياه وتسرع مياهه الطينية في الجريان الا ان الذي يكدر
من صفو السير على هذه الطريق وسط تلك الضواحي
البديعة منظر الاهالي وهم يجرون خلف حمرهم
على جوانب الطريق المسفلت الضيق ، والحمار هنا هو
الوسيلة الشعبية الرئيسية لنقل حوائج الفلاحين
وسكان القرى ، وحمرهم صغيرة الحجم غير جيدة النوع
تشبه الحمر الهكزية او الهكزية التي يستعملها الرعاة
من العرب في جنوب العراق ، اما الحمر الحساوية الفاراهة
الموجودة في المملكة فانها لو وجدت هنا لكانت بين تلك
الحمر كالخييل وقد لاحظنا ان اكثرهم يسير خلف
حماره ولا يركبه فسألنا عن ذلك فقالوا انهم يرون من
غير اللائق ركوب الحمار للرجال وانه يشبه عندهم العيب
وانما يستعملونه لحمل الاحمال فقط ، وهذه عادة كانت
مأثورة عن بعض العرب في الجاهلية ولكن الاسلام
يخالفها فقد ركب النبي (صلى الله عليه وسلم) على حمار
واردف معاذ بن جبل خلفه .

وقد مررنا ببعض المنازل على الطريق وكلها عبارة عن
اكواخ مكونة من غرفة او غرفتين ، لا تخلو من تنسيق

ورأينا بعض البيوت وهي تبنى وطريقتهم فيها ان يقيموا
البيت من اعواد متراسة على شكل حظيرة ثم يطلون خارجه
بالطين او بقليل من الاسمنت حسب قدرة صاحبه المالية
ثم يبنى فوقه سطحاً مسنماً من القش .

وقد وجدنا الحديقة المذكورة واسعة ومسورة ،
تركت الاشجار فيها على طبيعتها لترى منظرًا طبيعيًا وفيها
غابة طبيعية جميلة ، وقد تشابكت فيها فروع الاشجار
وغطت أرضها الحشائش وتنتشر فيها أشجار القهوة ، وقد
وجدنا ثمرها أخضر لم ينضج بعد ، وان كان قد استكمل
حجم حبوب القهوة العادية ، وقد أكلنا منه وهو غض لذيذ
الطعم ، لا أثر للمرارة فيه ، وثمر القهوة عبارة عن جرس
يشبه العنبة الصغيرة لولا أنه يضاوي الشكل ، وفي داخل
كل جرس حبتان من الحبوب . وينبت في أغصان الشجرة
بين الأوراق كما ينبت ثمر التوت . وأشجار القهوة التي
رأيناها تشبه أشجار اليوسفي والبرتقال الذي لم يكبر بعد ،
ولا يزيد طولها على قامة الرجل الطويل ، وأوراقها تشبه
أوراق شجر الليمون ، وقد قال لنا السائق الحبشي الذي
يرافقنا : ان معظم الاشجار هنا لا يزيد طولها على هذا
الارتفاع ، ثم عدنا بعد ذلك الى الفندق مع غروب الشمس .

يوم الأحد : ٢٢/٤/١٣٨٤ هـ .

٣٠/٨/١٩٦٤ م .

يوم لا ينسى :

كان الأخ عبد العزيز فتحي ، القائم بأعمال السفارة السعودية في أديس أبابا ، قد وعدنا بأن يحضر الى الفندق في أول الصباح ، على أن نخرج في نزهة خلوية بسيارته ، حيث اليوم يوم العطلة الاسبوعية للسفارات الاجنبية في أديس أبابا ، تمشياً مع عطلة وزارة الخارجية الحبشية فخرجنا في الساعة العاشرة صباحا الى الجهة الجنوبية ، وقد رأينا في هذا الطريق ما رأيناه في الطريق الآخر الذي سلكناه الى غرب أديس أبابا ، وهو طريق مسفلت يسير على جوانبه القرويون راجلين خلف حمرهم ، وهي وسيلتهم الوحيدة ، في وهاد وآكام كلها خضراء سندسية تنتشر فيها الاشجار الكبيرة التي يستغلونها في انتاج الاخشاب ، ونمر بين حين وآخر بقرى تتألف من مجموعة من الاكواخ المصنوعة من الأعواد المطلية بالطين والمسقفة بالقش على شكل مسئم ، وفي بعض الاحيان تتخذ سقفوها بشكل الهرم وتتقدم القرى مما يلي الطريق حوانيت مبنية من القش ايضا لا بد ان يكون من بينها حانة واحدة (بار) أو اكثر حسب كبر القرية وصغرها وتجري تحت الطريق جداول المياه التي تكبر وتصغر واينما قلبت بصرك في اي اتجاه

نظرت فلن يقع الا على مناظر بدیعة خلافة ، ولو تطلبت
ان ترى موضعا خاليا من الحضرة لما استطعت .

الظبي بثمانية ريات :

عندما قطعنا من الطريق ما يقارب اربعين كيلو مترا
رأينا شيخا قرويا يقف بجانب ولده وقد احتضن ولده
ظبيا مقيدا ، وهذه هي طريقتهم في عرض بضائعهم ، ان يقفوا
على جوانب الطريق ويرفعوا ما بأيديهم لكي يراهم ركاب
السيارات الذين يكون معظمهم من الدبلوماسيين ورجال
المال والاعمال الاجانب الذين يخرجون للنزهة والتفريج
في مثل هذا اليوم يوم العطلة الاسبوعية ، فوقفنا السيارة
وسألناه بواسطة السائق الذي هو من اهل البلاد ويعرف
الأمهرية وتبين لنا ان هذا القروي لا يعرف الأمهرية اللغة
الرسمية للحكومة لان حدود اللغة الأمهرية لا تبعد خارج
أديس أبابا الا مسافة لا تصل الى اربعين كيلو مترا في هذه
الجهة من البلاد ، الا في المجالات الرسمية ، فكلمه المترجم
وقال انه طلب عشرة دولارات وقد سمعناه يقول اسر
بالأمهرية أي عشر بالعربية ولكن قلنا له همسة أي خمسة
وقد اشتريناه منه بخمسة دولارات حبشية أي ما يساوي
ثمانية ريات سعودية فأخذنا الظبي وهو مقيد فحملناه في
السيارة وقررنا ان نذبحه ونشويه هناك ، واشترينا كيسا من
الفحم فحملناه معنا واشترينا من قرية اخرى شيئا من الملح

من تاجر يمان كان قد فتح محلا للبقالة في هذه القرية .
ومن الغريب انهم هنا وعلى بعد لا يزيد على خمسين
كيلومترا من العاصمة الحبشية لا يعرفون اللغة الامهرية
لغة الدولة الرسمية وانما يتخاطبون بلغات اخرى حتى لقد
شق على سائقنا وهو حبشي مسلم يعرف الامهرية الى جانب
لغته الوطنية ان يتفاهم معهم بالامهرية .

بلاد الغالا :

وقد توغلنا الآن في منطقة قبائل الغالا ولهم لغة خاصة
لا يعرفون غيرها ، واكثر السكان هنا من المسيحيين ، وهم
اصحاب بادية يعيشون على رعي الانعام التي اكثرها البقر
والغنم ، والقليلون منهم يزرعون زراعة بدائية ، وهم
متأخرون في اساليب معيشتهم حتى يبلغ تأخرهم أكثر من
تأخر اهل البدو لدينا ، وعندما بلغت المسافة حوالي ٧٠
كيلومترا من اديس ابابا ونحن نسير في اراض اخفض من
منطقة اديس ابابا تغيرت المناظر من خضراء كثيفة الخضرة
الى اراض خضراء ولكنها مكسوة بنباتات المراعي التي ترتع
فيها الاغنام والابقار وتنتشر الاشجار التي تشبه الاشجار
الصحراوية الكبيرة في الربيع الندي في بلادنا . ونحن نسير
الآن في طريق يؤدي بنا الى جهة الصومال الفرنسي
(جيبوتي) وقد تفرع منه طريق آخر قالوا انه يؤدي الى
حدود كينية فسلكناه ، وبعد مسيرة ما يقارب المائة كيلومتر

قالوا لنا انه من مسافة قريبة منا تبدأ منطقة بلاد القبائل المعروفة بعروس وتمتد حتى حدود كينية وهي قبائل مسلمة، بخلاف قبائل الغالا التي منها مسيحيون ومسلمون ، ولكن المنطقة التي مررنا بها اغلبها للمسيحيين .

أرض البحيرات والمناظر الساحرة :

وقد مررنا في الطريق باثنتين من البحيرات التي يسبح فيها البط البري ، وتتكاثر على جنباتها الاشجار البرية . وهاتان البحيرتان هما اثنتان من سبع بحيرات موجودة في تلك المنطقة ، وبعد ان سرنا مائة وعشرين كيلومترا رأينا بحيرة اواش ، وهي البحيرة الكبرى التي تتجمع فيها امطار المناطق المجاورة وينبع منها نهر اواش الذي يجري حتى الصومال الفرنسي حيث يصب في البحر .

وعند شعبة من شعاب البحيرة تركنا الطريق المسفلت ، ودخلنا في الاراضي المعشبة ، واتحينا شجرة كبيرة وارفة الظلال ، وهناك نزلنا وذبحنا الظبي وشوينا لحمه فوجدناه لحما طيبا سمينا لذيذا وناهيك بلحم ظبي بري صيد لتوه بوساطة الحباله ، فلا مجال للصيد بالبندقية هنا .

ولا يمكن ان ينسى المرء صورة ذلك الفرع من البحيرة الكبيرة تحف به الاشجار ، وتمتد على شطيه الاعشاب الكثيفة الخضراء ، ومنظر البط البري الذي يبلغ حجم

بعضه حدا لا يمكن ان يصدق به الا من رآه ، حتى لقد
حسبناه غنما اول ما رأيناه ، اما انواع البط الاخرى التي
في حجم الدجاج او حول ذلك فهي اسراب كثيرة في المياه
على بعد يقل كثيرا عن مرمى البندقية العادية ، واما الطيور
البرية الصغيرة التي كنا نخرج لصيدها في بلادنا وتتجهز
لذلك بالسيارات والمعدات فهي بالعشرات ، بل بالمئات خارج
المياه ، وفي كل المنطقة ، وليس ذلك فحسب ، وانما اقبل
الينا بعض الاهالي هنا باكياس مملوءة بالسماك الذي
اصطادوه لتوه من البحيرة ، وعرضوا ان يبيعوا علينا تسع
سمكات كبارا لا يقل وزن الواحدة منها عن نصف الكيلو ،
وقد يبلغ وزن بعضها كيلو غراما واحدا بدولار حبشي ، وقد
احضروا اكياسا من الخيش مليئة بالسماك الطازج الذي لم
يمض على اصطاده اكثر من ساعة واحدة ، وقد وضعوا
الكيس على عصا يحمله شخصان وهذه القيمة التي طلبوها
للسماك تقل اكثر من النصف عن قيمته في اديس ابابا ولكن
انى لاولئك البدو الوصول الى العاصمة وبينهم وبينها اكثر
من مائة وعشرين كيلومترا ولا يملكون أي نوع من انواع
المواصلات عدا الحمر التي يملكها بعضهم وهم بعد لا يجيز
لهم عرفهم ان يركبوها ، والتي لا يمكن ان توصل هذا
السماك الا وقد فسد ، ووسيلتهم المريحة ان يبيعوه للسواح
الذين يحضرون هنا ويأخذونه بأنفسهم .

الماء والخضرة والوجه ...

بحيرة حاملة يسبح في شعابها البط الابيض والاسود على مقربة من الشط حيث يجد ما يأكله من صغار السمك واصول الحشائش كأنه الطباء السارحة في بلادنا الصحراوية الواسعة ، وخضرة لا حدود لها ، واشجار وارفة ، وطيور برية مغردة وغير مغردة ، وهواء عليل ، وشمس كشمس الريح تظل على استحياء من بين قطع من الغمام ثم يغلبها الحياء فتختفي ، ماء وخضرة ووجه ... حضر الينا بعض الرعاة من الاهالي بأشكالهم العجيبة وقد ترك نساؤهم شعورهن (شوشة منفوشة) كما يقال ، يخيل اليك اذا رأيتها من بعد انها قبة غير متساوية الاشكال ، وقد اغرقت الواحدة منهن شعرها بالسمن الطبيعي الذي تقاطر حتى عم جميع ثيابها ووصل الى قدميها ، فاصبحت بمجموعها كأنها سبحت في بحر من السمن ، وقد تحزمت بحزام خفيف ومشت حافية لا يهملها شجر ولا حجر ، وتمر بك الواحدة منهن فتسبقها الى انفك روائح الدهن المختلط بالعرق .

أرأيت اهل البدو في المنتدى (المندى) وقد مضى على آخر عهد لهم بالماء شهر او شهران ؟.. ان منظر ثيابهم اذا تخيلته قد يدنيك من منظر اولئك البدو الافريقيين ايضا . ولكن هؤلاء البدو من الافريقيين قد اعطاهم الله تعالى من الخيرات ما لا يحلم به اهل البدو في بلادنا ، فلا يمكن لاحد منهم ان يضطر الى ترك بلاده بسبب الجذب ، او لعدم المرعى

وإذا كان هذا قد افادهم من الناحية المادية فقد ضرهم من الناحية القومية اذ احتفظت كل قبيلة بلغة خاصة لها او بلهجة بعيدة عن لهجات القبائل الاخرى ، وذلك لعدم الحاجة الى الرحلة والاضطرار الى الاختلاط بالآخرين ، قضينا على ضفاف البحيرة ساعات مضت كأنها دقائق حتى قرب وقت العصر ، وبعد العصر قفلنا راجعين الى اديس ابابا .

جلد الافعى بسبعة ريالات :

وفي الطريق توقفنا في قرية صغيرة ووجدنا رجلا معه جلد افعى طوله ستة اذرع وعرضه يتراوح بين خمسة اصابع واكثر من شبر، وقد اشتريناه منه بعد المماسكة باربعة دولارات حبشية أي سبعة ريالات سعودية ، كما اشترينا دجاجة حبشية مهاجرة تفوق الدجاجة المنزلية بكثير بدولار حبشي واحد وقد اصطادها احد القرويين بشبكته وتساوي الدجاجة البيئية التي في حجمها في بلادنا ثمانية ريالات على الاقل . كما عرض علينا احدهم خشفا صغيرا أي ظبيا رضيعا وطلب دولارين ثمنه له ولكننا رفضنا شراءه لانه يحتاج الى اللبن . وفي الطريق رأينا مع احدهم ارنبا برياً صغيراً اغبر اللون جميل الشكل فطلب منا (٤٥) سنتا أي ما يساوي ريالاً الا ربع الريال السعودي فرفضناه اما البيض فهو هنا يساوي قرشاً سعودياً واحداً لكل بيضة ، وقد سألنا صاحب الخشف من اين احضره ؟ فقال : انه اصطاده من مكان غير بعيد ،

وعلمنا بعد ذلك انه يكفي للمرء ان يخرج خارج اديس ابابا مسافة ثلاثين او اربعين كيلومترا ليجد الصيد من الظباء والارانب وغيرها وفيرا .

الذئب والضباع في ضواحي العاصمة :

وبهذه المناسبة فقد علمنا أن الذئب والضباع وغيرها تذرع شوارع ضواحي العاصمة ليلا ، وحدثني كثير من الناس هنا ان الذئب تتجول في الشوارع وانه لا يستطيع الخروج بعد الساعة الثالثة في اماكن معينة الا في سيارة خوفا من اذى يلحقه منها ، وهي لا تجد من يقتنصها ويريح الناس منها وذلك لقلّة السلاح المرخص به من جهة وعدم الاهتمام بذلك من جهة اخرى ، ولكثرة الغابات المحيطة بالمدينة والتي تختبئ فيها الوحوش . وقد رأيت بنفسى كثرة الصيد وقلّة الصائد حيث كنا وغيرنا ندنو من الطيور المائية والبرية فلا تفزع ولا تنفر .

البحيرة العميقة :

وفي طريق العودة الى اديس أبابا وقبل الوصول اليها بخمسة واربعين كيلومترا ، مررنا ببحيرة تدعى (باشفتو) وهي بحيرة في محل عميق تحيط به الجبال ، مأوها صاف رقراق ويظهر انه لانخفاضها نابع من الارض وليس متجمعا من مياه الامطار التي تجري على السطح ، وقد اقيم على شاطئها

فندق سياحي وهو فرع لفندق اثيوبيا (اثيوبيان هوتل) كما الحق به مقصف مطل على البحيرة . وقد نزلنا بالسيارة الى ضفاف البحيرة ذاتها في طريق ينحدر بنا اليها فألفيناها مكانا بديعا لقضاء اجازة يومية حيث تتدرج الخضرة القائمة من شطآن البحيرة الى سفوح الجبال المحيطة بها الى قمم الجبال نفسها تحف بها من جهتها الشمالية اشجار الغابات الباسقة ويقع بالقرب منها قصر من قصور الامبراطور هيلاسلاسي .

وقد افترشنا الحشائش على ضفاف البحيرة واديننا صلاة العصر على مرأى من السياح وبعض الدبلوماسيين الاجانب الذين كانوا يقضون عطلتهم اليومية (الاحد) هنا ، وكان منظرنا ونحن نصلي متجهين الى البيت الحرام مسترعيا لاتباههم وربما كان يعادل في غرابته بالنسبة لهم منظرهم مع عائلاتهم ونسائهم بالنسبة لنا وقد خلعن ثوب الوقار ولم يبقين على اجسامهن من اللباس الا تحلة القسم .

يوم الاثنين : ٢٣/٤/١٣٨٤ هـ .

٢١/٨/١٩٦٤ م .

في مدينة الفتح الاسلامية :

قصدنا مدرسة تدعى مدرسة الفتح ، وقد دخلناها وتعرفنا على مديرها ، وهي مدرسة اسلامية تقوم على تبرعات

المسلمين ، وقد انشئت في الاصل ليتعلم فيها ابناء الجالية العربية في اديس ابابا ، فألفينا فيها ما يزيد على اربعمائة طالب ما بين صبي وصبية وهم يقرؤون القرآن ويدرسون باللغة العربية ، وقد اعجبتنا تلاوتهم للقرآن في هذا الوسط المسيحي ، وتمنينا لو يأخذ المسلمون بيد هذه المدرسة الاسلامية الهامة . وقد قدمنا بعض التبرعات باسم الجامعة الاسلامية لترميم المدرسة كما خصصنا لها كمية من المصاحف والاجزاء القرآنية الكريمة .

سوق العرب :

ومن هناك وصلنا الى (المركاتور) التي تعني عندهم السوق ولعلها ايطالية لها قرب من كلمة (ماركت) أي السوق بالانكليزية ، وهناك اكثر العرب واغلبهم من اليمانيين والحضارم وقد قيل لنا ان معظم الصفقات التجارية تتم في السوق العربي مع ان منظره ليس مما يوحي بذلك فشوارعه مهملة ، وارصفته قدرة ، والمياه الآسنة قد تجمعت في بعض اركانها ، حتى لا تستطيع ان تمشي الا ومنديلك على انفك .

العرب في اثيوبيا :

وبهذه المناسبة يذكر ان عدد العرب اليمانيين في اديس ابابا وحدها يقدر بسبعة آلاف وعددهم في كل اثيوبيا يقارب سبعين الفا اكثرهم يمايون ، ويليهم الحضارم وكان زمام

التجارة والزراعة في جميع الحبشة بأيدي العرب الا انه أخذ الآن مع الأسف يتحول من ايديهم الى ايدي الاعداء من اليهود الاسرائيليين يأخذونه منهم بتشجيع من الحكومة الحبشية. اما السعوديون فهم قلة في اديس ابابا ذاتها ولكنهم يوجدون في بعض المواضع من اثيوبية كما يوجد بعض المسيحيين المصريين وعدد من السوريين واللبنانيين التجار .

الجامع الأنور :

ولما حان وقت صلاة الظهر دخلنا الجامع الأنور لاداء الصلاة ، وهو اكبر جامع في اديس ابابا العاصمة ، وهو جامع واسع كبير يحيط به وخاصة من جهة الجنوب ساحة واسعة تملأ اركانها الحدائق الغناء المزدانة بأنواع الزهور . اما داخله فهو عادي تتوسطه قبة عالية ، يذكرك منظرها من الخارج بمنظر القبة الخضراء مع المنارة الجنوبية الشرقية في الحرم النبوي الشريف وان كانت اقل منها ارتفاعا ، وقد فرش المسجد بأنواع من الحصر من نبات ينمو عندهم شبيه بالجوت . وقد لفت نظرنا في هذا المسجد اتنا لما اردنا الوضوء ذهب بنا مرافقنا وهو عربي سعودي من غامد يدعى احمد عبد الله الحجازي الى مكان فيه ثمان برك ترتفع مع شاذرواناتها حوالي المتر عن الارض وقد ملأت كلها بالماء يحيط بكل منها مجرى صغير للماء ويتوضأ المصلون هنا بالاغتراف بايديهم من البرك وترك المستعمل من الماء يجري

خارجها مع المجاري الصغيرة المكشوفة علما بأن هذه البرك خاصة بالوضوء فقط ، اما الاستنجاء فله اماكن اخرى . وقد ازدحم المتوضئون على تلك البرك وكان منظرهم في المسجد نفسه اعظم واجل فقد كاد المسجد على سعته يمتلىء بالمصلين . ومن العادات الغريبة لديهم ان يقف المؤذن قبل الاقامة فيدعو رافعا صوته : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه ، ثم يقيم الصلاة . وبعد ان صلى امام الجامع بنا صلاة الظهر ، وفرغ الناس من التسبيح بعد الصلاة قام الامام ووقف على المحراب ، ودعا بالمغفرة والرضوان وأمن المصلون خلفه . ويدعى امام هذا المسجد الحاج عبد الحي وهو من مقاطعة هرر الاسلامية وقد اخبرنا ان هذا المسجد مع اقنيته الواسعة وما حوله يمتلىء بالمصلين يوم الجمعة وان نفقات صيافته وما يحتاج اليه تصرف من الاملاك الموقوفة عليه من قبل اثرياء المسلمين .

يوم الثلاثاء : ٢٤/٤/١٣٨٤ هـ .

١ / ٩ / ١٩٦٤ م .

في السفارة البريطانية :

ذهبنا الى السفارة السعودية في موضوع الحصول على تأشيرات الدخول الى كينية واوغندا وهو الموضوع

الذي كان قد شغلنا وشغل السفارة السعودية في الخرطوم معنا ، وقد اعتذرت السفارة البريطانية في الخرطوم لانها لا تستطيع منح تأشيرة الدخول الى القطرين المذكورين الا بعد ارسال برقية بالاسماء الى ذينك البلدين ، وبعد الموافقة منهما تمنحنا تأشيرة الدخول، وذلك لعدم وجود ممثلات لهما في الخرطوم وقد أرسلت السفارة البريطانية في الخرطوم برقية بذلك ، ولكن الجواب تأخر فسافرنا من الخرطوم ، وقد ذهبنا اليوم الى السفارة البريطانية في اديس ابابا فذكرت لنا ما ذكرته السفارة البريطانية في الخرطوم وقد طلبوا منا قيمة للبرقية مائة ريال وكان سكرتير القنصلية البريطانية رجلا هنديا هندوسي الديانة وكنا نكلمه بالانكليزية ولكن تبين لنا بعد ذلك انه يجيد العربية ، فسألته قبل ان نودعه اين تعلمت العربية ؟ فقال : في جيوتي ثم في اديس ابابا . والحقيقة اننا دهشنا لكوننا لم نكن نركب سيارة اجرة ولم نأت في محل عام الا ونجد من يتكلم شيئا من العربية وعندما نسألهم اين تعلموا العربية يجيبون بعضهم من العرب الكثيرين الموجودين في اديس ابابا وبعضهم يقول : ان ذلك لانه قد عمل في اسمره ، ثم عدنا الى الفندق .

وبعد ان تناولنا طعام الغداء في الفندق حاولنا الخروج ولكن المطر انهمر مدرارا فمنعنا من الخروج ولكننا لم نضع الوقت سدى فقد امضينا ذلك الوقت في الاشتغال بكتابة التقارير والمعلومات التي حصلنا عليها عن احوال المسلمين .

وما زال المطر ينهمر حتى سئنا استمرار نزوله بعد ان كنا نجد المتعة الكاملة في مشاهدته .

يوم الاربعاء : ٢٥/٤/١٣٨٤ هـ

٢ / ٩ / ١٩٦٤ م

ذهبنا في الصباح مع الاستاذ عبد العزيز فتحي الى سفارة جمهورية مالاوي لمقابلة سفيرها وأخذ تأشيرات دخول الى تلك البلاد وقد استقبلنا في مسكنه الملحق بالسفارة ، ووجدنا فيه مدفأة ترتفع منها السنة اللهب المنبعثة من الخشب الجزل فيها لان اليوم في اديس ابابا بارد مع العلم بأنه اليوم الثاني من شهر سبتمبر (ايلول) أي في ايام الحر في الشرق الاوسط ، وكانت غرفة الاستقبال منسقة اجمل تنسيق وتدل على ذوق رفيع ، ويتوسط ارضها فراش من جلود القردة الاستوائية ، البرقاء ، اي التي خالط بياضها سواد ، ثم أمر سكرتير السفارة بمنحنا تأشيرات مجاملة للدخول الى مالاوي غدا .

في طريق امبو :

خرجنا اليوم بعد الظهر الى ضواحي اديس ابابا من الجهة الشمالية الغربية للمدينة ، في طريق يسمى (طريق امبو) وهو طريق مسفلت يتجه الى حدود السودان ، وان كان لا

يصل المسفلت منه الى الحدود . وقد شاهدنا فيه ، ما رأيناه في غيره من ضواحي اديس أبابا من الخضرة الشاملة ، الا ان السهول هنا اقل ، والجبال الخضراء اكثر ارتفاعا والوديان اكثر عمقا، وبعد مسيرة ما يقارب عشرين كيلومترا وصلنا الى بحيرة تسمى بحيرة (قافرسا) وهي التي تمتد اديس أبابا بمياه الشرب حيث تكرر ثم ترسل الى البلد وكان المطر ينهمر انهارا وقد اخذ الضباب والسحاب المنخفض يجلب بعض الجبال والروابي البعيدة بأردية بيضاء اذا رأيتها وهي صاعدة وهابطة خيل اليك انها الاردية تنبسط وتنطوي ، ثم ملأ الضباب الجو حتى اضطرت السيارات الى اضاءة مصابيحها . وفي الطريق يرى المرء كما هي العادة اكواخ المواطنين المبنية من الاعواد المطلية بالطين وقد أكلت المياه طلاءها الطيني فبدت الاعواد كأضلاع رجل اهزله المرض . وبهذه المناسبة يجدر بنا ان نذكر ان معظم مساكن اديس ابابا حتى بيوت الطبقة الغنية مبني باعواد ترص باحكام ثم تطلّى بالطين او الاسمنت ثم تفرش ارضيتها بالخشب بعد رفعها عن الارض قليلا تفاديا للرطوبة ، وذلك كله بسبب كثرة الغابات ووفرة الاخشاب حتى مبنى القنصلية البريطانية في قلب دار السفارة البريطانية كانت تعلوه قبة من الاعواد التي رصت باحكام وعلى نسق جميل ثم طليت من الخارج بطلاء من الاسمنت .

يوم الخميس : ٢٦/٤/١٣٨٤ هـ

٣ / ٩ / ١٩٦٤ م

زارنا اليوم في الفندق الاستاذ عبد الرحمن بن ابراهيم التركي القائم بأعمال السفارة السعودية وكان قد قدم امس من جدة عن طريق الخرطوم وكان يقوم بأعمال السفارة بالنيابة عنه قبل قدومه الاخ الاستاذ عبد العزيز فتحي كما سبق ، وقد شكرنا له زيارته ، ثم انصرف لحضور اجتماع الهيئة الزراعية الاقليمية لافريقية وهو يحضر كمراقب .

في طريق انطوطو :

ذهبنا بعد الغداء في طريق مسفلت يتجه الى الشمال الغربي من اديس أبابا حتى وصلنا بعد مسافة تقارب عشرة كيلو مترات الى مكان يسمى انطوطو وهو اعلى نقطة فيما حول اديس أبابا ، وهناك شربنا الشاي وشاهدنا بالمنظر المكبر اديس أبابا والمنطقة المحيطة بها ، وكان منظرا رائعا لا يمكن أن يمحي من الذاكرة حيث تبدو اديس ابابا غارقة في اشجار الغابات الباسقة وتبدو من خلفها الى جهة الجنوب البحيرات الهادئة الواسعة . اما منظر المكان الذي نحن فيه فهو لا يختلف عن منظر المنطقة بأسرها الا في شدة عمق الوديان التي تجري فيها المياه ولكن لا تستطيع مشاهدتها لأن الاشجار الكثيفة تغطي مجاريها .

الى مدينة دردوا :

ذهبنا الى محطة سكة الحديد في أديس أبابا وهي محطة تابعة لسكة حديد جيبوتي التي تصل بين اديس أبابا في هضبة الحبشة المرتفعة وبين جيبوتي عاصمة الصومال الفرنسي على خليج عدن ، وتديرها شركة فرنسية ، وذلك لكي تقطع تذاكر السفر الى مدينة دردوا حيث قررنا ان نزورها ونزور مدينة هرر والمناطق القريبة منها ، وتبعد مدينة دردوا عن اديس ابابا مسافة (٤٧٠) كيلو مترا ، أي ما يقل قليلا عن بعد مكة المكرمة عن المدينة المنورة ، ولكن الوسيلة الوحيدة المتيسرة للسفر اليها هي القطار الذي يسافر في الساعة الثامنة مساء أي بعد غروب الشمس بساعة ويظل سائرا طول الليل حتى الساعة التاسعة صباحا فكان هذا يفقدنا متعة مشاهدة مناظر الطريق ولكن لا توجد وسيلة غيره عدا (الترينو) التي تسافر نهارا ولكنها لا تسافر الا مرتين في الاسبوع . وقد سافرت امس ولا يمكننا انتظارها ثلاثة ايام اخرى حيث لا يسمح برنامجنا بذلك .

ركبنا القطار في الدرجة الثانية حيث ذكر لنا انها نظيفة وقد وجدناها كذلك ولم يكن عدد الركاب يملا مقاعد العربات فيها وكانت الاجرة (٢١) دولارا حبشيا أي ما يعادل (٣٧) ريالاً سعودياً تقريبا . وقد ودعنا في المحطة عدد من اخواتنا التجار السعوديين الموجودين في أديس أبابا

واغلبهم من مناطق غامد وزهران فجزاهم الله خيرا .

وقد تجمهر عند عربتنا قبل مسير القطار عدد من الاثيوبيين الامهرين الاصليين حيث يبدو ذلك واضحا في افاقة النساء ومناظر الرجال الذين تركوا لهم لحي ليست طويلة مع عارضين خفيفين مما يميز المحافظين من القوم وقد عجبت جدا لأدبهم عند الوداع واللقاء ، حيث لا يعرفون رفع اليد بالتحية او بالوداع او التلويح بالمناديل كما يفعل سائر الناس وانما يتمثل وداعهم بالانحناء السى درجة الركوع حتى النساء المترفات اللاتي ينظرن ان يحييهن الرجال كما يفعل الرجال في الغرب تحني الواحدة منهن للرجل عند اللقاء او الوداع ، بل تركع لوداعه . وفي الوقت الذي كنا نلاحظهم ونلاحظ مراسمهم وعاداتهم في التوديع كانوا يختلسون النظرات الينا ويشير بعضهم الى بعض ان ينظر الينا ونحن الأغرب الوحيدون هنا الذين لم يألفوا ملابسنا العربية الناصعة البياض .

قطعنا الليل كله حتى الصباح في القطار وقد توزعنا الكراسي والأرض فافترشنا فراشا ونمنا اكثر الوقت .

وعندما صحونا قبل طلوع الشمس ، صلينا الفجر ثم اخذت المناظر تبدو لنا الآن من نوافذ القطار الزجاجية ، وهي مناظر لأراض قد جللتها الاعشاب الصحراوية ،

واتشرت فيها الاشجار الشوكية الضخمة ، وقد بقي الآن على وصول القطار الى مدينة دردوا حوالي سبعين كيلو مترا والحقيقة انني حين رأيت تلك الأراضي التي جلتها المراعي عجبت كيف يوجد الفقر وفي امكان الاهالي ان يستغلوا الخيرات الموجودة في ارضهم من المراعي في تربية الانعام المواشي على نطاق اوسع . وكنا بين الفينة والفينة نمر ببعض القرى الصغيرة التي بنيت بيوتها من الطين وسقفت من الزنك بسقف مسنم ، وهي تكون غالبا من غرفة واحدة كما يبدو من مساحتها الصغيرة .

يوم الجمعة : ٢٧/٤/١٣٨٤ هـ .

٤ / ٩ / ١٩٦٤ م .

دردوا :

وصلناها في الساعة التاسعة والنصف ومعنى اسمها بلغة الجالا (ميدان المبارزة) وكانت محطة القطار والمنطقة التي يقضي بك السير فيها الى البلدة هي جميلة حقا ، نظيفة الى حد كبير ، مبانيها من الحجارة او الاسمنت المسلح ، وقد اقلتنا سيارة اجرة من محطة القطار الى فندق كنا قد اخذنا اسمه من اديس أبابا . واجرة السيارة الى الفندق دولار واحد . وكان الفندق نظيفا لولا انه قد الحق به حانة تخدم فيها فتيات حبشيات كسائر الحانات

والمقاصف في الحبشة ، ولكنها منفصلة عن الفندق ، وقد استأجرنا غرفة واسعة بها حوض ماء وخزانة كبيرة وسريران بخمسة دولارات الليلة ، أي ما يساوي ثمانية ريالات ونصف للسريير .

جامع دردوا :

استرخنا قليلا ثم ذهبنا لصلاة الجمعة في جامع (النور) بدردوا ، وكان المسجد غاصا بالمصلين الذين يقدر عددهم بسبعمائة شخص وقد احضر اكثرهم اولاده واطفاله لتعليمهم الذهاب الى المسجد من الصغر واسم امام الجامع عمر احمد سيف وابوه يمانى الاصل ، اما امه فهي من اهل البلاد وهو مولود في دردوا .

جولة في دردوا :

خرجنا بعد العصر في جولة في مدينة دردوا ، وقد وجدنا ان جميع بيوتها مكونة من طابق واحد وهي مبنية بالحجارة او المسلح حتى بيوت الفقراء لا تكاد تجد فيها عشة .

وقد وصلنا الى سوق الفواكه والخضار ، وكان جميع الباعة فيه من النساء وغالبا ما تكون الواحدة منهن نصفا مترهلة ، ولم يكن في هذا السوق أي بائع

من الرجال . وكان من بين المعروضات بعض البسر وهو شيء غريب بل معدوم في أديس أبابا على الرغم من أن الوقت هو وقت نضج الثمر وقد سألنا عن قيمة البسر فقالوا انهم يعدونه عدا ويبيعونه كل خمس منه بساتي واحد نصف قرش سعودي تقريبا .

وكانت معظم الحيوانات صغيرة والسلع المعروضة فيه قليلة . وقد لاحظنا انا هنا موضوع التقاء الانظار حتى لنظن ان جميع من في البلدة يتحدثون عنا في ليلتهم تلك وذلك لان البلدة ليست كبيرة وحضور رجل اجنبي من جنسنا قليل بل هو نادر .

العريية هي السيدة السائدة :

من الغريب الذي دهشنا له ان اللغة العريية في هذه البلدة هي السائدة وهي اللغة الاولى التي يتكلم بها اهلها حتى النساء والاطفال الصغار وهم يتكلمون بها بفصاحة يخيل اليك اذا سمعتها انك في بلد عربي ، واذكر انني قد وقفت على حانوت لبيع المأكولات الشعبية صاحبه امرأة ، وفيه دقيق لم اعرفه ، فسألته عن اسمه ؟ فقالت : هو (باقلاء فلم افهم لأول مرة فقالت : هو فول فعجبت لمعرفتها حتى بمرادفات اللغة) . ولا غرو فهذه المدينة من المدن الاسلامية الخالصة في الحبشة وجزء كبير من اهلها يتكونون من عصر صومال . وبعضهم من الجالا ، وبعضهم

من الجاتو أي الفلاحين وكل له لغة خاصة غير مكتوبة وذلك الى جانب عدد لا بأس به من المهاجرين العرب واغلبهم من اصل يمانى وفيهم بعض الحضرمية . ولذلك فوسيلة التفاهم بينهم هي العربية ، زد على ذلك ان اكثرية اهلها من المسلمين المتسكين بدينهم وحسب الظاهر الذي استقيناه من كثير ممن قابلناهم ان عدد المسلمين فيها ٨٠ ٪ . ولكن المستقبل ليس للعربية اذا لم يحدث ما ليس بالحسبان لأن الحكومة الحبشية قد الفت تعليم اللغة العربية من المدارس الحكومية هنا ، كما حرمت استعمالها حتى في دوائر القضاء الشرعي . ومع ذلك فان الذي يعرف الأمهرية وهي اللغة الرسمية في الحبشة قليل من اهل هذه البلاد .

وقد تجولنا في أنحاء عديدة من البلدة ومنها الأحياء الشعبية فأعجبتنا نظافة المساكن والازقة .

في مقبرة المسلمين :

ويسمونها هنا مجنة ولعلها من الجنة تفاؤلا او لانها تجن الموتى أي تسترهم عن العيون وهي كبيرة وعادتهم أن يدفنوا فيها في قبور عادية ويلحدون الميت لحدا ، وتوجد في المقبرة قبة او قبتان ذكروا أنهما بنيتا على ولي من الاولياء كما يقولون ، وقد سورّت المقبرة من تبرعات المسلمين .

سوق القات :

مررنا بسوق مسقف بسقف من الاسمنت المسلح وجميع المعروض فيه نبات واحد ، فسألنا عنه فقبل لنا انه القات ، وقد رأينا الاهالي هنا حتى بعض النساء يأكلونه بنهم ، وقد رأينا بعد ذلك ان خدم المطاعم يأكلونه وهم يباشرون احضار طلبات الزبائن ، ولذلك فقد زال عجبنا من تخصيص سوق للقات . وكثير ما كنت أرثي لبعض المساكين الذين تبدو عليهم مظاهر البؤس والشقاء وقد افترشوا ارض الشارع ، وأخذوا يمضغون قشور القات وعيدانه الدقيقة ، وهم ينظرون الى المارة ببلاهة . والعجيب ان الذين يأتون هنا من أي مكان يتزودون بالقات من هذه المدينة ، مدينة دردوا ، لأن الذي يباع في هذه المدينة من القات في زعمهم من أحسن أنواعه ، وهم لا يرون به بأسا حتى أننا عندما فرغنا من تناول الطعام في أحد المطاعم العربية بادرنا الخادم بقليل من أعواد القات لنستعملها كخلال ، فرفضنا ذلك بطبيعة الحال . وكان هذا مثار عجب الخادم الذي لم يقتنع بما أخبرناه به من مضار القات .

رأينا قبل المغرب مقهى نظيفا ينبعث منه صوت المذياع بلغة لم نعرفها ولكنها ليست أمهرية ، فسألنا أحد الموجودين عنه ، فقال : انه مقهى صومالي ، فشربنا فيه الشاي وقد أعجبنا بروح الصوماليين الذين فتحوا المذياع على

اذاعة جمهورية الصومال وباللغة الصومالية ، مع العلم أن الصومال الآن في حالة تشبه حالة الحرب مع الحبشة . وقد صلينا المغرب في جامع النور ، وهو أكبر جامع في مدينة دردوا ، كما قدمت ، وقد غص بالمصلين قبل غروب الشمس ، ثم تقدم المؤذن فأذن لصلاة المغرب - ثم لبث مدة ثلاث دقائق - ثم وقف أمام مكبر الصوت الموجود في المسجد وقال بصوت مرتفع : اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحابه أجمعين .. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ... ثم أقام الصلاة . ولما كبر الامام تكبيرة الاحرام كبر الناس من خلفه بصوت مرتفع لم نألفه ، وكذلك رفع الناس أصواتهم بالتأمين رفعا شديدا وبنغمة جماعية واحدة يمدون أصواتهم بالتأمين حتى تتردد أصداؤه فيما حول المسجد ، ويزيد من ذلك أصوات الصيالي من خلف الصفوف . وعندما فرغ الامام من صلاته استمر مستقبلا القبلة ، ولم يلتفت الى المأمومين برهة طويلة ، ثم التفت اليهم وقال بصوت مرتفع : سبحان الله .. فقالوا كلهم بصوت مرتفع أيضا بعده : سبحان الله .. فسكت قليلا يعد التسييح على أنامل أصابعه ، ثم قال بصوت مرتفع أيضا : الحمد لله . فتابعوه بصوت مرتفع أيضا .. ثم سكت كالأول ، ثم قال : الله أكبر . فتابعوه أيضا ، فلما فرغ من عدّ التسييح على أنامله ، قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء

قدير .. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .. ثم أخذ يدعو وهم في كل ذلك يتابعونه بشكل جماعي وبصوت مرتفع وعلى نغمة واحدة ، وقد رفعوا أيديهم بالدعاء . والحقيقة أنني تأثرت في مسجد دردوا وأنا أرى المسلمين وهم لا سلطان لهم ولا حول ولا طول ، وقد غص بهم المسجد وأحضروا معهم أولادهم للصلاة وغشيني من التأثر بجلال العبادة ما لا عهد لي به منذ مدة .

مطعم الطاووس :

سألنا عن أحسن المطاعم الاسلامية هنا ، فدلونا على مطعم يسمى : « مطعم الطاووس » ، لصاحبه علي عبد الله الهاشمي ، وهو عربي يمان ، وكان الحديث يدور فيه كمعظم المتاجر والمحلات الاسلامية في هذه البلاد باللغة العربية كما قدمت . وكان المطعم نظيفا والطعام جيدا ورخيصا ، وقد تكلف عشاء الواحد منا لوجبة مكونة من اللحم والسلطة والخضروات ثم القهوة (٩٥) سنتا ، أي ما يساوي ريالين سعوديين الا ثلث تقريبا .

يوم السبت : ١٣٨٤/٤/٢٨ هـ .

٥ / ٩ / ١٩٦٤ م .

جولة على المدارس الاسلامية :

قصدنا مدرسة مكارم الاخلاق ، وقد دخلناها فألفيناها

مدرسة اسلامية عربية ، جميع الدروس فيها باللغة العربية حتى التاريخ يكتبونه بالعربي فقط ، وهي تضم بنين وبنات ، يبلغ عددهم حوالي المائتين من أبناء المسلمين العرب وغيرهم .

وقد عجبنا حين سألنا عن المدير ، فدلونا عليه فرحب بنا ، وأطلعنا على بعض الفصول ثم قدمنا الى شخص آخر فقال : انه مدير المدرسة . ثم جاء شخص ثالث فقال : انه المدير ، ولما سألناه تفسيراً لذلك ، قال : ان عدد مديري المدرسة ثلاثة ، ونحن الثلاثة قد اجتمعنا وأسسنا هذه المدرسة لكي يجد فيها أطفال المسلمين تعليماً اسلامياً وقصرناه على روضة الاطفال وأربع سنوات ابتدائية يذهب بعدها الطالب فيلتحق بالمدارس الحكومية بعد أن يكون قد تعلم القرآن الكريم واللغة العربية والدروس في مبادئ الدين الاسلامي ، ثم أطلعنا على كراسات بعض الطلبة وأسمعنا تلاوتهم للقرآن الكريم ، فوجدنا مستواهم عالياً جداً بالنسبة الى أعمار الطلبة وامكانيات المدرسة ، وفي هذه المدرسة ، عدا مديريها الثلاثة ، خمسة مدرسين علماً بأن المديرين جميعهم يقومون بتدريس الطلبة ، وليس لهم غرفة للإدارة خاصة، لضيق بناء المدرسة وسوء حالته ، حتى ليخاف أن يسقط على الطلبة . ولكن الامكانيات قليلة وأصحاب المدرسة أو المديرون ، كما يسمونهم ، يتقاضون مكافأة شهرية من الطلبة قدرها دولاران حبشيان عن كل طالب ،

أي ما يعادل ثلاثة ريالات ونصف سعودية . ويعفون
 الفقير والعاجز عن الدفع ، كما ذكروا ، وعندما وصلنا الى
 الفصل النهائي في المدرسة استقبلنا طلابه بنشيد الاستقبال ،
 بلغة عربية فصيحة وبلحن جميل يغبطون عليه
 وقلّ في طلابنا من يحسن القاء باللغة العربية كما
 يحسنونه .

أوليتمونا فضلكم	أهلاً بكم زوارنا
قلدتمونا عطفكم	السعد حلّ بدارنا
بزيارة النبل الكرام	والبشر ملء قلوبنا
ما لاح نجم في ظلام	والله يكلاً جمعكم

وفي الوقت الذي غمرنا السرور لوجود أمثال هذه
 المدرسة الاسلامية التي تدرّس حتى أطفال الروضة باللغة
 العربية التي عرفوها في بيوتهم ، فقد أسفنا لضعف
 امكانيات هذه المدرسة وقلة مواردها . ثم ذهبنا الى مدرسة
 الفلاح الاسلامية ، وقد ألقيناها خاصة بالطلبة بحيث يزيد
 عددهم عن (٣٥٠) ما بين طفل وطفلة ، وكلهم يتعلمون
 القرآن الكريم والدين الاسلامي ، وكل الاطفال يحسنون
 اللغة العربية ويتلقون العلم بها . وقد أمر أحد الاساتذة
 طلبته بتلاوة بعض آيات من الذكر الحكيم ، فتلوا آيات
 من أواخر سورة البقرة تلاوة مجودة متقنة بأصوات مؤثرة
 كنت أغالب الدمع من فرط التأثر بها ، وأنا أستمع الى

تلك الاصوات من ناشئة المسلمين في هذه البلاد . وهذه
المدرسة أيضا تقوم على تبرعات المحسنين ومجهود أولياء
الاطفال المسلمين .

صورة نادرة :

تعشنا اليوم في مطعم الطاووس ، وقد أجفلت عندما
رأيت رجلا يشبه الوحش قد ترك جميع شعر رأسه وشاربه
ولحيته ينمو في كل اتجاه ، وقد اسودت ملابسه وتمزقت
حتى صارت خرقا متناثرة ، وأكبر شيء ظاهر فيه هو عينا
الواسعتان ، فظننت أنه فقير معتوه على شيخوخته فطلبت
من خادم المطعم أن يخبرني بالمبلغ الذي يستهلكه حتى
أدفعه ، وعزمت على أن أطلب له لحما ، لأنه كان يأكل الخبز
بقليل من المرق ، فاجابني الخادم : انه يأكل بدون مقابل
وسألته لماذا ؟ فأجاب : لأنه السيد . انه يعيش في المقابر ولا
سكن له ولا يملك مالا ، وانه يأتي هنا ليأكل الخبز
بالعدس على حساب صاحب المطعم الذي لا يأخذ منه شيئا
احتسابا للأجر ، فعدت مرة ثانية أكرر النظر في هذه الصورة
التي كثيرا ما قرأت رسمها في كتب التراجم والسير عامة ، وفي
كتب تراجم المتصوفة خاصة ، عن الرجال الذين ينقطعون
عن الدنيا ويسكنون المقابر مهملين مظاهرهم ومناظرهم ،
وكنت ظننت أنه لا يمكن لي أن أشاهدها رأي العين .
وعلى ذكر المطعم فقد نسيت أن أدون أن كثيرا من

الفقراء والمتسكعين من شباب وشيوخ وعاجزين وقادرين يقفون عند باب المطعم ثم يغافلون خدمه ويسرعون الى بقايا الموائد التي يتركها أصحابها فيلتهمون التهاما أو ينهبونه ويأكلونه خارج المطعم ، وإذا رأهم صاحبه كان يطردهم حرصا على راحة زبائنه ، ولا أدري ماذا كان يصنع بفتات الموائد ؟ فان خدمه يصيحون بهم ويشتمونهم ويطلبون منهم الابتعاد عن باب المطعم . والغريب أن كثيرا من أولئك البؤساء تراهم قد استندوا الى جدران المنازل في الشوارع هنا كتناقلة السلطان الذين لا ينتقلون من الشمس الى الظل الا بعلقة كما يقول المصريون ، وقد أخذ أولئك البؤساء يقضمون علف القات وهم يحملون في لا شيء !! وكثيرا ما يسيل اللعاب الاخضر من أحدهم على لحيته أو بعض ملابسه عند أكل القات ، فيكون له منظر يدمي القلب ويثير التقزز . فلا حول ولا قوة الا بالله ...

يوم الاحد : ٢٩/٤/١٣٨٤ هـ .

٦ / ٩ / ١٩٦٤ م .

الى مدينة هرد :

حدثونا عن مدينة هرد قبل أن نصلها بأنها كانت عاصمة اسلامية ، وأن جميع أهلها مسلمون وان كانوا يتكلمون الهررية ، ويتكلمون معها عربية ضعيفة ، وان ملوك

هرر كانوا يحكمون معظم الحبشة حتى حدود منطقة أديس أبابا ، فشقنا ذلك ، وحفزنا على العزم على زيارتها ، فذهنا الى محطة الاتوبيس ، وركبنا في مقدمة السيارة التي كانت قد امتلأت قبل وصولنا ، ولكن امرأة كانت راكبة من قبل تنازلت لنا عن كرسيها في السيارة ، وطلبت منا تعويضا عن ذلك، وقد عرفنا بعد ذلك أنها ربما كانت قريبة للسائق وانها كانت تقوم بهذه العملية التي تشبه حجز المقاعد لتكتسب منها ، وقد نقدناها (٢٥) سنتا . وكانت الاجرة للراكب الواحد دولارا أثيوبيا واحدا أي ما يساوي ريالين الاربعة ريال سعودي . وقد سارت بنا السيارة ميممة شطر الجنوب الغربي على طريق ممهد ولكنه غير مسفلت . ومناظر الطريق عبارة عن مراع تجلل أكثر الارض ، وجبال تكسوها الاشجار الصحراوية التي تشبه منطقة جنوب الطائف بعد الامطار الغزيرة ، وكانت السيارة تصعد أرضا جبلية لأن هرر أعلى من دردوا وعلى الرغم من أن المسافة بينهما (٥١) كيلو مترا ، فان سيارتنا كانت تتوقف بين الفينة والاخرى وتمشي رويدا لخلل في محركها مما حمل بعض الركاب على مغادرتها والركوب في بعض السيارات الاخرى التي كانت موجودة في المحطة ، ثم امتلأت بعدنا وسبقتنا . أما نحن فقد حظينا من ذلك بمنظر رائع كنا نفقده لو سارت السيارة بسرعة غير متمهلة لانتا نحب أن نرى كل شيء في الطريق . وقد مررنا بعد أن مضى ما

يقرب من ٣٥ كيلو مترا من الطريق ببجيرتين صغيرتين صافيتين ، وقد رأيت فيهما أسرابا من الطيور المائية من الغرائيق والبط البري والانواع الاخرى . وقد تجمع أكثرها في اسراب تبلغ لا العشرات بل المئات .. ومنها أن سربا متجمعا من البط البري الاسود على شاطئ البحيرة يقدر عدده ب (٥٠٠) قد تجمع في مكان لا يزيد على (٥٠) مترا مربعا بحيث لو أطلق الصياد عليه بندقيته لما وقع رصاصها في فراغ . وكان بعض الاهالي من الرعاة وغيرهم قد أوردوا ماشيتهم الماء وجلسوا حول البحيرة وأخذوا يسبحون في مائها والطيور الثمينة عنهم رمية عصا . ولا شك أنه لو رماها أحد بعضا لاصطاد عددا منها . وقد عرفت بعد ذلك أن الناس هنا لم يتعودوا أكل هذه الطيور ، وبالتالي لا يحاولون صيدها حتى لو وقعت في أيديهم ، فعجبت من ذلك ، وقلت : ماذا لو حضر أحد الصيادين من بلادنا وترك مطلق التنصرف يصيد ما يشاء كما يشاء من هذه الطيور ؟! وبعد مسيرة حوالي سبعة كيلو مترات من آخر البحيرتين من ناحية هرر وصلنا الى قرية صغيرة رأيت أحد الفلاحين وهو يذود طيورا كبيرة لم أتبينها بعد المسافة وأغلب الظن أنها لا تؤكل ، يذودها عن زرعه بحذفها بالحصى لثلاث تآكل منه .. وقد مررنا قبل الوصول الى هرر بمسافة ٧ كيلو مترات بقرية تدعى (هرمايا) وهي تتكون من عدد من البيوت الطينية المسقفة بالزنك ، وبعض العشش

المسقفة بالزنك أيضا ، وقد شاهدنا بعض النسوة من سكانها خارج بيوتهن الصغيرة يغسلن ملابسهن أو يسعين في حوائجهن على قارعة الطريق ، وهي تقع في مكان جميل تظلل الطريق العام فيه أشجار باسقة بعضها من اشجار الكافور السامقة .

مدينة هرر :

دخلنا هرر - ومعناها باللغة الهررية - أرض الخير ، وكان مدخلها جميلا اذ يخترق الطريق فيه بيوت ذوي اليسار وبعض الدوائر الحكومية ، فبدت من خلاله لأول وهلة جميلة اذ أن هذه البنايات الجميلة تقع في أراض خضراء تظللها أشجار عالية . وما أن توقفت بنا السيارة في الميدان الرئيسي في البلدة ، وهو ميدان صغير يقع في الجهة الجنوبية من كنيسة ضخمة محاطة بحديقة ، وكانت تلك الكنيسة قبل ذلك مسجدا من أعظم مساجد المسلمين حولت الى كنيسة كما قيل لنا . وقد ابتدرنا عدد من الحمالين والمتسكعين المتفرغين فأحاطوا بنا احاطة السوار بالمعصم ، وتكلم أحدهم فقال بلغة عربية واضحة : (خلوني احمل متاعكم وأذهب بكم لبيت مقبل محمد) ، وكنا لم نوفق من قبل الى معرفة أي فندق أو مكان نسكن فيه في هرر كما كنا نفعل في المدينة الأخرى ، لذلك فرحنا حينما قال : انه يعرف فندقا للعرب ، فحمل حقائبنا ،

وأوصلنا الى مطعم قدر ترتفع عليه لافتة مكتوب عليها بالعربية بخط رديء على لوح حديدي صدىء (هتيل مقبل محمد) وقد جلس أمام مكتب المدخل شيخ باهت اللون ، قد تغضن وجهه ، وانتفخ ما تحت عينيه ، وبجانبه شخص آخر يبدو شاخص البصر وهما يأكلان القات بنهم فأمر الشيخ الحمال أن يترك الحقيبة وأعطاه خمسة وعشرين سنتيما أي ما يساوي (٨) قروش سعودية لأن الحمل على حسابنا فانحنى الحمال ورفع لنا يده بالتحية شاكرًا لنا ذلك المبلغ الضخم في نظره ثم سألنا صاحب (الهتيل) كما كتب عليه : من أين اتمم ؟ فقلنا : من السعودية . فقال انا عندي الخبر بما يصلح لكم . يا فلان وديهم ، فحمل لنا الحقيبة حامل آخر وتقدمنا الرجل وقال : اتمم تريدون مكانا تستريحون فيه يكون نظيفا ومناسبا لكم ولو كان غاليا .

البيت الذي ولد فيه الامبراطور :

ثم دخل بنا بناء كبيرا قد تهدم جانب منه وقال : هذا البيت هو البيت الذي ولد فيه الامبراطور هيلاسيلاسي ، لأن أباه كان واليا على هرر من قبل الامبراطور منليك في ذلك الوقت . ثم طلب من صاحب الفندق وهو حبشي مسيحي أن ينزلنا منزلا نظيفا ، فتقدمنا هذا الى الطابق العلوي حيث سعدنا سلما خشبيا واقفا افضى بنا الى

غرفتين صغيرتين نظيفتين ، وجميع أرضيهما والشرفة التي حولهما من الخشب ، وقد سألتاه عن الاجرة فقال : دولار ونصف لكل سرير أي ما يساوي ثلاثة ريبالات وربع . فقلنا لا بأس ، ولكن اين الحمام ؟ فقال : انه اسفل وتستطيعون في النهار أن تنزلوا ، اما في الليل فنأتي لكم بقصریات !!.. لم نكن نريد أن نقضي في هرر الا ليلة واحدة ولا نعرف نزلا غير هذا وهو قريب من قلب البلد فلننزل فيه و (ليلة يا مكارى) كما يقول المثل .

نظرنا من الشرفة الخشبية التي تحيط بمنزلنا الى مدينة هرر وما حولها بالمنظار المكبر فوجدناها تقع فيما يشبه الوادي بين جبلين وقد غطت جميع ما حولها الخضرة . وقد رأينا الاشجار الباسقة تكسو الجبال ، ومن طريف ما حدث لنا ونحن نستجلي معالم مدينة هرر وما حولها أن سمعنا احدى نساء الجيران وهي تكيّل لنا الشتائم ظنا منها اننا انما نتطلع لننظر الى النساء ، وقد سررنا ان تلبس المحافظة بالنساء المسلمات الى هذا الحد ، وأسرعنا نعود الى داخل الغرفة . وكان الهواء باردا بحيث اضطررنا أن نغلق النوافذ ونحن في الظهر . فاسترحنا قليلا ، ثم خرجنا نتجول في الجزء القديم من مدينة هرر وهي بكثرة مساجدها ومظاهر اهلها تشعرك انك في بلد اسلامي قديم . ويكفي أن تعرف أن اسماء أبوابها الخمسة الرئيسية هي : باب الفتوح ، باب السلام ، باب الرحمة ، باب الحاكم ، باب

النصر ، وهي تشعر بحالة الجهاد التي كان عليها سلطان
وسكان هرر في السابق .

مناظر مؤلة :

اليوم هو الاحد العطلة الاسبوعية في الحبشة ،
ولذلك فان معظم الحوانيت الكبيرة مغلقة . ومع ذلك فقد
دخلنا اسواق هرر القديمة ، وقد آلمنا جدا كثرة من
شاهدناه من المعتوهين الذين فقدوا قواهم العقلية أو
فقدوا بعضها ، ومن الزمنى والمجدومين الذي اتلف الجذام
جزءا أو اجزاء من ايديهم أو ارجلهم . وقد تبعنا بعضهم ،
واخذ بعضهم عند رؤيتنا يصيح ويهتز ليستجدي القليل
لانه لا يستطيع أن يتبعنا ، وقد افترش معظمهم الارض ،
وبعضهم اخضرت شفثاه من اكل القات ، اما مناظر الفقر
وانحطاط المستوى الصحي وخاصة بين الاطفال فشيء لم
أشاهد مثله في أي مكان في الحبشة أو غيرها . وقد بدت
البلدة القديمة بالمناظر المذكورة ، وبالاهمال الواضح على
كل شيء فيها تذكر المرء بمنظر مدينة مغلوبة في ايام خوال
لم تطرق فيها المدنية الحديثة ابواب الشرق المتخلف في
الشؤون المادية .

وقد مررنا في تجوالنا بالمستشفى الحكومي وعلى بعد
حوالي ١٠ أمتار من بابه كان يجلس ستة من الزمنى
يتوسطهم مجذوم شوّه الجذام يديه ورجليه ، يحيط به

الآخرون الذين يدل مظهرهم على عدم الاتزان العقلي ، ولم نستطع ان نكثر من الصدقة هنا لكثرة الذين يطلبونها والذين كانوا يتابعوننا فلا يتركون لنا حرية التجوال .

في مسجد الخضر :

وقد حان وقت المغرب فدخلنا مسجدا صغيرا سألنا عن اسمه فأجاب شيخ كان قد حضر للصلاة قبل غروب الشمس بأن المسجد يسمى مسجد الخضر لأنه لا يعرف بانيه على وجه التحقيق فظن أن الذي بناه هو الخضر عليه السلام كذا قال . وقد عجبنا حين وجدنا المصاحف وأجزاء القرآن الكريم فيه جميعها مكتوبة بخط اليد جميل ، وكأن هذا المسجد لم يعرف باختراع الطباعة ، اذ لا يوجد فيه مصاحف مطبوعة . وقد سألنا ذلك الرجل عن اسم امام المسجد فقال ان الذي سيصلي بنا الآن هو احد عضوي محكمة الاستئناف الشرعية في اديس أبابا ، وقد حضر الى هرر في اجازة لأنه من أهلها . ولما دخل الشيخ قدّمنا اليه صاحبا فسلمنا عليه ، فمد الينا اطراف يده على حذر وتخوف ، ولم يسألنا عن حالنا ، ولا من أي بلد قدمنا ، ثم صلّى بالناس صلاة خفيفة خالية من الاذكار والادعية الجماعية قبل الصلاة وبعدها التي اعتاد مسلمو الحبشة فعلها في اكثر المساجد .

خرجنا من المسجد وتجولنا في الشارع النظيف

من البلدة ، وفي مخيلتنا صور مفزعة من تلك المناظر التي رأيناها في الجزء القديم من المدينة للزمنى والمجدومين والفقراء المترين ، ولم تستطع حوائت الشارع النظيفة في هذا الجزء من المدينة الذي يسمونه الجزء الافرنجي منها ، لم تستطع أن تمحو تلك الصور ، حتى لقد رأى احد صاحبي " في منامه غولا كما أصاب الآخر كابوس مفزع في تلك الليلة من أثر المناظر السيئة التي رأيناها في تلك البلدة التي كنا نؤمل أن نراها على خير حال ، لانها كانت عاصمة اسلامية في السابق ويقول بعض اهلها : ان هناك سياسة مرسومة لاهمالها واذلالها . ولولا لطف عاملي الفندق ومعاملتها الطيبة لنا لكانت حالتنا النفسية أسوأ. وكنت قد مررت وقت العصر بالمطعم الوحيد النظيف كما يزعمون وهو الذي يملكه الرجل العربي مقبل محمد فرأيت في داخله الطباخين والمناولين بملابسهم القذرة ، وأدواتهم التي علاها الصدأ ، والماء الذي يجلب الى الفندق بالصفحة ويسكب في برميل من الحديد صدى يغمس فيه الخدم والاكلون في المطعم أيديهم الى المرافق ، فتقززت نفسي ، وعزفت عن الطعام ، وعزمت على أن اعيش على البسكويت في هزر ما بقيت فيها . وقد قيل لنا ان هناك مطعما نظيفا للايطاليين ولكنه يشتمل على بار فلم أشأ دخوله لأن المسلمين في الحبشة لا يجيزون عرفا للمسلمين دخول مطاعم المسيحيين . وزادت بي الحالة النفسية سوءاً

عندما طلبت من الخادم أن يشتري شيئاً من البسكويت فأحضر اليّ بسكويتاً ما أن رأيته حتى رأيت مكتوباً عليه عبارة (صنع في إسرائيل) وتلك أول مرة أرى فيها شيئاً من منتجات اليهود . فعافت نفسي حتى ذلك البسكويت .

يوم الاثنين : ١٣٨٤/٥/١ هـ .

١٩٦٤/٩/٧ م .

هل نحن مغامرون حقاً ... ؟

تقع منطقة هرر ضمن منطقة الثورة التي اشعلها اخواننا الصوماليون للتخلص من نير الحكم الحبشي هنا ، تماماً كما تقع مدينة اغردات في ارتيرية ضمن منطقة الثورة التي يقوم بها الارتيريون هناك ، الا أن في هذه المنطقة ، أي منطقة هرر ، يوجد عامل له أهمية عظمى في الموضوع ، وهو كون منطقة هرر تقع على الحدود مع جمهورية الصومال التي تمد الثوار بما يحتاجون اليه من مساعدات ، وذلك لأن منطقة هرر ذاتها تعتبر أراض صومالية لانها يقطنها مسلمون أغلبهم من الجنس الصومالي . وكانت عاصمة سلطنة اسلامية عظيمة كانت على طول القرون تكافح الاحباش وتنتصر عليهم في اكثر المواقع . الا ان النوم الطويل الذي ران على بلاد المسلمين ، والخرافات التي دخلت في دينهم وغزت افكارهم ، قد مهدا لضعفهم وبالتالي لاستيلاء اعدائهم

عليهم ، وعندما أردنا السفر الى هرر سألنا كما هي عادتنا عن الشخصيات الاسلامية التي يمكن أن يركن اليها في المساعدة على التعرف على المدارس والجهات الاسلامية هناك ، فأخذنا بعضها ، ولكننا حذرنا من الاتصال بهم علانية لئلا يفضي ذلك الى ايذائهم من قبل الحكومة الحبشية .

وهكذا أرسلنا زميلنا الشيخ عمر محمد منفردا متنكرا الى حانوت احد المسلمين المذكورين ، وكان قد اخبر بنا قبل قدومنا فأرسل يقول لصاحبنا أنه لا يستطيع التحدث اليه الا بعد المغرب وان مواعده المسجد ثم ذهب وتركه .

وفي وقت صلاة العشاء الليلة البارحة التي التقى به وقال له : انكم حقا مغامرون كيف تأتون الى هرر وأنتم تعرفون أنها منطقة ثورة او قل مسرح حرب ، ولا شك انكم رأيتم التحركات العسكرية وافراد الجنود والسيارات والمصفحات الحبشية ، فقال له زميلنا : لقد رأينا ذلك ولكن الرغبة في الاطلاع على أحوال المسلمين والاتصال بزعمائهم ومساعدة الهيئات الاسلامية هي التي حملتنا على ذلك .

ثم قال له زميلنا : اتنا على استعداد لكي ندفع بعض المساعدات المادية من الجامعة الاسلامية للمدارس الاسلامية هنا في هرر فقال : اتنا لا نستطيع أخذ شيء من ذلك ولن نستطيع ان نجد من يقدر على ذلك مع الحاجة الماسة

اليه ، لأن أية شبهة في مثل هذه الظروف معناها الكارثة على الجميع .

وهكذا لم نستطع بذل أية مساعدة مادية في هرر .

منظر مؤلم :

رأينا اليوم طابورا من الرجال الذين يظهر عليهم علامات البؤس والشقاء ، يصحبهم جنود مدججون بالسلاح ، وهم أي الرجال يرسفون في القيود ، ولما استوضحنا الامر عرفنا ان هؤلاء من السجناء الذين معظمهم من المتهمين بالاشتراك في الثورة ضد الحكومة الحبشية . وذكر لنا انهم يخرجون من السجن في اليوم مرتين صباحا ومساء الى خارج مدينة هرر ليقضوا حاجاتهم ، لأنه لا يوجد في المكان الذي يقيمون فيه دورات مياه أو محلات لقضاء الحاجة . أمر فظيع لم نكن نتصور أنه يوجد في هذا العصر .

العودة الى دردوا :

عدنا بالحافلة « الاوتوبيس » ادراجنا الى مدينة دردوا ونحن في أشد حالات الحزن والأسى لما شاهدناه في مدينة هرر ، ارض الخير ، وعاصمة الامبراطورية الاسلامية السابقة والتي كان يضمها بعض مؤرخي العرب الى بلاد الزيلع التي اخرجت عددا عديدا من علماء المسلمين وفقهائهم .

يوم الثلاثاء : ٢/٥/١٣٨٤ هـ .
٨/٩/١٩٦٤ م .

المساجد في دردوا :

مدينة دردوا تعتبر مدينة اسلامية كما قدمت ، ولذلك فالمساجد فيها كثيرة كثرتها في أي بلد اسلامي في الشرق الاوسط ، واكبر مساجدها جامع انور وامامه عمر احمد ويتسع لحوالي ٤٥٠٠ مصل . ثم مسجد العيد وامامه يسمى الحاج صالح احمد الحراجي يتسع لحوالي الف مصل . وقد ساعدت الحكومة الايطالية على بنائه ابان حكمها للبلاد . وهناك مسجد الاوسط ومسجد الشيخ عيسى ومسجد الشيخ عبد القادر ومسجد الزيلعي ومسجد السرور الخ ... وقد زرنا تلك المساجد وتفقدناها وقدمنا بعض التبرعات بعضها لصرفها على مصالحها .

يوم الاربعاء : ٦ /٥/ ١٣٨٤ هـ .
٩ /٩/ ١٩٦٤ م .

العودة الى اديس ابابا :

رجعنا الى اديس ابابا بطائرة داكوتا تابعة لشركة الخطوط الجوية الاثيوبية ، وقد شعرنا الآن اننا بدأنا

نسترعي انتباه الشرطة الحبشية ، فقد استجبونا شرطي المطار مع اننا كنا قادمين من رحلة داخلية .

وقد عدنا الى سكنى الفندق السابق أي فندق اتيي .

وعندما خرجنا قبل المغرب من الفندق لم نشعر الا بشخص قد اوقفنا في الشارع وبادر بالترحيب بنا كأنه يعرفنا وقال : لا شك انني قد التقيت بكم سابقا ، فقلنا : في أي مكان ؟ قال : لا أدري ، ولكنني متأكد من ملاقاتكم ، ثم أخذ يوجه لنا بطريقة الخبير المدرب اسئلة دقيقة عن هويتنا ، ومجيئنا الى هذه البلاد ومتى نساfer ، ولما لم نجبه على جميع اسئلته عرض علينا ان يضع سيارته تحت تصرفنا ثم تركنا .

وعندما عدنا الى الفندق تدارسنا الامر فاستنتجنا ان المذكور من رجال المباحث وانه لذلك لا يمكن لنا ان نتصل بأحد من زعماء المسلمين الا وخشينا عليه الاذى فيحصل له ضد المقصود من زيارتنا وهو النفع لا الضرر .

يقنحهم الغرفة :

وبعد العشاء وكنا نتحدث في الفندق لم نشعر الا بباب الغرفة قد فتح واذا برجل المباحث الذي كان قد اوقفنا في الشارع يدخل بدون استئذان وهو يتكلم العربية بطلاقة ثم يبدأ تحقيقه معنا بطريقة العارف المتمرس بهذه الامور . ولا ندري كيف عرف اتنا نسكن في هذا الفندق اذا لم يكن من

المباحث ، وبعد حوالي الساعة تركنا ونحن نكاد نتيقن الآن انه مباحثي ، وهكذا عزمنا على سرعة مغادرة الحبشة . وأخذنا اوراقنا التي فيها مذكراتنا وملاحظاتنا الى مكان آخر .

يوم الخميس : ٧ / ٥ / ١٣٨٤ هـ .
١٩٦٤ / ٩ / ١٠ .

حصلنا من السفارة البريطانية في أديس ابابا على تأشيرات دخول الى كينية وتنجانيقة واوغندا حيث وجدنا ان الموافقة من حكومات تلك الدول قد وردت الى السفارة البريطانية وهكذا حلت مشكلة كانت من قبل قائمة، فأزمعنا الاسراع في مغادرة الحبشة. وذهبنا فورا الى شركة الخطوط الجوية الاثيوبية وحجزنا اماكننا للسفر الى نيروبي غدا الجمعة ، ونحن لم نستكمل كل ما نريده في الحبشة ، خاصة وان يوم غد الجمعة هو عيد رأس السنة الحبشية وهي سنة قمرية ، ويقولون ان الاحباش في هذا العيد يكثرون من شرب الخمور الى حد السكر الشديد علنا ، وان اهم ما يتميز به عيدهم الى جانب ذلك ذبح الذبائح ابتداء من عدة بقرات عن الشخص الواحد الى بقرة واحدة فما دون حتى دجاجة واحدة لمن لا يستطيع ذبح اكثر من ذلك . وقد قيل لنا : ان من التقاليد الشائعة عندهم في هذا العيد بالذات

أنهم يأكلون اللحم نيئا أي غير مطبوخ او مشوي .

اللغة الامهرية :

لا يستطيع من يزور الحبشة الا ان يلاحظ الشبه الكثير بينها وبين اللغة العربية لولا ان الاحباش يخرجون الكلمات بطريقة غير واضحة فلا تبدو قرابتها او مماثلتها للغة العربية سافرة للرجل العادي تماما كاللغة التركية التي تزخر بمئات بل آلاف الكلمات العربية . ولكن المستمع العادي لا يتبينها واضحة في كلام الاتراك العاديين بسبب طريقة نطقهم بها خلاف ما عليه النطق بالنسبة للغة الفارسية والأردية او السواحلية حيث تبدو الكلمات العربية او ذات الاصل العربي واضحة للمستمع .

هذا وقد انتهزت فرصة وجودي في الحبشة فسجلت طائفة كبيرة من الكلمات في اللغة الامهرية وهي موجودة في العربية ولكنها ضاعت مني مع الاسف ولم يبق لدي الا مقارنة الاعداد بين العربية والامهرية .

علما بأن اللغة الامهرية وهي اللغة الرسمية في البلاد لا يفهمها فضلا عن أن يتكلم بها الا أقلية من المواطنين وفي مقاطعات محدودة مثل مقاطعة شوع التي تقع ضمنها العاصمة «اديس ابابا» ومقاطعة «ديسي» وفي بعض المقاطعات تكون مجهولة للناس تماما .

ويمكن القول بحق أن عدد الذين يفهمون اللغة العربية فيما يسمى الآن بامبراطورية اثيوبيا أكثر من عدد الذين يفهمون اللغة الامهرية فيها .

وهناك اللغة الامهرية القديمة وهي لغة الكنيسة والطقوس الدينية وهذه اقرب بكثير جدا الى العربية، فمثلا الامبراطور الحالي هيلاسلاسي يسمى بهذا الاسم بعد أن اتصرف في موقعة من المواقع على المسلمين في منطقة هرر ويعني اسمه (القوة الثلاثية) وتحليله : ان كلمة (هيل) معناها قوة : وهي كذلك بالعربية الفصحى . ففيها ذكر علماء اللغة انه يقال (لا حول ولا قوة الا بالله ، ولا حيل ولا قوة الا بالله) سواء في المعنى . حتى في اللغة العامية النجدية لا يعرفون لمعنى قوة شديدة الا كلمة «حيل» . ومنه قولهم : «بالحيل» أي بالقوة الكبيرة . وسلاسي ثلاثين او ثلاثة أخذوا معنى اسمه من دياتهم التي تقول بالتثليث أي الاب والابن وروح القدس وكلمة اديس ابابا معناها الزهرة الجديدة وحديث بمعنى جديد .

ولا غرو فاللغة الامهرية احدى اللغات السامية شقيقات اللغة العربية .

وهذه مقارنة الاعداد بالعربية والامهرية ومنه يظهر القرب الشديد بين اللغتين :

العربية

الامهرية

واحد	اند
اثنين	هولت
ثلاثة	سوست
اربعة	ارات
خمسة	آمست
ستة	سدست
سبعة	سبات
ثمانية	سمنت
تسعة	وطي
عشرة	أسر
ثلاثين	ثلاثة
اربعين	اربا
خمسين	همسا
ستين	سدسا
سبعين	سبا
ثمانين	ثمانيا
تسعين	زاتانا
مائة	سوتو
الف	شي



حَالَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ
بِرِوَايَةِ

وصلنا الى اديس ابابا العاصمة قادمين اليها من اريتريا
ولذلك اعتبرت رحلتنا داخلية فلم تعرف هويتها ، ولم
يلاحظ غرضها عند قدومنا فيما يبدو ، وتمكنا بذلك من ان
تتصل ببعض كبار المسلمين في العاصمة وكانوا يقابلوننا
بحذر شديد وعلى وجل عظيم وقد تم لقاءنا ببعضهم بوساطة
الاستاذ عبد العزيز فتحني اما بعضهم فبعد ان وعدوا
بالاجتماع بنا في مكان ما عادوا فعدلوا عن وعدهم واعتذروا
بعدم تمكنهم من ذلك .

كما قمنا بالاتصال ببعض المسلمين والمؤسسات
الاسلامية وبخاصة العلماء في منطقتي (دردوا) و(هرر) وكان
اللقاء يتم خلسة ايضا وفي محل يظهر المقابلة كأنها عادية
وبمحض الصدفة ولم يجرؤ أحد منهم على ان يزورنا في
الفندق ، وفي (هرر) خاصة حيث الثورة تعم الحدود الصومالية
القريبة من تلك المنطقة كان الارهاب على المسلمين شديدا ،
وكان محذر على المسلمين الاتصال بأي شخص اجنبي . وقد
زارت البعثة الى جانب منطقة العاصمة ومنطقتي (دردوا) و(هرر)
الاجزاء القريبة من منطقة (عروس) الاسلامية وكانت تنوي
زيارة باقي المناطق ، الا انها شعرت ان المخابرات الاثيوبية
قد فطنت لها فخشيت ان ينكشف امرها فيلحق الضرر بمن
تتصل بهم من الشخصيات الاسلامية فاكتفت بما رأتها معتقدة
انها استطاعت الحصول على صورة لا بأس بها عن حالة
المسلمين هناك .

ولم تقم البعثة بالقاء اية محاضرات او خطب للسبب السابق .

عدد المسلمين في الحبشة :

ليس هناك احصاء رسمي موثوق به يوضح عدد المسلمين في الحبشة لان من دأب الحكومة الحبشية التقليل من عدد المسلمين والمعتقد ان نسبة المسلمين في جميع الحبشة تتراوح بين ٦٠ و ٦٥٪ علما بأن العدد التقريبي لسكان الحبشة يبلغ اربعة عشر مليوناً ويكثر المسلمون في مناطق هرر ودردوا وجما وعروس ودسي ودوى .

الاقتراحات :

تقترح البعثة بالنسبة الى الحبشة مثل ما سبق اقتراحه بالنسبة الى اريتريا وتزيد على ذلك اقتراحها بأن يعين ملحق في السفارات الاسلامية بأديس ابابا يوكل اليه كل ما يتعلق بالشؤون الاسلامية ومساعدة المسلمين ثقافيا واجتماعيا ومن الضروري ان يكون متصفا باللباقة والحصافة وحسن التقدير للامور وذلك حتى يمكنه ان يقدم المساعدة الفعالة المستمرة بدون ان ينعكس في الشؤون السياسية .

هذا ولم تقم البعثة بالاتصال بأية جمعية او هيئة اسلامية حين ذكر لها انه لا توجد جمعية او هيئة اسلامية علينية في الحبشة الا من كان ذا علاقة بالحكومة الحبشية

وتخشى البعثة من التحدث معه والاتصال به ، كما انها لم تجد شخصيات اسلامية بارزة تقوم بالدعوة الى الله علنا ويمكن مساعدتها في الاماكن التي زارتها ولا توجد الا في القرى والارياف المنعزلة التي لم تستطع البعثة زيارتها ولذلك فقد قصرت مساعدتها على بعض المدارس والكتاتيب الاسلامية القليلة التي زارتها واطلعت على نشاطها وتقترح مواصلة تقديم المساعدة في المستقبل لها ومنها :

مدرسة الفتح الاسلامية في العاصمة اديس ابابا ويديرها الشيخ احمد حامد عون وهو يمانى الجنسية وتضم (٣٧٠) طالبا وطالبة كان معظمهم من ابناء العرب المقيمين في اديس ابابا حيث كانت الجالية العربية هي التي تقوم على المدرسة المذكورة ، اما الآن فان نصف طلبتها من العرب المقيمين في اديس ابابا والنصف الآخر من مسلمي البلاد ويتولى التدريس فيها أربعة مدرسين فقط . وقد قدمت لها البعثة مساعدة مالية رمزية باسم الجامعة الاسلامية وقدرها مائة جنيه استرليني اودعتها احد الشخصيات الاسلامية الموثوق بها لتدفعها للمدرسة على شكل اقساط شهرية تساعد على دفع رواتب المدرسين ، كما قامت البعثة بالتبرع لتبييض بناء المدرسة حيث انه يحتاج الى تبييض ووكلت الى السفارة الاشراف على ذلك . كما خصصت لها عددا من المصاحف والاجزاء القرآنية الكريمة واتفقت مع مديرها الذي هو في الوقت نفسه امام جامع النور الذي كان يسمى جامع (صفر

بنين) سابقا على انشاء مكتبة اسلامية في الجامع يكون نواتها ما تخصصه البعثة من الكتب الدينية التي وصلت الى المسجد فيما بعد .

المساجد في الحبشة :

تنتشر الجوامع والمساجد في الحبشة وخاصة في المناطق الاسلامية بشكل واسع ويؤدي المسلمون العبادة فيها بحرية كما يمكن للخطيب ان يخطب يوم الجمعة خطبا دينية محضة لا تتصل بالسياسة الا في القرى والارياف حيث يمكن لامام المسجد ان يعظ ويرشد بحرية اكثر كما يوجد بعض المدرسين في المساجد والكتاتيب لتعليم القرآن للصبيان في المناطق البعيدة ، ويتحاشى الجميع ان يتلفظوا بشيء قد يثير في نفوس المسلمين الحماس لدينهم او ينبههم على ما ينبغي ان يفعلوه لرفع مستواهم وذلك لثلايساء تفسيره من قبل الحكومة الحبشية^(١) . وفي المناطق غير الاسلامية مثل منطقة اديس ابابا العاصمة التي تعتبر داخله ضمن منطقة شوع التي هي منطقة مسيحية فان المساجد قليلة لا تفي بحاجة

١ - كما حدث لاحد مشائخ المسلمين الذي كان يفسر القرآن في درسه فلما وصل الى قوله تعالى : ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ، الآية . وفسرها المسؤولون في الحبشة ان عمله هذا من باب سب الاديان واثارة النعرات الدينية فاستجوب وحبس ثم نفي عن تلك المقاطعة .

المسلمين الاثيوبيين الذين قدموا من المناطق الاسلامية واقاموا في العاصمة ، والمسلمين من الجالية العربية وغيرها حيث لا يوجد في العاصمة اكثر من مسجدين كبيرين هما الجامع الانور وجامع النور والاول مسجد كبير فخم ولكنه يحتاج الى فراش ، اما الثاني فهو متوسط السعة ويحتاج ايضا الى فرش واثاث علما بأن لمظهر المسجد اهمية في هذا الوسط الذي قد يغتر بعض الناس فيه بالمظاهر، وقد سر البعثة ان علمت ان الرابطة الاسلامية في مكة المكرمة قد رصدت مبلغا لفرش المسجدين الا ان المبلغ المذكور لم يستلم حتى الآن بسبب خشية امامي المسجدين من ظهورهما بمظهر الذي يأخذ الاعانات من دولة اسلامية اجنبية فيجر عليهما ضررا لا يستطيعان تحمله ، وحبذا لو بني في العاصمة اديس ابابا مسجد كبير على طراز حديث وذو مظهر جميل والمعتقد ان الحكومة الحبشية لا تمنع في ذلك لانه يظهرها بمظهر الحكومة التي تحترم اديان الآخرين وليس لبناء المسجد مفعول من الناحية السياسية وقد قدمت بعثتنا مبلغا من المال لغرض شراء فراش لبعض المساجد ، كما اعدت قائمة بمجموعة من الكتب الدينية واتفقت مع بعض أئمة المساجد على ان تكون نواة لمكتبة اسلامية عربية فيها .

النشاط المعادي للاسلام :

الى جانب ركود النشاط الاسلامي في الحبشة كما

سبق فانه يوجد نشاط عظيم للتبشير المسيحي ، ولا غرو فان الحبشة تعتبر كما يقول الامبراطور هيلاسيلاسي (جزيرة مسيحية في محيط اسلامي) ويوجه هذا النشاط المسيحي الهائل الى داخل الحبشة والى المناطق الافريقية الاخرى القريبة منها وخاصة لتنصير الوثنيين من الافريقيين . اما بالنسبة للمسلمين فلم يحرز النشاط التبشيري في ردهم عن دينهم الا نجاحا جزئيا حيث استطاع تغيير دين بعض اطفال المسلمين الذين رباهم في ملاجئه حتى اصبح يوجد مع الاسف بعض العائلات التي بعض افرادها مسلمون وبعضهم مسيحيون .

ونظرة سريعة الى الارقام التالية تبين حجم هذا النشاط المسيحي وامكانياته العظيمة .

يبلغ عدد المدارس التبشيرية اكثر من مائة مدرسة تابعة لكل من الولايات المتحدة وايطالية واسبانية والبرتغال والسويد والنرويج وفرنسة وبريطانية والمانية . ويبلغ عدد مدارس الكنيسة الحبشية (٩٦) مدرسة كما يزيد عدد المدرسين في المدارس المسيحية كلها في الحبشة على ثلاثة آلاف مدرس معظمهم من القساوسة والرهبان . وتتدفق المساعدات المالية على المدارس المسيحية من خارج الحبشة كما تملك الكنيسة الحبشية اقطاعات كبيرة واملاكا واسعة في داخل الحبشة . هذا الى ان المدارس الحكومية تعتبر في

واقعه مدارس تبشيرية اذ تدرس الديانة المسيحية فيها بشكل واسع .

والى جانب النشاط التبشيري المذكور يوجد نشاط صهيوني معاد للاسلام بطبيعته وخاصة في الميدان الثقافي والاقتصادي حيث يوجد عدد كبير من الطلبة الاحباش يتلقون علومهم في فلسطين المحتلة التي تخصص لهم المنح الدراسية المتزايدة كما تستقبل كثيرا من الاحباش الذين يكملون تدريبهم هناك من الموظفين والعمال والعسكريين .

حالة المسلمين المادية :

يشتغل معظم المسلمين في الحبشة بالتجارة والزراعة واذا قورنت حالتهم بحالة العامة من المسيحيين الاحباش الذين لا صلة لهم بالوظائف الحكومية او العائلات الكبيرة أو السلك العسكري فانها تبدو عادية ، الا ان الوظائف العسكرية ومناصب الوزارة والمناصب الكبرى والاقطاعات الواسعة من نصيب الاحباش كما ان نسبة المتعلمين تعليما عاليا من ابناء المسلمين قليلة جدا بالمقارنة بالمسيحيين وذلك لان بعض المسلمين يفضلون الجهل لابنائهم على الالتحاق بالمدارس غير الاسلامية لما يعرفونه من التبشير الواسع في تلك البلاد . ولكن يوجد عنصر مسلم كانت له اليد الطولى في التجارة والزراعة الا وهو العنصر العربي الذي يتمثل في العرب المهاجرين الى الحبشة من اليمن وحضرموت ، الا ان

نفوذه آخذ في الانحسار مع الاسف بسبب تعقيد التجارة
الحديثة التي لم يكن العرب يعرفون منها شيئاً وبسبب
زيادة الوعي القومي الاثيوبي مع زيادة التعليم هناك .

* * *

دے کینے
برقعات

يوم الجمعة: ٥ / ٥ / ١٣٨٤ هـ

١٩٦٤/٩/١١ م

السفر الى نيروبي :

الساعة الآن السابعة صباحا ونحن نهيبء امتعتنا للتوجه الى مطار أديس ابابا والسفر اليوم الى نيروبي عاصمة كينية ونحن نسمع اصوات المدافع تطلق في أديس ابابا ابتهاجا برأس السنة القمرية الحبشية . وقد زارنا في الصباح الباكر الاستاذ عبد الرحمن ابراهيم التركي السفير السعودي في أديس ابابا في فندق (أتبي) الذي كنا نزل فيه في أديس ابابا. وقد رافقنا مشكورا الى المطار حيث خرجنا في الساعة الثامنة صباحا. وكان المطار غاصا بالمسافرين فقد انفض امس مؤتمر وزراء الخارجية الافريقيين وهو المؤتمر الذي حضره كثير من السياسيين والصحفيين الافريقيين وغيرهم .

وقد كانت الاجراءات في المطار غاية في اليسر والسهولة، وحسن المعاملة، فقد سألونا عن امتعتنا فأخبرناهم فاكنتى الموظف المسئول بأن طلب فتح احدى حقائبنا واطلع على ما فيها ، ثم تركها وانصرف . اما المطار فيعتبر متوسطا في جماله وضخامته كما قدمت .

ثم جلسنا بقاعة المطار ، التي يجلس فيها المسافرون فقط ولا يسمح لغيرهم الا للدبلوماسيين وذوي الاقدار . وكانت القاعة غاصة بمختلف الاجناس البشرية ، ففيها

الاوربيون الذين قدموا الى المؤتمر المذكور بصفتهم مراقبين او صحفيين ، الى جانب الشخصيات السياسية الافريقية الكبيرة ، الى جانب الركاب الاوربيين العابرين الذين قدموا لتوهم من أوربة أو من شمال القارة الافريقية ، وينتظرون معنا السفر الى نيروبي ، او غيرها من العواصم الافريقية جنوبا ، وقد شاهدنا من بينهم وزير خارجية اثيوبيا الذي خرج لوداع وزيرى خارجية الصومال وتنجنيكا ، وكان الوزير الأثيوبي يرتدي الملابس الحبشية الرسمية لان اليوم هو أول ايام عيد رأس السنة الحبشية . أي يوم العيد عندهم ، وتتكون تلك الملابس من سروال ضيق الرجلين يشبه السروال الذي تلبسه عجائز الهند، وفوقه قميص ضيق ايضا، وكلاهما من قماش ابيض ناصع البياض ، وفوقهما ما يشبه الرداء من القماش الابيض ايضا ويذكرون ان ابرز ما يفعلونه في عيدهم الوطني هذا ان ينحروا الذبائح ويتناولوا اللحوم بكثرة وقد زادت اسعار اللحوم والذبائح في هذه المناسبة كما يتميز هذا العيد عندهم بكثرة شرب الخمر الى حد انك تشاهد السكرارى في الميادين كما قيل لنا . ولولا ان برنامج رحلتنا لا يحتمل التأخير لكنا انتظرنا اليوم لنشاهد عيد الاحباش .

المنظر الآن في المطار عجيب وغريب :

عصبة من الامم مختلفة الاجناس اجتمعت في هذا المطار ، والعجيب انك لا تكاد تشاهد الاوربيين يضحكون

او يمزحون مع الافريقيين ، بل ان هؤلاء يتحدثون فيما بينهم وأولئك يتحدثون فيما بينهم ايضا، وربما كان السبب هو عدم التعارف السابق بين الجميع ،وقد اختلط منظر النساء والاطفال القادمين من اوربا والنساء والاطفال الافريقيين فكان المنظر غير منسجم اذ ان الافريقيات يحاولون تقليد الافرنجيات فيبدو التقليد غير متقن وغير قريب من الحقيقة ، وقد دخل في حلبة المنافسة منظر النساء الهنديات وهن في المطار وقد احتفظن بزيهن الخاص الذي يتميز بالحشمة وبالطابع الشرقي المستقل فيكون بذلك مع اللون الأسمر حاجزا للنظر بين النساء البيضاوات والسوداوات .

وبينما كان هذا الجمع الحاشد ينتظر الاعلان عن قرب قيام الطائرة اذا بالمذيع يعلن ان موعد قيام الطائرة قد تأخر لمدة نصف ساعة ، وأن المطار مستعد لتقديم القهوة والشاي والمرطبات للركاب بالمجان خلال تلك الفترة ، وقد انقضت الفترة بسرعة نظرا لتنوع المناظر وغرائب المشاهدات هنا . وكانت اللغة الانكليزية السائدة هنا وهي التي يشترك في معرفتها والتفاهم بها البيض والسمر والسود. وقد تناوب الجلوس على نفس المائدة التي نجلس عليها رجل اعمال انكليزي قال لنا انه سبق ان زار المملكة وشاب هندي الاصل يعيش في كينية وقد قدم الينا زوجته وقال ان اسمها فريدة ، وانها تشتغل مدرسة للفيزياء في مدرسة ثانوية حكومية في نيروبي وهو قادم معها من القاهرة حيث قاما

بزيارة سياحية للبلدان العربية زارا فيها مصر
والسودان ، وسورية ولبنان والاردن والعراق وذكر انه
اعجب بتقدم البلاد العربية التي زارها الا أن حر العراق
الشديد ازعجهما . وقد استفدنا من حديثنا مع الزوجين
المذكورين في اخذ عناوين بعض الفنادق في نيروبي وكان
الحديث معهما بالانكليزية ، ولم يظهر انهما استفادا
من رحلتهم شيئا من العربية .

وقبيل انقضاء الأجل الذي ضربوه لسفر الطائرة خرج
الركاب الى الطائرة وهم جماعة كثيرة اولهم عند سلم
الطائرة وآخرهم عند باب الخروج من المطار ، وهي طائرة
من طراز (بوينغ النفاثة الضخمة) ومع ذلك فقد
امتلات جميع مقاعدها بالركاب حتى لم يبق فيها مقعد
خال ، ولكن مع هذا الامتلاء انتظرنا قرابة نصف ساعة
اخرى في الطائرة قبل اقلاعها وجاء بعد ذلك رجل افريقي
على سيارة وقفت به عند سلم الطائرة ، ومن ثم تحركت
الطائرة بحملها الضخم ، ولم تكد تستوي في الجو حتى
وزعوا علينا استمارات الركاب الصادرة من حكومة كينية
للملئها وكان اهم ما يميزها ان فيها حقلا يطلب فيه من
الراكب ان يبين عنصره فيذكر ما اذا كان أصله اوريا
ايض ، او افريقيا ، او هنديا اسويوا ، وقد كتبنا فيه اثنا
من العنصر العربي .

ثم اخذوا في توزيع طعام الافطار وكانت الخدمة

كالعادة ممتازة غير ان كثرة الركاب جعلها اقل من العادة .
وقد اعلنت المضيئة بالامهرية ثم الانكليزية ان المسافة
ستكون سبعا وتسعين دقيقة الى نيروبي ثم تكلمت بالفرنسية
فالإيطالية ونحن لم نفهم بالطبع الا كلامها بالانكليزية .
وقد حاولت وأنا بجانب نافذة الطائرة ان اتبين شيئا من معالم
هذه الارض الافريقية فلم استطع لأن الطائرة كانت على
ارتفاع شاهق ، وقد حال سحب كان كثيفا حينا وكان خفيفا
حينا آخر بيننا وبين ان نرى الأرض .

وهكذا سرنا معظم الوقت ونحن بين السماء
والسحاب لا نرى غيرهما او كما يقول العامة (سما وما) .

مطار نيروبي :

وكان منظر المطار وما حوله منظر الارض الجافة لأن
موسم الأمطار هنا لم يحل بعد ، وكان المطار يبدو متوسط
الفخامة الا أنه اكبر وأفخم من مطار اديس أبابا بكثير .
وقد حضر الى سلم الطائرة وفد رسمي حكومي ليكون في
استقبال وزيري خارجية الصومال وتانجنيقة وغيرهما من
الرسميين الذين جاؤوا معنا في الطائرة ، كما حضر بعض
المصورين والصحفيين .

وقد اوقفوا جميع الركاب في ردهة المطار . ثم جاءت
مضيئة ارضية وهي فتاة اوروية - وأخذت تتلو اسماء

الركاب من الأوراق التي كنا قد ملأناها في الطائرة ومن نودي عليه أخذ ورقته وسمح له بالدخول الى بهو المطار الرئيسي حيث تنهى الاجراءات الرسمية على جواز سفره . وقد لاحظت انه لم يكن بين الركاب من يحملون اسماء اسلامية سوانا وبعض الصوماليين . ثم دخلنا بعد ذلك الى مكتب المطار فأنجزنا جوازاتنا ثم ذهبنا الى مفتش الجمرك حيث كانت حقائبنا في انتظارنا . وكان المفتش هنديا من طائفة الشيخ قد ترك له لحية طويلة شاملة لوجهه ومتصلة من شاربه الى عارضيه ثم رأسه ، ولما رأنا قال وكأنما ارهقه كثرة العمل :

(رخصة موجود شيخ) وهي كلمات عربية مستعملة في الاردية ، وربما قد ظن أننا نعرف اللغة الأردنية . ثم رسم علامة التفتيش على حقائبنا من قلم الطباشير الذي يحمله ولم يفتشها . ثم انتقلنا الى سيارة شركة الخطوط الجوية الاثيوبية التي جئنا معها من اديس أبابا ، وقد انتظرنا طويلا في السيارة لأن بقية الركاب لم ينتهوا من الجمارك بسرعة . ثم سرنا من المطار الى نيروبي .

نيروبي :

ومعناها بلغة الماساي المورد العذب أو الماء العذب البارد المناسب لشرب الماشية كما ترجمها بعض العرب لنا . وكان الطريق بينهما مكسوا بالحشائش الصفراء الذابلة

والتي احرق بعضها تمهيدا لاعادة زرع الارض قبل موسم نزول الامطار . وكان الجو دافئا بالنسبة الى جو أديس ابابا البارد ، وقد ذهبت بنا السيارة رأسا الى الحي الأوروبي حيث توجد فيها الفنادق الفاخرة التي نزل فيها بعض ركاب سيارتنا من الاميركيين والافرنسيين وغيرهم ، وقد هالنا ان نرى ذلك الحي من نيروبي في غاية من النظافة والفخامة والروعة حتى ليتخيل المرء أنه في اوربا لا في قلب افريقية تحت خط الاستواء . أرأيت احسن الاحياء في دمشق والقاهرة وبيروت ..؟ انها تشبه هذا الحي الاوربي من نيروبي . كما هالنا ما رأينا من كثرة السيارات الفاخرة التي لم نكن نرى امثالها بعد خروجنا من بلادنا ، هذا الى جانب كثرة السيارات الصغيرة والشعبية ايضا . اما سيارات الاجرة فكانت قليلة العدد نسبيا مما يوحي بأن اكثر القادرين من سكان نيروبي يملكون سيارات خاصة وبالتالي فان الحاجة الى سيارات الاجرة تقل على خلاف ما عليه الحال في الحبشة مثلا التي توجد فيها سيارات الاجرة بل عربات ودراجات الاجرة بكثرة .

وقد نزلنا في (فندق كاردن) في الحي الاوربي المذكور ويملكه رجل اسماعيلي كان قد ذكر لنا من قبل انه مسلم هندي واجرة السرير الواحد فيه لليلة الواحدة ١٥ شلنا أي ما يساوي ٩ ريالات سعودية تقريبا .

جولة في الحي الاوربي :

استرحنا قليلا وادينا الصلاة ، ثم تغدينا في الفندق وكان طعامه هنديا لم نكد نستسيغ شيئا منه لولا شدة الحاجة بنا اليه ، فكان كثير الفلفل والافاويه ، مصبوغا بالكرم الأصفر ، دسما الى حد الافراط ويحوي فيما يحوى اللحم الضأن والخبز الهندي الرقيق الذي يسمونه « روتمي » الى جانب الخبز الافرنجي والسلطة وقد طلب من كل واحد منا ٧ شلنات أي أربعة ريالات سعودية تقريبا .

ثم ذهبنا نتجول في الحي الاوربي متمشين ، وقد راغنا مغالاة القوم في عرض السلع الكمالية المتنوعة مما جعلنا نجزم بان هذه البلاد بلاد خصب ورخاء بالنسبة الى القطرين اللذين زرناهما من قبل في افريقية وهما السودان والحشة . ولكننا عجبنا من أن معظم المارة في هذا الحي ومعظم اصحاب الحوانيت فيه هم من الاوريين ، أو من اغنياء الهنود ، اما المواطنون الافريقيون فلم نر منهم هنا الا قلة لا تكاد تذكر كانت تمشي على الارصفة وتمر بسرعة لا يكلف الواحد منهم نفسه حتى النظر الى واجهات المحلات التجارية - ولعل السبب في ذلك انهم ليس لديهم امكان الشراء من تلك المحلات الاوروية .

وقد استرعى انتباهنا هنا منظر طائفة السيخ من

الهنود ، وقد تركوا لهم لحي تغطي معظم وجوههم ويجعل الواحد منهم لحيته ضفيريّتين صغيرتين يقرنهما بشعر رأسه مارا بهما على عارضيه كما ان لهم طريقة خاصة في لف عمائمهم لا يشاركون فيها احد ، ومن الشعر الكثيف المعفى من رقابهم تحت عمائمهم كأنه لحي اخرى لهم لأن تعاليم دينهم لا تجيز لهم ان يمس الرجل شيئاً من شعر بدنه . وفيما عدا هاتين العلامتين الفارقتين لهم تجد ملابسهم من احدث الملابس الاوربية حتى لا تكاد تجد من يترك منهم رباط العنق امعانا في التألق ، وهم فيما يظهر صحيحو الاجسام سريعو الحركة وذلك بسبب مناخ بلادهم المعتدل الذي أتوا منه في الأصل وهو البنجاب في الشمال الغربي من القارة الهندية .

في المسجد الجامع :

وقد وصلنا عفوا الى مسجد ضخّم البناء غاية في الجمال والذوق الرفيع قبابه مبنية على الطراز المغولي الجميل يحيط به أفنية واسعة نظيفة لا تكاد تجد فيها قذاة من قذى العين لو بحثت عنها ، وفيه اماكن للوضوء غاية في النظافة كما أن فيه قسما للنساء منفصلا هو عبارة عن شرفة فوق القسم الخلفي من المسقوف من المسجد ، وقد كتب على مدخل فناء المسجد باللغة الانكليزية « الدخول بالاحذية غير مسموح به في أفنية المسجد »

وللاخذية مكان خاص عند مدخل المسجد وقد كتب على
بوابته بخط جميل: «ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا»
كما الحق بالمسجد مكان للمسافرين من فقراء المسلمين
يقيمون فيه فترة من الوقت حتى يجدوا مكانا غيره وفوقه
مكتبة عامة فيها كتب قليلة باللغة العربية وأكثر منها باللغة
الاردية . وقد صلينا فيه صلاة المغرب وتعرفنا على امامه
وهو باكستاني الأصل ، ولا يجيد العربية وان كان
يعرف طرفا قصيرا منها ، وقد تولى الترجمة بيننا وبينه مؤذن
المسجد وهو افريقي يعرف العربية وقد ذكر أنه تعلمها في
زنبار ويلبس ملابس السواحليين . وكان المصلون لا
يزيدون في تقديري على ثلاثين شخصا وهم خليط من الهنود
والافريقيين ، وقد سألتنا عن الذي اسس هذا المسجد
فدلونا على لوحة تأسيسه فقرأنا فيها ان اسمه عبدالله شاه ،
وقد فرغ من بنائه في عام ١٩٣٧ ميلادية وهذا المسجد
يعرف بالمسجد الجامع لأنه تقام فيه صلاة الجمعة في هذا
الحي الاوربي من مدينة نيروبي . والواقع ان بناء المسجد
من الداخل والخارج يبدو من خير المباني الجميلة في
هذا الحي

وقد سألتنا امام المسجد : هل هذا المسجد لطائفة معينة
ام لجميع المسلمين ؟ لأننا كنا قد سمعنا ان هناك مساجد
مختلفة في جميع مدن شرقي افريقية لأهل السنة
ومساجد للشيعة ومساجد للاسماعيليين وغير ذلك

من الطوائف . فاجاب : انه مسجد المسلمين كلهم ، لأنه مسجد أهل السنة والجماعة وهناك مساجد اخرى للطوائف الاخرى . وعندما اردنا الانصراف طلب منا الامام والمصلون الدعاء وقالوا : انكم من اهل المدينة المنورة الذين يطلب منهم الدعاء والذين هم أهل لأن يستجاب دعاؤهم ، وقد دعونا لهم وهم يؤمنون سائلين الله تعالى ألا يخيب ظن هؤلاء الاخوة من المسلمين الذين احسنوا بنا الظن وما نحن لذلك بأهل .

وقد تعرفنا في المسجد على أخ عربي من حضرموت ما ان رأنا حتى اقبل الينا ورحب بنا ، ويدعى (محمد احمد باجابر) ويسكن في قرية تبعد حوالي ثمانين ميلا من نيروبي العاصمة وقد تطوع جزاه الله خيرا بارشادنا الى ما نريد وأخبرنا بأن بعض الزعماء العرب هنا ومنهم السيد محفوظ مكاوي ممثل الطائفة العربية هنا في المجلس التشريعي لكينية قبل الاستقلال وقد زارنا الليلة في الفندق وبحثنا معه مواضيع كثيرة تتعلق بحالة المسلمين والعرب في كينية وفي شرقي افريقيا على وجه العموم ، وكان حديثه مفيدا لنا لأننا اطلعنا منه وهو رجل يشتغل بالسياسة والتجارة على كثير مما اردنا الاطلاع عليه من ذلك . كما اجتمعنا برجل من رجال العرب في كينية وهو السيد (محمد عزيز العمودي) نائب وزير التجارة والصناعة في كينية ووكيل وزارة المالية فيها سابقا .

يوم السبت : ١٣٨٤/٥/٦ هـ .

١٩٦٤/٩/١٢ م .

اكثر من ثلاثمائة جمعية اسلامية :

ان أول ما نهتم به اذا حللنا بلدا ان نطلع على شؤون الاسلام والمسلمين فيه وقد تبين لنا من سؤالنا عن الجمعيات والهيئات الاسلامية في كينية انه يوجد اكثر من ثلاثمائة جمعية او هيئة اسلامية بعضها موجود بالاسم فقط وبعضها مكونة من ثلاثة رجال أو نحو ذلك ، وكنا سمعنا عن كثرة الجمعيات الاسلامية هنا وقلة جدوى اكثرها وقد قيل لنا : ان هناك اكثر من اربعين جمعية منها بمنطقة نيروبي والباقي في منطقة ممباسا وغيرها . وقد عزمنا على الحصول على صورة واضحة لهذا الأمر .

ومما يؤسف له اننا استخلصنا مما وصلنا اليه من نتائج حتى الآن أن القوم هنا يؤسسون الجمعيات الاسلامية على اساس عنصري قومي ، فهناك الجمعيات الاسلامية الهندية ، والجمعيات الاسلامية العربية ، والجمعيات الاسلامية الافريقية ، ولو كان كل قوم يكوّنون جمعية واحدة ، أو جمعيات متعاضدة متساندة لهان الأمر ، ولكن لكل جماعة منهم ولو قليلة جمعية أو أكثر قد تتبادل التهم مع الجمعيات الاخرى . وحتى الافريقيون قد كونوا جمعياتهم على اساس قبلي فلمسلمي كل قبيلة جمعية

خاصة مع ان الاسلام جاء بالمؤاخاة بين المسلمين ، وحارب
تميزهم على اساس قبلي او عنصري . ولكن الظاهر ان
السبب في ذلك كان ان المجتمع كله عند تأسيس الجمعيات
في عهد الاستعمار الانكليزي قائم على التفرقة
العصرية ، وان لم يكن ذلك مفروضا بحكم القانون فانه
كان مفروضا بحكم العرف والعادة المتبعة .

في ماجنقو :

توجهنا اليوم الى حي ماجنقو الافريقي في نيروبي
ومعنى كلمة (ماجنقو) في السواحلية : الحافة أو الهامش
ولا يزال بعض العرب في شرق افريقية يسمونها الحافة
وليس ماجنقو ، أي يستعملون اللفظ العربي لمعناها ، وهو
حي وطني لا يسكنه غير الوطنيين الأفارقة الا عدد قليل من
العرب الذين اختلطوا بهم وتزاوجوا معهم ، حتى اصبح
اولادهم لا يعرفون العربية . ويتألف الحي المذكور من اكواخ
مبنية من لبن الاسمنت او الطين ، ومسقفة بأسقف مسنمة
من الصاج أو الصفيح وقد تكون اسقفها على شكل
مخروط . وشوارعه نظيفة مشجرة ، والرئيسية منها
مسفلتة ، وغير الرئيسية طينية حمراء ، يتطاير منها الغبار
عند مرور السيارات . ولا ترى في هذا الحي الوطني ما تراه
من مظاهر البؤس في الأحياء الشعبية في الحبشة .
ثم زرنا مبنى مدرسة الرياضة الاسلامية هناك وهي

تتألف من أربع غرف ويجري طلاء غرفها ولما تنته بعد
ولذلك لا يوجد فيها احد من الطلبة في الوقت الحاضر وهي
مخصصة للطلبة الافريقيين وملاصقة لمسجد الرياضة وهو
مسجد جميل مفروش ومجهز بمكبر الصوت ، وهو هندي
الطراز قام على بنائه جماعة من المسلمين من جميع
الاجناس ، وقد وجدنا فيه شيخا افريقيا من اوغندا ، قد
عقد حلقة لتعليم القرآن الكريم في ارض المسجد ، وجميع
الطلبة من الافريقيين وحلقته غير كبيرة عند حضورنا لا يزيد
عدد من فيها على عشرين طالبا ولعل السبب في قلتهم ان
الوقت الآن وقت عمل لأن زيارتنا كانت قبيل الظهر .

ثم زرنا مدرسة السعادة وهي كتاب يدعى صاحبه الشيخ
زكريا وهو افريقي تخرج من المعهد الاسلامي في زنجبار
وكتابه يتكون من فصل واحد يشغل غرفة كبيرة من بيته
الطيني المتواضع ، ويبلغ عدد الطلبة فيه حوالي ٣٥ طالبا
ثلثاهم من الذكور ، وثلثهم من البنات الصغيرات ومعهم
اجزاء «عم» وهم يتلون القرآن الكريم بصعوبة .

في الحي التجاري الهندي :

تختلط متاجر الاثرياء من الهنود بالمتاجر الاوروبية ،
ثم تتدرج حتى تنفصل حيث تتكون اسواق جميع من
فيها من الهنود على اختلاف طوائفهم في احياء تتألف
من عمارات ومنازل كبيرة مستقلة وقد قيل لنا : ان من

اراد ان يرى جزءا من مدينة بومباي ، في افريقية فعليه ان ينظر في هذه الاحياء الهندية من نيروبي لانها لا تختلف عنها كثيرا كما كان الاوروبيون يسمون الحي الاوروبي من مدينة نيروبي « هاف لندن » أي نصف لندن .

وقد قيل لنا انه على الرغم من ان الهنود هنا ومعظمهم من غير المسلمين أي من الهندوك والسيخ كانوا يسكون بزمام التجارة فان بعضهم اخذوا يعودون الى الهند خوفا من ان ينالهم سوء من الاهالي في المستقبل وذلك نتيجة لاحتكارهم للتجارة المتوسطة والصغيرة وبعض تجارة الجملة .

اللغة والجنس :

الافريقيون هنا هم افريقيون بحق ممن يسمون « الباتو » ، او قل هم من الجنس الزنجي .

وهذا اول ما يلفت نظرك بعد ان تفارق اديس أبابا وفي ذهنك صورة الجنس الحبشي الذي لا يكاد يختلف عن الجنس العربي الا في سواد اللون ، أو سمرته القاتمة ، اما الملامح والتقاطيع والشعر فتكاد تكون واحدة ، فاذا بك هنا في كينية تجد الوطنيين من الافريقيين زنوجا ذوي بشرة سوداء وانوف فطس ، وشفاه مقلوبة ، وشعر مقلقل ، وآذان صغيرة ، الا ان الوجاهة تبدو على جماهيرهم في

لباسهم وهندامهم اكثر مما تبدو على جماهير الاحباش
فأكثرهم يرتدي ثيابا نظيفة بل بعضهم يرتدي الملابس
الافرنجية الكاملة حتى اربطة العنق . وعلائم الصحة
والعافية بادية عليهم ، كما يتحلون بكثير من اللباقة
والادب .

على أننا اذ نصف مناظر الناس ومظاهرهم الخارجية
فاننا نرجو ألا يفهم من ذلك اننا نؤيد فضلا عن ان نقول
بتفاضل الناس بسبب عناصرهم او الوانهم او اجناسهم ،
معاذ الله ان نقول بذلك ، أو ان نقره ، فنحن مسلمون
تعاليم ديننا تنص على ان الناس من نسل رجل واحد
وأنتهم لا يتفاضلون الا بالتقوى والعمل الصالح ، ونحن في
بلادنا نطبق هذه السياسة المبنية على التعاليم الاسلامية
والتي لا تلقي بالا للون او الأصل أو الجنس كما قال الله
تعالى : « يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولكننا حينما نذكر ذلك فانما نذكره للعلم
والايضاح ، ووصف ملامح الناس وصفا مجردا عما قد يشعر
به الوصف من مدح او ذم أو حسن أو قبح .

اما اللغة فهي ذات مقاطع ممدودة ونطقها غريب على
مسمع الغريب مثلنا ، واللغة السائدة هنا هي السواحلية ،
وحوالي خمسين بالمئة من كلماتها عربية او ذات اصل

عربي ، ويكثر فيها تردد حرف الكاف ، ولعلي اعود الى ذكر شيء عن اللغة السواحلية بعد اقامتي مدة اطول في هذه البلاد . وعدا اللغة السواحلية فهناك لغات محلية تبلغ اكثر من سبعين لغة فلكل قبيلة لغة خاصة . اما الانكليزية فهي المستعملة في الدواوين الحكومية والشركات وهي لغة الطبقات المتعلمة ، وهي بطبيعة الحال منتشرة بين المثقفين ولكن من العجب انك تجد طوائف كبيرة من الشعب لا تحسن التكلم بها على الرغم من ان البلاد كانت محكومة من الانكليز سابقا ، ولكن اولئك في الغالب يكونون من الاميين الذين جاؤوا من الغابات او الاماكن النائية ، ولم يتوفر لهم الاحتكاك بالأوروبيين . اما اللغة السواحلية فان الافريقيين يعرفونها ويستعملونها كلفة عامة ويستعملها معهم العرب كما يستعملها الهنود في تعاملهم مع الافريقيين .

يوم الاحد : ١٣٨٤/٥/٧ هـ .

١٩٦٤/٩/١٣ م .

اتقلنا اليوم من فندق جاردن الى فندق يملكه رجل عربي ويدعى « شان هوتيل » وصاحبه يسمى (محمد سعيد) من حضرموت وذلك لأتنا سمعنا من بعض العرب ان هذا الفندق ليس مكانا ملائما لأمثالنا لانه تقدم فيه الخمور واشياء اخرى لم نعرف عنها من قبل . ويقع

الفندق الجديد في الحي الهندي من نيروبي ويكتظ الحي المذكور بالفنادق والمطاعم العربية فهناك قريب منه فندق « عدن الجديد » و « مطعم لبنان » و « فندق حضرموت » و « يمبي هوتيل » أي فندق اليمن ، وكلها فنادق ومطاعم يملكها ويديرها جميعا عرب من جنوب الجزيرة العربية .

وبهذه المناسبة فقد قيل لنا بأن العرب يبلغ عددهم في نيروبي وحدها الف نسمة وهم قلة بالنسبة الى ما كانوا عليه في الماضي ، كما ان عددهم آخذ في التناقص لأنهم اخذوا يعودون الى بلادهم لسبب كثرة وجود المتأهلين والمتعلمين من الوطنيين من الافريقيين من جهة ، وكون العرب هنا اكثرهم من غير المتعلمين او المثقفين من جهة اخرى . كما عرفنا ان وضع العرب هنا لا يرتفع الا قليلا عن وضع الافريقيين فقد كان المجتمع في كينيا بعد ان تركها الانكليز قبل سنتين مقسما كما يأتي :

الاوربيون في القمة ، يليهم الآسيويون من الهنود والباكستانيين ، وفي المرتبة الثالثة يأتي العرب وبعدهم الوطنيون الافريقيون . وأغلب العرب هنا فقراء وفي مكانة غير مرموقة كما أنهم قلة في جميع انحاء كينيا ، الا في منطقة الساحل في مدن : ممباسا ، ومالندي ، ولامو ، وما بينهما ، وقد اجتمعنا اليوم بشاب من العرب الحضارم

يدعى (عمر قديم) ويعمل في الاذاعة الانكليزية في كينية .
وهو شاب نشيط يجيد عدة لغات من بينها الانكليزية
والعربية والسواحلية .

وقد تجولنا مرة ثانية في البلد مساء هذا اليوم وخاصة
في الاحياء الغنية فوجدنا مظاهر الثراء والترف في هذه
الانحاء بالغة اشدها ، وقد خرج القوم اليوم وهو يوم عطلة
في سياراتهم مع عائلاتهم للنزهة ، او توجهوا للكنائس ،
فكنت ترى العجب من ترف هذه الطبقة التي تتكون من
الاوربيين والهنود ، وتكاد تلمح من خلال حجب المستقبل
انه اذا استمرت حالهم على ما هي عليه فلا بد ان تحدث لهم
نكبة من الوطنيين الافريقيين الذين يرون ترف الاجانب
وبذخهم من خيرات بلادهم وهم محرومون منها ، وقد كادت
تقع لهم كارثة فعلية فور استقلال كينية وبعد حوادث
زنبار . لولا حكمة الزعيم «جومو كينيا» ، رئيس كينية،
وحثه مواطنيه على احترام القانون ، والمحافظة على الامن
في البلاد وتذكيره اياهم بأن اولئك الاجانب يعتبرون مواطنين
كينيين ما داموا يعملون لصالح البلاد ، ولا يخالفون قوانينها
ولان البلاد لا تزال بحاجة ماسة الى خبراتهم الفنية ،
ومهاراتهم المتعددة .

يوم الاثنين : ١٣٨٤/٥/٨ هـ .
١٩٦٤/٩/١٤ م .

الى كيسومو :

حزنا امتعتنا مبكرين اليوم واودعنا ما تبقى مما لا
نحتاجه صاحب الفندق ، وركبنا الحافلة (الاتوبيس) العام
الى مدينة (كيسومو) عاصمة مقاطعة نيازا التي تقع حول
بحيرة فيكتوريا نيازا التي ينبع منها قسم كبير من مياه
النيل الابيض .

وتبعد تلك المدينة عن نيروبي بمسافة (٣٨٠) كيلومترا
تقريبا .

تحركت بنا السيارة في تمام الساعة السابعة صباحا من
نيروبي وكانت الاجرة اثني عشر شلنا أي ما يعادل سبعة
ريالات سعودية . وقد برحنا نيروبي مخترقين ضواحيها
الجميلة ذات الفيلات الانيقة الغارقة في الجنان ، والتي تحيط
بها الشوارع المسفلتة في كل اتجاه ، وقد وضع على رأس
كل شارع تقريبا ، سهم او اكثر من سهم ، كتب عليه اتجاه
الطريق واسم المنطقة او المحلة ، وبعد قليل رأينا اللافتات
تشير الى اننا في منطقة قبيلة (الكيكويو) اكبر القبائل
الافريقية في كينيا والتي ينتسب اليها الزعيم جومو كينيا
ومنها كان رجال الماو ماو ، الذين ازعجوا الحكم البريطاني

وازعجهم في السابق .

ثم ساد الطريق الضباب الشامل وذلك لاننا كنا نرتفع اكثر عن منطقة نيروبي التي ترتفع هي عن سطح البحر اكثر من ستة آلاف قدم ، ومنذ ان فارقتنا ضواحي نيروبي ونحن نشاهد المزارع الفخمة التي كان قد انشأها واسسها المعمرون الاوربيون والتي يمتد بعضها عدة كيلو مترات وهي عبارة عن اجزاء من الارض تحيط بها الاسلاك الشائكة الى ارتفاع متر تقريبا ، ويتوسطها طريق يتفرع من الشارع الرئيسي حتى المنزل الذي يكون غالبا عبارة عن «فيلة» واحدة او اكثر وسط المزرعة ، وقد كنا نرى قطعان الابقار الاوربية الاصيلية ترتع بالعشرات والمئات في تلك المزارع ، ولم نكن نرى غيرها من انواع الانعام الا مرة واحدة رأينا قطيعا من الخنازير ترتع داخل مزرعة .

وبعد حوالي (٥٠) كيلومترا دخلنا في مناطق الغابات الكثيفة التي تركها الاوربيون ، ولم يقطعوها ويحولوها الى مزارع ، بسبب وعورة ارضها ، لان الحكومة الانكليزية قد ابقت عليها للوطنيين ليرعوا فيها مواشيتهم ، والطريق ينتقل بنا من جبال عالية الى وديان متسعة ، وقد شاهدنا في احدها قطيعا من الزراف الوحشي يتكون من خمس زرافات غير بعيد من طريق السيارات المعبد ، وقد قلل السائق من سرعته ليتمكننا من رؤيتها .

ولم نلاحظ ان مرور السيارة قد ازعجها ، ثم أخذ الطريق يتغير الى مزارع يظهر من طبيعة الارض حولها أنها كانت غابات قطعها الاوروبيون وانشأوا في مكانها مزارع هائلة ووجدنا بعضها مزروعا بالقمح الذي اصفر وحن حصاده ، لا يدرك البصر مداه ، وبعضه تسير السيارة لاهثة في محاذاته برهة من الوقت على الطريق المسفلت ، ويتمثل هنا وخاصة في زراعة القمح مدى الاختلاف بين الفصول في بلادنا التي تقع شمال خط الاستواء وبين هذه الارض التي تقع جنوبه ، اذ ان الفصل هنا هو فصل الربيع وقد مضى الشتاء بيرده الخفيف في شهري يوليو واغسطس وعند دخول الشتاء المذكور بذروا القمح وقد حل الربيع بحلول سبتمبر وها هو موسم الحصاد قد قرب حلوله خلاف ما عندنا تماما حيث تبدأ زراعة القمح في شهري اكتوبر ونوفمبر قبل حلول الشتاء ويحصدون في شهر مايو عند حلول الربيع . هذا وقد بدأ الطريق بالانخفاض المستمر الواضح ولم يزل كذلك حتى وصلنا شواطئ بحيرة فيكتوريا ، ولا غرو فاننا الآن ندخل منطقة الانكسار الارضي العظيم وهو منخفض ارضي يبدأ من الغور في فلسطين وينتهي في روديسية مارا بالبحر الاحمر وغيره .

افريقية الخضراء :

منذ ان غادرنا نيروبي حتى وصلنا الى مدينة كيسومو

المذكورة ولمسافة (٣٨٠) كيلومترا ونحن في خضرة قاتمة ،
وحقول عظيمة ، ترعى فيها الابقار ، ولا تعدم ان ترى قرية
من قرى الافريقيين بمنازلها المسنمة الشكل ، او المخروطة
القمة . ونصل بعد مدة الى قرية جميلة مهجورة بيوتها مبنية
بالاسمنت المسلح والحجارة كان يسكنها الاوريون
شوارعها نظيفة وبيوتها تتسم بالذوق الجميل ، وتحيط بها
الحدايق والبساتين وقد حل محلهم الوطنيون الافريقيون
الآن في أكثر المساكن ، وفي منتصف الطريق تقريبا وقفت
السيارة في مدينة (نيكورو) وهي مدينة جميلة حقا ، جميع
شوارعها مسفلتة ، وحوائيتها انيقة ، وقد دخلت سوق
الخضراوات والفواكه فيها ، لانه بجانب محطة الاوتوبس
التي وقفت فيها السيارة وهو سوق مسقوف بالصاج، جميل
غاص بالفواكه والخضراوات وجميع الباعة فيه من النساء
الافريقيات ولا يوجد فيه رجال الا نادرا ، والغريب اني
حاولت شراء بعض الفاكهة ، وهي هنا الموز ، فوجدت انه لا
يكاد يوجد فيه ميزان ، فأكثر المعروضات فيه تباع بالعدد
«بالدزينة» (١٢) حبة او بالمائة عدا .

كما مررنا ببحيرتين صغيرتين في الطريق ، لمحناهما من
بعد ، وفي آخر محطة وقف فيها الاوتوبس قبل وصولنا الى
مدينة (كيسومو) نزلت لاتناول كأسا من الشاي الممزوج
بالحليب وقد اعتاد الافريقيون والهنود هنا ان لا يشربوا
الشاي الا ممزوجا بالحليب ومغليا معه فسارع سائق السيارة

ودفع قيمته عني ضيافة لي منه ، وقد عرفت بعد ذلك انه مسلم كيني وان اسمه عبدالله كما ان الجابي (الكمساري) مسلم ايضا واسمه (سليمان) أي سليمان . وقد اظهرا لنا غاية الود لمعرفةنا اننا مسلمون ، اما غالبية الركاب والسكان هنا فهم من غير المسلمين واغلبهم مسيحيون وبعضهم وثنيون، وقد لاحظنا فيهم ظاهرة غريبة وهي انه بمجرد وقوف السيارة في الطريق لحمل بعض الركاب أو انزالهم ، يسارع بعضهم فيقف بجانب السيارة ، فيبول والناس ينظرون اليه ، ثم يستدير بدون ان يسمح ذكره حتى بمنديله . اما السائق والجابي فقد ابعدا عنا وبالا في ستر شجرة لانهما مسلمان ، وبهذه المناسبة اذكر انني لم اشعر الا بامرأة افريقية كبيرة السن تتقدم من وسط السيارة نحونا وترفع صوتها قائلة «السلام عليكم» وذلك لانها مسلمة عرفت اننا مسلمون ، ولا تعرف من اللغة العربية الا هذه الكلمة ، وهكذا فان رابطة الاسلام تثبت وجودها عند المسلمين في كل مكان ولا يستطيع المرء منا في بلادنا ان يتصور وقع تلك التحية في نفوسنا ، ونحن في بلاد عربية وبين قوم لا يشاركوننا العاطفة الدينية .

مدينة كيسومو :

وقد وصلناها في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر وكان الجو مطرا فقصدنا (رحماني هوتيل) أي «فندق

الرحماني» وهو فندق يملكه رجلان احدهما باكستاني والآخر عربي من اليمن وهو احسن الفنادق الموجودة في البلدة ، عدا فندقا يسكنه الافرنج واجرة السرير الواحد فيه (٤) شلنات أي ريالان ونصف ، وقد اسرعنا بعد الصلاة الى تناول الغداء وهو غداء رخيص جدا ارخص سعرا من نيروبي فقد تكلف غداء الشخص الواحد (شلنين) أي ريالان وثلثا على الرغم من انه يتكون من اللحم والسمك والخضار والسلطة وقد رحب بنا جميع المستخدمين في الفندق من العرب من حضرموت واليمنيين وقد ذكروا لنا انه لم يزرهم سعودي منذ وصلوا الى هذه المدينة ، وبعضهم له فيها عشر سنوات وأكثر .

على ضفاف بحيرة فيكتوريا :

يطل فندقنا الذي تنزله على ضفاف بحيرة فيكتوريا اذ اتنا ونحن في شرفته كنا نشاهد المراكب الكبيرة التي تمخر عباب البحيرة ذاهبة وآيبة وكنا نرى اسراب الطيور الافريقية الجميلة في فروع الشجر النامية على شعاب ضفافها . وكان قد رحب بنا بصفة خاصة من مستخدمي الفندق عربي حضرمي يدعى سالم سعيد وهو ذكي له مدة طويلة في كينية حيث كان يعيش في ممباسا على الساحل ثم انتقل الى هنا . وقد صاحبنا بعد العصر في سيارة اجرة سارت بنا على ضفاف بحيرة فيكتوريا نيانزا ، ثم دخلنا الى ميناء كبيرة على

البحيرة بموجب اذن خاص من ادارة الجمرك هناك ، وقد شاهدنا البواخر وهي تفرغ حمولتها وينزل منها المسافرون وبعضهم من السياح الاوربيين الذين قدموا من اوغندة بهذه البواخر التي تمخر عباب البحيرة الكبيرة والبواخر كبيرة بحيث تلفت النظر ويتعجب المرء كيف يستطيع ماء البحيرة ان يتحمل ثقلها ، فهي لا تقل حجما عن بواخر الخطوط البحرية السعودية التي تسافر من ميناء جدة الى الموانئ الاخرى . وتمتد هذه البحيرة مسافة طويلة يسير المرء فيها بالباخرة المذكورة مساحة ١٥٠ كيلومترا داخل كينية ثم تصل الى حدود اوغندة والميناء المذكور على البحيرة غاص بالسفن وبعضها ينزل البضائع وبعضها ينتظر دوره في انزال البضائع التي يحملها . وقد حدثونا ان السائحين الاوربيين يختارون هذا الطريق للسفر بين كينية واوغندة لما يوفره من المتعة والراحة وقد يقترب طريق السفن من الشاطئ والادغال فيشاهدون الوحوش ، والحيوانات على طبيعتها . وقد تجمع على الاشجار التي تحف بالبحيرة عدد كبير من الطيور المائية المهاجرة كالبط والرهو والغرائق ولا من صائد في هذا المكان ، لأنه حرم للجمرك ولأن بعض الاماكن البعيدة موحلة لا يستطيع الاقتراب منها . اما في الاماكن الاخرى ، فان بعض الموسرين من الاورويين والهنود قد اعتادوا صيد الطير هنا . اما الاسماك فهي متوفرة في البحيرة ورخيصة وقد وجدنا ذلك في المطعم ولكنهم هنا كما

في الحبشة لا يبيعون السمك بالوزن ولكن بالعدد ككثير من الفواكه والخضروات ولا يبيعون وزنا الا اللحم الذي يساوي البقري منه (ريالا وربعا سعودي) للكيلو الواحد ولحم الضأن ريالين للكيلو وذلك بسبب توفر المراعي ، لان الارض جميعها خضراء فلا يمكن ان تقع عينك على مكان يابس او خال من العشب .

ثم عدنا الى بلدة كيسومو وقصدنا توا مسجدتها الجامع فصلينا فيه صلاة المغرب ، وقد تعرفنا على امامه ويدعى (زكريا بن احمد) وتجمع حولنا المصلون واغلبهم من الباكستانيين واخذوا ينظرون الينا ويعيدون النظر ويسألوننا الدعاء وهم لا يكادون يصدقون ان اناسا من جيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زاروا بلدتهم اليوم ، ولولا بعض الحجاج منهم وهم قلة قليلة لا يزيدون على اثنين فيما ذكروا لما كانوا قد رأوا فعلا احدا من المدينة المنورة ، واحتفوا بنا غاية الاحتفاء وطلبوا منا ان نؤمهم في الصلاة الاوقات القادمة .

مسجدهم يسمى مسجد الجمعة ، وهو الوحيد الذي تقام فيه الصلاة في بلدة كيسومو ، وهو مسجد جميل البناء، مفروش فرشاً كاملاً ، وفيه مكبر للصوت ، ويحيط به فناء مكشوف تحيط به من داخله بعض الاشجار التي عرفنا منها اشجار نوع من المانكو غريب وكذلك بعض اشجار النارجيل، وفي ركن من اركانه عدة غرف قالوا ان هذه مدرسة لتعليم

القرآن للافريقيين ، وفي ناحية بعيدة ايضا غرف ايضا هي مسكن للامام ، وبجانبتها غرفتان قالوا انهما مدرستان احدهما لتعليم القرآن لاطفال العرب والاخرى للباكستانيين، وفيها يقوم الامام بتدريس الاطفال وفي الثانية يقوم معلم آخر . وقد قام على بناء المسجد جماعة من المسلمين واكبر العبد في ذلك على الباكستانيين الذين عجبنا لكثرتهم في المسجد على حين انه لم يصل من العرب معنا الا شخصان فقط ، وبعد صلاة المغرب تجمع صبية من الباكستانيين حول رجل منهم اخذ يعلمهم القرآن من جزء «عم» وهم من طلبة المدارس الانكليزية التي يدرسون فيها في النهار ، وفي الليل يتعلمون القرآن الكريم وامور الدين ، وهذا شيء حسن جدا .

وقد استرعى انتباهنا عبارة كتبت في اسفل الجدار يمين المحراب بالعربية : «في سبيل الله» وانطلق منها سهم يشير الى ما يشبه علبة وضعت على الارض ففهمنا ان تلك العلبة يجمع فيها التبرعات لصالح المسجد ولكننا وجدنا ان العلبة المذكورة انما هي غطاء صغير لصندوق في الارض فوضعنا فيها من تيسر من النقود ، ثم سألنا الامام بعد ذلك عنها فقال :

انها ليست لمنافع المسجد لان الذين قاموا على بنائه من المسلمين اوقفوا عليه عمارتين تدران عليه ما يحتاج اليه ، ولكن هذا الثقب يتصل بصندوق يوجد مفتاحه عند هيئة

موثوق بها ولا يفتح الا ايام العيد حيث يؤخذ ما تجمع فيه
ويفرق على فقراء المسلمين في العيد ! . انها فكرة رائعة
جميلة وكم رأينا من عجب عند مسلمي هذه البلاد الافريقية
البعيدة تحت خط الاستواء .

مع فضيلة القاضي

زارنا بعد صلاة العشاء في الفندق فضيلة قاضي
المسلمين في مقاطعة نيازوا واسمه (الشيخ احمد عمر الاهدل)
وهو من العرب الموجودين في كينية وجنسيته كينية ، وهو
يتولى القضاء في هذه المقاطعة وما حولها . وقد بحثنا معه
شؤونا كثيرة وخاصة ما يتعلق بالعرب والمسلمين في هذه
البلاد . وقد اثنى فضيلته كما اثنى غيره من قبل على موقف
الحكومة الكينية بصفة عامة وعلى موقف الزعيم جومو
كينياتا رئيس الوزراء بصفة خاصة من العرب في هذه البلاد،
ويقول الجميع : ان العرب والمسلمين هنا لا يلاقون مصاعب
ولكنهم انفسهم لا يبذلون جهودا كافية في تحسين اوضاعهم
فهم مختلفون على انفسهم ولا يقومون بالواجب المفروض
عليهم في الدعوة الى الله بصفقتهم من العرب الذين اتشرو
الاسلام على ايديهم في العالم . وقد لمسنا من اقامتنا هنا ان
هذه المقاطعة من مقاطعات كينية من احسن المقاطعات في هذا
الموضوع وان المسلمين هنا شبه متحدين وانه لا يوجد
للافريقيين الا جمعية اسلامية رسمية واحدة اسمها « جمعية

المسلمين الافريقيين» في مقاطعة نيانزا وقد ذكر القاضي ومعه اثنان من اعضاء الجمعية الاسلامية هنا ان المسلمين يحتاجون الى المساعدة وبذل المعونة في حقل التعليم الديني لان الحكومة لا تعارض في التعليم الديني ، ولكن لا يمكنها ان تساعد على أي تعليم ديني لان ذلك قد يحمل ارباب الاديان الاخرى على الاحتجاج وطلب المساواة ، ولكن ارباب الديانات الاخرى من غير المسلمين يجدون من مراجعهم وارباب دينهم من يساعدهم ويساندهم في بناء المدارس الخاصة بهم . وتعليم اللغات التي يرغبونها وتساعد على نشر دياتهم ، وبمساعدة الفقراء منهم . اما المسلمون فلا مساعد . قالوا : واوضح مثال على ذلك انه كانت توجد مدرسة عربية اسلامية خاصة كانت تقوم على التبرعات ثم عجزت عن الاستمرار بسبب قلة التبرعات فطلبت المساعدة من وزارة التعليم الكينية وقبلت ذلك بشرط ان تشرف عليها من ناحية المناهج وعلى ان يحضر المسلمون من يدرّس مادة اللغة العربية والدين الاسلامي لهم في هذه المنطقة ويكون مرتبه على الحكومة الكينية ولكنهم حتى الآن لم يستطيعوا الحصول على المدرس المذكور والحقت المدرسة بالحكومة .
والحقيقة المرة ان هذه الحالة حالة عامة شاملة للمسلمين في اقطار شرق افريقية ووسطها ، حيث يخشى من ان يفتن بعض المسلمين عن دينهم ، اما بالاغراء بالوظائف والمناصب ، او بالجهل بحيث ينشأ الجيل الجديد في جو ثقافي بعيد كل

البعد عن التعاليم الاسلامية وان كان بعض المسلمين من اهل البلاد يبذلون جهودا كبيرة في سبيل الابقاء على اسلامهم وتعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم لابنائهم ، ويضحون في سبيل ذلك بالمناصب والشهادات الدراسية التي تؤهل ابنائهم لكسب معيشتهم ، ولكن يخشى ان يكون ذلك الى حين او ان يكون النشء الجديد له نظرة غير نظرة الجيل القديم الى الاسلام اذا لم يؤخذ بايديهم وتبذل جهود مشتركة من البلاد الاسلامية في هذا المجال ، بالاتفاق مع الحكومات المحلية ومن تلك الجهود فتح الملاجئ ودور التربية لاطفال المسلمين من الفقراء والايتام الذين قد يضطرون الى دخول المدارس التربوية التبشيرية فينسلخون عن دينهم وتقطع الرابطة التي تربطهم بالعرب والمسلمين ، ومن ذلك فتح المدارس الاسلامية الخاصة وتقريبها من المناهج الحكومية في تلك البلاد حتى تؤهل الطالب بعد ذلك لمتابعة تعليمه المدني العالي في بلاده او خارجها بعد ان يكون قد تعلم اللغة العربية وامور الدين الاسلامي في المدارس المذكورة بدون ان ينزل انعزالا كاملا عن الوسط الثقافي في بلاده . ومن ذلك توفير المنح الدراسية لابناء المسلمين في كافة الجامعات والمدارس في الاقطار الاسلامية، والتعاضى عن بعض الشروط اللازمة لغيرهم مثل شروط السن والمصاريف وتوفر الشهادات المعتادة ونحو ذلك .

والحاصل ان جلوسنا مع القاضي وعضوي الجمعية

الاسلامية الافريقية كان ممتعا حقا وقد حصلنا منهم على معلومات طيبة عن المسلمين في هذا المكان من افريقية .

يوم الثلاثاء : ٩ / ٥ / ١٣٨٤ هـ

١٥ / ٩ / ١٩٦٤ م

جولة في مدينة كيسومو :

اخذنا سيارة اجرة وتجولنا في هذه البلدة التي يقدر عدد سكانها مع ضواحيها بثلاثين الف نسمة وقد اعجبنا بالجهود الكبيرة التي بذلها المستعمرون الانكليز في تجميل هذه البلدة مع انها بعيدة نائية فهي كالمدينة الاخرى التي مررنا عليها في طريقنا امس مدينة «فيكورو» معبدة الشوارع حتى الشوارع الفرعية مشجرة ، وليس ذلك فحسب ، بل غرست الزهور في كل شارع وفي كل مفترق طرق ، وفي كل ناحية مهمة منها حديقة نمت فيها الاشجار الباسقة ، وهذبت اجمل تهذيب ، والميادين جميعها مسفلتة ، ومحاطة بأشجار الزينة وأشجار الظل ، نظيفة غاية النظافة ، والواقع الذي لا يستطيع منصف ان ينكره اتنا حين تجولنا في كينية عرفنا ان الانكليز عملوا لكينية ما لا يستطيع اهلها ان يعملوه بعشرات السنين وانهم لم يضمنوا عليها بجهد او مال يتجلى ذلك واضحا في كل شيء ولا نستطيع تجاهله رغم كراهيتنا للمستعمرين الانكليز على ما فعلوه في بلاد المسلمين ، وما

اقترفت ايديهم من آثام وخاصة بحق الشعب العربي في فلسطين . ولكن هل فعلوا ما فعلوه حبا في الخير لاهل البلاد ام لانهم كانوا يظنون انهم باقون فيها ، فهم على هذا الاعتبار انما صنعوا ذلك لانفسهم ؟

وقد لاحظنا اننا لم نر في المدينة رجلا واحدا من البيض ، وانما غالبية السكان من الافريقيين واكثرهم من قبيلة (جلوا) وبشرتهم اكثر سوادا من (الكيكويو) ولباسهم الزي الافرنجي غير الكامل ، ويوجد بينهم جالية هندية اذا رأيتهم بسرتهم المعهودة في بلادنا خيل اليك انهم اكثر الناس بياضا وذلك بمقارنتهم في اللون بأهل البلاد ، واغلبهم ان لم يكن جميعهم يشتغلون في اعمال التجارة .

وقد لفت نظرنا هنا معابد الهنود على مختلف دياناتهم فهناك معبد السيخ تظله قبة ضخمة ذات طيات عديدة تشبه القمع (المحقن) المقلوب ، ثم هناك معبد الهندوكيين ، ومعبد للاسماعيليين اتباع آغا خان ويسمونه مسجدا وهناك مدرسة عظيمة كبيرة لآغا خان يديرها الاسماعيليون ويلتحق بها غيرهم من المسلمين وتسير وفق برامج الحكومة الرسمية .

وقد زرنا ايضا المحكمة الشرعية ولم نر غير كاتب القاضي حيث ان الاخير كان قد ذهب لأمر يتعلق بعمله ، ومباني البلدة من الاسمنت المسلح وضواحيها البعيدة من اكواخ من القش . والجو هنا دافئ بالنسبة الى نيروبي .

قرية باتداني الاسلامية :

قلت : ان المسلمين هنا اقلية ولذلك فان من بين من زارنا هنا شخص يدعى (عبد الكريم) وهو مسلم كان قد عاش في ممباسا على الساحل . وقد عزم علينا ان نزور قرينته التي تبعد حوالي ثلاثة اميال عن مدينة كيسومو لأنها قرية اسلامية . فأخذنا سيارة اجرة بعد العصر ووصلنا القرية وقد رحب بنا أهلها وكان كل من يرانا منهم حتى النساء يسلم علينا أو يومي لنا بالسلام من بعد مما اعاد الى آذاتنا التحية الاسلامية التي افتقدناها منذ فارقنا السودان، لأن التحية في الحبشة هز الرأس والانحناء، وفي كينية لا يسلمون الا على من يعرفونهم كعادة الانكليز . كما نعمنا بسماع الاسماء الاسلامية الخالصة مثل محمد وحسن وعمر « وابو بكر وصالح » . وقد دخلنا بعض بيوت القرية بدعوات من اهلها وهي جميعها تتألف من بيوت بنيت من الطين وظللت بسقوف من الصفيح مسنمة حتى تنزلق عنها الامطار الكثيرة وبلطت ارضها بالاسمنت ، وداخل البيوت نظيف جدا الى حد لا تبلغه نظافة اكثر البيوت القروية في بلاد الشرق الاوسط وفيه مقاعد وثيرة ، وقد اعتادوا ان يعلقوا على الحيطان بعض المناظر الجميلة ، وصور الاقارب والاصدقاء . وبعض البيوت هنا يتألف من غرفتين وبعضها من ثلاث الا أن مساحة الغرف صغيرة ، وقد اعتادوا

ان بينوا خارج كل بيت مكانا منفردا حجرة صغيرة بالصفوح
يخصصونها لقضاء الحاجة حيث لا يوجد في بيوتهم مراحيض
لصغرها . وكان الجو في هذه القرية الاسلامية الصغيرة
تحت خط الاستواء وبجوار البحيرة العظيمة المشهورة
« فكتوريا نيانزا » رائعا حقا فالنسيم العليل والسحب
الكثيفة السوداء التي كانت تجلج الافق الغربي من السماء
والقطارات التي مرت بالقرية عابرة الى اوغندا او غيرها من
انحاء كينية ومنظر الاهالي المسلمين وهم يستبشرون برؤية
وجوه قادمة من جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم منظر
لا يمكن ان يمحي من خاطر وصورة تظل في اغلب
الظن خالدة في الشعور .

وقد ادينا صلاة المغرب معهم في المسجد والواقع انني
كنت اغالب الدمع من فرط التأثر وانا ارى وأسمع وألمس
مدى فرحهم واعتباطهم برؤية اخوان لهم في الاسلام على
بعد الشقة وطول المزار .

ويقول اهل القرية : ان قريتهم تعد اكثر من ألف
نسمة ومسجدها الذي بناه الاهالي بجهدهم وعرقهم وصرفوا
عليه مبلغ ١٣ الف شلن وهو مسجد صغير يتسع لحوالي
ثمانين مصليا الا انه تحيط به مساحة كبيرة من الارض
اشتروها مع لكي يسو روها ويلحقوها بالمسجد وبينوا فيها
كتابا للاطفال ودورة مياه للمسجد ان استطاعوا لذلك

سيلا ، وقد لفت نظري قبر في جانب الفناء المكشوف فسألناهم عنه ، فقالوا : ان هذا قبر (المولم بلال) أي المعلم بلال وأنه كان امام المسجد السابق ومن حمل العباء الاكبر من السعي على بنائه وانه لما توفي لم يدفنه في مقابرهم وانما دفنوه فيما قالوا « قريبا من المسجد » الذي كان يصلي فيه وفاء لما قام به من عمل للمسجد ، وليستأنس من قبره بأصوات قرآه القرآن فيه .

وقد احتجنا للوضوء قبل الصلاة فاحضروا لنا من البيوت ماء بالاباريق ، واعتذروا الينا لأنهم لم يستطيعوا مد مواسير المياه الى المسجد لعدم وجود النقود وقالوا : انهم يتمنون لو امكنهم مد مواسير المياه للمسجد حتى ينتفع من ذلك المصلون في المسجد وكل اهالي القرية وان انايب المياه لا تبعد عنهم الا حوالي (٥٠٠) متر من قريتهم ولكن الحكومة لا يمكن ان توصلها اليهم الا اذا دفعوا المصاريف اللازمة ، وقالوا : انهم يشربون الآن مياهها غير صالحة تتجمع من مياه الامطار في بعض الآبار التي حفرت لهذا الغرض . وقد بحثنا معهم بعد الصلاة في هذا الموضوع فعلمنا أنهم قد جمعوا لذلك مبلغ (٥٠٠) شلن اي (٣٠٠) ريال ، وان ذلك لا يكفي فتبرعنا لهم بمبلغ من المال وطلبنا منهم ان يحضروا غدا الى القاضي حتى نسلمه لزعيمهم ويكون ذلك على يد القاضي وبحضور كبراء اهل القرية وهو مبلغ يكفي لد المسجد وبالتالي القرية بأنايب

المياه كما يكفي لبناء دورة مياه في المسجد . وكنا نسير على ارضهم المعشبة حتى يكاد يصل العشب الى ركبة الماشي، فسألناهم : ما دام العشب موجودا في كل بلادكم بهذه الوفرة لماذا لا تقتنون بقرا او شاءا وتربونها ؟ فاجابوا : « والكلام جميعه بالانكليزية لانه لا يوجد فيهم من يحسن العربية حتى امامهم » اجابوا : بان العشب موجود وتربية المواشي ممكنة ولكن النقود غير موجودة !

وقد شيعنا الاهالي ونحن نعود بعد المغرب الى مدينة كيسومو بالتبجيل والاحترام .

يوم الاربعاء : ١٠/٥/١٣٨٤ هـ .

١٦/٩/١٩٦٤ م .

حضر الينا القاضي صباح اليوم في الفندق مع ثلاثة زعماء من قرية بانداني التي سبق ذكرها ورئيسها يدعى (عمر موسى) وبعض المودعين من الاخوان العرب الموجودين في كيسومو . وقد سلمنا المبلغ من النقود التي قدمناها لهم باسم الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لمشروع اىصال الماء الى المسجد وكذلك سلمنا الجمعية الافريقية الاسلامية في مقاطعة نيازا بعض التبرعات .

العودة الى نيروبي :

ودعنا الجميع وحملنا القاضي بسيارته الى محطة الحافلات (الاوتوبيس) ولكننا وجدنا السيارة قد غادرت كيسومو الى نيروبي لأن الذي كنا قد ارسلناه ليحجز لنا اماكن في الصباح الباكر فهم موعد قيام السيارة هو التاسعة والنصف صباحا ، وقد حضرنا في التاسعة والربع ، وعلمنا أن موعد قيام السيارة هو التاسعة لا التاسعة والنصف فأسرع المسؤولون في (شركة اوتوبيس شرق افريقية) فحملونا في سيارة صغيرة تابعة للشركة اخذت تنهب الارض نهبا حتى ادركنا سيارة الاوتوبيس بعد مسيرة ٢٥ كيلو مترا .

وقد ركبنا في مؤخرة السيارة لأن جميع مقاعدها كانت قد امتلأت بالراكبين وكلهم من الوطنيين الافريقيين وليس بينهم غريب واحد سوانا . وهم مؤدبون مهذبون ، والحقيقة انه لم يكن ينقضي عجبنا من وصول هؤلاء الافريقيين الذين كنا نظن بهم التخلف الى تلك المرتبة الاجتماعية الرفيعة ، فهم يكرمونا بصفتنا غرباء وجميع معاملتهم لنا طيبة ، وهندامهم نظيف واجسادهم انظف ، الا أن امرين كدرا علينا رحلتنا الطويلة بالاتوبيس التي قطعنا فيها (٣٨٠) كيلو مترا في مدة ثمان ساعات ونصف تقف السيارة في كل محطة ولمن يعترضها بين المحطات .

اول الأمرين : رائحة الصنان الشديدة التي سدت على خياشيمنا نوافذ الهواء ، ولم نستطع ان نضع مناديلنا عليها لئلا نمس مشاعرهم بسوء حتى تأذت من ذلك عيوننا .

ثانيهما منظر بعض النسوة اللاتي مثلن بأذانهن فخرقنها للزينة حتى ان بعضهن تتدلى آذانهن حتى تصل الى الكتف ، وتصور أذنا آدمية تصل الى الكتف !!!

ان هذا هو الواقع فهم يخرقونها ثم يعملون على اثقالها بشتى المثقالات حتى تتدلى وتكون كذلك وقد علقن فيها الخرزات الغريبة ، وبعض الآذان مخرقة حتى لم يبق منها الا ما يشبه الحلقة ، وحتى بعض الرجال مثلوا بأذانهم بالتخريق او بقطع بعضها حتى (تكرمش) الباقي منها ولكنهم لم يعلقوا فيها شيئا ولعل ذلك من فعل الاعداء في الحروب، ومنظره مما تتقزز منه نفس المرء وتستبشع رؤيته.

لم تتكلم مع اي واحد منهم الا أن احدهم سألنا بالانكليزية : « هل اتم من أرب ، كايرو ؟ أي من عرب القاهرة » فاجبناه : نحن عرب ولكن لسنا من القاهرة، فقال : لقد عشت في صغري سنتين في قناة السويس في عهد الملك فاروق . فقلت له : ما عمك ؟ فقال : لا شيء ، والظاهر انه كان خادما عند احدى الأسر البريطانية التي كانت تحكم كينية وتتحكم في اهلها في ذلك الوقت ، وتقيم بعض الوقت في مصر ، وقد مررنا في طريقنا بمزارع الشاي

الواسعة التي تمتد مدى البصر ، والعجيب في أمر هذه الشجيرات الصغيرة التي لا يزيد ارتفاع الواحدة منها عن المتر أنها كلها في مستوى واحد ليس فيها نشاز من مرتفع أو منخفض ، وشكلها العام يشبه الى حد كبير شكل شجرة الحناء . وقد علمنا فيما بعد ان جميع الشاي والسكر والقهوة التي نشربها في كينيا هي من انتاج البلاد ، وهي لا تستورد شيئاً من ذلك من الخارج وانما تصدر ما يزيد عن حاجتها .

وكان عجبنا نفس العجب من كثرة الأشجار والمزارع في هذه البلاد ، ومن هذا الجو البديع الذي هو ربيع لا شتاء ولا صيف ، ولا حر ولا قر ، ولا رياح تحمل الاتربة . كما عجبنا ايضاً لمظاهر الصحة والعافية البادية على وجوه السكان وأجسامهم ، وقلة العاهات والامراض على عكس ما شاهدناه في الحبشة ، حتى اننا لم نر - لعمر الحق - متسوّلاً واحداً في طول ما رأيناه من البلاد وعرضه ، وخاصة في القرى ومحطات الاوتوبيس ، حيث يكثر المتسولون عادة في تلك الاماكن من البلاد الاخرى ، وعندما وصلنا الى مدينة (نيكورو) التي ذكرتها سابقاً كان أول ما قابلنا منها من هذه الزاوية منظر المسجد الجميل بمئذنته التي تنتصب شامخة تكاد تكون أعلى بناء في البلدة ، وقد علمنا فيما بعد أنه قام على بناءه المسلمون من الآسيويين الذين هجر بعضهم تلك البلاد .

وصلنا (نيروبي) بعد العصر عائدين من رحلتنا التي استغرقت يومين كاملين ، وأمضينا ما بقي لنا بعد العشاء والاستراحة في التجول على الحوانيت القريبة منا في الحي الهندي ، وهو من الاحياء التي يسكنها الهنود كما قدّمت .

يوم الخميس : ١١/٥/١٣٨٤ هـ .

١٧/٩/١٩٦٤ م .

ذهبنا اليوم لحجز أماكن في الطائرة للسفر يوم السبت القادم الى مقديشو ، وقد قامت في وجوهنا عقبتان ، اولاهما ان مدة الاقامة التي منحت لنا من مطار نيروبي كانت لاسبوع واحد تنتهي يوم الجمعة غدا ، والثانية أنه لا يوجد مقاعد شاغرة في شركتي الطيران اللتين تسير الطائرة من نيروبي الى مقديشو وهما شركة الخطوط الجوية العدينية ، وشركة الخطوط الجوية الايطالية « الإيطالية » . وقد ذلت العقبة الاولى بعد قليل اذ ذهبنا الى ادارة الهجرة في وزارة الداخلية الكينية وشرحنا الوضع للمسؤولين هناك فطالبونا بابرار تذاكر العودة فأحضرناها فمنحونا فوراً وبدون مقابل تمديد اقامة لمدة اسبوع آخر ، وقد علمنا بعد ذلك انهم لا يمنحون للسائح اقامة الا اذا كانت لديه تذكرة عودة الى بلاده تمكنه الخروج من كينية . كما

ان الموظفة في الخطوط العديّة وهي فتاة سويسرية قد قالت لنا : انه يمكن لنا مراجعتها غدا ضحى ، فعسى أن يتأخر أحد من الركاب وتستطيع ايجاد مقاعد لنا في الطائرة المسافرة الى مقديشو ، وقد سألتنا حين فرغت من عملها : هل نحن ايطاليون ؟.. ولما أجبنها بأنا من العرب السعوديين عجبت وقالت أنها لم تزر من البلاد العربية غير الخرطوم ، ثم أخذت - من باب المجاملة - تمتدح العرب وتذكر انها تتمنى أن تعرف اللغة العربية .

في متحف نيروبي :

زرناه الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر وبقينا فيه حتى الساعة السادسة حيث تغلق نوبة بعد الظهر فيه وهو متحف هائل في ترتيبه ونظامه يحوي جناحا لتاريخ ما قبل التاريخ يتضمن مخلفات الآدميين والحيوانات في تلك الحقبة الكبيرة ، ومن أثنى ما فيه منظر الجماهير البشرية منذ ١٠ آلاف سنة و ١٥ الف سنة ثم التدرج بعد ذلك حتى التاريخ المبكر للانسان ، وكذلك يتضمن بقايا حيوانات غريبة وكبيرة ليست موجودة في الوقت الحاضر . كما يتضمن الادوات القديمة التي كان يستعملها الانسان في تلك العصور . ثم انتقلنا من هناك الى قسم عادات الشعوب الافريقية في وسط وشرقي افريقيا ، وهو يتضمن رمحا وسهاما وثيابا للزينة وأدوات سحرية وطبية وغيرها

كان يستعملها الافريقيون في مختلف العصور ، وقد كتب على الجميع شرح واضح بالانجليزية ، ثم انتقلنا بعد ذلك الى قسم الحيوانات المحنطة ، وجميع ما فيه من الطيور والاسماك والوحوش والحيوانات الاليفة والحشرات موجود بلحمه وجلده وشعره او ريشه هنا ، فهو محنط لا ينقصه الا أن تنفخ فيه الروح فيتحرك ، رأينا فيه من انواع الاسماك المحنطة ما لا يخطر على بال امثالنا ممن عاشوا بعيدا عن عالم البحار ، ومن ذلك بقايا حيوان (الديناصور) وهو حيوان انقرض الآن . وقد زرعت مع زميلي بقايا الهيكل العظمي للحيوان المذكور فبلغ احد عشر مترا تنقص حوالي ١٠ سنتيمترات ، اما حجمه وشكل فكيه واضراسه وجؤجؤه ، فلا يمكن أن يتخيله الا من رآه ، كما زاد في روعة المتحف الحقيقية عمل غريب لم أره في شيء من متاحف الشرق الاوسط ، وهو انهم يجعلون مناظر للحيوانات والاسماك لاصقة بجدران المتحف ، ومحاطة بالبيئة الطبيعية التي كانت تعيش فيها ، وقد سلط عليها نور كهربائي خاص بدت من خلالها وكأنها حية في الوسط الذي كانت فيه قبل احضارها للمتحف . فالاسماك الضخمة تبدو بواسطة ذلك النور وكأنها تسبح في الماء وهي معلقة بين السماء والارض ، ومربوطة برباط لا يكاد يدركه المرء ، وكذلك الحيوانات المفترسة التي منها العظيمة الكبيرة كالأسود والفهود والنمور وبقر الوحش وحمرة والجاموس البري

والخزير البري وضع لها بيئة اصطناعية ساعد على اكتمالها نور كهربائي خاص ، وبعضها عرض وهو يأكل فريسته ، وقد خالجا الشك بكون بعضها حقيقيا وقلنا ربما تكون صورا مكبرة ، فطلبنا من الموظف المختص هنا أن يوضح لنا ذلك ففتح باب أحد الخزانات التي توجد فيها الحيوانات ، وسمح لنا بلمسها ، فاذا هي حقيقية صحيحة محنطة بأحجامها الطبيعية وبلحمها وشعرها ، ثم أطفأ النور فأصبحنا لا نراها فزادنا ذلك اعجابا به . ثم شاهدنا قسم الطيور وفيه من انواع الطيور الافريقية الغربية ما يأخذ باللب ويفوق الوصف . اما قسم الحشرات والحاصلات الزراعية فشيء لا يقل عن ذلك روعة وعجبا . واما قسم الفراشات فانه شيء جميل مطرب تصور اكثر من الف نوع من انواع الفراشات ذات الالوان الزاهية المتعددة معروضة امامك عرضا حقيقيا . انها غاية في الجمال ، ولم استطع مغادرته حتى جذبني صاحبها جذبا . فلو قلت ان فيه من الطيور المحنطة ما يزيد على الف انموذج لما حنت ، وقد حنط مع اغلبها بيضها ووضع في عش يشبه عشا الطبيعي ان لم يكن هو . وقد انتهى الوقت قبل أن تتم تجوالنا في المتحف، فغادرناه آسفين عازمين على اتمام الجولة في الغد .

يوم الجمعة : ١٢/٥/١٣٨٤ هـ

١٨/٩/١٩٦٤ م

ذهبنا الى مكتب شركة الطيران العدينية صباحا، وحالما دخلنا المكتب قابلتنا الموظفة السويسرية بالبشرى قائلة : انه امكن ايجاد اماكن لنا في الطائرة المسافرة غدا السبت الى مقديشو. ثم اعدت تذاكرنا للسفر ، وضربت لنا موعدا هو الساعة الخامسة والنصف صباحا أي مع طلوع الفجر ، على ان تغادر الطائرة المطار في الساعة السادسة والنصف ، أي مع طلوع الشمس أو بعد ذلك بدقائق .

في مسجد عبدالله شاه :

ادينا صلاة الجمعة اليوم في المسجد الجامع الكبير الذي وصفته من قبل ، وقد امتلأ المسجد على رحبه بالمصلين ، حتى صلى بعضهم في الشمس ، واغلبهم من الباكستانيين ومسلمي الهند ، وفيهم من الافريقيين والعرب ، وقد القى صاحبنا الشيخ ابو بكر جابر موعظة بعد الصلاة بالعربية ترجمها احد الحاضرين من الافريقيين الذين تعلموا العربية في زنجبار الى اللغة السواحلية التي يعرفها الجميع ، وكان لكلمته أثر طيب في نفوس سامعيه فجزاه الله خيرا .

حديقة البلدية :

ذهبنا بعد الظهر الى حديقة البلدية وتدعى (بارك

سيتي) وهي تشبه متحفا لانواع النبات الحي النامي ،
ففيها من الانواع الغربية ما أثار عجبنا ودهشتنا . اما انواع
الزهور والوانها فشيء لم نسمع ببعضه فضلا عن رؤيته ،
وقد ساعد جو نيروبي المعتدل على نمو نباتات البلاد الحارة
والباردة معا ، والدخول اليها مجاني ، وقد كتب على بابها
بالانجليزية اعلانا عنوانه (باسم القانون) ادرجت تحته عدة
أوامر منها عدم لمس النباتات ، والسير في المواضع المخصصة
للمشي فقط وعدم وطء الاعشاب ... الخ .

عودة الى متحف نيروبي :

ثم عدنا الى متحف نيروبي لنكمل رؤيته ، فزرنا قسم
الحيات والثعابين وفيه من كافة انواع الافاعي والثعابين
المحظية والمحفوطة. ثم قسم المعادن ويحوي انواعا من المعادن
الموجودة على ضفتها الطبيعية ، فالذهب مع التربة ، والماس ،
وغير ذلك . ثم الى جانب ذلك انواع الاحجار والصخور
المختلفة . ثم الى قسم النباتات والازهار وهي مرسومة
رسما فقط. ثم الى قسم الاحياء المائية كالمحارات والاصدف
وغيرها . ثم الى قسم النقود وهو أقل الاقسام شأننا ولا
يليق بهذا المتحف ، وقل المتاحف العربية فيه اكثر من هذا
المتحف من انواع النقود القديمة . اذ أن مدينة هذه البلاد
حديثة ، وقد عرضت فيه النقود التي استعملها البريطانيون
منذ اول دخولهم الى هذه البلاد حتى الآن .

وقد خرجنا من المتحف معجبين واتجهنا الى مقهى قرب مبنى البلدية في وسط الحي الاوربي من نيروبي ، وهناك جلسنا نشرب الشاي . وقد صادف جلوسنا هناك انفضاض الجلسة الاولى للاجتماع الفرعي الذي عقدته منظمة الوحدة الافريقية لبحث مسألة الكونغو . وقد ترأس الاجتماع الزعيم جومو كينيا تا رئيس الوزراء . وقد شاهدناه خارجا من الاجتماع على سيارة مرسيدس صغيرة طراز (٢٢٠) وكانت «منشأة» من تلك التي تستعمل في طرد الذباب ونحوه في يده . وقد تجمهر امام باب المبنى لتحتيته من الناحية الاخرى من الشارع عدد من الافريقيين الكينيين اقدرهم بمئة شخص ، فحيوه برفع أيديهم بدون تصفيق ، فحياهم برفع يده اليمنى وفيها المنشأة . ثم أخذ اعضاء الوفود يغادرون المبنى تتقدم كل وفد سيارة رفع عليها علم البلاد التي يمثلها . وتستطيع أن تعرف الوفود العربية من الوفود الافريقية الاخرى على البعد بسبب اللون ، وكانت الاعلام الافريقية ترفرف على جوانب المبنى مما يلي رصيف الشارع وبينها بعض الاعلام العربية . اما المقهى فكان جميلا يرتاده الاوروبيون الاثرياء من المستعمرين السابقين وكنا نراقب سلوكهم وطريقتهم في كل شيء ، واذا كنت داخل هذا المقهى فكأنك في اوروبا لا بسبب كون رواده من الاوروبيين فحسب ، وانما بسبب البناءات العظيمة والمكاتب الاوروبية التي تحيط به والتي ترى فيها الاوروبيون اكثر مما ترى الافريقيين عدا الخدم

ورجال الشرطة^(١) .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٤/٥/٢٢ هـ

م ١٩٦٤/٩/٢٩

في مصرف باركليز :

ذهبنا اليوم الى مصرف (بنك باركليز) لنغير الصكوك السياحية التي نحملها الى عملة كينية ، وقد اجفلنا حين رأينا سيارة عسكرية ينزل منها ضابط انكليزي يحمل مدفعا رشاشا مصوبا ، ومعه عدة جنود شاهرين اسلحتهم ، ثم دخلنا الى البنك فرأينا عدة جنود آخرين مسلحين يقفون داخله . وقد سألنا فتاة اوروبية موظفة في البنك كانت تقوم بعملية ابدال النقود لنا عن ذلك ؟ فقالت : ان هذا الضابط وجنوده يحملون نقودا للموظفين بمناسبة انتهاء الشهر وان هذه الحراسة المشددة كلها خوفا من ان يعتدي اللصوص عليهم فينهبون بعضها ... شيء غريب وعجيب لم نألفه في بلادنا ، ونحن نرى حتى غلمان الصيارف عندنا يحملون عشرات الالوف ومئات الالوف من النقود ويسرون بها وحدهم في الشوارع لا يخشون الا الله ، فالحمد لله على نعمة الامن والامانة .

١ - بقية اليوميات المتسلسلة تأتي في اليوميات الخاصة بالصومال .

في حديقة الحيوان :

وبعد العصر ذهبنا الى حديقة الحيوانات وتقع غرب مدينة نيروبي وتبعد مسافة (١٢) كيلو مترا وقد دخلنا الحديقة وتجولنا فيها بسرعة وهي صغيرة فقيرة بالحيوانات واكثر ما فيها الحيوانات المتوحشة ما عدا بعيرا واحدا كان موضع اعجاب المتفرجين الاوروبيين الذين شاهدناهم عنده . وقد أخذت امرأة اوروية صورة تذكارية لزوجها وولديها وهم واقفون امام البعير ، واغرب ما في الحديقة قرد من نوع الشمبانزي عجيب حقا لا يكاد المرء وهو ينظر اليه يصدق انه ينظر الى حيوان بل يخيل اليه أنه أمام انسان ، فجميع اطرافه ، وصدره وظهره واذناه ، وحتى مؤخرته تشبه الانسان تماما وهو يضحك بل ويقهقه ، ويركب دراجة موضوعة في قفصه ، اذا غضب من شخص اخرج له من فمه صوتا يشبه الضراط ، كما انه يمشي على اطراف اصابع يديه ، ولا يوجد له ذيل . ثم خرجنا من تلك الحديقة التي لا تليق بمدينة نيروبي الجميلة ذات المتحف الرائع والواقعة على خط الاستواء وفيها الغابات الهائلة التي يمكن ان تمتد اية حديقة للحيوانات . وتجاور هذه الحديقة حديقة اخرى لا يسمح للمرء ان يدخل فيها الا بسيارته . وقيل لنا : انها عبارة عن مساحة واسعة من الارض فيها غابات عذراء ، تعيش فيها بعض الحيوانات طليقة ، ويدخلها المرء بسيارته ليرى تلك الحيوانات ، وكان الوقت ضيقا فلم ندخلها .

يوم الاربعاء ٢٤/٥/١٣٨٤ هـ

٣٠/٩/١٩٦٤ م

الى ممباسة :

وكان من الفصيح أن نكتبها كما كان العرب يلفظونها في القديم ، وكما وردت في رحلة ابن بطوطة ، (منبسة) ولكننا رسمناها هنا بهذا الشكل لان اسمها ورسمها أصبح الآن لا ينطق ولا يكتب الا بهذه الصورة (ممباسة) .

هيا أنا انفسنا في الصباح الباكر وبرحنا نيروبي في الساعة السابعة والنصف تماما قاصدين مدينة ممباسة على ساحل المحيط الهندي . وقد ركبنا حافلة تابعة لشركة شرق افريقية للحافلات . وكانت الاجرة بالدرجة الاولى فيها (٢٧) شلنا أي ما يعادل (٢٠) ريالاً سعودياً تقريباً . وكان الركوب في الدرجة الاولى لنا ضروريا اذ جربنا ذلك في المرات السابقة وذلك تفادياً للزحام الكثير ، ونحن نستطيع مراقبة سلوك الركاب وعاداتهم ولو لم نكن معهم في الدرجة الثانية . وكانت الدرجة الاولى في مقدمة الحافلة (الاتوبيس) وتتسع لعشرة اشخاص ، ومع ذلك لم يركب فيها احد معنا . اما باقي الركاب وكلهم من الافريقيين فكانوا يتزاحمون على الدرجة الثانية التي تبلغ اجرتها (١٨) شلنا . ومن المؤلم انه في وقت من الاوقات كانت تمتليء مقاعد الدرجة الثانية فلا يجد بعض الركاب مقاعداً خالية فيقفون وهم يشاهدون مقاعد

الدرجة الاولى خالية ، كما انه مما يؤلم ايضا ان بعض الافريقيين الساذجين يقصدون رأسا مقاعد الدرجة الاولى حين يرونها خالية ثم يأتي الجابي (الكمساري) بعد ذلك فيبعدهم عنها .

لقد استمرت الرحلة احدى عشرة ساعة لم تتوقف السيارة فيها لراحة الركاب الا مرتين او ثلاثا ، استمرت كل وقفة مدة (٣) دقائق فقط وكانوا يأكلون خلالها شيئا لا نعرفه يشبه الشطيرة (السندويتش) . فلم نأكله وظللنا على جوعنا طول الوقت وكنا نسأل السائق هل سيصل الى محطة يقف عندها لمدة اطول ؟ فكان يجيب : نعم ، ولكنه لم يقف الا قبل غروب الشمس بحوالي ساعة عند قرية صغيرة ، فسارعنا وصلينا الظهر والعصر جمعا ، ثم حاولنا تناول بعض الطعام في مطعم هناك ، ولكننا عندما بدأنا نتناوله أخذ السائق يلح علينا بغير سيارته فتركناه واسرعنا بالعودة الى السيارة . أما الوقفات الكثيرة فهي على الطريق ، اذ ان السيارة كانت طول الطريق تقف لتحمل ركابا او لتنزل ركابا آخرين وكلهم بدون استثناء من الافريقيين كما قدمت . وقد مررنا بعدة قرى لم استطع حفظ اسمائها الا قرية واحدة حفظت اسمها العربي (السلطان حمود) ولم يكن للعرب في هذا الطريق أي أثر ظاهر حتى المتاجر معظمها للهنود . ومعظم الطرق التي نمر عليها نظيفة وجيدة . الا أن بيوت الافريقيين تتكون من عشش هرمية الشكل او مسنمة السقف ، ولكن السكان

على العموم يغلب عليهم النظافة ، وتظهر علامات الصحة والعافية على وجوههم . ولم يكن معنا في السيارة أحد يعرف العربية ، بل ليس فيها غير الافريقيين الا نحن . وعندما أكثرت على الجابي من التساؤلات - بالانجليزية طبعاً - سألني عن بلادنا فأخبرته ، فازداد بنا حفاوة واوصانا بأن نحافظ على تقودنا عندما نصل ممباسة . ثم لازمنا بعد نزولنا من السيارة في مدينة ممباسة حتى سلمنا لسائق سيارة اجرة يعرفه ليوصلنا الى الفندق حذرا من ان تقع - كما يقول - بحائل من يحتال علينا ويبتز ما معنا من تقود .

كان معظم الطريق بين نيروبي وممباسة غير مسفلت وكانت السيارة التي تقابلنا او تسبقنا تثير سحابا من الغبار يحجب عنا رؤية الطريق حتى لقد كنا نمسح وجوهنا بسناديلنا فيبدو مكان مسحها أحمر لان التربة في هذا الجزء من أفريقية طينية حمراء .

وقد عجبنا كل العجب من الخصب وكثرة الاشجار الكثيفة التي تغطي الارض كلها ، وقد عرفنا ان الخصب الذي يدعوا العرب ربهم أن يمن به عليهم يعد مشكلة في تلك الارض من كينية ، فالاشجار والاعشاب تنمو كثيفة متشابكة حتى لا يستطيع المرء العبور منها فضلا عن زراعتها ، ولذلك يلجأ الاهالي هنا الى حرق الارض ، فأنت أينما ذهبت وجدت الرماد يجلل الاراضي ، او شممت رائحة

الدخان ، ورأيت الدخان يتصاعد في سحب كثيفة ... أمر عجيب من العجب ... كيف يتلفون مئات الالوف من اطنان الاخشاب والاعشاب ؟.. والجواب : انهم يفعلون ذلك ليزرعوا الارض حتى تغل عليهم ما هو انفع لهم ولبلادهم منها . ومع حرق الارض فقد كانت بعض الاشجار الكبيرة لا تتأثر بالحرق فتجدها قائمة ضخمة وسط الرماد ... كأنها مردة الجن . وكل ما فعلته النار فيها أن سودت جذوعها الضخمة . الا أنه يحدث في بعض الاحيان أن تأكل النار حتى هذه الاشجار ، وما هو بعيد عن الذهن خبر ذلك الحريق الذي نشب في غابات كينية منذ حوالي سنة ، فقد تناقلت اخباره الاذاعات والصحف ، واستمر عدة اسابيع ، ولم يستطع احد مكافحته فضلا عن القضاء عليه ، حتى سكنت الرياح التي كانت تذكي ناره ، وتلهب اواره .

وكنا قد سمعنا من قبل أن المرء يمكنه ان يرى من السيارة عددا من الوحوش على طبيعتها في تلك البلاد ، ولكننا لم نر الا عدة زرافات وحشية وقطيعا من بقر الوحش كانت اذا سمعت صوت السيارة أجفلت وشردت الزرافة رافعة ذنبها كما يفعل البعير الشارد .

عراة من الماساي :

وبعد مسيرة ما يقرب من (٢٠٠) كيلومترا . وفي احدى المحطات التي وقف فيها السائق فوجئت بأن صعد الى

السيارة رجل وامرأتان وطفل عمره (١٠) سنوات . اما الطفل فكان عريانا تماما ولكن عري الاطفال في القرى الافريقية ليس غريبا ، وانما الغريب أن الرجل والمرأتين كانوا عراة ليس عليهم الا قطعة من القماش الخفيف الذي يشبه الرداء وقد وضعه كل منهم على ظهره وعقد طرفه تحت حنكه . وعندما صعدوا السيارة اتفرج امامه فبدت عورة كل منهم ظاهرة بارزة ، وقد سارعت لارى أثر ذلك في وجوههم خجلا او استحياء ولكنني لم المس ذلك منهم . ومن حسن حظنا انهم قصدوا مقاعد الدرجة الاولى وجلسوا معنا ، فجعلت اتأملهم ، والحقيقة انك لا تستطيع تمييز الرجل من المرأة الا بما خلق الله لهما ، فالمرأة والرجل كلاهما ليس في وجهه شعر وكلاهما قد خرق اذنيه ، واثقلهما بعدد من الاقراط (والدناديش) ، بل وجعل في اعلاهما حلقا بيضاء لعلها من النضة او الصفيح تكون قائمة في أعلى الاذن زيادة على الاقراط والاشياء الاخرى التي تتدلى منها ، وعلى كل منهما عصابة سوداء من الجلد .

وبعد مدة لاحظت ان الرجل يضع اساور في عضده وفوق ركبته بخلاف المرأة كما انه يحمل عصا غليظة وهي لا تحملها .

وعندما جلسوا في السيارة كانت جميع عوراتهم بادية مما يجعل المرء تنقرز نفسه ويشمئز من منظرهم ، ثم حضر الجابي وابعدهم من الدرجة الاولى .

وقد علمت بعد ذلك أنهم من قبائل الماساي التي تقطن كينية وتنجانيقا كما رأيتهم بعد ذلك وهم لا يرون بالعري بأسا وقد شاهدت الواحد منهم اذا أراد ان يحك ظهره او دبره رفع الخرقة الوحيدة الموجودة على ظهره وأخذ يحتك بعصاه وعورته بادية للناس ، وقيل لنا عنهم انهم من اغنى القبائل الافريقية لانهم رعاة مهرة يمتلكون قطعانا كثيرة من الابقار كما انهم محاربون اشداء ، ويقال ان اصلهم من الحاميين أي الصوماليين والجالا الذين قدموا في فترة بعيدة الى تلك البلاد وتغلبوا على السكان الاصليين الذين كانوا موجودين فيها قبل قدومهم .

وهم يعتمدون في غذائهم على اللبن واللحم ، وافضل الاشربة عندهم هو الدم الممزوج باللبن ، وقد رأينا في المتحف الادوات التي كانوا يفسدون بها البقر ويستخرجون الدم من شرايينها وهي حية ، ثم يمزجونه باللبن الذي يحلبونه منها ثم يشربونه ، وهم جفاة ونسبة التعليم فيهم قليلة ، ولم يدخل الى الدين المسيحي ولا في الدين الاسلامي منهم الا القليل ، اما اغليبتهم فوثنية حتى الآن .

وقبل الوصول الى مباسة بحوالي (٨٠) كلم ، لاحظنا ان زي السكان قد بدأ يتغير ، فأصبحت ترى النساء لا يسترن النصف الاعلى من اجسامهن فيبدو الصدر مع اعلى النهدين عاريا وكذلك ما يقابله من الظهر . اما قبل ذلك فقد كان زي الافريقيين هو الزي الافرنجي . وقبل الوصول الى

مباشرة بحوالي (٣٥) كيلومترا بدأت البساتين والاشجار المغروسة تجلجل الارض ومنها اشجار النارجيل (أي جوز الهند) التي يشبه منظرها على البعد منظر النخيل فتذكرنا ببلادنا . ثم أخذت هذه الاشجار تزداد كثافتها حتى وصلنا ممباسة . وكان سائق سيارة الاجرة التي أقلتنا من موقف الحافلة التي قدمنا بها ، عربيا عماني الاصل قال لنا : ان اسمه الشيخ عبدالله كذا اثبت كلمة الشيخ لنفسه امام اسمه ، وهو يتحدث العربية بصعوبة ، ويلبس اللباس العماني التقليدي ، ولكن ليس له لحية طويلة . وذهب بنا الى فندق يسمى (الياس هوتيل) أي فندق الياس قال انه فندق اسلامي وصاحبه هندي مسلم وهو رخيص الاجرة اذ ان الليلة الواحدة فيه (٥) شلنات أي ثلاثة ريالات سعودية . وقد تناولنا العشاء بعد ذلك في المطعم التابع للفندق وهو نظيف الا ان طعامه مطهو على الطريقة الهندية التي لا نستسيغها اطلاقا ومع ذلك فكان الطعام غاليا حيث اخذ منا لقاء وجبة ممتاز بالشح والتقتير مكونة من حبات من الارز وقطعة من اللحم لا تزيد عن حجم البيضة ٣،٥ شلنات أي ريالين وربع، وقد اخترنا هذا الفندق لما ذكره لنا السائق ولانه يقع في قلب الحي الاسلامي من مدينة ممباسة ، وقريب من المساجد فيها كما ذكر لنا ، ووجدنا ما ذكره صحيحا .

يوم الخميس : ٢٥ / ٥ / ١٣٨٤ هـ

١ / ١٠ / ١٩٦٤ م

هل نحن في نجد ؟...

استرعى انتباهنا فجر اليوم كثرة المؤذنين وارتفاع اصواتهم خلال الليل الساكن وهذه البلدة كثيرة الحركة ، وقد ابتهجنا لذلك ونزلنا لصلاة الفجر في اقرب مسجد لدينا، وقد استرعى انتباهنا اكثر وجود المنبهين لصلاة الفجر الذين كانوا يطوفون الشوارع وينادون بأصوات عالية كأنهم (المسحراتية) في شهر رمضان : الصلاة ... الصلاة ... يا عباد الله الصلاة ، فأخذنا تتساءل هل نحن في نجد ؟.. وقد كان المسجد عامرا بالمصلين في هذا الوقت الذي لا يلبي فيه نداء المؤذنين في كثير من البلاد الاسلامية الا القليل . ولا غرو فنحن في ممباسة التي اذا نظرنا الى نسبة السكان المسلمين فيها تعتبر مدينة اسلامية .

مع فضيلة رئيس القضاة :

وفي الصباح تناولنا طعام الفطور في مطعم الخيام ويتولى طهي الطعام فيه عربي يظهر انه من اليمن اما صاحبه فهو هندي ، ثم توجهنا الى بناية المحكمة في ممباسة حيث سألنا عن رئيس قضاة المسلمين في كينية وهو فضيلة الشيخ محمد قاسم المزروعى ، وكنا قد سمعنا عنه من قبل فدخلنا

عليه مكتبه وهو غرفة واسعة عليها مكتبان احدهما له والثاني كان فارغا ولعله لكاتبه الخاص . وفضيلته قد نزع اجداده قبل مئتي سنة من عمان الى شرقي افريقية فبدا مظهره بين العرب والسواحليين ، ويلبس قميصا طويلا وجبة ، وعلى رأسه عمامة خفيفة ادارها حول طاقية سواحلية ، ويتكلم العربية بطلاقة وفصاحة . ويمتاز حديثه بالعمق والاصالة ، وقد اعجبنا آراؤه الصائبة وافكاره النيرة . وقد رحب بنا اكثر عندما عرفناه بأنفسنا وقلنا اننا من المدينة المنورة وقلنا لفضيلته : اننا جئنا الى هذه البلاد فرأينا اداءا للواجب لكم على المسلمين ، ان نزوركم ، ونستفيد منكم بعض المعلومات عن المسلمين واحوالهم في هذه البلاد ، لا سيما وأنتم بحكم منصبكم وشخصيتكم اولى من يتكلم عن ذلك . وقد استمر الحديث معه عن هذا الموضوع مدة تزيد على الساعتين ، ووعدنا بناء على طلبنا بأن يزودنا بمعلومات اكثر من ذلك كما علمنا ان حالة المسلمين هنا تدعو للرتاء . وانهم منقسمون على انفسهم ، فمسلمو الهند يعزلون انفسهم عن مسلمي العرب . ومسلمو العرب يعزلون انفسهم عن مسلمي الافريقيين . ومسلمو الافريقيين يعزلون انفسهم عن الجميع . بل وقد يظهرون العداء للعرب . وقد نشرت الجرائد قبل مدة ان جماعة من مسلمي الافريقيين قد طلبوا مقابلة الزعيم جومو كينيا تا رئيس وزراء كينيا ليطلبوا منه أن يعيد لهم قضاة من غير العرب الذين كان العرف

المتبع ان يتولوا القضاء الشرعي للمسلمين في كينية عربهم وافارقتهم . وبعد الاستقلال امرت الحكومة ان تشمل صلاحية قاضي المسلمين مسلمي الهنود أيضا . وقال : ان المسلمين على الرغم من كونهم اغلبية في مدينة ممباسة فان المناصب الحكومية واغلب الحركة التجارية فيها ليست في أيديهم ، وقال ان مستوى حياة اكثرهم ليس عاليا ، بل انه دون المتوسط ، ثم شكرناه مودعين . ولا شك ان ما ذكره فضيلته عن مظهر بغض الافريقيين للعرب كانت له اسباب عميقة الجذور ساعد على نموها فورة القومية الافريقية التي نتجت عنها مأساة زنجبار ، وارجو ان اتحدث عن ذلك في المستقبل عندما احصل على المعلومات الكافية المقنعة عنه .

جولة في ممباسة :

قمنا اليوم بجولتين في مدينة ممباسة احدهما في الصباح على الاقدام والأخرى بعد العصر في سيارة لأحد الاخوان الذين تعرفنا بهم وقد زرنا سائر انحاء مدينة ممباسة كما زرنا ميناءها ومحطة سكة الحديد ، ومخازن شركات توزيع البترول وشاهدنا تصدير غلات كينية من القهوة والشاي وغيرها ، ومدينة ممباسة مدينة جميلة عصرية عادية فيها احياء يقطنها الاوروبيون وأغنياء الهنود . وقد هجر معظم الاوروبيين بيوتهم وتركوها للافريقيين

حيث غادروا كينية نهائيا ، كما ان فيها الحي الافريقي (ماجنقو) ومعنى (ماجنقو) الحافة او الهامش كما سبق ويتكون من عشش بنيت جدرانها بالطين وسقفت بالقش والصفيح . فكأن اولئك الافريقيين يعيشون في بلادهم على هامش الحياة بسبب فقرهم وتخلفهم .. واكثر احياء ممباسة التي تستحق الزيارة منا ، الحسي القديم الذي يقال ان عمره يبلغ مئات السنين ، ويقع على ساحل البحر ويدعى : (لوكالي) وسكانه خليط من العرب الذين استوطن ابائهم ممباسة ومن الافريقيين ، واكثر بيوته مبنية بالطين والحجارة ، وسككه ضيقة، وطرز ابوابه ونوافذه يشبه الى حد كبير نوافذ ابواب البيوت العربية القديمة في شرق الجزيرة العربية .

السواحليون :

والافريقيون هنا معظمهم من السواحليين نسبة الى السواحل (جمع ساحل) والمراد به ساحل شرق افريقية ، او ساحل بلاد الزنج كما كان العرب يسمونه في القديم ، وبينهم وبين بقية سكان كينية من (الباتو) والزنج فرق كبير ، اذ أن سواد السواحليين غير حالك ، كما ان تقاطيعهم اميل ان تشبه التقاطيع العربية ، وهم في مرتبة عقلية اعلى من غيرهم من سكان كينية الاصليين ، وذلك بسبب اختلاطهم بالعرب ، واعتناقهم الدين الاسلامي

منذ قرون عديدة وهم يشبهون الى حد كبير (الفلاتي) او الفلاتية من اهالي شمال نيجيرية لولا أن هؤلاء أي (الفلاتي) اطول قامات وأضخم أجساما ، ولا شك ان السواحليين خليط من أبناء العرب الذين كانوا باستمرار يفتدون الى تلك البلاد منذ قرون طويلة حتى قال بعضهم ان هجرة العرب وصلتهم بسواحل شرق افريقية كانت قائمة قبل الاسلام . وقد ازدادت بعد الاسلام قوة واتساعا حتى الآن ، أي ان اولئك السواحليين خليط من الآسيويين والافريقيين الاصليين وبذلك اكتسبوا ملامح ميزتهم عن غيرهم من سكان داخل كينية .

ونساءؤهم يتحجبن لأنهم جميعا من المسلمين كما قدمت . ولباسهن يتكون من عباءة سوداء ، وغطاء للوجه يشبه اللثام ، ولكنه اعلى منه . ويتركب قطعة من خمار الرأس تتدلى على الجبهة ، وتكاد تلتقي مع أعلى اللثام، ولكن يبقى بينهما ما يكفي العينين للنظر بدون أن يصف الوجه .

اما الرجال فلباسهم لباس المسلمين في شرقي افريقية ، وهو جلباب طويل واسع يضرب الى الكعيبين، فوقه صدري : (جاكيت) . وعلى الرأس طاقية بيضاء واذا كان الشخص منهم عالما او وجيها لبس عمامة صغيرة فوق الطاقية ، ويضعون في ملايسهم نقوشا من الخيوط حول الجيوب . ويظهر من جميع احوالهم أنهم يعيشون بقايا مدينة

خاصة بهم كانت قائمة هنا قبل مجيء الاوروبيين تشبه الى حد كبير ما عليه العرب في شرق الجزيرة العربية قبل الاستعمار ، علما بأن البلاد كلها كانت محكومة بالعرب من العمانيين قبل مجيء الاستعمار البريطاني ، وساحل كينية بالذات يعتبر تابعا لسلطان زنجبار . وقد تولت الحكومة الانكليزية ادارتها بالنيابة عنه بموجب معاهدة حماية عقدت بين الطرفين . وقبل الاستقلال اتفقت الحكومة الانكليزية وحكومة كينية الحاضرة على ان ينص في الدستور : « ان للساحل الكيني ثقافته الاسلامية المميزة عن غيره من انحاء كينية » .

وأغلب التجارة والاقتصاد في مدينة ممباسا بأيدي الهنود ، اما الشركات والوظائف الكبرى فكانت بأيدي الانكليز ، وقد تخلوا عن بعضها الآن ولا يزال بعضها الآخر في ايديهم . وان كانوا يتركونها ويهجرون البلاد باستمرار خشية على انفسهم من أن يقع عليهم ضيم من اولئك الافريقيين الذين كانوا في السابق يحتقرونهم . وحتى العرب هنا فبعضهم متخوفون من المستقبل ويقولون انهم يخشون أن يأتي يوم يشور فيه الافريقيون على وجود العرب في كينية كما فعلوا في زنجبار . ويقولون انهم لولا حكمة الزعيم جومو كينيا تا وحنكته لكان من المحتمل ان يحصل للعرب من النكبة هنا ما حصل لهم في زنجبار ، ولكن الزعيم كينيا تا ناشد الزعيم الافريقي

آنذاك ان يحترم القانون ، ويرعى جوار العرب . ويقولون انه (أي الزعيم كينيا) ذكر الافريقيين بفضل العرب واياديهم السابقة في تمدين ساحل شرق افريقية ، وقال انهم منكم وليسوا اجانب ، انهم يخالطونكم في المسكن ويشابهونكم في العادات ، وبينكم وبينهم اصهار ورحم .

والحقيقة أن الزعيم جومو كينيا يعتبر هنا الشخص المحبوب المحترم من الجميع ، وقد اثبت بمواقفه العديدة في ضبط النفس وكبح جوامح العاطفة الوطنية الافريقية ، ما لا يستطيع الكثير من الرجال تحمله ، وكان دائما يناشد الافريقيين احترام اولئك الناس الذين يعملون في كينية ما داموا يحترمون القانون ويقول الكثير من المطلعين هنا أنه لولا ذلك لحدثت للاوروبيين وللآسيويين عامة في كينية مآس ونكبات ، تكون عاقبتها مآسي ونكبات للافريقيين انفسهم ، ولكان ذلك يعني بالضرورة خراب كينية ، وعدم اعادة تعميمها فترة طويلة ، وذلك لأن الاوروبيين والآسيويين هم الذين يملكون الخبرة الواسعة في التجارة والصناعة والاقتصاد ، ولا يوجد من الافريقيين في الوقت الحاضر عدد كاف يحل محلهم ، ومع ذلك فسياسته هي احلال الافريقيين محل الاوروبيين والآسيويين بالتدرج .

ويصح القول بأن الافريقيين ليس لهم من المحلات التجارية شيء حتى لقد حاولنا ان نجد في المتاجر الرئيسية

الكبيرة ولو عاملا افريقيا واحدا فلم نستطع العثور عليه وانما يشتغلون في التجارات والمهن الصغيرة ، وذلك على الرغم من أن ممباسة بلدة مترفة في واقع الحال، والمتاجر الكبيرة خاصة بالكماليات ، والسلع على اختلاف انواعها متوفرة في كل محل ، وحركة البيع والشراء والأخذ والعطاء على اشدها والمصارف كثيرة متعددة ، ولا غرو فعهد الحرية الشخصية والاقتصاد الحر لا يزال قائما . وانت في ممباسة وخاصة في الأحياء الافريقية والوطنية اينما سرت لا تعدم العريية فاما ان يكلمك رجل عربي بالعريية او هندي او سواحلي يعرف شيئا منها، ما عدا المكاتب الحكومية والشركات والبيوتات التجارية الكبيرة فلا بد من الانجليزية .

ويبلغ عدد سكان ممباسة (١٩٦) الف نسمة اكثرهم من المسلمين الذين تكون الاغلبية منهم من السواحليين والعرب ويليهم الهنود . والمتاجر هنا مليئة بانواع الخضار والفواكه ، وهي رخيصة الثمن الا ما كان مستوردا من الخارج كالعنب الذي يستورد من اسبانيا والتفاح الذي يستورد من لبنان .

ومعظم المطاعم هنا بأيدي الهنود ، ولا نستطيع طعامهم لأنهم يكثرون من البهارات وخاصة الفلفل ، ويوجد بعض المطاعم العريية التي تقدم الطعام على الطريقة

العريية ، وهي ارض من المطاعم الهندية ، الا أنها اقل نظافة .

يوم الجمعة : ٢٦/٥/١٣٨٤ هـ .

٢ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

في مكتب الوالي السابق :

ذهبنا الى مبنى المحكمة الكبرى في ممباسة حيث قابلنا السيد (الامين بن سعيد المنذري) والي ممباسة والساحل سابقا من قبل سلطان زنجبار الذي كان يعين واليا على الساحل المذكور بموجب اتفاقية معقودة بينه وبين الانكليز . وقد الغي هذا المنصب بعد استقلال كينية قبل عامين ، واصبح الوالي يشغل وظيفة نائب الحاكم العام في ممباسة والساحة ، واما منصب الحاكم فيشغله افريقي مسلم ، وله الآن نائبان احدهما انكليزي والآخر عربي وهو الامين بن سعيد المذكور ، وهو عربي الاصل قدم اهله منذ اكثر من مائتي سنة الى شرق افريقية ، ويتكلم العريية بصعوبة ، وان كان يفهما بسهولة ، وقد سلمنا عليه واخبرناه اننا من المدينة المنورة ، وطلبنا منه ان يتكرم علينا بارسال احصاءات رسمية عن عدد المسلمين والعرب اذا كان يوجد في مكتب الحاكم العام احصاءات وسجلات لهم ، فوعدنا بذلك . ثم ودعناه شاكرين . وبعد خروجنا

منه قابلنا احد ضباط الجيش الكيني الكبار وهو عربي
الأصل من عمان ايضا .

وقد اتحت لنا فرصة الاجتماع ببعض العرب الذين
عاش اجدادهم في الساحل الشرقي من افريقية مدة تبلغ
عدة قرون ، وكلهم من عمان ، شاهدنا تأثير
البيئة الافريقية مدى هذه الفترة واضحة عليهم ، فقد
ازدادت الوانهم سمرة ، وبدت على انوفهم علامات الانف
الافريقي في الظهور ، أي انهم قد بدأوا يفقدون شيئاً
من خصائصهم الجسدية وتقاطيعهم العربية ، والحقيقة
انهم لم يفقدوا هذا فحسب ، بل فقدوا ايضا لغتهم العربية ،
الا المتقنين منهم ، اذ قد تحدثنا مع كثير منهم عن الوضع
الحاضر للعرب في شرق افريقية ، وعن الأسباب الحقيقية
لكارثة زنجبار ، وعن علاقتهم بالافريقيين من اهل
الساحل في المستقبل وآمل ان اتوصل الى بعض الانطباعات
الحقيقية عن ذلك في المستقبل بعد الوصول الى تنجانيقه
وزنجبار .

هذا وقد ادينا صلاة الجمعة في مسجد كبير يقع بين
الحي القديم في مباسة ، وبين حي ماجنقو الافريقي فسي
منطقة اكثر سكانها من العرب . وكان المصلون خليطاً من
العرب والافريقيين ، والتقى فضيلة الشيخ عمر محمد
فلاتني ، والشيخ ابو بكر جابر في المصلين موعظتين
بعد الصلاة .

نزهة على ساحل المحيط :

علم بقدمونا بعض اخواننا العرب من المقيمين هناك من الحضرميين واليمايين فأبوا الا أن يكرمونا ويبالغوا في اكرامنا . وقد اخذنا اليوم بعد العصر احدهم بسيارته وهو الشيخ عامر بن نهد من حضرموت ، في نزهة في ضواحي مدينة ممباسة ، حتى استقر بنا المطاف في منتزه على شاطئ المحيط الهندي مما يلي شرقي ممباسة . وهو منتزه جميل والمنطقة غاية في الجمال ، حيث يتمتع المرء بهواء بليل ، ونسيم عليل ، وينقل بصره بين زرقة مياه المحيط ، وخضرة الأرض على الشاطئ وهي منطقة تعتبر من ضواحي مدينة ممباسة عمرها الأوروبيون بفيئات جميلة محاطة بحدائق ومنتزهات ، وساحات لعب خضراء واسعة .

وفي هذا الجو الذي كان يتبادر الى ذهن القارئ العادي بل المثقف في بلادنا الذي قرأ ما كتبه الجغرافيون العرب الأقدمون عن الطقس تحت خط الاستواء وأنه حار شديد الحرارة تحققنا من عدم صحة ذلك لأننا وجدنا الطقس جميلا ، معتدلا غاية الاعتدال ، وأخبرنا المقيمون في هذه البلاد من العرب انه لا صيف فيها ولا شتاء الا ما لا يكاد يذكر ، والوقت الذي يأتيهم البرد النسبي هو في شهري يونيو ويوليو اشد ايام الحر في بلادنا ، أي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية . وسبب البرد

النسبي فيها هو كثرة الامطار ومن ثمة يبرد الهواء تبعا لذلك . وهم لا يعرفون شيئا من السموم ، أو الرياح الحارة ، كما لا يعرفون الصقيع او الجليد بطبيعة الحال . ومعظم الزراعة عندهم تعتمد على المطر الذي يأتيهم في اكثر فصول السنة وان كان يختلف كثرة وقله في فصل دون فصل ، ويقولون انه لا يخلفهم ابدا .

يوم السبت : ٢٧/٥/١٣٨٤ هـ .

٣ / ٩ / ١٩٦٤ م .

قمنا بزيارة عدد من المدارس والكتاتيب الاسلامية وأهملها مدرسة الفلاح ، ويديرها أخ عربي حضرمي يدعى مبارك بن حريز ، كما قمنا بزيارة مسجد سكينه ، وهو بناء عظيم ، قامت بالعبء الرئيسي من انشائه سيدة مسلمة هندية ، تدعى « سكينه » ، وشارك فيه عدد من المسلمين منهم هنود وعرب ، وهو يتألف من عدة مبان يضمها فناء واسع مسور بسور خارجي يدخل اليه من باين رئيسيين ، وتظله الأشجار الكثيفة ، وبداخله المسجد الجامع ، ومساكن للمسلمين الفقراء ، وقاعة اجتماعات كبيرة ، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، ولهذا البناء الاسلامي الكبير اوقاف تدر عليه آلاف الريالات شهريا ، تكفي لصيانتة وترميمه وهو في الواقع مفخرة من مفاخر المؤسسين . وقد

وجدنا ان من خير ما يفعله المسلمون في هذه البلاد ان يقفوا الأوقاف على المساجد والمدارس والمؤسسات لكي تستطيع مواصلة اعمالها . وقد ذهبنا فور انتهائنا من زيارة المدارس المذكورة الى فضيلة رئيس القضاة الشيخ محمد قاسم المزروعى وسلمنا للمدارس وللجمعيات الاسلامية التي تحققنا من انها ذات نشاط نافع ، مساعدات مالية رمزية باسم الجامعة الاسلامية بالمدينة ، وذلك بحضور فضيلته .

وبعد العصر قمنا بزيارة ثانية في السيارة للضواحي القريبة من مدينة ممباسة وتمتعنا بالمناظر الجميلة على المحيط الهندي الذي كانت نسماته تحيل هذا الجو الاستوائي الى ربيع جميل .

وبعد صلاة العشاء واصلنا اجتماعنا الى الاخوان العرب والمسلمين الذين جاؤوا الينا للسلام والتعارف وعرضوا ما يحتاجون اليه لابلغه للمسؤولين في الجامعة الاسلامية ، مما يدخل في نطاق اختصاصها ، وقد استمرت تلك الاجتماعات الى ما بعد منتصف الليل .

يوم الاحد : ٢٨/٥/١٣٨٤ هـ .

٤ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

العودة الى نيروبي :

قمنا مع الفجر لنذهب الى مطار ممباسة ، وقد حضر الينا

بعض الاخوة العرب وأبوا الا ان يرافقونا بسياراتهم الى المطار ، رغم المشقة التي يتكبدونها في هذا الوقت المبكر . وقد شكرنا لهم هذه الروح الكريمة ، وأدينا معهم صلاة الفجر جماعة في مطار ممباسة . وركبنا الطائرة قبل طلوع الشمس بقليل ، والطائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية لشرق افريقية ، وهي صغيرة من طراز داكوتا ، وكان معظم الركاب في هذه الطائرة كغيرها من الطائرات التي ركبناها في افريقية من غير الافريقيين اذ كانوا من الاوروبيين والهنود ، ومضيف الطائرة شاب افريقي ليس في قدرة المضيفين الأحباش ولا المضيفات الأوروبيات على الخدمة . وفي هذه الطائرة رأينا تقليدا بريطانيا طيبا هو ان يصدر المسؤول في الطائرة نشرة تتضمن معلومات كاملة عن الرحلة ، وارتفاع الطائرة بالنسبة الى سطح الأرض ، وبالنسبة الى سطح البحر ، ومقدار سرعتها ، وأسماء ملاحها ومتى تصل الى المطار التي تقصده ، وتوزع هذه النشرة على الركاب ، أما ملاحو الطائرة فهم جميعا من البريطانيين ، وقد حددوا وصول الطائرة الى مطار نيروبي في الساعة السابعة والدقيقة السادسة عشرة ، وقالوا ان هذا موعد تقريبي ، ومع ذلك فقد وصلنا في نفس الدقيقة المحددة لم تزد على ذلك ولم تنقص حتى ولا نصف دقيقة حيث لامست عجلات الطائرة الارض في تمام الدقيقة السادسة عشرة بعد السابعة ، وقد

بلغت الرحلة كلها حوالي ساعة ونصف .
ونظرا لأن الرحلة كانت داخلية فلم تتخذ اية اجراءات
في المطار ، وقد راجعنا مكتب الشركة في مطار نيروبي
وطلبنا ان تحجز لنا مقاعد للسفر غدا بالطائرة الى « كمبالا »
عاصمة اوغندة ، فوجدنا ان الطائرة التي تسافر رأسا من
نيروبي الى كمبالا قد حجزت جميعها وقالوا ان هناك طائرة
اخرى تسافر فجرا الى كمبالا ولكنها تمر بمدينة كيسومو
في كينية ومدينة (جنجا) في اوغندة وهي طائرة صغيرة ايضا .
وقد فضلنا السفر بها ولو كانت متعبة ، على الانتظار الى
ما بعد غد لكي نوفر يوما واحدا ، حيث انه قد بقي علينا
كثير من البلدان ، والايام المحددة لمهمتنا لا تكفي .

سباق السيارات القديمة في نيروبي :

رأينا في اكبر الشوارع الرئيسية في نيروبي جمهورا
من الأوروبيين وجماعة من الشرطة يمنعون السيارات من
عبور الشارع ، ولم نعرف السبب في ذلك حتى وصلنا فرأينا
منظرا جميلا جدا . انه مسابقة للسيارات يقيمه نادي
سيارات « اسو » وتدفع الجوائز ومصاريف السباق شركة
« اسو للمحروقات » .

وقد كانت مسافة السباق قصيرة نسبيا وقد وضع
وسط الشارع على الأرض عدد من اطارات السيارات
يفصل بين كل واحد منها حوالي عشرة امتار ، وعلى صاحب

السيارة التي تشترك في السباق ان يمر بسيارته بسرعة معينة، بين تلك الاطارات ولا تمسها عجالاتها ، وطبيعي ان ذلك يقتضي ان تكون اجهزة التوجيه في السيارة على جانب من الصلاحية للانعطاف بسرعة . وبعد ذلك يأتي حاجز يجب عليه ان يقف عنده فجأة وبحد معين للسرعة . وهناك على الطريق اوعية تشبه السطل .. (الجردل) على يمين الطريق ويساره يجب عليه ان يضع فيها وهو مسرع ايضا، كرات تعطى له ، وطبيعي ان ذلك يقتضي تمهلا ، ولكن التمهل قد يجعل السائق يخسر السباق ، اذ لسرعة تأديفة العمل اهمية كبرى في تقدير صلاحية السيارة او عدمها . ثم يأتي اطرف مرحلة في السباق وهي ان يحمل السائق معه شخصا آخر في السيارة يختاره بنفسه ويعطي لذلك الشخص ملعقة كبيرة بها قطعة من البطاطس تقارب حجم البيضة وقبل ان يصل الى خط معين على الأرض وعنده جمهور الناس عليه ان يقف دونه تماما وبسرعة معينة فاذا لم تسقط قطعة البطاطس من الملعقة التي يحملها زميله اعتبر ناجحا ، والا اعتبر راسبا ، في هذه المرحلة من السباق .

ان ذلك، شيء طريف ، ولكن لا يسكن ان تتصور طرفافة هذا السباق كما رأيناه الا اذا علمت أن السيارات المشتركة في السباق كلها قديمة من « موديلات » ربما لم تكن سمعت بها من قبل لأن السيارات في ذلك الوقت لم تنتشر في بلادك .

وهذا نموذج منها حسب القائمة التي وزعت علينا
نحن المشاهدين من ادارة السباق مثلا :

١ - سيارة فورد « موديل » ١٩١٢ أي ان عمرها اثنان
وخمسون سنة ، تملكها شركة هجز ويسوقها المستر
(بوب روس) .

٢ - سيارة رولز رويس « موديل » ١٩١٣ بعد السيارة
المذكورة قبلها بسنة ، يملكها المستر (س. كيرتس)
ويقودها بنفسه .

٣ - سارة تالبوث « موديل » ١٩١٣ أي ان عمرها
كالاولى يملكها المستر (ل. بالفانوف) ويقودها المستر
(د.ل. مرخام) .

هكذا تدرج السيارات المذكورة في حادثة الصنع
وعدها جميعا (٢٤) سيارة حتى نصل الى احداثها جميعها
وهي سيارة م.ج «موديل» ١٩٣٣ يملكها المستر (ج.
كورنيش) ، ويقودها بنفسه ، أي ان احدث سيارة في
المجموعة يبلغ عمرها احدى وثلاثين سنة !!

انه منظر ممتع جدا . اشكال وأنواع من السيارات
القديمة ، أخذنا نشاهدها لا مرسومة على الورق ، أو
معروضة جامدة في متحف ، ولكن حية متحركة تذهب
وتجيء ، وتسرع وتقف بسرعة وتلف وتدور .

وانك لتعجب كيف حافظ اصحابها عليها سالحة للسير طيلة هذه السنوات . انه حب الأورويين لكل شيء طريف ، وان للتشجيع على ذلك اكبر الأثر . فصاحب أصلح سيارة من السيارات القديمة اضافة الى ما يحصل عليه من الشهرة وتسليط الأضواء على عمله ، فانه يكسب جائزة مادية طيبة تجعله يزيد حرصه على بقاء سيارته ، ويحافظ عليها .

لقد اجري السباق في الشارع العام ، ولذلك رأيناه بدون علم سابق ، ومشاهدته مباحة للجميع بالمجان ، أي ان من يشاهده لا يحتاج الى دفع أي رسم . ومع ذلك فقد شاهدنا ظاهرة تستوجب النظر . لقد لاحظنا ان جميع المشاهدين يكادون يكونون من الأورويين فقد جاء الاورويون لمشاهدته مع عائلاتهم واطفالهم ، وكان الرجال يحملون اطفالهم على اكتافهم ، ليتمكنهم متابعة السباق ، نظرا لكثرة الزحام من الاورويين وكانت النساء الأورويات يتبرعن بتوزيع الأوراق التي تتضمن البيانات عن السباق ، والارقام التي تسجلها كل سيارة وكن يوزعن الابتسامات مع كل ورقة على جميع الحاضرين .

اما الافريقيون فكان ذلك لا يطربهم ولا يهز مشاعرهم ، فقد لاحظنا ان من يمر بنا يلقي نظرة عابرة ثم يمضي في سبيله .

وقد استرعى ذلك انتباهنا وجعلت انا وصاحباي
نبحث عن الافريقيين بين المشاهدين فلم نجد الا شخصين
اثنين وربما كان لوجودهما علاقة عمل كأن يكونا
مستخدمين في السباق ، أو ينتظران احدا من الحضور .

كما أن عدد الآسيويين قليل ، ويوجد الى
جانبنا نحن الثلاثة بضعة عشر هنديا ، اما اصحاب
السيارات ومرافقوهم فكلهم من الاوروبيين .

ولم نستطع مغادرة المكان الا بعد ان اعلنت النتيجة
النهائية وانتهى ذلك السباق الطريف .

* * *



إلى كينيت .. مرة أخرى
بمفاتيح

يوم الجمعة : ٢٤/٥/١٣٨٦ هـ .

٩ / ٩ / ١٩٦٦ م .

من مقديشو الى نيروبي :

ركبنا طائرة ذات اربعة محركات من طراز د.س(٦) تابعة لشركة خطوط عدن الجوية من مدينة مقديشو قاصدين مدينة نيروبي .

وفي مطار نيروبي فتشوا امتعتنا تفتيشا شديدا على خلاف عادتهم وذلك لان الطائرة كانت قادمة من عدن قبل نزولها في مقديشو ، واكثر ركابها قدموا من عدن . وعدن منطقة تجارية حرة ليس فيها مكوس لذلك فانهم يشددون التفتيش بالجمرك حذرا من وجود بضائع مخفاة مع الركاب .

وقد نزلنا في فندق « شان » عند صديقنا الاخ محمد سعيد الحضرمي .

عملنا في كينية :

يتضمن عملنا في كينية البحث مع الجمعيات الاسلامية بشأن ارسال مدرسين ومرشدين اليهم ، واختيار طلبة للجامعة الاسلامية ، وتوزيع بعض المساعدات المالية على الهيئات والمدارس الاسلامية . وقد باشرنا القيام

بهذه الاعمال ببطء حذرا من ان تصادف عقبات لم نحسب لها حسابا .

يوم الاثنين : ٢٧/٥/١٣٨٦ هـ .

١٢/٩/١٩٦٦ م .

الدكتور محمد العيسى :

قال لنا صاحب الفندق الذي نسكن فيه في نيروبي ان هناك طبيبا سعوديا يسأل عنكم ويقول انه سيأتي لرؤيتكم ، وقد استبعدنا صحة قوله، اذ ما للطباء السعوديين ولهذه البلاد ، وهم قد جندوا انفسهم للخدمة في بلادنا السعودية التي تتعاقد مع عشرات بل مئات الاطباء من البلاد المختلفة ؟ ولا يعقل ان يترك احد منهم عمله ويأتي الى هذه البلاد ليعمل فيها .

وبعد صلاة المغرب حضر الينا الدكتور محمد بن احمد العيسى وهو سعودي من مواليد مكة المكرمة ، وقد سررنا للقاءه ، ولا نعرف انه يوجد في كينيا احد من السعوديين غيرنا نحن الثلاثة . وقال لنا الدكتور العيسى انه قد ترك الرياض منذ اكثر من ستة اشهر في جولة دراسية على حساب الصحة العالمية تتضمن حلقات دراسية في موضوع تخصص الدكتور العيسى ، وهو الامراض الصدرية ، وقد شملت الدراسة بريطانية والدانمرك ، وآخرها مدة

شهرين في نيروبي للاطلاع على احوال الامراض في الصدر في بلدان شرق افريقية ، وعلى المؤسسات التي تعالجها هنا فيها ، وقال انه قدم قبل حوالي عشرين يوما ، وقد انسنا به كثيرا ، وانتقل من الفندق الذي كان يسكن فيه الى فندقنا .

يوم الاربعاء : ٢٩/٥/١٣٨٦ هـ .

١٤/٩/١٩٦٦ م .

حديقة الحيات :

ذهبنا بعد ظهر اليوم الى حديقة الحيات في نيروبي ، وكان رسم الدخول شلنين للشخص الواحد .

اما الانواع المتنوعة من الحيات والافاعي والشعابين الموجودة في الحديقة فمنظرها رائع بل مفرح فهناك مجموعة بل مجموعات كبيرة منها وقد وضع بعضها في الحوائط تحجزها عن الخروج نوافذ زجاجية يمكن للمتفرج مراقبتها من داخلها ، وكتب على واجهاتها بيانات عن تلك الحيات ، ومواطنها الاصلية ، وبعضها قد احيط بما يشبه البيئة الطبيعية التي كان يوجد فيها الأصل فنشرت حوله اوراق الشجر ، او جعل معه اعواد الحطب ، او فرش مكانه بالرمل او الحصى ، وكان اخطرها ما لا تستطيع ان

نميزه عما يحيط به الا بعد جهد ، وهذا هو الخطر لان المرء لا يراه ، وبعض الافاعي قد ترك في قفصه غذاءه من الجرذان وصغار الضفادع .

ومن اعجب ما فيها أفعى كبيرة سوداء اللون منقطة ببياض قد افردت لها حجرة ارضيتها خاصة ويطل المرء عليها من نافذة زجاجية فوقها فتراها هنا وقد انطوت عدة طيات فيخيل اليك انها مجموعة من اطارات السيارات الصغيرة الداخيلة السوداء قد نفخت واعدت للاستعمال .

شيء عجيب ، لا يمكن للمرء الا ان يذهل له ويدهش ، واعتقد انها لو وزنت لبلغ وزنها وزن خروف .

ومن الحيات القصير الضخم الذي لا يزيد طوله على ذراع ولكنه اعرض من ذراع الرجل ، ورأسه مفلطح لا يميزه غير ذلك عن بقية جسده ، وهناك مكان مسور غرست فيه مجموعة اشجار وحشائش ووضع فيه مستنقع صناعي للمياه وتركت فيه الحيات تعيش على طبيعتها فتسلق الاشجار ، وتتلوى على الاغصان ، أو تختبئ بين الحشائش ، أو تدخل تحت الاحجار ، أو تقرب من المستنقعات ، وجداره يبلغ ارتفاعه قامة الرجل ولكنه مطلي بمادة ملساء لا تسمح للحيات بان تسلقها ويشرف عليها المتفرج من فوق .

وفي ركن آخر من المتحف موضع للسلاحف
بانواعها . و آخر للورل وثالث للتماسيح الضخمة التي رأينا
عيونها كأنما تغرق بالدموع فذكرنا المثل « دموع
التماسيح » .

وقد خرجنا من الحديقة المذكورة قبل الغروب وفي
ذهن كل واحد منا صورة لذلك العالم المفزع الذي كنا قد
عشنا فيه من قبل : عالم الحيات ..

يوم السبت : ٢ / ٦ / ١٣٨٦ هـ .

١٧ / ٩ / ١٩٦٦ م .

في فورت هول :

قمنا مبكرين بزيارة لمنطقة « فورت هول » وهي
منطقة يكثر فيها المسلمون وبخاصة من قبيلة (الكيكويو)
اكبر قبائل كينية وفيها قرية خاصة للمسلمين هناك تدعى
« مسلم فيلج فورت هول » يبلغ عدد سكانها حوالي ثلاثة
آلاف نسمة حسب ما ذكره لنا الاستاذ احمد محمد مبارك
رئيس القرية الذي قابلناه هناك . وفيها مسجد بني عام
١٣٢١ هـ وفيها مدرسة (كتاب) لتعليم مبادئ اللغة العربية
والدين الاسلامي تضم حوالي (٦٠) طالبا ما بين طفل وطفلة
ولها مدرس واحد ضعيف يدعى عبدالله بن سالم بن عبيد ،

وقد تخرج من المدرسة الكبيرة في «مبروي» في ماليندي على ساحل كينية ، ويستلم مرتبا قدره (١٢٠) شلنا أي حوالي ٦٨ ريالاً سعودياً في الشهر ، ويدفع راتبه جماعة من المحسنين من اهل القرية . كما زرنا مدينة «امبو» التي تبعد حوالي ٣٧ ميلاً من الاولى ، وقابلنا فيها الشيخ صالح محمد مبارك دومان وهو عربي الاصل مولود هنا وأبوه من حضرموت وامه من قبيلة الكيكويو ، وله جهود سابقة في نشر التعليم الاسلامي ، وهو يشغل الآن وظيفة عمدة قرية «امبو» الى كونه مساعد قاضي المسلمين في منطقة «فورت هول» . وقد تحدثنا معه في الشؤون الاسلامية العامة وفيما يختص المسلمين في منطقتهم خاصة وتبين لنا من حديثه انه يطمح الى ان يولى شؤون المسلمين لا في منطقتهم فحسب بل في كينية عامة بحيث تكون المساعدات التي تقدم للمسلمين على يده ، وهذا احد اسباب ضعف المسلمين هنا ، كل منهم يرغب ان يكون الرئيس على الجميع . ومن هناك توجهنا الى مدينة «نيري» القريبة من جبل كينية المشهور ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها حوالي ١٢٪ وكان فيها مدرسة اسلامية اغلقت ابوابها منذ مدة بسبب عدم وجود مدرس للعلوم الاسلامية. ونيري تبعد عن نيروبي ٢٠٢ ميلاً . وقد استغرقت رحلتنا يوماً كاملاً واكثر من نصف ليلة فقد سافرنا بسيارة احد الاخوان العرب وهو يؤجر السيارة المذكورة ، وكنا ثلاثة الدكتور محمد العيسى والاخ عبد الله الباحث وانا ، وقد تركنا نيروبي مع

طلوع الشمس ولم نسترح اطلاقا الا في مدينة نيري حيث تناولنا طعام الغداء عصرا ، ثم تركناها بعد ان اكملنا عملنا قبل المغرب بقليل ولكننا بعد ان قطعنا حوالي ٤٧ كيلومترا وكانت الشمس قد غربت انفجرت احدى عجلات السيارة ووجد السائق ان العجلة الاحتياطية غير صالحة ، فجلسنا في الظلام الدامس مدة طويلة ، وكان اخشى ما نخشاه الهوام والحيات ، ولكن بعد مدة مرت سيارة وكان السائق يعرف صاحبها ، فأسعفه بما مكنها من السير ، وعدنا الى الفندق في تمام الساعة الواحدة والنصف صباحا ولم نتناول طعام العشاء .

يوم الاحد : ٣ / ٦ / ١٣٨٦ هـ
١٨ / ٩ / ١٩٦٦ م

الوحوش الطليقة :

هناك في كينية توجد حديقة اسموها (نشنال بارك) توجد فيها الوحوش الطليقة ولا يسمح للمرء ان يتجول فيها الا راكبا في سيارة . وعندما اردنا زيارتها قيل لنا بأن افضل وسيلة لذلك ان نذهب مع احدى الشركات السياحية التي تهيمى سيارات لهذا الغرض يقودها سائقون مهرة يترددون عليها كل يوم ، ويعرفون المواطن التي تستحق الزيارة اكثر من غيرها ، وهكذا كان .

ففي هذا اليوم ذهبنا الى شركة افريقية الشرقية للسياحة وحجزنا ثلاثة مقاعد في احدى السيارات قيمة كل مقعد جنيهان ، وذلك خلاف الرسم المقرر على كل شخص لادارة الحديقة المذكورة وقدره خمسة شلنات على ان تكون مدة التجوال اربع ساعات من الساعة الواحدة ظهرا حتى الساعة الخامسة .

وقد قامت بنا السيارة قبل الموعد المحدد بربع ساعة، وعليها نحن الثلاثة الدكتور محمد العيسى والاستاذ عبدالله الباحث وأنا ، ورجل اميركي ثري ومعه زوجته قال لنا فيما بعد : انه يعيش في (ديترويت) عاصمة صناعة السيارات في الولايات المتحدة الاميركية ، وان زوجته سويدية الاصل وانهما ذهبا لزيارة اهلها في السويد ، وقررا بعد ذلك ان يأتيا الى كينية لرؤية هذه الحديقة ، اما السادس فهو رجل اعمال هولندي قال انه يدير شركة للمصنوعات النحاسية وانه سبق له ان زار الرياض والظهران وجدة ، ومعظم البلاد العربية .

وقد دخلناها من بوابة كبيرة عادية . وهي عبارة عن مثلث رأسه تلك البوابة التي دخلنا منها ، وأحد ضلعيه حائط من الاسلاك القوية طوله (٤٥) ميلا ! تصور ، حوالي سبعين كيلومترا حائط واحد ، وضلعه الثاني حائط ايضا ، يقرب طوله من طول الحائط الاول ، اما الضلع الثالث المقابل للباب فهو فضاء أي لا جدار فيه اصلا .

وقد عمل الانكليز ذلك لكي يوفرنا للوحوش

والحيوانات البرية بيئة طبيعية لا يلاحقها فيها ملاحق ،
فحرموا الصيد تحريما قاطعا في تلك المنطقة ، كما حرموا ان
يمس شجرها او اعشابها بسوء ، وفي داخل المنطقة توجد
انهار صغيرة وبحيرات ومستنقعات الى جانب الاشجار
الكبيرة .

وعندما دخلنا الحديقة رأينا لوحة عليها تنبيهات
وتحذيرات كثيرة ، من بينها : احذر الاقتراب من الجاموس
البري ، ومن الكركدن ، أي وحيد القرن أو الخريت ، وذلك
لان كلا منهما شرس الى حد انه يستطيع اذا اثير ان ينطح
السيارة بقرنيه حتى يقلبها ويلحق الضرر بمن فيها كما
حذرونا من النزول من السيارات .

واول ما رأيناه في الحديقة قطع من النعام اقدر عدده
بأكثر من خمسين نعامة ، وهي تنهادى في مشيتها وتنبختر .
وقطيع آخر من نوع من الطباء كبير لا يوجد في بلادنا .

ثم رأينا الاسد مع اللبؤة رابضين ، ولم يكن بيننا
وبينهما لا اقل من خمسة امتار ثم رأينا بعد ذلك أسودا
كثيرة . وقد قال لنا السائق وهو خبير بهذا الامر ان الاسد
لا يعد خطرا هنا على الركاب اللذين يظلون في السيارة . ثم
رأينا قطيعا ضخما من الحمر الوحشية المخططة (حمر الزرد)
ثم قطيعا آخر من بقر الوحش . ثم قطعانا كثيرة من الوعول
او الوضيحي كما يسمى عندنا ثم قطعانا من الاروى ثم

زرافات كثيرة (جمع زرافة) ثم فيلة ، ثم أنواعا من القروذ غريبة كان السائق يداعب بعضها باعطائها من وراء زجاج السيارة اصابع من الموز فيقفز القرد ليأخذ الموز الذي يحبه ولكنه يصطدم بزجاج السيارة فيغضب ويولول ، ثم يقفز مرة اخرى الى السيارة وبعد لأي يعطيه السائق اصبع الموز.

اما الطيور فهي كثيرة متعددة واكثرها البط البري في البحيرات ، والغرائق ، والرهو وانواع من الاوز والدجاج الحبشي .

وكذلك رأينا قطعانا من الجواميس البرية المتوحشة لم نحاول الاقتراب منها وكذلك اعدادا من الكركدن ، وانواعا من الثعالب غريبة .

وبعد ان قطعنا مسافة تقدر بحوالي (٤٠) اربعين كيلا من الباب الخارجي وصلنا الى نهر صغير كتب عليه (احذر من التماسيح) ويقف حوله الناس ليشاهدوا التماسيح في النهر وقد رأينا احدها من منطقة بعيدة نسبيا .

وأعظم ما رأيناه عند ذلك النهر ليس التماسيح بل اسرابا تقدر بالمئات ان لم يكن بالالوف من طيور الصيد على فروع الاشجار الضخمة العالية ، وهي ليست على مرمى البندقية فقط بل اقرب من ذلك .

وبعد ان لبثنا فترة من الوقت على ضفاف ذلك النهر الجميل ، استأنفنا السير في مناطق بعيدة نوعا عن الطرق

الرئيسية التي كثير منها معبد بدون اسفلت ، وتخيلت كيف كانت الوحوش ، والحيوانات تنظر الى الانسان الاعزل من السلاح في العصور السحيقة . انها بلا شك لا تنفر منه كما تفعل اليوم بدليل انها هنا لا تنفر منا الا من مسافة قريبة جدا ، وذلك بسبب الاوامر المشددة بعدم حمل السلاح او ازعاج الحيوانات ، فضلا عن اصطيادها .

ثم قصدنا رابية خضراء تشرف على سهول طبيعية سلمت من عبث الآدميين منذ سنوات ، وقال لنا السائق اننا هنا نستطيع ان ننزل قليلا ونستلقي على الاعشاب لناخذ قسطا من الراحة ونستطيع ان نرى أي حيوان خطر قد يأتي الينا ، مع انه ذكر ان معظم الوحوش لا تهاجم الانسان اذا لم يستنفرها . وقد كان ينقص تلك الاستراحة بالنسبة لنا انه لم يكن معنا ادوات القهوة والشاي (معامل) لنصنع القهوة والشاي على طريقتنا كما كنا نصنع في صحراء بلادنا . ولقد تكونت بين ركاب السيارة على تباعد بلدانهم صداقة كانت نتيجة صحبة ساعات معدودة، ولكن نظرا لغرابة المناظر وتنوعها ، فقد كان كل شيء داعيا لتبادل الحديث والاستفسارات وقد قلنا في احدى المناسبات ان كثيرا من هذه الوحوش اخذ الاوروبيون اسماءها من لغتنا العربية . وعلى سبيل المثال هناك في اللغة الانكليزية : الغزال ، والزرافة ، والفيل ، كلها اخذتها اللغة الانكليزية من العربية، وبعد ان قضينا الوقت المحدد عدنا الى نيروبي ونحن لم

نشرف الغليل من زيارة تلك البلاد الواسعة التي يسمونها
حديقة .

وعندما وصلنا الى نيروبي اقترح علينا الهولندي ان
نجمع مبلغ (١٠) شلنات ونعطيها للسائق جزاء ما قام به نحونا،
وقد وافقناه على ذلك . ويذكر ان المسافة بين نيروبي وباب
الحديقة هي عشرة كيلات فقط .

يوم الثلاثاء : ١٩/٦/ ١٣٨٦ هـ

٤ / ١٠ / ١٩٦٦ م

السفر الى ممباسة :

ذهبنا في تمام الساعة الثانية عشر ظهرا الى نيروبي
لنسافر على شركة خطوط شرقي افريقية الجوية ، وهي
الشركة الوحيدة التي تملك حق النقل الداخلي هناك ،
والموظف الذي كان في الشباك الذي وقفنا امامه شابا افريقيا
قطع تذاكر الرحلة لنا من نيروبي الى ممباسة ، واعطانا
ايصالات الحقائب ، واوراق الدخول الى الساحة الداخلية ،
وساحة الخروج الى المطار .

ولكن ما ان جلسنا حتى سمعت مبكر الصوت ينادي
علي ، وعندما عدت الى الموظف الافريقي قال لي انكم لن
تسافروا ، فقلت لماذا ؟ فلم يفهم مني ولم يفهمني ، وهكذا

وقفنا محرجين ، وأخذوا منا ايصالات الحقائق فخرجنا الى ردهة المطار الخارجية واعادوا التذاكر الى مكانها وبعد برهة جاء الينا موظف هندي وطلب ان نصحبه الى مكتب آخر ، ثم اتصل بالمهاتف بمكتب الشركة في نيروبي وذكر اسماءنا وغيرها ثم قال : ان ركاب الطائرة كثيرون وانتم لم يأتنا من مركز الشركة في نيروبي حجز لكم ، ثم أشار الى شخصين آخرين والى شخص ثالث وكلهم اوروبيون وقال انهم مثلكم . فاطمأنت خواطرنا حيث خفت ان يكون في الامر التباس وان يكون لدى المطار امر بعدم اركابنا ثم قال لنا : ان عليكم ان تنتظروا في المطار مدة خمس ساعات وهكذا بقينا المدة المذكورة وقد قدمت لنا الشركة الغداء في مطعم المطار على حسابها وسافرنا في تمام الساعة السادسة والنصف مساء أي مع غروب الشمس .

وكانت الطائرة من طراز (فرندي شب) ذات المحركين التوربينيين . والملاحون من الانكليز ، اما المضيفان فهما فتى وفتاة افريقيان . واما الركاب فأكثرهم من الاوروبيين وهم خليط من الاوروبيين بحيث كنت اسمع الحديث بلغات غير الانكليزية ، ولم اشاهد في الطائرة التي امتلأت جميع مقاعدها بالركاب الا شخصا واحدا افريقيا .

في ممباسة :

نزلنا في فندق (تاج محل) ويملكه مسلم هندي ،

واجرة الغرفة فيه (٢٠) شلنا في الليلة . وهو نظيف وجميل ،
وبه مطعم جيد نظيف ويقع في حي اسلامي خالص ، وقريب
من الحي القديم في ممباسة الذي يسمى (اونجي كالي)
 ويفصل بينهما شارع عام مسفلت .

واكثر ما يسترعي انتباه الزائر لمدينة ممباسة كثرة الذين
يرتدون الزي العربي ، وخاصة الجلباب والطاقيّة ، او الفوطة
التي يستعملها اهالي جنوب الجزيرة العربية ومعها الطاقيّة
غطاء للرأس .

وقد تجولنا في شارع (سالم رود) اكبر شوارع
ممباسة ، وهو منسوب للشيخ سالم بن خلفان احد رجالات
العرب من العمانيين الذين كان لهم جهود بارزة في ميدان
الحكم والاصلاح في منطقة ممباسة .

ويذكرون انه عند استقلال البلاد عرض بعض الوطنيين
الافريقيين على الرئيس جومو كينيا ان يغير اسم الشارع
فيسمى باسمه ، فامتنع من ذلك ، وقال : لقد عمل سالم
ابن خلفان لممباسة اكثر مما عملت ، ولذلك لا ينبغي محو
اسمه من الشارع فأطلق اسم جومو كينيا على شارع آخر
في ممباسة وبقي الشارع الاعظم فيها (سالم رود) او شارع
سالم على ما هو عليه .

يوم الاربعاء : ٢٠ / ٦ / ١٣٨٦ هـ
٥ / ١٠ / ١٩٦٦ م

اجتمعنا برئيس القضاة المسلمين في كينية فضيلة الشيخ
محمد قاسم المزروعى في مكتبه ، وكان هذا اللقاء الثانى
حيث كنت قد اجتمعت به في الرحلة السابقة .

وقد بحثنا معه موضوع احوال المسلمين مرة ثانية
فكان مما قال : ان رئيس الجمهورية عاقل ، ولا يكره
المسلمين ، وقال : ان نسبة الوظائف المعطاة للمسلمين اقل
من النسبة العددية لهم بين سكان مبابسة ، وان الحكومة
ليست متعصبة ضد المسلمين في موضوع الوظائف . وقال :
ان هناك اربعة من العرب حكام مقاطعات في كينية على
رأسهم الامين بن سعيد المنذرى حاكم مبابسة سابقا ، وقال :
ان الحكام العرب المذكورين كلهم من العمانيين ، ثم بحثنا
معه موضوع مهمتنا ، وبخاصة مسألة ارسال المدرسين ،
واتفقنا معه على ان يجمع في مكتبه كبار المسؤولين عن
الدعوة الاسلامية من الافريقيين غدا لتباحث معهم في هذا
الامر بحضور فضيلته .

وبعد العصر زارنا فضيلته في الفندق ومعه الاستاذ
محمد بن سليمان المزروعى كاتبه الخاص .

يوم الخميس : ٢١ / ٦ / ١٣٨٦ هـ .

٦ / ١٠ / ١٩٦٦ م .

مع زعماء المسلمين في ممباسة :

تم الاجتماع بهم في مكتب فضيلة رئيس القضاة في ممباسة وكان بين الحضور الشيخ احمد بن علي بن عمر رئيس الجمعية الاسلامية الافريقية التي تعنى بالتعليم الاسلامي خاصة ، والشيخ محمد بن شيخ ابن محمد قاضي ممباسة الشرعي ، والشيخ سعيد بن احمد القمري ، الداعية الاسلامي المشهور ، والشيخ محمد داود وهو مبشر مسيحي سابق اهتدى الى الاسلام فاهتدى على يده عدد من المبشرين المسيحيين من الافريقيين . وقد جرى البحث في موضوع المدرسين والقيت كلمة في الموجودين قام بترجمتها الى السواحلية فضيلة الشيخ المزروعى وكان اهم ما جاء فيها الحث على الاجتماع ، وتوحيد جهود المسلمين في ميدان الدعوة الاسلامية سواء كانوا من العرب والافريقيين او الهنود ، لأن الاسلام يحارب العنصرية ، والنزعات الطائفية . ويأمر بالاجتماع على الخير كما قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فأكد معنى الاجتماع والتضامن ثلاث مرات في هذه الآية الكريمة ، بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله) ثم في قوله (جميعا) ثم قوله تعالى (ولا تفرقوا) .

ثم دار الحديث حول تعدد الجمعيات الاسلامية في
مباسة وكونها تزيد على اربعمائة ، وان اكثرها لا يعمل ،
وليس من وجودها فائدة ، بل ان وجودها يسبب الشقاق
والاختلاف .

وقد اتفقنا على ان تقدم للجمعية الاسلامية المسماة
(الجمعية الاسلامية الافريقية للتعليم الاسلامي)
والتي يرأسها السيد احمد بن علي بن عمر كتابا يتضمن
اسماء المدرسين الذين ستقوم دار الافتاء في المملكة
العربية السعودية بارسالهم الى افريقية ليقوموا بتدريس
الدين الاسلامي واللغة العربية في المدارس الاسلامية ،
حتى تتقدم الجمعية باسمها للحصول ، على تأشيرات
الدخول ، وسمات الاقامة في كينية للمذكورين .

وهكذا كان ، الا انهم ذكروا انهم يتوقعون لانهائهم
من اعداد رخص الاقامة والعمل للمدرسين اشهرا وقد طلبنا
منهم الاسراع في انائها ، وخاصة ان جميع مرتبات
المدرسين ونفقات اقامتهم وسكنهم ستدفعها الحكومة
السعودية .

هذا وبعد مغرب هذا اليوم حضر الينا في الفندق زعماء
الجمعية المذكورة واعضاء مجلس ادارتها الذي يتكون من
عشرة اشخاص كلهم من الافريقيين وقد استكملنا بحث
الموضوع معهم من جميع نواحيه .

يوم السبت : ٦/٢٣ / ١٣٨٦ هـ .
٨ / ١٠ / ١٩٦٦ م .

قمنا مبكرين بجولات على عدد كبير من المدارس والكتائب الاسلامية في منطقة ممباسة اي مدينة ممباسة وضواحيها ، وتلك المدارس والكتائب كثيرة ومتفرقة ، ولا عجب في ذلك فالمنطقة اسلامية منذ قرون كثيرة .

يوم الاحد : ٦/٢٤ / ١٣٨٦ هـ .
٩ / ١٠ / ١٩٦٦ م .

الى مدينة ماليندي :

وتوجهنا مبكرين صباح اليوم الى مدينة مالندي التي تقع الى الشمال الشرقي من مدينة ممباسة . وتبلغ المسافة بينهما (٧٥) ميلا . وقد سافرنا بسيارة اجرة تابعة لاحدى شركات نقل الركاب هناك ، ثم تبين لنا ان سائقها وهو اسود اللون ، عربي الاصل ابوه من حضرموت وبالضبط من مدينة (المكلا) وامه افريقية ، وكان يتكلم العربية بطلاقة قال ان اباه بعث به وهو صغير الى حضرموت لكي يدرس اللغة العربية هناك .

المنظر هنا جميلة ، بل فاتنة ، فالارض رملية ، والاشجار الضخمة متشابكة الا في الاراضي المزروعة . ونحن

نسير غير بعيد من ساحل المحيط الهندي ، وكثيرا ما نرى المزارع ، الواسعة التي يملكها او يديرها اوروبيون او آسيويون . والاشجار الكثيرة المغروسة فيها هي (اشجار النارجيل) وهي هنا من مستلزمات المشاريع الزراعية تماما كالنخل في بلادنا . والموز ايضا شيء لازم وضروري لا تكاد تخلو منه مزرعة . اما الاهالي فهم من السواحليين أي الافريقيين المسلمين الذين اختلط بهم الآسيويون من العرب والفرس في القديم ، ويبدون للمرء متميزين عن جمهرة السكان من الزنوج والباتو الذين يسكنون في داخل كينية تحت خط الاستواء . ونسأؤهم متحجبات بحجاب سابغ يشبه الحجاب الموجود في جنوب الجزيرة العربية وبخاصة في حضرموت ، مع ثياب سوداء طويلة تصل الى القدمين .

في بلاد القرياما :

بعد مسيرة (٣٥) ميلا من ممباسة تغيرت المناظر فجأة قرب منطقة يقال لها (كليفي) فأصبحنا نرى النساء الصغيرات والكبيرات قد تجردن من اللباس عدا قطعة من القماش لا يصح ان تسمى ثوبا لأنه ليس فيها أي نوع من انواع التفصيل او الخياطة ، فهي عبارة عن قطعة من القماش تلفها المرأة منهن حول عورتها فتستر ما تحت السرة الى ما فوق الركبة . اما ائداؤهن فليس عليها من الستر شيء !..

والمرء لا يحتاج الى ان يتعب نفسه في التعرف على الكيبرات
منهن ، فالكبيرة ترى ثديها قد ارتخيا ، وخاصة ان كانت
طاعنة في السن اذا مشت سريعا تطوح بهما يمينا وشمالا
كأنهما الكيسان الفارغان ، وليس على صدورهن او
ظهورهن لباس ، حتى الاحذية لا يلبسن شيئا منها ،
والواقع انهن اقرب الى العرى من اللباس .

انه منظر الى جانب كونه منكرا حراما في الاسلام فانه
مما يثير التقزز في النفس . وقد عرفنا ان هؤلاء النسوة من
قبائل (القرياما) التي يغلب الطابع الوثني عليها ، فنسبة
المسلمين فيها قليلة ، ونسبة المسيحيين اقل ، واكثر أفراد تلك
القبائل وثنيون لا يدينون بدين ويقوم بعض المسلمين من
اناء القبائل المذكورة بجهود طيبة في الدعوة الى الاسلام،
ولكن النتيجة حتى الآن ليست على ما يرضي . ومن اسلم
منهم تستر ، ولبس لباس المسلمين .

وقد استمر سيرنا في مناطق القبائل المذكورة حتى
وصلنا الى (ماليندي) فوجدناهم في ضواحي المدينة
نفسها ، ولما كانت المنطقة كلها من مبالسة الى ماليندي
تعتبر في السابق ولا تزال ، مناطق اسلامية ، فقد سألت
عن السبب في وجود تلك القبائل الوثنية في بلاد دخلها
الاسلام منذ قرون عديدة ، فقال لي العارفون بالامور :
انها لم تكن تأتي الى تلك المناطق الاسلامية قبل العصر

الحديث ومجيء المستعمرين الانكليز ، بل كانت تعيش في داخل الغابات بعيدا عن الساحل ، أي ان وجودها هنا قريبا من ساحل المحيط الهندي وفي تلك المناطق الاسلامية كان حديث العهد .

وعندما وصلنا الى كليفي اعترض الطريق خليج صغير يمتد من المحيط الهندي داخل في الارض فواقفنا السيارة وانتظرنا دورنا في ركوب احدى عبارتين كبيرتين ، تنقلان الركاب بسياراتهم او وهم راجلون ، من الضفة الجنوبية الى الضفة الشمالية عبر ذلك الخليج الصغير الذي قدرت عرضه بحوالي (٩٠٠) متر .

والغريب في هذه المنطقة خاصة والمناطق الاخرى هنا عامة انك ترى الاشجار الخضراء تحف بشاطئ البحر وكأنه شاطئ نهر ، والظاهر ان السبب في ذلك ان الشيطان مرتفعة ، والامطار تنزل بغزارة فتغسلها من املاح البحر . وبعد مسيرة ٤ ميلا من كليفي وصلنا مدينة ماليندي .

مدينة ماليندي :

انها مدينة صغيرة على ساحل المحيط الهندي وموقعها الى الشمال الشرقي من ممباسة بيوتها مبنية بالاسمنت المسلح ، او الحجارة ، واسقف البيوت مسطحة ، اما ضواحيها ففيها الاكواخ والعشاش المختلفة الانواع .

وجل اهلها مسلمون .

ولا يسع العربي او المسلم اذا دخلها الا أن يتذكر بحزن تلك القصة المؤلمة التي جرت على أرضها وكانت بداية النهاية لمجد عربي قديم ، وكانت اولى المراحل في نفوذ الاوروبيين الى الهند ، والسواحل التي كانت تعتبر منطقة نفوذ عربي اسلامي ليس غير . فعلى أرضها عقدت صفقة بين البحار العربي العبقري احمد بن ماجد النجدي ، وبين البحار البرتغالي فاسكو دوجاما على ان يذهب الاول مع الثاني ليرشده الى الطرق الآمنة للملاحة في المحيط الهندي التي توصل الى الهند .

وهكذا ابتداءً النفوذ البحري للبرتغاليين يمتد الى سواحل الهند بعد ان كان يسيطر عليه الملاحون العرب وخاصة من رجال جنوب الجزيرة العربية وعمان .

انها لذكرى مؤلمة يستعيدها المرء فلا يستطيع دفع الالم الا بأن يتناساها .

البلدة ليست كبيرة ، ومعظم اهلها يعرفون العربية لأن فيها جالية عربية كبيرة من جنوب الجزيرة العربية ولأن المسلمين من اهلها يتعلمون اللغة العربية في مدارس او كتاتيب خاصة . وقد نزلنا في فندق يملكه احد العرب من الحضارم الذين ولدوا هنا ، واجرة السرير الواحد فيه تبلغ سبع شلنات ، وفيه مطعم ، ولكن مطبخ المطعم في

الطريق من المدخل الى الفندق الذي يقع في الطابق الثاني
فرأيت من قذارة الطباخين والأواني ما جعلني اعاف الأكل
فيه .

مدينة قيدي الاثرية العربية :

في المساء اخذت سيارة اجرة وذهبت لمشاهدة آثار
مدينة هناك تبعد احد عشر ميلا أي حوالي ، ثمانية عشر
كيلو مترا ، الى الجنوب الغربي من مدينة ماليندي ، وتبعد
عن ساحل المحيط اربعة اميال ، ويسوق السيارة سائق
عربي الأصل ، يقول : ان اصله من عدن ، ويتحدث
العربية، والمدينة تسمى «قيدي» ولا اعرف اصل تسميتها وهي
مدينة عربية معظم آثارها من القرن الثامن الهجري أي
منذ حوالي ٦٠٠ سنة . وقد اكتشفها الانكليز ومن ثمة حولوا
المنطقة التي تحيط بها الى منطقة محرمة لا يجوز دخولها
الا للزائرين والدارسين لقاء رسم خاص قدره شلن واحد ،
وقاموا على صيانة آثارها ، وعندما جعلوا ما حولها منطقة
محرمة كان لذلك فائدتان رئيسيتان الاولى صيانة آثار
المدينة نفسها ، الثانية : جعل المنطقة التي تقع فيها وهي
منطقة غابات كثيفة تنمو فيها النباتات على فطرتها ، حتى
اذا ما رآها المرء يكون كأنه قد رأى المنطقة قبل ان يكتشفها
الانسان ، وهكذا كان شعوري عندما رأيتها فقد تدرجت في
فضائها الاشجار والاعشاب من الحشائش الى الاشجار

الصغيرة التي اكبر منها حتى الاشجار الكبيرة العالية .

اما المدينة نفسها فقد كتب الانكليز على آثارها
ايضاحات باللغة الانكليزية ، كما طبعوا كتبيا خاصا بها
باللغة الانكليزية ثمنه شلن واحد ، وقد تجولت فيها
بصحبة السائق العربي المذكور ، وفيها مقبرة عليها بعض
الكتابات منها كتابة عربية واضحة على قبر رجل توفي
عام ٨٠٢ هجرية وهي لا تختلف عن الخطوط المألوفة في
البلاد العربية كمصر والشام في ذلك الوقت . اما مبانيها
فهي من الحجارة التي الصقت بمادة تشبه الجبس ،
واجمل ما فيها ما بقي من محراب المسجد الجامع واحدى
بواباته الرئيسية ، وبقايا مسجد صغير آخر والخزانة في
قصر السلطان ، وعدة آبار مطوية بالحجارة مستديرة ، تذكر
بالآبار الموجودة في نجد والحجاز ، لولا انها هنا احكم صنعة
واتقن عملا . وفيها بقايا اوان خزفية كثيرة وزجاج من
ذلك العهد . وكل ما وجد فيها يدل على مظاهر حضارة
عربية زاهرة كانت موجودة هنا . ويقال ان البرتغاليين هم
الذين خربوها عندما تغلبوا على اهلها من العرب في القرن
العاشر الهجري .

وقد لبثنا فيها الى قرب غروب الشمس ، ثم ذهبنا
الى قرية هناك على الطريق فصلينا المغرب بمسجدها ،
واقبت نظرة على السوق القريب من المسجد فاذا

بمحتوياته انواع من الاسماك متعفنة ، وبعض لحوم لا ادري ما هي ...

وعندما عدت الى مدينة ماليندي بعد المغرب وجدت بعض الاخوان الافريقيين ينتظرون مع صاحبي الاستاذ عبدالله الباحث ، وكانوا قد علموا بقدمنا من ممباسة ، فبحثنا معهم الازواض الاسلامية في تلك المنطقة .

وقد عفا الطعام في مطعم الفندق الذي نسكن فيه وخرجنا بعد العشاء نبحت عن مطعم نظيف في ضواحي مدينة ماليندي المظلمة ، وقد دلنا بعضهم على مطعم هناك ، قالوا لنا ان صاحبه هندي مسلم فوجدناه اسماعيليا من طائفة آغا خان ، وقد رحب بنا وتحدث معنا طويلا عن البلاد العربية ، وقال ان اصل الاسماعيليين الموجودين في شرق افريقية من بلادكم ، بلاد العرب وعلى وجه التحديد من مدينة (سلمية) في سورية . ثم اضاف قوله : لعلكم تلاحظون الشبه بين الاسماعيليين وبين العرب وانهم بذلك يختلفون عن الطوائف الهندية الاخرى ، فوافقناه على ان مظهر الاسماعيليين وسحناتهم اقرب الى العرب من غيرهم من الطوائف الهندية . وكان الطعام نظيفا ورخيصا وخاصة السمك لأن مدينة ماليندي تقع على المحيط الهندي ومنطقتها من مناطق صيد الاسماك الخصبة .

يوم الاثنين : ٢٥/٦/١٣٨٦ هـ .

١٠/١/١٩٦٦ م .

جولة في مدارس ماليندي :

قمنا بزيارة القاضي الشرعي لمدينة ماليندي وهو من طائفة يسمون انفسهم الامويين ويقولون انهم اصلا من بني أمية وانهم هاجروا الى شرق افريقية منذ قرون طويلة وسكنوا اول الامر في مدينة (لامو) الى الشمال من ماليندي، ثم انتقلوا منها الى ماليندي وممباسة وغيرهما من مناطق شرقي افريقية ، والملاحظ انهم يتميزون من غيرهم من السكان العرب القدماء هنا بشيء من بياض البشرة ، او قل : سمرتهم اخف من سمرة غيرهم . ومن عند القاضي ذهبنا في جولة على المدارس والكتاتيب الاسلامية يرافقنا مندوب من قبل فضيلته ، وقد زرنا عدة كتاتيب .

وقد اعجبنا كثيرا باقبال الاهالي على دراسة العلوم الاسلامية وان كان ذلك بطريقة بدائية وهي طريقة التلقين ، ولكنها على اية حال تشد الناشئة هنا الى اصلهم الاسلامي وتحب اليهم اللغة العربية . ولولا هذه المدارس والكتاتيب لعدمت الصلة بينهم وبين الثقافة الاسلامية .

الباس :

لباس الاغلبية المسلمة في هذه المنطقة لا يختلف عن

لباس المسلمين في كافة مناطق شرق افريقية ، وهو عبارة عن قميص طويل يضرب الى الكعبين (جلباب) وفوقه سترة (جاكيت) اما غطاء الرأس فهو طاقية فقط ، قد تكون بيضاء وهو الاغلب ، وقد تكون ملونة ، وهم يتغالون في ثمنها لانها تنسج باليد .

وكثيرا ما يكون جيب القميص مفتوحا ، والثياب التقليدية تكون ازرارها عبارة عن كرة صغيرة من خيوط القطن ، أي ليست من الصدف او العاج . والجو هنا جميل ونحن تنام في الغرفة ليلا وقد نحتاج الى غطاء مع اننا جنوب خط الاستواء قليلا .

وفي المساء اجتمعنا بوفد من المدرسة الاسلامية الكبرى في « مبروى » جاؤوا يدعوننا لزيارة مدرستهم فوعدناهم بذلك غدا .

ثم خرجنا قبل المغرب تمشي على ساحل المحيط الهندي في منطقة ماليندي . انه شاطئ رملي جميل ، والهواء لطيف ، ولم أرفيه الا بعض الأورويين واغلبهم من السياح ، او ممن يشتغلون في المشاريع الاقتصادية وهم يسبحون في مياه الساحل وبعضهم يصيد السمك .

يوم الثلاثاء : ٢٦/٢/١٣٨٦ هـ .
١١/١٠/١٩٦٦ م .

في ممبروي :

ركبنا السيارة قاصدين منطقة (ممبروي) على مسافة ١٤ كيلا شمالي مدينة مالندي ، وذلك لزيارة المدرسة الاسلامية الكبيرة الموجودة هناك . وكان بصحبتنا رئيس جمعية الاشراف على المدرسة وهو الشيخ عمر بن سالم باطهيف وهو من حضرموت .

والمدرسة تسمى مدرسة النور الاسلامية يديرها الشيخ محمد سعيد عبد الله البيض . وبناتها جميلة جدا مبنية بالاسمنت المسلح على عكس اكثر المدارس الاسلامية الموجودة في هذه المنطقة وقد قيل لنا ان السبب في ذلك أن المدرسة حصلت على تبرعات من خارج كينية من الكويت والمملكة العربية السعودية .

والمدرسة تؤهل المتخرجين منها ليكونوا مدرسين للغة العربية والمبادئ الاسلامية في المدارس والكتاتيب الاسلامية المنتشرة في انحاء كينية ، وتعتني عناية خاصة بمن يدخلون في الاسلام حديثا من ابناء القبائل غير المسلمة ، وذلك حتى يصبحوا دعاة للاسلام بين قبائلهم . ومستواها ابتدائي واعدادي ، ويتكلم جميع الطلاب في القسم الاعدادي والسنوات العليا من الابتدائي اللغة العربية

بطلاقة ، وهي لغة التعليم بطبيعة الحال ، بل ان المدرسة تدرس مبادئ النحو والصرف . وهي المدرسة الوحيدة في ساحل ممباسة التي رأينا فيها آلات ناسخة (استانسل) وتقوم بترجمة الكتب الاسلامية المبسطة الى اللغة السواحلية وتعلم الطلبة المبتدئين بها ما يشق عليهم فهمه باللغة العربية .

وقد قدمنا للمدرسة تبرعا باسم دار الافتاء قدره ١٨٠ جنيها استرلنيا . ثم عدنا الى ماليندي ، ووزعنا بقية المساعدات المالية على المدارس والهيئات الاسلامية فيها بحضور فضيلة قاضي ماليندي الشرعي وكبار المسؤولين من المسلمين .. وفي المساء عدنا الى ممباسة .

يوم الخميس : ١٣٨٦/٦/٢٨ هـ .

١٩٦٦/١٠/١٣ م .

قضينا امس الاربعاء وهذا اليوم في تفقد بقية المدارس الاسلامية في منطقة ممباسة وفي المساء جمعنا ارباب المدارس والجمعيات الاسلامية لدى فضيلة رئيس القضاة وبحضور اعيان المسلمين من الافريقيين والعرب ووزعنا عليهم بعض الاعانات المالية .

ثم سافرنا بعد غروب الشمس عائدين الى نيروبي .

يوم الاحد : ٥ / ٧ / ١٣٨٦ هـ .

١٩ / ١٠ / ١٩٦٦ م .

في شورى مويو :

ومعناها : شاور قلبك ، فشور في السواحلية هي شور العريية من المشاورة ومويو : قلبك ، وهي ضاحية من ضواحي نيروبي تبعد حوالي (٤) اميال من قلب العاصمة وقد ذهبنا لمشاهدة مشروع للمسلمين هناك يتكون من بناء مسجد ومدرسة اسلامية ومساكن للمدرسين وقد تكونت لجنة افريقية لهذا الغرض يرأسها الاستاذ مولد جاشو وهو احد السياسيين الافريقيين البارزين في كينيا .

واصل المشروع انه كان يوجد في (بنكاني) في ضواحي نيروبي منطقة سكنية احتاجت الحكومة الى ازالة الابنية التي كانت قائمة عليها ، وجميعها من الاكواخ ومن بينها ثلاثة مساجد صغيرة فدفعت الحكومة للمسلمين ارض المشروع المذكور وبعض المال تعويضا لهم عن المساجد المذكورة . وقد رأينا البناء قائما الى قرب السقف وهو بناء حجري متقن ولكنه الآن واقف بسبب قلة المال اذ نفذ المبلغ المرصود ولا تزال الجمعية تجمع المبلغ المطلوب لاكماله ويقولون انهم يحتاجون الى ١٢٠ الف شلن لاتمامه . وقد اسهمنا ببعض المال للجمعية المذكورة وطلبنا حضور كامل اعضاء ادارتها ليسلم بحضورها وقد جاء الينا

في الفندق اليوم رئيس الجمعية الاستاذ مولد جاشو ونائب الرئيس الشيخ عيد عثمان ، وسكرتير الجمعية علي سالم وكاتب السكرتير سعيد بن عثمان وخازن الجمعية أو امين الصندوق رجب عبد الله ، وبعض الاعضاء فيها وقد سلمنا المبلغ لرئيس الجمعية بحضور المذكورين .

يوم السبت : ٧/٢٩ / ١٣٨٦ هـ .

٠ م ١٩٦٦/١١/١٢

مقهى ستانلي :

في مدينة نيروبي فندق اسمه (فندق ستانلي الجديد) الحق به مقهى جميل ، اوروبي الطراز ، نظيف الرياش ، فاخر الطعام ، يرتاده الاوروبيون ، واغنياء الهنود ، وهو يقع في وسط البلد ويمكن للمرء ان يقضي فيه وقتا من اوقات فراغه يلاحظ الاوروبيين في اكلهم وشربهم ومخاطباتهم ومداعباتهم وعاداتهم في اللقاء والوداع . اضافة الى أنه يستطيع ان يرى المارة من الوطنيين الافريقيين وهم يكتفون بالقاء نظرة عابرة ، او قل : نظرة اللامبالاة على هذا الفندق الذي يعص بالاثرياء والقادرين على الاتفاق من الاوروبيين لأنهم - اي الافريقيين - لا يطيقون اثمان معروضاته الغالية .

وهو الى ذلك مجتمع رجال السياسة الاوروبيين

وملتقى السياح الذين يجيئون من اقاصي الأرض لمشاهدة الغابات والحيوانات الافريقية الجميلة . وكت اذهب اليه بين الفينة والفينة ، كلما وجدت الفرصة للافلات من العمل لقضاء وقت قصير من الراحة ولشرب الشاي الذي لا اجده في غيره ، والذي يصنعونه ويقدمونه على الطريقة الأوروبية التي هي طريقة صنع الشاي في بلادنا ، وكذلك القهوة الخفيفة الممتازة . ويتحلى رواده بالادب الجم في المعاملة ، ومراعاة شعور الآخرين ، خلاف ما عليه الحال في المقاهي الاخرى ، فعلى سبيل المثال اذا كان المرء جالسا وحده على مائدة فلا يمكن ان يشاركه الجلوس عليها الا من يدعوه للجلوس . اما في المحلات الاخرى فقد ترغب ان تكون وحدك ، وقد تكون تتحدث مع غيرك على مائدتكما ، فاذا بأحد الواغلين يجلس الى مائدتك بدون استئذان وقد يسعل مع ذلك او يتنحج او يتمخط والاصعب من ذلك انه لا يرى فيما يصنعه بأسا .

كنت اذهب الى المقهى المذكور «مقهى ستانلي الجديد» في نيروبي وادعو صديقنا الدكتور محمد بن احمد العيسى الى مشاركتي الذهاب فيأتي على تمنع، واحيانا يمتنع ويقول: انني قدمت من أوروبا بعد ان مللت اجواءها المظلمة ، وشبعت من تزمتم الاوروبيين ومن طعامهم الذي لا طعم له ، ويقول : اما انتم فلا شك انه يهتمكم أن تروا ما لم تروه من احوالهم .

وعندما عدت الى نيروبي من بورندي بعد التعب والارهاق الذي عاينته وخاصة لفقد حقيتي وبعض اوراقى ولعدم توفر الامن في بورندي ولم اكن اجد هناك مكانا جميلا آمننا لتناول القهوة والشاي ، ذهبت مسرعا الى المقهى المفضل « ستانلي الجديد » وتذكرت صديقنا الدكتور العيسى الذي عرفت انه قد سافر من نيروبي عائدا الى المملكة ، وتلطف وترك لنا اوراقا كثيرة كان من بينها مذكراته اليومية التي سجلها بعد ان سافرنا وتركناه وحيدا في نيروبي كما يقول ، وتنضمن مشاعره واحاسيسه ، وشوقه العظيم للعودة الى المملكة . ولم ينس ان يسجل قصيدة وجهها اليها يذكر فيها كيف كان وجودنا في نيروبي عونا له على قضاء المدة التي تحتم ان يقضيها في هذه البلاد النائية . وقد حاولت ان ابني بعض الايات التي ارد فيها على قصيدته ، ولم اكن - للاسف - من الشعراء ، ولكن واجب اداء الدين لأخيونا الدكتور العيسى اقتضاني ان احاول ذلك ولو كانت كما يجيء لا كما يجب ، على حد تعبير بعض الكتاب القدامى فكانت هذه الايات التي كتبته للدكتور العيسى (أبي احمد) وارسلتها اليه الى المملكة ومنها ما يخص مقهى ستانلي : -

ما اقصر الدهر باستالي

.

يلومني الدكتور في قصده
ما اهون اللوم على السالي
دع عنك لومي يا ابا احمد
فانسي أرفض عذالي

ومنها في استعادة بعض الذكريات مع الدكتور :

اتذكر الايام في « شاتنا » (١) ؟
اتذكر الوقت بنشنال؟ (٢)
اتذكر الاسد نراها هنا
وههنا ، في وسط ادغال
طليقة تحكي شياها الرعا
سائمة في المرتع ، الخالي ؟
اتذكر المكتب في ربوة
قد جادها المئز بتطال ؟ (٣)
أتذكر المسكين ذاك الذي
اعطيته من جيبي الغالي
استنزل الرحمة من ربنا
بمنحه النزر من المال

-
- ١ - أي (فندق شان) الذي كنا ننزل فيه معا في نيروبي .
 - ٢ - أي (نشنال بارك) حديقة الوحوش الطليقة التي سبق الحديث عنها .
 - ٣ - هو مكتب منظمة الصحة العالمية في شرقي افريقية الذي كان يعمل فيه الدكتور وهو في ربوة جميلة من غرب مدينة نيروبي .

ثم اذا بالوغد بعد الذي
صنعته ، قائد سفّال
جاء يكافي فعلتي بالذي
من ذكره تصطك اوصالي
أعوذ بالله ، فذا عيشه
من صغره ، في وسط اوحال (١)
أتذكر (الموجا) (٢) وما بعده ؟
أتذكر «الشومبي» (٣) وامبالي (٤) ؟

-
- ١ - للمسكين المشار اليه قصة محزنة ، ملخصها : اننا
عند وصولنا الى كينية رايت في احد المطاعم العربية
شيخا عربيا هرما هزيلا ، تبين عليه المسكنة والحاجة ،
مع ضعف البنية والعجز عن التكسب ، فسألته عن
عمله فأجاب : انه لا عمل له ، ثم سألته هل لك
اولاد ؟ ، فأجاب بالنفي ، وقال : انه لا يملك حتى
مسكنا يؤويه ، فرق له قلبي ونفحته مساعدة مالية لا
بأس بها من جيبى الخاص ، ابتغاء وجه الله . وبينما
كنا الدكتور العيسى ، والاستاذ عبد الله الباحث وأنا
بعد ذلك بيومين جالسين في الفندق اذا به اى العجوز
يأتي ومعه صبي هندي ، وهو يقدم لنا الصبي ويقول انه لا
عمل له ويطلب عملا ، وبعد ذلك عرفنا من صاحب الفندق
ان صنعة العجوز المذكور هي . . . وتحققنا بعد ذلك
انه ساقط ، فكان الدكتور العيسى يقول لي على سبيل
التندر : ارجو ان تكون صدقتك على هذا . . . مقبولة !
- ٢ - الموجا : هو واحد اول الاعداد باللغة السواحلية وما بعده :
اي ما بعده من الاعداد وكنا قد حفظناها ونستعملها .
- ٣ - الشومبي : الملح بالسواحلية ومنه اسم الشومبي رئيس
وزراء الكونغو السابق .
- ٤ - امبالي : بعيد ، بالسواحلية .

انا خلفناك ، فكل الذي
نسيته ، فهو على بالي
في فندق خادمه خده
تكحل منه ربة الخال (١)

يوم الاثنين : ١ / ٨ / ١٣٨٦ هـ .

١٤ / ١١ / ١٩٦٦ م .

الى قرية كراي :

توجهنا صباح اليوم مع الاستاذ محفوظ احمد باوزير
مدير القسم الاسلامي في اذاعة صوت كينية الى قرية
(كراي) وتبعد (١١) ميلا الى الشمال الغربي من مدينة
نيروبي وكان ذهابنا بناء على اتفاق سابق مع زعماء تلك
القرية من المسلمين وهم من قبيلة (الكيكيويو) اكبر القبائل
الافريقية في كينية . وكانت مناظر الطريق كآثر مناطق
كينية المحيطة بمدينة نيروبي مناظر خلابة : عبارة عن رواب
خضر ، ووديان خصبة تتخلل بعض الروابي قطع من غابات
الاخشاب التي غرست حديثا للاستثمار .

كان اول ما رأينا من القرية مسجدها وهو احسن
بناء فيها مبني بالاسمنت المسلح ومفروش بالحصر التي

١ - هو خادم الفندق الذي نسين فيه في نيروبي .

صنعها المسلمون بأيديهم . اما بيوت القرية نفسها فجميعها من الاكواخ المبنية بالاعواد، المطلية بالطين والمسقفة بالزئبق او القش .

وقد التقينا بامام المسجد واسمه « سالم كذاكا » ورئيس جمعية المسجد الذي هو زعيم القرية واسمه «جمعة امبقوا » . وقد شاهدنا مدرسة ابتدائية تقام هناك يقوم على انشائها اهالي القرية من المسلمين ويجمعون التبرعات من غيرهم من المحسنين .

ويقولون انهم طلبوا من الحكومة الكينية ان تفتح لهم مدرسة ابتدائية فاشتربت لذلك ان يبنوا على حسابهم الخاص بناية للمدرسة ثم تنظر الحكومة في ارسال المدرسين اللازمين ، وقد قدمنا لهم تبرعات مناسبة باسم دار الافتاء في المملكة العربية السعودية للمدرسة المذكورة ، كما قدمنا تبرعا آخر لاقامة سور ودورة مياه للمسجد الذي يفتقر الى ذلك .

وقد ألقىت كلمة في الذين اجتمعوا من اهالي القرية ثم عدنا الى نيروبي في نفس اليوم .

يوم الثلاثاء : ٢ / ٨ / ١٣٨٦ هـ .

١٥ / ١١ / ١٩٦٦ م .

الحقبة المفقودة :

تلقيت أمس برقية سارة من (بوزمبورا) عاصمة بوروندي

تفيد بأنه قد عثر على حقيبتى التى سرتت من جمرك المطار فى بوزمبورا والتى تحدثت عنها عند الكلام على بوروندى ومرسل البرقية هو السيد شعبان مرشو الامين العام للجمعية الاسلامية هناك ويقول فيها : ان الحقية قد عثر عليها وان اللص قد سلم الى الشرطة .

لن اذكر هنا مبلغ سرورى بهذا النبأ وهذا ظاهر ويتصل بسبب بهذه اليومات، لان بعض الاوراق منها وخاصة تلك التى كتبت فى اوغندة كانت فى الحقية المفقودة ولكن الطريف الذى ينبغى تسجيله هنا هو كيف عثر عليها .

وصل مساء اليوم الى نيروبي بعض الطلبة البورنديين الذين كنا قد اخترناهم ليلتحقوا بالجامعة الاسلامية وقطعنا لهم تذاكر سفر من بلادهم الى المدينة المنورة ، وعددهم خمسة وهم فى طريقهم الى المدينة ، مارين بنىروبي ، وقد اخبرني رئيسهم الاخ يوسف اليمينغوا ان قصة العثور على الحقية كانت كما يلي :

عندما سرقها اللص وهو موظف فى جمرك مطار بوزمبورا اخفاها قريبا من بيته وقد تمتع - مصادفة - باجازة له فى الوقت الذى كنا نبحت فيه عن الحقية وقضى اجازته فى قرية نائية . وعندما انتهت اجازته وعرف اننا قد تركنا بوروندى وسافرنا الى نيروبي اخرج الحقية وكان فيها مئة وخمسة وسبعون ريالاً سعودياً هي كل ما فيها

من النقود لاني كنت اضع النقود والاوراق الثمينة في جيبى او في حقيبة اليد التي احملها ، فأخذ اللص النقود السعودية وذهب بها الى السوق لبيعها ولكن التاجر الذي يشتري منه السرقات عادة لم يعرفها ، لكونها غريبة عليه فذهب اللص الى فندق (باقداس) الذي يسكن فيه الاجانب وعرضها على احد اخواتنا السنغاليين الذين كانوا قد عرفوا قصة حقيبتى وجميع محتوياتها ، وكان ذلك الاخ السنغالي قد حج منذ سنوات ويعرف النقود السعودية اضافة الى معرفته اللغة العربية التي كان قد تعلم طرفا منها في مدرسة اسلامية في بلاده ، فما كان منه إلا أن قال للص : نعم انتي اشتريها ولكن ليس معي نقود فانتظرنى حتى اكلم صاحبي بالهاتف ، ثم ذهب وكلم السيد جمعة مهبي رئيس الجمعية الاسلامية البورنندية وقال له : اتنا عثرنا على اللص الذي سرق حقيبة اخينا محمد العبودي ، فما كان من السيد جمعة الا ان اسرع باحضار شرطي قبض على اللص وذهب معه حتى دله على مكان الحقيبة واستخرجها واستلمها منه عند الشرطة بعدما اتم جرد محتوياتها بحضور الجميع وبحضور الشيخ علي بن محمد الطوقي كبير العرب العمانيين في بوزمبورا وصديقنا هناك ، ومن ثمة ختمها ثانية ، واعطوها شركة شرق افريقية للطيران لانها هي المسؤولة عن فقدانها في مطار بوزمبورا ، ولانا قدمنا على طائرتها ، وذلك لا يصالها اليّ في نيروبي ، ولما سئل

اخونا السنغالي كيف عرف ان ذلك الرجل هو اللص ..?
قال : لوجود النقود السعودية معه .

يوم الاحد : ١٤/٨/ ١٣٨٦ هـ .

٢٧/١١/ ١٩٦٦ م .

في مشاكس :

ذهبنا بالسيارة عند الساعة التاسعة والنصف صباحا الى مشاكس على بعد (٣٨) ميلا الى الجنوب الشرقي من نيروبي ، وذلك بصحبة السيد محمد علي جمعة رئيس بلدية مشاكس وزعيم المسلمين الافريقيين هناك ، وقد قطعنا المسافة المذكورة بدون ان نشعر بتعب ، بسبب لطف حديث السيد محمد علي المذكور ، وتفهمه لمشاكل المسلمين واجتهاده في حلها وغيرته على الدين .

وكانت المناظر فيما بين نيروبي ومشاكس ليست خضراء خضرة شاملة لان الفصل هنا فصل الجفاف وقد مضى شهر دون ان تنزل قطرة مطر لذلك جف العشب حتى يتراءى للعين ان الارض عبارة عن صحراء مع انها مغطاة بالحشائش الجافة ، وليس هناك اشجار كبيرة لان هذه الارض من المساحات التي تعتبر مراعي للبقر . وقد كان لبعض الاوروبيين مزارع فيها، غير انها الآن سلمت للافريقيين

حيث اشترتها الحكومة الكينية وخصصتها مراتع لمواشي
الافريقيين . وتقع جميع المنطقة المذكورة في المساحة
المخصصة لقبيلة (موكامبا) ثاني قبيلة في كينيا من حيث
العدد بعد قبيلة (الكيكويو) وعندما يصل بك الطريق الى
مسافة عشرين ميلا من نيروبي تكون حدود قبيلة (الماساي)
عن يمينك وانت ذاهب الى مشاكس ، غير بعيدة منك ،
والعجيب في امر القبيلتين المتجاورتين هنا ، (ماساي)
و(موكامبا) ان الاولى يصعب تعليم افرادها وتثقيفهم ، على
حين ان الاخيرة اسرع القبائل الكينية الى التعليم كما
ذكرنا ، قالوا وكثيرا ما يقع بين القبيلتين قريب مما يقع بين
القبائل العربية المتجاورة من حروب على المراعي ومن سلب
للابقار والمواشي .

وصلنا مدينة (مشاكس) وهي صغيرة لا اعتقد ان
عدد سكانها يزيد على عشرة آلاف نسمة وقد وجدنا
المسلمين مجتمعين في جامع مشاكس وقد اعدوا فرقة من
اولادهم استقبلتنا عند باب المسجد بنشيد قصير باللغة
العربية الفصحى مع اننا لم نكن نظن قبل ذلك انه يوجد
عمل اسلامي في هذه المنطقة التي تقع وسط اراضي قبيلة
(موكامبا) ، ولما انتهى النشيد تكلم السيد محمد علي
فذكر حاجة المسلمين الى التعليم الاسلامي وغيره من
المساعدات ، وقال :

اتنا كما تلاحظون من حرصنا على التمسك بديننا

فان افضل بناء في مدينتنا هو المسجد الجامع على الرغم من اننا قد جمعنا المبالغ اللازمة لبنائه بالشلن ونصف الشلن وربعه .

ثم رددت على كلمته بكلمة مناسبة وبينت له حرص الحكومة السعودية على بذل كل ما استطاع في سبيل مساعدة المسلمين مع الاخذ بالاعتبار حاجة المسلمين في جميع انحاء العالم الى المساعدة والمعاضدة وبعد ان تكلمت على الروابط الاسلامية القوية التي تربط بين المسلمين قال السيد محمد علي انني اقدم لك رجاء خاصا هو ان تذهبوا معي الى مكان الاخوات المسلمات خلف المسجد فتلقوا فيهن كلمة وقد تكلم هو قبل ذلك فقال موجها كلامه اليها : ان لآخواتنا المسلمات هؤلاء يعود فضل كبير في سبيل انشاء هذا المسجد الذي ترونه فقد تبرعن بما استطعن تقديمه من المساعدات ومن لم تستطع منهن الحصول على مال تقدي تبرعت بحليها او شيء من ثيابها .

ان ذلك شيء مؤثر جدا ، ولم تكن تتصور ان يبلغ حرص اخواتنا المسلمين في هذه المنطقة وسخائهم في سبيل اقامة مسجد جامع ومدرسة اسلامية لهم هذا المبلغ .

فالحمد لله على ذلك ، وقد قدمت لهم مبالغ من المال باسم دار الافتاء في المملكة العربية السعودية، بعضها يصرف

بمصارف حاجات المسجد الجامع، والبعض الآخر للمساعدة على اكمال بناية المدرسة الاسلامية الملحقه بالمسجد كما عيّننا لهم مدرسا ، يبعث من دار الافتاء هو الاستاذ محمد ابراهيم وطلبنا منهم ان يرشحوا طالبين او ثلاثة لنختار منهم من يصلح للدراسة في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة. لكي يعود بعد اكمال دراسته لارشادهم وتعليمهم. وكان مترجم الاحتفال كله الاستاذ محفوظ بن احمد باوزير مدير القسم الاسلامي في اذاعة صوت كينية . وهو عربي الاصل من حضرموت ، ومولود في كينية ، يتكلم اللغة العربية بطلاقة ، بل بفصاحة .



حالة المسامین فی کینیٹہ

برقائے

قصدنا نيروبي عاصمة البلاد ثم تجولنا في المناطق المتعددة من كينيا .

وقد اتصلنا في هذه البلاد بعدد من زعماء المسلمين وعلمائهم ومن بينهم رئيس قضاة المسلمين في كينيا الشيخ محمد قاسم المزروعى الذي يقيم في ممباسا والامين بن سعيد المنذري نائب والى ممباسا السابق واعضاء الجمعية البرلمانية المسلمين وعددهم ٢١ من ١٤٢ عضوا وغيرهم من زعماء المسلمين من العرب والافريقيين والهنود . وقد قام اعضاء البعثة بالقاء كلمات في عدة مساجد وكان الحديث يترجم الى السواحلية الا حيث يكثر العرب في بعض مساجد ممباسا فلا يحتاج الى ترجمة ، بل تكفي العربية التي يفهمونها جميعا .

دخل الاسلام ساحل كينيا منذ اكثر من عشرة قرون حيث نزل العرب في السواحل ، اما داخل البلاد فلم يدخلها الاسلام الا قبل ما يقل عن مائة سنة ويبلغ نسبة عدد المسلمين في كينيا الى مجموع السكان ٢٠٪ يقطن معظمهم في منطقة ممباسا على ساحل المحيط الهندي حيث يقدر نسبة المسلمين في ممباسا بالنسبة الى بقية السكان ٦٢٪ من العرب والافريقيين ثم في باقي المناطق الساحلية مثل ماليندي ولامو ووجيري التي معظم سكانها من المسلمين الصوماليين اما بقية المسلمين فيوجدون متفرقين

في كل مكان تقريبا حيث يقدر عددهم في العاصمة نيروبي ٣٦ الفا من مجموع سكانها البالغ ٢٤٥ الفا كما ذكر لنا قاضي كيسوموا ان عدد المسلمين في مقاطعة نيانزا يبلغ ٤... كما يبلغ في مقاطعة وسترن ٦... وفي مقاطعة رفي فالي ٣٥.. كما توجد قرية سكانها من المسلمين من اصل سوداني كل اهلها البالغ عددهم ٣٥.. من المسلمين وتسمى (كبرا) وتبعد ٥ كيلومترات الى الغرب من نيروبي .

الجمعيات الاسلامية :

يكثر عدد الجمعيات الاسلامية في كينيا بشكل ليس له نظير في البلاد التي زرناها وقد قيل لنا ان عدد تلك الجمعيات قد بلغ ٤٢٠ جمعية وقال لنا فضيلة رئيس قضاة المسلمين في كينيا الشيخ محمد قاسم المزروعي : ان عدد الجمعيات في كينيا يزيد على عدد ايام السنة ، ومع ذلك فقد اتفق كل من قابلناه من زعماء المسلمين وعلمائهم وعامتهم بدون استثناء على ان الجمعيات الاسلامية المحلية لم تقم بالواجب المطلوب منها ، ولم تحقق شيئا من الآمال المعلقة عليها بل ان بعضها كان لاختلاف اعضائها فيما بينهم وتخاصمهم خصاما يؤدي الى تدخل الشرطة كانت موضع شماتة الاعداء ، وحتى اصبح مجرد ذكر الجمعية يدل في اذهان المسلمين هناك على الفشل والضياع كما سمعت كثيرا بأن مقصد بعض المؤسسين لتلك الجمعيات كان لطلب

الجاه أو النفع الشخصي ، وعلى العموم فان تلك الجمعيات ليست موضع ثقة من الجميع، وقصرت مساعدتنا على عدد قليل منها وهي التي تعمل مثل الجمعية الاسلامية الافريقية للتعليم الاسلامي ، وجمعية معلمي القرآن الكريم ، وجمعية الاسعاف العربية التي تبذل جهودها في اسعاف المحتاجين من المسلمين ويرأسها الشيخ مبارك بن دهري ، وهو حضرمي الاصل ، وجمعية تجهيز اموات فقراء المسلمين الموجودة في المحكمة الشرعية في ممباسة .

النشاط الاسلامي :

يصح القول بكل أسف ان الدعوة الاسلامية في ساحل كينية يشملها ركود في الوقت الحاضر على الرغم من الحرية المطلقة المداعي للاسلام وعلى الرغم من ان حكومة كينية لا تقف موقفا معاديا للمسلمين ، الا اننا قد تعرفنا على بعض الشخصيات الافريقية ممن نذروا انفسهم للدعوة الى الله وعرفوا بذلك بين الناس كما انه يوجد عدد من الوعاظ والمدرسين في بعض المساجد وكثيرا ما يكونون ائمة المساجد انفسهم . ويكاد ينحصر النشاط السار في الحقل الاسلامي في كثرة المدارس والكتاتيب الاسلامية وقد اطلعت البعثة على عدد من تلك المدارس والكتاتيب وتفقدت فصولها وقدمت لها مساعدات مالية كما خصصت لها ولبعض الشخصيات الاسلامية اعدادا من المصاحف والاجزاء القرآنية

والكتب الدينية . وهذه المدارس تقع في منطقة نيروبي العاصمة ، وفي غيرها من المناطق في جميع انحاء البلاد .

مركز المسلمين المادي والاجتماعي :

اذا استثنينا افرادا قليلا من العرب في منطقة الساحل وقلّة من مسلمي الهنود في ممباسة ونيروبي العاصمة فان حالة باقي المسلمين المادية ضعيفة ويأتون في المرتبة الثالثة من هذه الناحية حيث الاوروبيون في المرتبة الاولى والهنود وغالبهم من الهندوكيين والسيخ في المرتبة الثانية ثم العرب وبعدهم الافريقيون في المرتبة الرابعة والاخيرة . ولكن معظم المساجد والمدارس هي من اعمال اثرياء المسلمين من الهنود والعرب ، وقد بدأ بعض الافريقيين اخيرا في نشاط اسلامي طيب الا ان ضعفهم المادي يحد من نشاطهم . اما المركز الاجتماعي فان المسلمين العرب كانت لهم الصدارة في منطقة ممباسة والساحل قبل استقلال البلاد ونكبة العرب في زنجبار، اما الآن فقد كشف بعض الافريقيين حتى عن تحامل على العرب واقرب مثال على ذلك ان جماعة من زعماء المسلمين الافريقيين في ممباسة ذهبوا لمقابلة الزعيم جومو كينياتا وطلبوا منه ان يولي عليهم قضاة غير العرب الذين يتولون القضاء منذ دخول الاسلام الى تلك البلاد ، وقد نشر ذلك في جريدة محلية تصدر في ممباسة واطلعنا على صورهم المنشورة في تلك الجريدة والمعتقد ان سبب ذلك

هو ان العرب كانوا هم السادة في تلك المنطقة وكان الافريقيون بسبب ضعفهم المادي وانحطاط مستوى معيشتهم في مستوى اقل منهم وكان بعض العرب قديما لا يلتزمون بحسن المعاملة والرعاية التي يأمر الاسلام بأن يعامل بها الارقاء والمحكومين بسب ضعف الروح الدينية الاسلامية الصحيحة عند بعض اولئك العرب في وقت من الاوقات والمعتقد ان ذلك سيزول مع الزمن لانه نتيجة جراح القومية الافريقية المتأججة في صدور الافريقيين جميعا في تلك البلاد في هذه الاوقات وبخاصة بعد ان حصلوا على الاستقلال ، على ان بعض المسلمين الافريقيين يشغلون مراكز لا بأس بها في الدولة فمنهم اربعة وكلاء للوزارات الحكومية .

النشاط المعادي للاسلام :

لقد دخل التبشير المسيحي الى كينية مع الاستعمار الانكليزي الذي سبق غيره الى داخل القارة وقد نجح التبشير في تنصير عدد كبير من السكان الوثنيين ولا يزال يواصل جهوده حيث لا يزال قسم كبير من اهل البلاد في الداخل على وثنتهم . كما يوجد نشاط صهيوني كبير يستخدم سلاح الدعاية والاغراء بالمنح الدراسية والدورات التدريبية في تحسين سمعة اسرائيل وتشويه سمعة العرب واقرب مثال على ذلك فيلم سينمائي ذكرانه عرض منذ وقت قريب وهو يصور كفاح الافريقيين للتخلص من العرب الذين

كانوا يستعبدونهم ويذيقونهم صنوف العذاب على حد ما جاء في الفيلم المذكور . كما يوجد نشاط من الجماعات غير الاسلامية التي تتستر بالاسلام كالكاديانية والاسماعيلية ولكنها لم تحقق نجاحا ذا بال مما جعل جهودها تتناقض وتصفي اعمالها في كثير من البلاد .

الاقتراحات :

أ - تقترح البعثة انشاء معهد اسلامي على غرار المعاهد الدينية الموجودة في المملكة يكون مقره في مباحة ويقبل فيه طلبة من كينية واوغندا وتنجايقه بنسبة مقررة لكل بلد حسب حاجته الى التعليم الاسلامي ، يقوم المعهد المذكور بتخريج مدرسي الدين الاسلامي واللغة العربية ، كما يعد الطلبة الذين يودون مواصلة دراستهم في الجامعة الاسلامية ويحصلون على منح دراسية للالتحاق بها .

ب - عدم دفع المبالغ المالية النقدية لشخصيات تدعي خدمة الاسلام ، اذ ان بعض من تسلموا مبالغ مالية من قبل قد ثبت للبعثة انهم استأثروا بها لانفسهم وعندما نازعهم الآخرون في ذلك رفع الامر الى الحكومة واصبحت حالتهم في النزاع والخصام موضع شماتة الاعداء. بل تدفع الاعانات للمؤسسات على شكل مشاريع او كتب او نحوها .

ج - تعيين ملحق ديني في السفارات الاسلامية تربط به رعاية الشؤون المتعلقة بالمسلمين وبال دعوة الاسلامية في

شرق افريقية .

د - الاكثار من ارسال المدرسين والمرشدين المسلمين باللغة الانكليزية ، والعارفين باللغة السواحلية الى كينية لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية في المدارس الحكومية لانباء المسلمين ولارشاد المسلمين في المساجد والمجتمعات على ان تفتح لهم دورات خاصة لتعليمهم اللغة السواحلية التي تعتبر لغة سهلة على من يعرف العربية ويمكن ان يعرف المرء الضروري منها في اربعة او ستة اشهر على ان يكمل معلوماته ويتمرن على التخاطب بها بعد ذلك في كينية نفسها ويمكن اختيار المدرسين المذكورين من خريجي الجامعة الاسلامية وكليات الشريعة الاخرى في المملكة . رصد مبلغ من المال لمساعدة المدارس والكتاتيب الاسلامية الموجودة هناك على ان يصرف المبلغ المذكور على شكل استئجار دور للمدارس ومساعدة على دفع رواتب المدرسين وتوزيع المقررات المدرسية ولا تدفع المبالغ نقدا لثلاث تصرف في غير ما اريدت له .

هـ - توزيع عدد كاف من الكتب الاسلامية باللغتين الانجليزية والسواحلية وطبع ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم باللغة السواحلية ، اذ ان الترجمة الموجودة قام بها القاديانيون .

و - الاكثار من المنح الدراسية للطلبة الكينيين في

المعاهد والمدارس الاسلامية في البلاد الاسلامية .

ز - تأكيذا لتشجيع المدارس والكتاتيب الاسلامية الموجودة هناك على الاستمرار في مهمتها الاسلامية نذكر هنا بيانا باسماء الموجود منها في كينية التي زرناها ودفعنا لها مساعدات مالية رمزية علما بان برنامج زيارتنا لم يسمح لنا بزيارة جميع ما في كينية من المدارس والكتاتيب نظرا لانتشارها في طول البلاد وعرضها ، وتباعد ما بينها .

وثناء ذكرها هنا فانما تقصد من ذلك بيان كثرتها ، كما تقصد عرض اسمائها العربية الاسلامية ، واسماء القائمين عليها ، ونحن اذ نفعل ذلك لا نقول انها مستكملة لكل ما تستحق ان تسمى معه مدارس اسلامية ، ولكن لانها هي الوسيلة الوحيدة الموجودة هناك للابقاء على تعليم مبادئ اللغة العربية والدين الاسلامي ويمكن استمرارها بل وتطويرها الى احسن في المستقبل مع قليل من الجهد والمال .

١ - مدرسة الصالحين في كيكو في (مباشرة) عدد الطلاب ١٦٠ بين بنين وبنات مديرها الشيخ أنور علي ونائبه معلم حميد سالم والمدرسة وقف على الطلبة من احد البلوشيين .

٢ - مدرسة الفلاح في بنديني (مباشرة) مديرها الشيخ مبارك بن حريز وعدد الطلبة (٢١٠) بين بنين وبنات

تتضمن على اربع غرف ، وعدد المدرسين اثنان والمبنى ملك لجمعية المدرسة وموقوف عليها .

٣ - مدرسة الهدى الاسلامية في كنتراني ماجنقو (مباشرة) مديرها السيد عبد القادر بن حسين اسماعيل يساعده اثنان من المدرسين وعدد الطلبة ٢٢٥ وبنايتها مستأجرة .

٤ - مدرسة الهدى الاسلامية ماجنقو (مباشرة) مديرها الشيخ محمد بن سالم ناجي عدد الطلبة ٤٢ أسست عام ١٣٨٢ هـ .

٥ - مدرسة الاصلاح الاسلامية في ماجنقو (مباشرة) عدد الطلبة ٨٠ مديرها الشيخ سعد بن احمد باكثر .

٦ - مدرسة المعاونة في ماجنقو (مباشرة) مسجد سكية عدد الطلبة ٢٥٠ تتكون من اربعة فصول مديرها شافي بن راشد افريقي يساعده اسماعيل خميس وعلي عمر أسست عام ١٣٥٥ هـ .

٧ - مدرسة المحاسن الاسلامية في كلولين (مباشرة) مديرها الشيخ جمعة بن محمد القرياس افريقي عدد الطلبة ٢٢٥ من بنين وبنات وعدد الفصول اربعة اسست عام ١٣٥٨ هـ ويساعده على التدريس اربعة رجال وثلاث نساء بناية المدرسة ملك للمدير ووقفها على الطلبة .

٨ - مدرسة التهذيب الاسلامية قراية (مباشرة) مديرتها السيد علوي قاسم علوي عدد المدرسين ستة والتلاميذ ٢٥. اسست عام ١٩٥٩ م عدد الفصول خمسة والتعليم فيها صباحا ومساء .

٩ - المدرسة الدينية الاسلامية صاحبها الشيخ صالح عبد المطب العبيد قراية (مباشرة) عدد الطلبة ٩٧ طالبا اسست عام ١٣٦٥ هـ . وله مساعد واحد .

١٠ - مدرسة الارشاد الاسلامية في ماجو كالي (مباشرة) صاحبها المعلم سعيد بن احمد القمري يساعده اثنان عدد الطلبة سبعون طالبا من بنين وبنات أسست عام ١٣٦٥ هـ .

١١ - فرع مدرسة الصالحين عدد الفصول اربعة وعدد الطلبة مائة وعشرون طالبا ومديرتها الشيخ طالب صالح عليان يساعده اثنان ، أسست عام ١٩٥٩ م. وتقع في كيكوني (مباشرة) .

١٢ - المدرسة المحمدية الاسلامية في كيكوني المدرس المعلم حسين بن طيب والمساعد محمد بن احمد بن حسين عدد الطلبة ٩٦ أسست عام ١٣٧١ هـ .

١٣ - مدرسة المسجد الازهر ملحقة لمسجد يسمى الازهر في مباشرة مديرتها علي بن منيكاني عدد الطلبة ٣٥. المدرسة في جانب المسجد .

١٤ - المدرسة الخيرية الاسلامية مديرها الاستاذ
عيظة عبد الله عبيد في مارقوي (مباشرة) عدد الطلبة ١٥٠
طالباً ، المساعدون على التدريس اربعة وهي ستة فصول
اسست عام ١٣٦٦ هـ .

١٥ - مدرسة الرياضة الاسلامية التضامنية ماجنقو
(نيروبي) رئيسها الشيخ حسين سليمان مجنبا والسكرتير
سعيد عثمان جبوقي عدد المدرسين اثنان وعدد الطلبة ٢٥٠
أسست عام ١٩٦٣ م. المبنى وقف على المسلمين وهي ملحقة
بمسجد الرياضة الاسلامية في ماجنقو ، تدفع
من التبرعات ويؤخذ من الطلبة شلنان أي ما يساوي
ريالاً وربع ريال سعودي شهرياً فقط من القادرين .

١٦ - مدرسة النجاح الاسلامية ومديرها موسى
عبدالله بوقو عدد الطلبة (٧٥) اسست عام ١٣٦٦ هـ .

١٧ - مدرسة افريكان مسلم ومديرها الشيخ جمعة
احمد ، وعدد الطلبة ٥٣ (كتاب) سكينه (مباشرة) .

١٨ - مدرسة فرع الرياضة عدد الطلبة ٣٥ صاحبها
السيد ابو بكر عدنان أسست عام ١٣٦٥ هـ. ماجنقو (مباشرة).

١٩ - مدرسة عائشة الاسلامية للبنات عدد الطالبات ١٣
صاحبته عائشة بنت خير أسست عام ١٣٨١ هـ. وهي في
ماجنقو (مباشرة) .

٢٠ - مدرسة البنات الاسلامية في سباكي (مباشرة)
عدد الطالبات ١٦. صاحبها عائشة بنت عبدالله كي أسست
عام ١٣٨٢ هـ.

٢١ - مدرسة مسجد كنزي صاحبها الشيخ السيد
محمد صالح السقاف أسست عام ١٣٨٤ هـ. عدد الطلبة ٥٠.
طالباً .

٢٢ - مدرسة الهدى الاسلامية في كنزي ساحل مباشرة
صاحبها عمر كينو عدد المساعدين على التدريس اثنان عدد
الطلبة ٢٥. اسست عام ١٣٨٣ هـ .

٢٣ - المدرسة الخيرية في مالندي صاحبها عبدالله بن
عييد عدد الطلبة ٣٥ طالباً اسست عام ١٣٨٤ هـ .

٢٤ - المدرسة الابتدائية الاسلامية في مالندي صاحبها
يسلم بن زمزم عدد الطلبة ٤٤ اسست عام ١٣٨٢ هـ .

٢٥ - المدرسة الاسلامية في شيلة مالندي ناظر المدرسة
الشيخ سليمان البلوشي عدد الطلبة ٦٢ وعدد الفصول اربعة
اسست عام ١٣٨١ هـ .

٢٦ - المدرسة الاسلامية في شيلة (ماليندي) صاحبها
صديق بن معاذ بن عثمان الاموي عدد الطلبة ٥٠ اسست
عام ١٩٥٣ م.

٢٧ - مدرسة مسجد بافلونا مالندي شيلة صاحبها

سالم بن علي بن سالم عدد الطلبة ٤٠ اسست عام ١٣٨٣ هـ .
٢٨ - المدرسة الحيدرية في شيلة مالندي صاحبها
جيلان بن محمد عبد الله البلوشي عدد الطلبة ٦٠ اسست
عام ١٣٧٦ هـ .

٢٩ - مدرسة النور في بوماني مالندي صاحبها عبده
محمد شكور عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٨٤ هـ .

٣٠ - مدرسة عبد الله علوي في بوماني (مالندي) عدد
الطلبة ٣٥ اسست عام ١٣٨٥ هـ .

٣١ - مدرسة حسنة الاسلامية في بوماني (مالندي)
صاحبها حسن عوض اسست عام ١٣٨٣ هـ . عدد الطلبة ٥٠ .

٣٢ - المدرسة الاهلية في براني (مالندي) صاحبها علي
ابن سعيد المنتصر عدد الطلبة ٦٠ اسست عام ١٩٦٣ م .

٣٣ - مدرسة الجمال الاسلامية في براني (مالندي)
عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٧٩ هـ .

٣٤ - مدرسة المعلم راشد بن محمد في براني (مالندي)
عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٨٤ هـ .

٣٥ - مدرسة عمر احمد مبارك في بوماني (مالندي)
عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٨٤ هـ .

٣٦ - مدرسة البنات الاسلامية في جبوة (مالندي)

صاحبها مريم بنت حميد عدد الطالبات ٤٥ اسست عام
١٣٨٥ هـ .

٣٧ - مدرسة النجاح الاسلامية في لامو عدد الطلبة
٢٢. موزعين على سبع غرف وعدد المعلمين خمسة اسست
عام ١٩٤٩ م. مديرها السيد علوي احمد البدوي .

٣٨ - مدرسة النور الاسلامية في ممبروي تبعد ١٤ كيلو
مترا عن ماليندي شمالا عدد الاساتذة اثنان ومديرها الشيخ
محمد سعيد عبدالله ويساعده بعض كبار الطلبة على
التدريس لان الفصول ثمانية والمبنى ضيق ولديهم عزم على
ان يقوموا ببناء طابق ثان فوق البناء الحالي والمدرسة على
مستوى عال نسبيا من جميع الوجوه وتعتني ادارة المدرسة
عناية خاصة بتنظيم رحلات للطلبة والمدرسين للتبشير بالدين
الاسلامي وتوضيح محاسنه كما يوجد في المدرسة آلة
ناسخة (استنسل) وهي اول مدرسة نرى فيها آلة تقوم على
طبع مقرراتها المدرسية ويشرف على شؤون المدرسة جمعية
رئيسها الشيخ عمر بن سالم باطهيف .

٣٩ - مدرسة فورت هول الاسلامية عدد طلبتها ٦٠
والمدرس يدعى عبدالله بن سالم عبيد يتقاضى من المدرسة
(١٢٠) شلنا في الشهر ويجمع راتبه من تبرعات المحسنين .

٤٠ - المدرسة الاسلامية في كتوى (وسط كينية)
مديرها المعلم سعيد بن علي عدد الطلبة ٧٥ أسست عام

١٣٨٦ هـ. قام على انشائها اهالي كتوى بعد مدة طويلة من جمع التبرعات، ينقصها أثاث وكتب خازنها يدعى احمد طيب.

٤١ - مدرسة الفلاح في كبرى غربى نيروبي مديرها الشيخ عبيد كافي يساعده مدرسان هما مو جمعه وسليمان سعيد عدد الطلبة ١٩٢ عدد الفصول اربعة أسست في عام ١٩٤٢ م. والمبنى ملك للمدرسة ويقع جانب المسجد الجامع في بلدة كبرى .

٤٢ - مدرسة كلولينى مسلم اسكول مديرها المعلم مرجاء بن مزي بن عثمان عدد الطلبة ٦٥ أسست عام ١٩٥٧ م الطلبة موزعون فيها على فصلين ، المبنى وقف للمدرسة .

٤٣ - مدرسة جامع كيسومو عدد الطلبة ٣٥ صاحبها زكريا احمد شيخ الكمري أسست عام ١٩٦١ المكان وقف تابع للمسجد .

٤٤ - المدرسة الاسلامية في كتوى مديرها ابو بكر عمر جلز عدد الطلبة ١٧٠ يساعده عبدالله مفتاح أسست عام ١٩٥٨ م.

٤٥ - المدرسة الابتدائية الجديدة في كراي هي الآن تحت الانشاء وصل البناء فيها الى السقوف والغرف أربع طول كل واحدة ٧×٩ أمتار ، والمكتب ٤×٩ أمتار ، رئيس المشروع مبارك منقى والجماعة القائمون على انشائها هم

أهالي كراي ورئيس جمعية المدرسة هو الشيخ سالم بن كدياكا .

٤٦ - مدرسة السعادة الاسلامية في مجنقو نيروبي
اسم صاحبها الشيخ رمضان غدياكا والمعلم محمد سالم عدد
الطبة ٤٥ طالب من بنين وبنات أسست عام ١٩٤٥ م. تحتاج
الى فرش وبنية المدرسة ملك لصاحبها الشيخ رمضان .

٤٧ - مدرسة البدوي الاسلامية في كيزيقتي تبعد عن
لامو عشرة اميال مديرها الشيخ حارث صالح الاموي عدد
المدرسين المساعدين عشرة عدد الطلبة ٢١٧ والفصول عشرة
اسست عام ١٩٥٥ م. المبنى وقف للمدرسة والدراسة مجاناً
والقائمون عليها اهل البلدة بمساعدة المحسنين .

٤٨ - مدرسة الله الاسلامية في بوكولة جنقاما تبعد
عن ممباسة ٧ أميال مديرها الشيخ محمد فقيه خروجي عدد
المدرسين ثلاثة والطلبة ٢٢. عدد الفصول ٥ أسست عام
١٩٥٠ م. ملاصقة لمسجد بوكولة وبنيتها وقف للمدرسة .

٤٩ - مدرسة الاستقامة الاسلامية في قرية ماجنقو
مسجد النور على بعد ٦ اميال من ممباسة مديرها الشيخ
عيدروس بن مشهور بن شهاب عدد المساعدين على التدريس
اثنان وعدد الطلبة ١١٣ من بنين وبنات والفصول خمسة
والمبنى وقف على المدرسة أسست عام ١٩٦٤ م. والمدرسة
تأخذ من الطلبة شلنين اثنين في الشهر .

٥. - مدرسة مسجد ابيسة المعلم الشيخ محمد ابو بكر
عيشان في (انجي او كالي) (مباشرة) عدد الطلبة ٧٠ وعدد
الفصول ٣ أسست عام ١٩٣٦ م.

٥١ - مدرسة التقوى الاسلامية في حارة ازقلان
(مباشرة) مديرها الشيخ بوناكنيو مزين عدد الطلبة ٧٦
والمدرسة اربعة فصول بناها عبد صالح تحتاج الى مقاعد
وسبثورات أسست عام ١٩٦٤ م.

٥٢ - مدرسة الفلاح الاسلامية في قرية بن شافي تبعد
٨ اميال عن مباشرة صاحبها المعلم خميس بن جمعة الافريقي
يساعده على التدريس اثنان من الطلبة وعدد الطلبة ٨٠
والفصول ٣ أسست عام ١٩٥٦ م.

٥٣ - مدرسة بوكولة الاسلامية تبعد ٩ اميال عن
مباشرة اسم المعلم عثمان بن حسين الافريقي عدد الطلبة ٤٠
يساعد احد الطلبة والمدرسة غرفة واحدة مقسمة الى ثلاثة
فصول أسست عام ١٩٥٨ م.

٥٤ - مدرسة استيشن اسلامية سنقامة اسم المعلم
شعبان بن خميس القادري عدد الطلبة ٢٠ أسست عام ١٩٦١ م.

في جمهورية الصومال
جمهورية

يوم السبت : ١٣/٥/١٣٨٤ هـ .

١٩/٩/١٩٦٤ م .

الى مقديشو :

تركنا فندقنا في نيروبي في الساعة الخامسة من صباح اليوم أي مع طلوع الفجر قاصدين مطار نيروبي ، على سيارة اجرة لأحد العرب هنا . وقد صلينا الصبح بعد وصولنا المطار . وكانت المعاملة سهلة ميسرة .

وفي تمام الساعة السادسة والنصف توجهنا الى الطائرة، وكان الركاب خليطا من الناس بينهم امريكيون وايطاليون وصينيون ورجل مهري واحد (من بلاد المهرة في جنوب الجزيرة العربية) وقد وقف الركاب جميعا عند سلم الطائرة مدة خمس دقائق قبل ان يسمح لهم بدخولها وظهر ان المضيفة كانت ترتب مع بعض موظفي الشركة الامتعة داخل الطائرة . وكان الجو باردا ، والمطر يتساقط رذاذا ، وقد صدمنا لمنظر الطائرة اذ وجدناها قديمة صغيرة ذات محركين من طراز «داكوتا» مع ان تذاكرنا على الدرجة الاولى بالطائرات النفثة ومع ذلك فقد خفف من ذلك علينا ان نرى كتابة عربية على الطائرة فقد كتب عليها بالعربية «خطوط عدن الجوية» علما بأن الشركة المذكورة هي فرع لشركة الطرق الجوية البريطانية لما وراء البحار وذلك بحكم كون عدن لا تزال مستعمرة بريطانية .

قامت الطائرة في الساعة السابعة الا ربعا وكانت
 المضيئة فيها وحيدة اظنها هندية تعيش في عدن ، وكانت
 خدمتها رديئة للغاية ولم نكن قد تناولنا طعام الافطار بعد ،
 فانتظرنا طويلا حتى قدمته المضيئة ، وكان طعاما غير جيد
 وكميته قليلة ، ومع ذلك فالمضيئة تقدمه بجفاء، وكأنما كانت
 تتصدق به علينا ، ولا ادري لماذا ؟ فقد ذكرت في هذه
 المناسبة ادب المضيفين الاحباش ولطفهم ونظافة طعامهم
 وهندامهم ، ومما زاد في اكمال الصورة السيئة ان المضيئة
 احضرت صحفا في بداية الرحلة واعطتنا صحيفتين عربيتين
 تصدران في عدن احدهما (فتاة الجزيرة) والاخرى (الاخبار)
 وقد قرأنا ما فيهما بسرعة اذ ان كلا منهما تتألف من ورقتين
 صغيرتين فقط استهلك اكثرهما في الاعلانات ، وجميع ما
 في الصحف بعد الاعلانات لا يملأ نصف صفحة من صحفنا
 السعودية الراقية حقا . ومع ذلك فقد قرأنا في هاتين
 الصحيفتين الهزيلتين تحاملا في التعابير وطريقة صياغة
 الاخبار عن المملكة العربية السعودية ... شيء نأسف له لأن
 هذه الطائرة تنسب ولو بالاسم الى بلد عربي : (عدن) .
 اما الملاحون فكلهم من الانكليز . وكان الطيران
 سهلا مريحا فلا اهتزازات ، ولا انخفاضات مفاجئة ، ولعل
 السبب في ذلك ارتفاع الطائرة الشديد، ولم نستطع مشاهدة
 أي جزء من الارض بسبب كثافة السحب تحتنا .
 وبعد مسيرة ما يقرب من الساعتين وصلنا الى ساحل

المحيط الهندي فأخذت الطائرة تسير بحذائه حتى بلغنا
مقديشو . وقد استمرت الرحلة مدة ثلاث ساعات ونصف ،
وكان ازيز محركي الطائرة يؤذي الآذان وقد اخذت المضيئة
منا في الطائرة جوازات سفرنا نحن الذين سننزل في مقديشو .

مطار مقديشو :

كان منظر منطقة المطار خاصة ومدينة مقديشو عامة
على غير ما كنا نتخيل ، فقد تبين لنا ان المطار تجري فيه
اصلاحات هامة وانه قبل ذلك لم يكن يليق بمكانة عاصمة
جمهورية الصومال خصوصا بالقياس الى فخامة مطار
نيروبي ، وقد شاهدنا الاعمال التي تجري في مدارج المطار ،
بغية توسيعه ، وجعله صالحا لنزول اكبر الطائرات العالمية
النفائثة .

كما لاحظنا ان المكاتب والساحات في المطار صغيرة
ايضا ، وتبدو البساطة في جميع محتوياته وأثاثه ، خلاف ما
عليه مطارات الخرطوم واسمره واديس ابابا ونيروبي .

وقد ابهج نفوسنا ان رأينا اللغة العربية مكتوبة على
مكاتب المطار وان كانت تحت الانكليزية، كما كانت قرارات
الدخول الى الصومال مكتوبة باللغتين العربية والانكليزية ،
وكانت الاجراءات هنا تتسم بالدقة فهم يتحققون من شخصية
كل زائر ويوازن الموظف بين صورته في الجواز وصورته

الحقيقية ، كما كانت الاجراءات الجمركية دقيقة ايضا ، فهم يفتشون حقائب الركاب ويشددون على مقادير العملات الاجنبية خاصة ، وقد سررنا لهذه الاجراءات من ناحية كونها تدل على الحيوية وتقدير المسؤولية ، لا سيما في هذا الظرف الذي تمر به جمهورية الصومال الفتية ، وهي تقع بين جارين قويين يحتفظ كل منهما بجزء من الاراضي الصومالية التي لا يزال يقطنها الصوماليون ، وهما الحبشة وكينيا . وقد كان الجو في مقديشو حارا بالنسبة الى جو نيروبي البارد الذي كنا قد ارتدينا فيه الملابس الصوفية طلبا للدفع ، وقد عرفنا ان درجة الحرارة في المطار سبع وعشرون أي انها درجة معتدلة تشبه جو جدة في أوائل الربيع ، علما بأن مقديشو تقع على خط عرض ٢ شمالا عن خط الاستواء الذي يقع على بعد مئتي كيلومترا منها جنوبا ، فوق مدينة (كيسمايو) الصومالية .

مقديشو :

وأصل اسمها فيما يقال : (مقعد شاه) أي دار السلطنة او دار الملك . ركبنا اليها سيارة خاصة ، وكان منظر الطريق ومداخل مدينة مقديشو تدل على اهمال المستعمرين السابقين لهذه البلاد ، ثم دخلنا الى قلب المدينة ، فزال عنا بعض الشعور بما رأيناه في مداخلها ، فان الطرق الرئيسية هنا مسفلتة ، وواسعة ، ولها ارصنة كافية. وقد ذهب بنا السائق

الى فندق يعرف باسم « فندق سافوي » واجرة السرير الواحد فيه ١٠ شلنات صومالية ، أي ما يعادل ستة رياللات سعودية ويملكه رجل ايطالي من بقايا المستعمرين الايطاليين السابقين في الصومال .

وقد ذهبنا بعد ذلك فورا الى مطعم قريب من الفندق وتغدينا وكان الطعام طيبا وفيرا منوعا يدل على وفرة اللحم والفواكه الاستوائية وقد كلفت الوجبة الواحدة مع الفاكهة وهي الموز ما يعادل ريالين ونصف سعودي .

وبعد العصر خرجنا في جولة في شوارع مقديشو ووجدنا فيها كثيرا من البنايات الجميلة والساحات التي زرعت فيها الزهور واغلب زهور الحدائق هنا صفراء اللون ، كما أن بعض البنايات المهمة في مقديشو مطلية باللون الازرق مما يوحي بأن الصوماليين يفضلون اللونين الاصفر والازرق على غيرهما . وقد اعجبنا منظر الاهالي وخاصة السيدات بملابسهن التي تتسم بالحشمة والوقار وعدم الكشف عن اجسامهن ما عدا الوجه والكفين .

كما سررنا بمنظر الشبان والاطفال وهم يسرون بقوة ونشاط واذا تحدثوا بلغتهم الصومالية يخرجون الكلمات من افواههم بقوة كأنما ينتهر بعضهم بعضا . وهم جميعا من الجنس الصومالي الذي يشبه في لونه اللون السوداني ويبدو الواحد منهم ممشوق القوام دقيق التقاطيع كثير

الشبه بالعرب لولا فارق اللون وهم لذلك يعتبرون بعيدين عن الجنس الزنجي الذي يسكن تحت خط الاستواء .

وقد حضر وقت صلاة المغرب ونحن بقرب مسجد لا نعرف اسمه ، فدخلنا للصلاة ووجدنا القوم يتوضأون من حوض بجانب جدار المسجد لا صنابير فيه وهم يغترفون منه اغترافا بأيديهم ، ويغسلون وجوههم على حافته فيعود بعض الماء المستعمل من اعضاء المتوضئين الى الحوض لان القوم شافعية المذهب . وفي برهة قصيرة ازدحم المسجد بالمصلين ، وامتلاً ما حوله من فناء مكشوف ، حتى مكان الوضوء امتلاً بهم ، ولم اجد مكانا اصلي فيه بعد الفراغ من الوضوء فاسرعت الى دخول المسجد نفسه وزاحمت - للضرورة - حتى وجدت ركنا غير مفروش بجانب (زير) ماء الشرب ولم اجد شبيها لازدحام هذا المسجد بالمصلين الا ازدحام الحجاج في وقت الموسم على الصلاة في الحرم ! شيء مفرح حقا ولكنه محزن من ناحية عدم تلبية مطالب المصلين في توسعة المسجد وفرشه حيث انه لم يفرش منه الا المبنى الرئيسي بالحصر . وقد تجولت بالمسجد بعد الصلاة فاذا به مسجد صغير ، يدل طرازه على قدمه ، ويتوسطه اسطوانات حجرية تعلوها الاخشاب التي سقفت بها المسجد .

وقد استرعى انتباهي اعلان مكتوب بالعربية ، وكان يتضمن ان هذا المسجد اسمه (مسجد الاربع ركن) أي

مسجد الاركان الاربعة وانه قد أسس في عام ٦٦٦ هـ .
أي منذ سبعمائة وثلاثة عشر عاما كما جاء فيه ، وانه قد
ضاق بالمصلين وانه يحتاج الى توسعة والى فرش ، والرجاء
ممن ينتغون الثواب من الله التبرع لهذا العمل الصالح ،
وقد سررنا لذلك وازمنا المشاركة بما يتيسر . وقد رأيت
حجرا في قبلته قديما فيه كتابة قديمة واضحة تقول انه جد
بناء هذا المسجد عام ٩٧٢ هـ . أي منذ اكثر من خمسمائة
سنة .

يوم الثلاثاء : ١٦/٥/١٣٨٤ هـ .

٢٢/٩/١٩٦٤ م .

انتقلنا من الفندق الذي كنا فيه الى فندق آخر ، هو
فندق جوبا ، وجوبا اكبر النهرين الرئيسيين في جمهورية
الصومال ، وهما نهر جوبا وشبيلي وهذا الفندق تملكه
الحكومة وهو فخم وكبير ، وقد بنته الحكومة لينزل فيه
اعضاء الوفود الرسمية الى احتفالات الصومال بالاستقلال
عام ١٩٦٠ م وفيهم بطبيعة الحال رؤساء الدول والحكومات
والوزراء ، وجميع حواجز هذا الفندق وارضيته وجدره
من الورق على اختلاف انواعه ، ومنه المضغوط والمقوى
وغير ذلك ، وقد استوردت معظم اجزائه جاهزة من ايطاليا
ركبت في اقل من شهر كما اخبرنا بذلك . والفندق مكون

من اربع طوابق وهو مجهز بجميع ما يحتاج اليه النزيل ويقطن فيه حاليا بعض السفراء الاجانب . واجرة السرير فيه رخيصة نسبيا اذ استأجرت حجرة خاصة واسعة مجهزة بكل ما يحتاج اليه المرء ومن ذلك حمام خاص ، وحجرة صغيرة خاصة ليغير فيها المرء ملابسه ويحفظ فيها امتعته واجرتها (٣٣ شلنا صوماليا في اليوم) أي ما يساوي (٢٠) ريالاً سعودياً الا ان قيمة الطعام فيه غالية لا تقل عن (١٥) شلناً أي ٩ ريالات على حين ان مثيلاتها في المطاعم الاخرى خارج الفندق لا تتجاوز اربعة شلنات . حتى كوب الشاي بالحليب يباع فيه بشلنين ونصف ، زد على ذلك ان الطعام يطهى ويعد على الطريقة الافرنجية التي كثيرا ما تكون غير متقنة .. ولا نستطيع مذاقه ولا تقبل طعمه، مما اضطرنا الى الخروج عند الاكل الى الخارج . وقد وجدنا مطعماً وطنياً صوماليا ممتازاً يسمى (مطعم علي مادوف) وهو يقدم وجبات سخية ممتازة باسعار غاية في الرخص فلا تزيد الوجبة التي تشتمل على الدجاج والارز والخبز مع السلطة والفاكهة التي هي الموز او (الباباي) ولا يوجد غيرهما اطلاقاً الا مستورداً ، لا تزيد على ٣ شلنات .

يوم الاحد : ١٣٨٤/٥/٢١ هـ .

٠ م ١٩٦٤/٩/٢٧

لم نشهد في اي بلد نزلناه زواراً لنا ومستقبلين كما

شهدناهم بالصومال كثرة وازدحاما فقد غمرونا بفضلهم
وكرمهم وكان اهل العلم والفضل يكررون لنا الزيارة
ويعرضون علينا ان يستضيفونا في بيوتهم مدة مقامنا هنا ،
ولا غرو فالصومال بلد مسلم مخلص لاسلامه ولا يوجد
بين اهله الاصليين من هو غير مسلم ، بل ان الصوماليين
الذين يقطنون الآن خارج جمهورية الصومال في الاراضي
المحتلة من كينية والحبشة يمتازون عن غيرهم بتمسكهم
باسلامهم وبانهم لا بد ان يكونوا على طرف من المعرفة
باللغة العربية . وقد تأكدنا من جميع تلك الاستقبالات ،
ومن الحفاوة والتكريم اللذين قابلنا بهما الصوماليون من
مسؤولين وغير مسؤولين ، مبلغ الروابط الوثيقة التي تربطنا
بهذا الشعب المسلم ، ومبلغ الود المكين المتبادل بين الجميع ،
حتى العامة من الناس كانوا يحيوننا ، ويرحبون بنا بمجرد
معرفتهم باننا سعوديون ، وان لم يعرفوا شخصياتنا .

لقد شعرنا طيلة مقامنا في الصومال باننا بين اهلينا
وذوينا ، فالتحية الاسلامية نسمعها في كل مكان ، لا يتنفي
حتى المثقفون من القوم بها بديلا ، واللغة العربية لم تقابل
احدا لا يعرفها ، او لا يعرف قدرها منها ، فلم نحتاج الى
استعمال الانكليزية او غيرها ولا مرة ، حتى الذين درسوا
من الصوماليين في اوروبه يحسنون العربية او شيئا منها كما
ان اهل البوادي المنعزلين والذين يفدون الى مقديشو لحاجة
من الحاجات قد امتحناهم فوجدناهم يعرفون شيئا من

العربية ، حتى النساء والاطفال . كل هذه العوامل مع مناظر ازدهام المساجد بالمصلين ، وحرصهم على ان يسمعون كل كلمة يقولها الواعظ القادم من المدينة المنورة جعلنا لا نحس في الصومال غربة ، ولا نعاني بين اهله وحشة .

وقد فاتني أن أدون في الايام السبعة الماضية يوميات منتظمة بسبب كثرة الاستقبالات ، وانشغالنا بالاجتماعات ، وسوف اقل هنا بعض ما علقته خلال الايام المذكورة .

اللغة في الصومال :

يتكلم الصوماليون فيما بينهم لغة خاصة بهم غير مكتوبة ويتكاتبون باللغة العربية قبل الاستعمار ثم بالايطالية وبالعربية حتى الآن ، وقد سبق ان اجرت لجنة الوصاية التابعة للامم المتحدة استفتاء في الصومال قبل الاستقلال عن اللغة التي يختارها الشعب فاجمع رأي الاعيان وممثلي الامة على ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، ولا يزال مفعول هذا الاستفسار قائما ، ولكن على الرغم من مضي سنوات عليه فلم يتم تنفيذه حتى الآن . فاللغة العربية لا تستعمل الا بصفة جزئية في الدوائر الحكومية وغالبا ما تكتب الى جانب اللغة الايطالية ، وفي بعض الاحيان تكتب معهما او مع العربية فقط اللغة الانكليزية . والحاصل ان الصومال كما قال بعضهم يعيش الآن في فوضى لغوية لا مثيل لها . وقد تجلى لنا ذلك واضحا في بعض الدوائر الحكومية

ومنها المطار . فقد كانت اللافتات على المكاتب مكتوبة في بعض الاحيان بالايطالية اولا ، ثم تحتها العربية ، ثم تحتها الانكليزية ، واحيانا بالايطالية تحتها العربية ، واحيانا بالانكليزية وتحتها العربية ، واحيانا بالايطالية فقط . كل ذلك في المطار نفسه اما الدوائر الحكومية الاخرى فليست بعيدة عن هذا . .

ويحاول بعض المفتونين بالثقافة الغربية ممن تعلموا في المدارس الايطالية ان يكتبوا اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية ، ولكن اولئك قلة ، وتأثيرهم محدود ، وان كان سعيهم ذلك يلقى تشجيعا من الدوائر الثقافية الاجنبية .

ولكن هناك الرأي العام الصومالي وهو رأي عام مسلم كما قدمت ، ولا ينبغي باللغة العربية بديلا ، وللمشايخ ورجال الدين من خطباء المساجد وعلماء القبائل تأثير كبير على العامة يحسب له كل من قدم الى الحكم في الصومال الف حساب . واذا اراد بعض الحكام اقرار شيء يخالف قاعدة ظاهرة من قواعد الاسلام فان اولئك المشايخ والعلماء والخطباء لهم بالمرصاد ، فما ان يحركوا الشعب حتى يتراجع الحاكم ، وينتهي كل شيء . هذا مع العلم بان الحكام الصوماليين - لعمر الله - حتى المثقفون منهم ثقافة غربية اكثر الحكام في البلاد الاسلامية في افريقية تمسكا بالاسلام والتزاما بالسعي لما فيه رفعة شأنه ، ويشاركون مواطنيهم الشعور العميق بانهم جزء من الامة الاسلامية . وبان

روابطهم بالبلاد العربية اقوى الروابط وامنتها .
وهناك مشروع الآن للبدء بتعريب المرحلة الابتدائية
في جميع المدارس الحكومية في الصومال كخطوة اولى ،
يتلوها تعريب المرحلة الاعدادية ، اي تكون الدراسة كلها
باللغة العربية وليس بصفتها مادة من المواد .

اما اللغة الصومالية المحكية الآن فتتكون من عنصرين
اساسيين اولهما من اللغة العربية المحكية في جنوب الجزيرة
العربية . وثانيهما من لغة (الجالا) وهم قبائل كثيرة منتشرة
الآن في شرق الحبشة وجنوب غربي الصومال وهم اهل
البلاد الاصيلون الذين طردهم الصوماليون عندما جاؤا
الى الاراضي الصومالية من الجزيرة العربية فيما يرجح .
ويقول الذين يعرفون اللغة الصومالية ان حوالي ٣٠٪ من
كلماتها ذات اصل عربي ، اي انها اقل بكثير من اللغة
السواحلية اخذا من العربية . ويخرج الصوماليون الحروف
الحلقية واضحة جلية تكاد تفوق وضوحها عندما يتكلم بها
بعض العرب . ولا شك ان الحروف الحلقية هي اصعب ما
في النطق بالعربية لدى الغريب عنها ، الا انه في حالة تكلم
الصوماليين بالعربية فانهم لا يجدون صعوبة في ذلك لانها
ليست غريبة عليهم ، وكما قدمت ان جميع الصوماليين بدون
استثناء يعرفون العربية او شيئا منها . وفي مقديشو لسن
تحتاج ان تتكلم بغير العربية . سواء أكنت في السوق ، ام
في دائرة حكومية ، ام في فندق من الفنادق .

المرأة في الصومال :

يبدو التأثير الاسلامي واضحا في المرأة الصومالية ، فانت لا ترى المرأة خارجة متبرجة في الشوارع بالشكل الذي تراه في البلاد الاخرى ، واذا خرجت ، خرجت محتشمة ساترة رأسها وساقها ، الا ان لبعض القبائل الصومالية البدوية وهي قليلة العدد تقليدا خاصا تجرد المرأة وهي خارجة احدى يديها ، وغالبا ما تكون اليسرى حتى الابط ، كما يفعل المحرم في الاضطباع ، ومع ذلك قد يوجد من تخرج من النساء وهي لابسة الزي الافرنجي وهي تبدو به وقد خلت من الوقار والجمال .

اما الحجاب بالمعنى المعروف فلا يوجد اصلا في الصومال . واشتغال الفتاة الصومالية في الوظائف العامة هنا قليل .

اما تعليم البنت فلا يزال ضيق النطاق ، وقد سألت المفتش العام للتعليم في مقديشو عن ذلك فقال انه قليل جدا . حتى اننا قد نضطر الى التعليم المختلط . اذ ان الفتيات لسن من الكثرة بحيث يمكن ان تخصص لهن مدارس بمفردهن ، كذا قال .

ومما يسر المرء ان يلاحظ ان الاطفال خاصة ، وسكان مقديشو عامة تظهر عليهم علامات التغذية الجيدة ، وتغلب على طبيعتهم النظافة بوجه عام ، وذلك على الرغم من نقص

الرعاية الصحية بسبب عدم وجود العدد الكافي من الاطباء الصوماليين . وعدم توفر الاطباء من الاجناس الاخرى ، وذلك لان الاستعمار لم يترك للصوماليين شيئا يقيمون عليه نهضة بلادهم ، وليست هذه اليوميات دراسة كاملة حتى يمكن ان نستشهد بالارقام ، ولكنها مشاهدات وانطباعات عاجلة ، انتزعت من بين اوقات العمل والراحة انتزاعا فهي تتسم بلا شك بطابع الاجمال والاستعجال .

يوم الاثنين : ٢٢/٥/١٣٨٤ هـ .

٢٨/٩/١٩٦٤ م .

العودة الى نيروبي :

حزنا امتعتنا في الصباح وكان موعد اقلاع الطائرة في الساعة الثانية عشرة ظهرا وقد ركبنا الطائرة في الوقت المحدد وهي من ذوات المحركين من طراز داكوتا تابعة لشركة خطوط عدن الجوية التي حضرنا معها الى مقديشو ولم نكن لترضى العودة اليها لولا الضرورة حيث لا يوجد غير هذه الطائرات تستطيع النزول في مطار مقديشو بسبب الاصلاحات التي تجري فيه . ولكن حدث في هذه السفرة غير ما كنا نتوقع فقد كانت الطائرة غير الطائرة ، وكان موظفوها غير موظفي الطائرة السابقة . وكانت المضيفة وهي انكليزية تؤدي الخدمات للركاب بدون تفريق ، وفيهم

الافريقيون والاوروبيون والآسيويون ، وعندما تلاحظ بان احد الركاب قد بدأ النوم يداعب جفنيه فانها تتسلل اليه برفق وتأتي بغطاء صوفي خفيف وتغطيه به ، واذكر ان زميلنا الشيخ ابا بكر جابر عندما افاق من نومه وجد عليه غطاء لم يذكر انه كان عنده قبل النوم ، فالتفت الي مستفسرا فاخبرته بالحقيقة . وقد قدمت وجبة غذائية كاملة تتكون من لحم الدجاج والشوربة والحلوى ثم القهوة ، والشاي عكس ما كان عليه الامر في الرحلة السابقة .

كان طيران الطائرة نفسها وهي تطأ لاهثة على شاطئء المحيط الهندي ، رخاء لا عوج فيه ولا امثا . وكان بإمكاننا بسبب قلة السحب ان نتبين بوضوح تام معالم الارض التي نظير فوقها على ساحل المحيط حيث كنا نشاهد الشاطئء ذا الرمل الابيض الذي يختلط فور ابتعاده عن الماء بالرمل الذهبي الجميل ، وكانت الاشجار التي لا نستطيع تمييز انواعها تكاد تتشابهك فروعها ، وكانت الطريق غير المعبدة تبدو واضحة من خلال الاشجار .

قضينا على ظهر الطائرة وقتا ممتعا دام ثلاث ساعات ونصفا ، ثم اخذت الطائرة بعد ان قربنا من نيروبي تنتفض بل وترقص في بعض الاحيان، لأن الرياح كانت تعترض طريقها على جبال منطقة نيروبي العالية ثم هبطنا في مطار نيروبي الجميل ، وفي قسم الجوازات منه ، كان الموظف شابا افريقيا يكلمنا بالانكليزية بصورة عادية ، رأى جوازاتنا

وعرف اسماءنا ، فالتفت الينا هاشا باشا . قائلا في اثناء
المحادثة (السلام عليكم) فقلنا : (وعليكم السلام ورحمة
الله) فقال : انا مسلم افريقي ، وقد سرني مرآكم وهذا هو
عنواني ورقم الهاتف في بيتي ، ويسرني خدمتكم . ثم
تحدث الينا برهة من الوقت في بشر ونشوة مما لفت انظار
بقية الركاب الذين فاتني ان اذكر انهم خليط يتكون من
العرب الحضارم وامريكي يحمل الحقبة الدبلوماسية من
السفارة الاميركية في مقديشو وبعض الصوماليين الذين
يظهر عليهم انهم من كبار الموظفين وهندي واحد واثنين من
الاوروبيين لم اعرف جنسيتها .

وقد انصرفنا من موظف الجوازات مسرورين ، ثم
انتقلنا الى موظف الجمرك في المطار وهو افريقي ولكنه غير
فاحم السواد ، وقد كلمنا بالسواحلية التي لا نعرفها فقلت
له اتنا نعرف شيئا من الانكليزية ، ثم سمعني اترجم الى
العربية ما يقوله ، فكلمنا بعربية فصيحة وقال انا عربي
مثلكم ، وكنت اظنكم من عرب شرق افريقية ، ثم رحب بنا
اجمل ترحيب فشكرناه وعدنا على سيارة الاجرة من المطار
الذي يبعد ثمانية عشر كيلومترا الى نيروبي الجميلة البديعة
التي تعتبر زهرة ناعمة في وسط الحديقة الافريقية الخضراء .

إلى الصُّومال... مَرَّةٌ أُخْرَى
بِرِضَانِهِ

يوم الخميس ٩ / ٥ / ١٣٨٦ هـ
٢٥ / ٨ / ١٩٦٦ م

غادرنا مطار جدة الدولي الى عدن في اولى مراحل رحلتنا الثانية التي تقدم ذكرها في تصدير الكتاب وذلك يوم السبت الواقع في ٥ جمادى الاولى عام ١٣٨٦ هـ المصادف ٢١ اغسطس عام ١٩٦٦ .

وقد سافرنا على طائرة تابعة لشركة خطوط عدن الجوية من طراز دي سي (٦) ذات المحركات الاربعة وجميع ملاحيتها من الانكليز اما المضيفتان فهما فتاة انكليزية وفتاة عربية من عدن ، وقد تناوبتا الحديث من مكبر الصوت بالطائرة ، الاولى بالانكليزية ، والثانية بالعربية ، واعلنتا ان الرحلة ستدوم ثلاث ساعات وعشرين دقيقة ، وان ارتفاع الطائرة سيكون (١٧) الف قدم .

اما الركاب فاکثرهم من جنوب الجزيرة العربية ، وبعضهم قدم على الطائرة من القاهرة وكانت الخدمة متوسطة . وكان الطيران ممتعا حيث ظلت الطائرة فوق ساحل البحر الاحمر بشعابه الكثيرة وجباله التي كانت تقرب من الساحل احيانا وتبتعد عنه احيانا اخرى . الى ان غربت الشمس .

في مطار عدن :

وصلنا المطار بعد المغرب ، وقد احاط بالطائرة فريق

من الجنود البريطانيين ، فعدن تعيش في هذه الايام ثورة على البريطانيين حامية .

وبعد ان نزلنا من الطائرة وتفقدنا الجنود البريطانيون سلمونا الى موظفين عدنيين فقادنا ضابط منهم الى مقصف المطار وقد لبثنا فيه مدة طويلة . وعرفنا انهم يقون فيه من لا يحمل سمات دخول ، ولما طال انتظارنا ذهبنا الى مكتب الجوازات في المطار فكان هناك ضابط عربي يعمل في ختم الجوازات ، فسألنا عن تذكرة السفر الى مقديشو ولماذا نذهب هناك ؟ فأريناه تذكرة السفر ولم نجبه على سؤاله عن سبب ذهابنا الى مقديشو لأن هذا ليس من اختصاصه . وفيما كنا معه وقوفا حيث لا يوجد كرسي ، جاءنا موظف عربي آخر وطلب منا اوراق شهادة التطعيم الصحية فلما ابرزناها له اتحنى بي ناحية اخرى في المكان ، وقال : ان شهادة التطعيم الصحية التي تحملونها غير كافية . واخذ يتكلم بكلام كثير لا معنى له ، ثم قال في النهاية : هذه لا تصلح وتحتاج الى بحث . ولما عدت الى ضابط الجوازات اشار موظف الصحة الى صاحبي وساره قائلا (تشتهي بخشيش الدكتور يشتهي بخشيش) ، اي اتنا نريد منك ان تدفع لنا فاجاب صاحبي فيما يقول لماذا ؟ فقال : لا بد لئلا يعاكسكم الطبيب . وهنا اخرج صاحبي فيما يقول وبدون ان يستشيرني بطبيعة الحال (ه) شلنات كانت معه اي ثلاثة ريبالات سعودية تقريبا ، فاعطاها له وعندما سألت

صاحبي الاستاذ عبد الله الباحوث : كيف اصبحت البطاقات كاملة واصبحنا نحن اصحاء والله الحمد ؟ اجاب : ذلك ببركة الشلنات الخمسة !! . وكنت في تلك الاثناء لدى صاحب الجوازات الذي طلب منا رسما قدره خمسة عشر شلنا لكل واحد منا مع اننا كلنا نحمل في جوازاتنا تأشيرات دخول الى عدن من السفارة البريطانية في جدة . ثم فتش الموظفون المحليون حقائبنا بشكل بعيد عن الذوق ، وكانوا يتغامزون علينا عسى ان يحصلوا منا على شيء ثم قال كبيرهم : هل معكم فلوس ؟ قلت : نعم معنا شيكات سياحية . فقال : هل هي كثيرة . قلت : نعم . قال : كم تكون ؟ ولما كنت اعرف ان هذا ليس من صميم عمله لأن عدن لا توجد فيها قيود على الشيكات والعملات الاجنبية قلت : لا اتذكر . قال : هل هي في حقيبتك اليدوية هذه ؟ افتحها . فلما فتحتها قال : هذه فلوس كثيرة ماذا تصنع بها ؟ قلت اننا مسافرون الى الصومال وغيرها من افريقية ولن نبقى في عدن غير ايام معدودة . وهنا حدثت مضايقة اخرى فقد سألني الضابط الذي كان على باب الجمرک عن احدى الحقائب فقال : يقول الحمالون انها ثقيلة هل صحيح ان فيها نقودا ؟ وكان فيها تمر اخذناه من المدينة المنورة هدية لبعض كبار المسلمين ، فقلت له : ان فيها تمرا فهل تجب ان (نعزمكم) عليها وفتحت الحقيبة وقلت له تفضل ، وقد فعلنا ذلك لئلا يعتقدوا ذلك صحيحا فيؤذوتنا في بلاد قد

اضطرب فيها جبل الامن ، علما بان هذا السؤال ليس من اختصاصاته لأنه حارس فقط ، ثم قامت مباشرة معركة بين سائقين من سائقي سيارات الاجرة كل يريدنا لنفسه ويريد ان يستأثر بالأجرة وبعد ان تبادلوا اشع الشتم وتدخل الحضور للفصل بينهما فاز بنا احدهما وباجرة عشرة شلنات واخذ في الطريق يسب صاحبه ويقول انه سكران ، السم تشموا رائحة الخمر منه .?

نزلنا في فندق الجزيرة ، ومستواه متوسط ولكننا اخترناه لكونه في وسط البلد .

يوم الجمعة ١٠/٥/١٣٨٦ هـ

٢٦/٨/١٩٦٦ م

جولة في مدينة عدن :

تحيط بمدينة عدن القديمة جبال سوداء وحمراء تأخذ بتلابيبها وكأنها تحاول ان تخنقها او هكذا خيل الينا في هذا الفصل الحار من السنة .

والبيوت القديمة في هذا الحي القديم تشبه الى حد كبير البيوت القديمة في مدينة جدة فهي ذات (رواشين) كثيرة ومناسم للهواء مغطاة البراقع الخشبية (الشيش) واكثر مدن العالم العربي شباها بها هي مدينة المنامة في البحرين ان كنت قد زرتها .

اما الحركة التجارية فهي عظيمة فيها ولا غرو فعدن
تعتبر سوقا حرة فلا مكوس ولا قيود على التجارة والعمله
فيها . وكان الجو خائقا لحرارة الهواء ورطوبته وكان بعض
السكان يبدون بملابس غير لائقة فبعضها مفتوح الصدر ،
وبعضها عاري الكتفين ولعل مرد ذلك لحرارة الجو فقد كان
العرق يتقاطر من اجسام الكثيرين منهم . ويوجد عدد كبير
من المتسولين والمتسكعين ، وكلما وقفنا عند صاحب حانوت
او تكلمنا مع شخص وقف حولنا جيش من الفضوليين ،
ويظهر ان ملابسنا العربية التي تخالف ملابسهم لفتت
انظارهم ، وقد مررنا بصاحب مطعم فحاولنا الدخول اليه
لأخذ بعض الشراب البارد فأقبل علينا خادمه قائلا بغضب :
اذهبوا ايها الاخوان المسلمون ، انه شيء لم يحدث لنا في
اي بلد دخلناه .

القنابل :

لم اجد مثلا لحالتنا في عدن الا في قول الشاعر :

البق والحمى واسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور
فالى جانب الحر الشديد والرطوبة الخائقة والغلاء في
المعيشة ، والنظرات غير المهذبة من الدهماء وابناء السكك ،
فان أخبار انفجار القنابل تتوارد في كل ساعة حتى لقد بلغ
عدد القنابل التي القيت اليوم خمسا ، ذكر صاحبني ان
احداها انفجرت في حي المعلى عندما كان هناك . ولكن ماذا

نصنع ونحن نود الخروج ولكننا لا نستطيع لعدم وجود
طائرة؟ وقد قضينا اكثر الوقت في غرفتنا في الفندق .

يوم السبت : ١١/٥/١٣٨٦ هـ .

٢٧/٨/١٩٦٦ م .

كنت قد حصلت على تأشيرة مجاملة لدخول كينية من
القنصلية البريطانية في جدة ، وعندما طلب صاحبي الاستاذ
عبد الله الباحث ذلك امتنعت القنصلية بدون سبب نعرفه
وهكذا ذهبنا صباح اليوم الى مقر المندوب السامي
البريطاني في عدن عسى ان يمكننا ان نحصل منه على
التأشيرة المطلوبة ويقع مقره في حي التواهي في عدن وهو
حي افرنجي معظم سكانه من الاوروبيين ، وبعبارة ادق من
البريطانيين فوجدنا على الباب جنديا بريطانيا قد شمس
سلاحه الذي هو عبارة عن مدفع رشاش وهناك فتى صومالي
بمثابة البواب ، كلمنا الفتى الصومالي اولا بأتنا نريد
الدخول فسمح لنا ولكن الحارس الانكليزي اعترض طريقنا
ولعله شك في حقيقة يدوية كان يحملها صاحبي ، وسألنا عن
قصدنا ، فلما اخبرناه افسح لنا الطريق الى داخل مقر
الحاكم ، ولم نجده وانما وجدنا سكرتيرته وهي امرأة
انكليزية شرحنا لها مقصدنا فحالتنا الى مقر دائرة الهجرة
في حي المعلي وقد ذهبنا الى دائرة الهجرة او «المتريشن» كما

يسمونها ، فقابلنا رئيسها هناك واعتذر بأنه ليس من صلاحية اية دائرة في عدن ان تمنح التأشيرة المذكورة ولا يملك ذلك الا الحكومة الكينية نفسها .

يوم الاحد : ١٢/٥/١٣٨٦ هـ .

٠ م ١٩٦٦/٨/٢٨

شيء قذر :

ذهبنا عصرا الى سوق عدن تتجول فيها ونبحث عن بعض اشياء فرأينا من كثرة بصاق القوم وخاصة الاحمر منه ما جعلنا تنقزز ، اذ كان بعضهم يعلك علف التقات ، وبعضهم قد التقم اشياء اخرى جعلها في فمه واخذ يبصق في الشوارع .

هذا وقد انتهينا من حجز اماكننا للسفر الى مقديشو وسوف نساغر غدا باذن الله .

يوم الاثنين : ١٣/٥/١٣٨٦ هـ .

٠ م ١٩٦٦/٨/٢٩

الى مقديشو :

ذهبنا الى مطار عدن في الساعة العاشرة والنصف صباحا وقد لقينا من الموظفين العدنيين هناك ما اتعبنا ايضا

فقد حاول ضابط عرف اتنا نحمل تقودا كثيرة ان يأخذ منا رشوة وجبسنا في غرفة لاستجوابنا حتى كادت الطائرة تقلع بدوننا .

وفي تمام الساعة الحادية عشرة والنصف اقلعت الطائرة بنا وهي نفس الطائرة التي قدمنا عليها من جدة الى عدن وقد دام طيرانها ثلاث ساعات منها حوالي نصف ساعة فوق خليج عدن والباقي فوق الاراضي الصومالية في افريقية . وكانت الارض تبدو من الطائرة ذات اشجار صحراوية خضراء لان هذا الوقت هو موسم الامطار في شمال الصومال .

وقد وجدنا في استقبالنا بالمطار بعض موظفي السفارة السعودية وهم الاخ الاستاذ طارق حمزه القنصل ، والاخ عبدالله الدباغ السكرتير وكان سعادة السفير غائبا عن مقديشو .

مهمتنا في الصومال :

تتضمن مهمتنا في الصومال اختيار الطلبة الذين سيستفيدون من المنح الدراسية التي خصصتها الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في الصومال ، كما تتضمن الاطلاع على نشاط اعضاء بعثة دار الافتاء في الرياض الى الصومال . وقد انتهينا منها والله الحمد . غير ان المشكلة التي

رافقتنا من جدة فعدن ، هي كون زميلي في السفر الاستاذ عبدالله البحوث لم يحصل على تأشيرة دخول الى كينية وقد ذهبنا مع القنصل السعودي في مقديشو الى سفارة الحبشة التي ترعى مصالح الكينيين في الصومال ، فاعتذرت بأنها لا تستطيع منح سمات الدخول الى كينية الا باذن من الحكومة الكينية نفسها وانها بذلك ترى ان ترسل برقية على حسابنا الى كينية بهذا الصدد وقد وافقنا على ذلك .

مع قائد الشرطة في الصومال :

ذهبنا لزيارة الجنرال محمد ابشر القائد العام لقوى الشرطة في الصومال وذلك بدعوة من سعاداته . وقد قابلناه في مكتبه وهو بناء فخم في رايية تجعله اعلى بناء يرى من كافة انحاء مقديشو . وقد تحدثنا معه في شؤون شتى تتصل بعملنا وقد اعجبنا بسلامة تفكيره وبحماسه للدعوة الاسلامية شأن كثير من اخواننا المسؤولين في الصومال . وكان الحديث بالعربية التي يفهمها جيدا ، الا انه اذا اراد ان يتكلم في موضوع يحتاج الى دقة في الالفاظ تكلم بالصومالية وتولى الشيخ نور الدين علي مدير الشؤون الدينية في الصومال ترجمته للعربية .

هذا وقد تجولنا في البناء واطلعنا على بعض الخرائط الايضاحية الخاصة بالصومال والموجودة في المبنى ، وشرح لنا الضباط المختصون ما يحتاج منها الى شرح .

في المجلس الوطني الصومالي :

وبعضهم يسميه الجمعية التشريعية الصومالية . وقد ذهبنا بدعوة من رئيسه سعادة الحاج الشيخ مختار ، فاستقبلنا استقبالا كريما وهو رجل سياسة ورجل دين وصلاح، وقد طاف بنا اقسام المجلس وخاصة قاعة اجتماعات النواب وخرجنا من عنده شاكرين .

معنى كلمة الصومال :

سألت الكثيرين من الصوماليين عن معنى كلمة الصومال فلم يعرفوها ، وقال بعضهم ان الترجمة الحرفية للكلمة تعني باللغة الصومالية «احلب الناقة لنفسك» وقد تكون التسمية ناشئة عن كون الصوماليين وبخاصة في الشمال رعاة ابل من الطراز الاول بل ان حياتهم تعتمد على رعي الابل وانواع الماشية الاخرى .

ويقول الاستاذ الشيخ نور الدين علي : ان اصلها «ذومال» أي صاحب مال والمراد به هنا كثير المال . ولكن ذلك فيما يظهر لي ليس صحيحا ، لان الصوماليين وبخاصة قبل الاستقلال يكادون يكونون من «مستوري الحال» فضلا عن ان يكونوا من ارباب المال الكثير ، والثراء العريض . اما الذي اعتقده صحيحا فهو ان رسمها «سومال» بالسین وليس بالصاد واما معنى ذلك فلا استحسن ذكره هنا .

دار الآثار القديمة :

يسمون القصر الذي يقع فيه المتحف الوطني « قصر برغش» ... ويعنون به برغش بن سعيد العماني سلطان زنجبار وساحل كينية الذي امتد حكمه الى منطقة مقديشو في ساحل الصومال . ومن المعلوم ان العرب العمانيين هم الذين تولوا طرد البرتغاليين من ساحل افريقية الشرقية بما في ذلك سواحل الصومال بعد ان احتلوا البلاد اكثر من مئة وخمسين سنة . والقصر نفسه عربي الطراز ، بابه الضخم ونوافذه والكوى الموجودة في حيطانه ، وشرفاته ايضا كل ذلك يذكرني بالقصور القديمة وبيوت الاغنياء والكبراء في نجد قبل ان يعرف الناس فيها البناء بالاسمنت المسلح .

ويضم المتحف اكثر ما يضم ملابس وادوات واسلحة عربية ومن اجمل ما فيه سرير عربي الطراز يقال انه كان سرير نوم السلطان ، وسيوف عربية محلاة بالفضة وخناجر وسهام ومدافع صغيرة يظهر انها مما خلفه البرتغاليون كما يضم مخطوطات ووثائق باللغة العربية وعدة مصاحف كريمة مكتوبة بخط غير فاخر . وكل المخطوطات العربية حديثة اقدم ما رأته فيها لا يرقى تاريخه الى اكثر من مائتي سنة ، كما يضم المتحف اشياء من مخلفات بعض القبائل الصومالية ، وهي اشياء قليلة جدا اذا قيست بالمخلفات العربية كما يوجد فيه بعض الاحياء البحرية التي عثر عليها في شواطئ المحيط في ساحل الصومال .

ولعل من اجمل ما فيه ادوات صنع القهوة ، وهي تطابق تماما ما كان موجودا في نجد قبل ثلاثين سنة وما يوجد بعضه عند البدو في بلادنا حتى الآن ، والواقع ان المتحف لا يعتبر غنيا بالمعروضات بل انه صغير، نرجو ان يتم تدعيمه وان يشتمل على بعض الاشياء التي تمثل التاريخ الاسلامي في الصومال ، وخاصة اذا عرفنا ان مدينة مقديشو غنية بالمساجد والآثار الاسلامية القديمة التي يمكن ان ينقب في اطلالها ويعرض ما يوجد فيها .

الامواج المتراقصة على ساحل مقديشو :

خرجنا في احدي الامسيات الى شاطئ البحر في مقديشو وعندما جلسنا فوق احدي الصخور على الساحل القديم قرب احد المساجد القديمة ورأينا الامواج التي تتراقص على الشاطئ في تتابع محموم ، ثم تلتطم صخوره بوحشية ، فتنتثر شظاياها في كل اتجاه .

انه لمنظر يروقنا نحن الآن ، ولكنني رجعت بذاكرتي الى الايام التي زار فيها الرحالة العظيم ابن بطوطة مقديشو قبل اكثر من ستمائة وخمسين عاما وكان قادما اليها على سفينة شراعية بطبيعة الحال ، ولا شك انها كانت تلعب بها هذه الامواج المسعورة ، ومع ذلك فان هذه الاشياء لم تفقده لذة الوصول الى مقديشو ، والسعادة في كنف عائلها السلطان المسلم الذي يحب الخير ، ويكرم العلماء ، والذي

كان في بلاطه من الابهة والعظمة في ذلك الزمان ، ما لا يوجد في كثير من قصور معاصريه من الملوك في انحاء الارض .

الا ليت ابن بطوطة يبعث حيا الآن حتى يرى كيف يقدم الى مقديشو ، حيث يرى نفسه في جوف طائرة نفثة ، تسبق الريح وقد شيعته مضيقتها الجميلة بالبسمات فهو رحمة الله عليه كان في رحلاته كثير التحدث عن النساء ، ومن الوصافين لِحلاهن ، وينزل من المطار فيرى كرم الصوماليين ، وجههم لعلماء المسلمين ، في انتظاره في مطار مقديشو . ثم يرى عواطفهم وضيافاتهم تغمره في فندقه الذي ينزل فيه ، انه بلا شك سيرى أن الصوماليين لم تزدهم الايام الا كرما على كرم ومحبة للمسلم الغريب عن داره على محبة.

لقد طافت بذهني صورة ابن بطوطة واخذت جميع تفكيري، ولم اشعر الا بزخة باردة من رذاذ الامواج المتكسرة على الشاطئ فاذا بي اعود الى عالم الواقع واكبر واعظم الاكبار عزيزة ذلك الرحالة العظيم ابن بطوطة الذي جاب الاقطار في وقت كانت فيه مخاوف السفر تحيط بالمسافرين من كل جهة ، اما البحر فهو الذي قيل فيه : الداخل فيه مفقود ، والسالم منه مولود .

الماء في مقديشو :

يوجد في الصومال نهران كبيران احدهما يسمى

«شبيلي» والآخر «جوبا» ولا يبعد مجرى الاول عن مدينة
 مقديشو اكثر من ٣٢ كيلومترا ، ومنطقة مقديشو تعتبر من
 المناطق الممطورة ان صح هذا التعبير فعليها تنزل مقادير
 كبيرة من الامطار كل عام ، وهي الى ذلك توجد مناطق
 رملية ليست بالبعيدة عنها ، ويوجد في تلك المناطق امكانات
 لحفر آبار تدر مقادير من المياه العذبة ، ومع ذلك فان الماء
 الذي يستعمله «المقادشة» أي سكان مقديشو هو ماء ملح ،
 والماء الذي يشربونه ملح ايضا، وان كان دون الاول ملوحة،
 فالمستعمرون السابقون لم يفكروا في انشاء مشروع يمد
 مقديشو بالمياه العذبة ، اذا افلا يصح ان ينشد في حالها
 قول الشاعر :

ومن العجائب والعجائب جمّة
 قرب الشفاء وما اليه الوصول
 كالعيس في البيداء يقتلها الظما
 والماء فوق ظهورها محمول

ولكن هناك مشروع اميركي لمد المدينة بالمياه العذبة
 من مكان غير بعيد منها ولكنهم يقولون انه يسير ببطء ويتأثر
 بحالة العلاقات السياسية بين البلدين .

لبن الابل في المطاعم :

من العجائب في مطاعم مقديشو التي تنفرد بها ، انك
 تستطيع ان تطلب لبن الابل في المطاعم هناك ، سواء في

وجبات الغداء او العشاء ، وهو في كثرته يكاد يعادل لبن البقر في البلدان الاخرى ، واذا طلبت لبنا فان خادم الفندق يسألك هل تريد لبن الابل او لبن البقر ؟ هذا اذا كنت غريبا ، اما اذا كنت من اهل البلاد فأن الاصل في اللبن ان يكون لبن الابل .

وليس هذا هو العجيب بل العجيب انك تستطيع ان تطلب حتى في المطاعم الايطالية في مقديشو لحم الطباء الصغيرة ويكتبون اسمه في القائمة «بيق بيق» ولا ادري اصل التسمية ، كما تستطيع ان تطلب لحم العجل الطائر البري المعروف ، وقد جربتها كلها فلم يرق لي الا لحم الطباء الصغيرة فهو جيد جدا .

نشاط الدول الكبرى في الصومال :

من المظاهر التي لا توجد بكثرة في البلدان الاخرى غير الصومال ان ترى مشاريع المساعدات الانمائية والاقتصادية او الثقافية في الصومال كثيرة متقاربة ، وكل مشروع من هذه المشاريع قد قدمتها دول عديدة تتناقض سياساتها ، وتختلف اهدافها ، فمثلا هناك على طريق افقوى معهد لاعداد المعلمين قامت بينائه وتشرف على الاتفاق عليه الولايات المتحدة الاميركية ، وغير بعيد منه المدرسة الروسية وهي مدرسة مهنية متوسطة قام على بنائها والاتفاق عليها الاتحاد السوفياتي ، وغير بعيد منهما مستشفى كبير فخم

لضباط الجيش اقامته ايطاليا ، ومصنع للالبان اقامه الاتحاد
السوفياتي ومشروع الاذاعة من المانيا الغربية ، ومشاريع
اخرى كثيرة من الامم المختلفة . اما الصين الشيوعية فقد
اقامت لهم بناء في وسط البلد وهو «المسرح الوطني» يقيمون
فيه الاجتماعات ، ويقول الصوماليون وهم يحدثونك عن
هذه المشاريع انا نحصل على المساعدات من اية جهة ولكننا
لا نسمح لأحد ان يتدخل في شؤوننا الداخلية . وقد يمكنك
ان تأخذ هذا الامر بسهولة اذا لم تبحث وراء نشاط الدول
الشيوعية في الصومال ، وهو نشاط كبير حتى الآن لم يكن
له أثر كبير ولكن يخشى بعض الناس وانا منهم ان يؤثر
ذلك النشاط في المستقبل في عقيدة الشباب المتعلم في
الصومال ، واذا ابدت مخاوفك للصوماليين قالوا : قد
يكون ما ذكرته صحيحا ، ولكن نحن بدأنا بتعمير بلادنا من
الضفر وامكاناتنا المادية سواء منها الاقتصادية او المالية
محدودة ، ولو استطعنا الحصول من الدول الاسلامية
على كل احتياجاتنا لما اضطررنا الى قبول المساعدات من
الدول الاخرى .

وبهذه المناسبة اذكر ان الصومال تتلقى مساعدات مالية
على شكل قروض بدون فوائد بطبيعة الحال وتسهيلات في
المعاملات التجارية من المملكة العربية السعودية كما تستورد
المملكة السعودية من صادرات الصومال الرئيسية وهي

المواشي واللحوم اكبر من اية دولة اخرى ، وتدفع القيمة بالعملة الصعبة .

الصوماليون يعتقدون انهم من العرب :

ان اكثر من ٨٠ ٪ من الصوماليين يعتقدون ان اصلهم من جزيرة العرب ويعزز ذلك ان بعضهم يعرف على وجه التقريب متى قدم اجدادهم واهاليهم من هناك . ولا عجب فالجسر المائي الذي يفصل بين الاراضي الصومالية والجزيرة العربية اضيق من ان يمنع اتصال الشعبين وخاصة انهما يشتركان في وشائج الدين والثقافة ، والتاريخ الاسلامي المشترك . اما الاقلية التي لا تدعي صلة نسبها بالعرب فهم سكان الجنوب الغربي من الصومال وهم على كل حال مسلمون يشتركون في الوشائج الاسلامية مع غيرهم من المسلمين ومنهم عرب الجزيرة .

الى جوهر :

تبعد منطقة جوهر مسافة تسعين كيلا الى الشمال الشرقي من مدينة مقديشو العاصمة .

وقد سافرنا اليها على سيارة خاصة ، وابتدأنا السفر صباحا فكانت السيارة تسير اول الامر محاذية لساحل المحيط الهندي في اراض رملية حمراء مكسوة بالاشجار

والحشائش البرية غاية في الجمال وتجد الطيور الملونة الغريبة في كل مكان .

اما طيور الصيد وخاصة الحمام البري « القماري » فهي كثيرة جدا ولا تبعد عن الطريق حتى تكاد السيارة تصلها ، وقد عرفت ان السبب في ذلك ان اهل البادية من الصوماليين لم يتعودوا اكلها .

وبعد مسافة حوالي خمسين كيلا توقفنا عند كوخ صغير اعده اصحابه ليكون بمثابة مقهى ، وقد رأينا لاول مرة امرأة غريبة المظهر قال لنا مرافقنا انها من بقايا السكان الاصليين الذين كانوا يسكنون الاراضي الصومالية منذ القديم وبقي منهم حتى الآن عدد قليل جدا ، قال : ولكنهم جميعا مسلمون الآن ولله الحمد .

وقد شربنا الشاي هناك وهم يغلون الشاي ويشربونه اسود ثقيل جدا ، ثم واصلنا سيرنا الى «جوهري» في مناطق بالغة الروعة ، ولا يكاد البصر يخطيء الرعاة الصوماليين من اهل البدو وهم يرعون قطعان الماشية من البقر والابل في اعداد كبيرة جدا عرفنا لماذا كان الصومال المورد الاول لماشية اللحم الى المملكة ، اما الغنم فلم أر منها الا اعدادا قليلة جدا .

ولا يكاد البدوي الصومالي يختلف عن البدوي عندنا الا بزيادة سمته وبأن ملابسه تكاد تشبه ملابس الاحرام

او قل انها قريبة جدا من ملابس اهل البدو في تهامة . وقد
وصلنا جوهر بعد حوالي ثلاث ساعات ، واطلعنا على معالمها
ومن بينها مصنع السكر وهو مصنع كبير يكفي حاجة
الصومال من السكر وبعض المنتوجات الاخرى ، ويقوم
بالاشراف الفني عليه خبراء ايطاليون .

وعندما حان وقت الغداء ذهبنا الى مطعم وطني هناك
واشترينا تيسا ذبحه صاحب المطعم وطبخه وقدمه الينا
بسرعة عجيبة ولكنني وجدت لحمه لم ينضج تماما فتلك
طريقة الدلھو في الصومال ، فهم لا يتركون اللحم ينضج
تماما وانما يأكلونه وهو نصف مطبوخ ، وكنا اربعة انا
وزميلي الاستاذ عبدالله الباحث ومرافقنا وسائق السيارة .
وعندما قدم لنا التيس اكلنا منه انا وصاحبي ما كفانا وهو
ما نعهده كثيرا جدا . ولكن كيف يأكل اربعة تيسا ؟ اما
رفيقانا فقد استمرا بالاكل حتى اتيا على بقية التيس .
والواقع انني لم ار قوما يأكلون اللحم بكثرة كما يأكله
الصوماليون ، ولعل السبب في ذلك كثرة المراعي وبالتالي
وفرة اللحوم، مما جعل اللحم واللبن الغذاء الرئيسي لاکثرية
الشعب الصومالي .

* * *



إلى مقريشيو... ثالثاً

يوم الاربعاء : ٢٥/٢/١٣٨٨ هـ .

٢٢/٥/١٩٦٨ م .

من الخرطوم الى مقديشو :

ركبنا الطائرة في تمام الساعة الخامسة والرابع صباحا من مطار الخرطوم عاصمة السودان . وهي طائرة كبيرة نفثة ذات محركات اربعة تابعة لشركة الخطوط الجوية الايطالية (الإيطالية) وكانت تذكرتي على الدرجة الاولى الا انسي عندما دخلتها وجدت جميع المقاعد المجاورة للنوافذ قد شغلت بركاب من العابرين كانوا فيها قبل وصول الطائرة ، فقلت للمضيفة الايطالية انني اسافر على هذا الخط لأول مرة ولذلك احب ان اكون بقرب النافذة حتى ارى الارض ومعالم الطريق ولو كان ذلك في الدرجة السياحية ، فذهبت معي وارشدتني الى مقعد هناك ولكنه فوق جناح الطائرة ثم عادت الي ثانية وقالت انني وجدت لك مقعدا تتمكن فيه من الرؤية الكاملة للارض ، ولا يحجبك عنها الجناح فشكرتها وانتقلت اليه ، ثم حضر الي مضيف الدرجة الاولى الذي يشترك مع المضيفة المذكورة في خدمة ركاب الدرجة الاولى وقال : انني آسف لانك تركتنا لكونك لم تجد مكانا قرب النافذة في درجتنا .

وكان ركاب الدرجة الاولى كلهم من الاوروبيين ، اما ركاب الدرجة السياحية فهم خليط من الايطاليين

والصوماليين ، الى جانب وفد رسمي من شرطة السودان ، ذهبت لزيارة الصومال بدعوة من الشرطة الصومالية ، ثم اعلنت المضيفة ان الرحلة ستدوم ساعة وثلثا . وكانت خدمة مضيفي الدرجة السياحية وهم فتیان وفتاة من الايطاليين متوسطة ، ويظهر عليهم من مستوى ادواقهم وادبهم ومعاملتهم للركاب ، وطريقة حديثهم فيما بينهم انهم في ذلك في مستوى سكان الشرق الاوسط ، بل ان المضيفين اللبنانيين في الخطوط اللبنانية يفوقونهم ادبا وذوقا . اما الانكليز فان الايطاليين دونهم بكثير . فمعاملة الانكليز للآخرين وقدرتهم على ضبط اعصابهم ، لا يمكن ان يصل اليها الايطاليون وعلى سبيل المثال اذكر ان المضيفة الانكليزية التي ركبنا معها من مقديشو الى كينية كانت توزع مجاملاتها على جميع الركاب وفيهم الاوروبيون والآسيويون والافريقيون دون تفریق . اما هذه المضيفة الايطالية فانها تلاطف وتجامل الاوروبيين واذا وصلت الى الركاب من الافريقيين كانت معاملتها لهم عادية بل جافة .

في مطار اديس ابابا :

وفي المطار عندما هبطت الطائرة نزلت الى قاعة العابرين وهي قاعة صغيرة وتذكرتها عندما ركبت منها عدة مرات قبل اربع سنوات ، ولم يتغير فيها شيء وكان الجو في اديس ابابا غير بارد في هذا الوقت على الرغم من ان اديس ابابا ترتفع

حوالي سبعة آلاف قدم عن سطح البحر الا ان النسمات التي تهب خفيفة كانت نسمات لطيفة باردة .

وقد نزل عدد قليل من الركاب ولبثت الطائرة قرابة نصف ساعة ، ثم اقلعت ثانية قاصدة مقديشو . وقد اعلنت المضييفة ان الرحلة ستدوم ساعة واثنتي عشرة دقيقة ، وكانت مناظر الحبشة قبل نزولنا في المطار ، واقلاعنا منه بديعة حقا فالخضرة والبحيرات التي ترى في الجنوب والغرب من اديس ابابا رائعة .

ولم تكد تتبدل المناظر الا بعد ان قطعنا من اديس ابابا حوالي نصف ساعة حيث اخذت كثافة الخضرة تقل الا ان الارض ما زالت تبدو خضراء ، ولكن خضرتها كانت خضرة طبيعية يظهر انها تتكون من اعشاب الرعى والاشجار الصحراوية .

في مطار مقديشو :

وعندما اخذت الطائرة تدور على مطار مقديشو لم تكن المدينة في مظهر مدينة الخرطوم بل كانت تبدو اقل من ذلك ، لان منظر ضواحي العاصمة التي تنتشر فيها اكواخ المواطنين الذين كانوا قد انهالوا في المدة الاخيرة على العاصمة من الارياف والبوادي ، تلك الاكواخ بأسقفها المكونة من الصفيح تكاد تحجب منظر قلب المدينة المكون

من البنايات الكبيرة والمنازل المبنية بالحجارة أو الاسمنت المسلح ، وتعطي صورة ليست واضحة لعاصمة جمهورية الصومال .

أما المطار فقد أصبح اوسع مما كان عليه عندما زرناه آخر مرة ، وكانت بناية المطار الجديدة جميلة لائقة . وقد وجدت في المطار بعض الاخوان من موظفي السفارة السعودية وغيرهم من الاخوان الصوماليين .

وقد نزلت في فندق (جوبا) وهو اكبر الفنادق في الصومال ، وقد سبق لي أن نزلت فيه ، وأهم ما يلفت النظر فيه ملوحة الماء الشديدة حتى ان ادوات الحمام الموجودة في ذلك الفندق الكبير قد اكلها الصدأ من شدة الملوحة ، ولا يستطيع المرأ اذا غسل فمه منه الا ان يتمضمض مرة اخرى بماء معد للشرب يحضره الفندق لنزلائه في زجاجات ، اما الاستحمام فانه لا يطاق لان الشعر يتعقد ويتشبث به الصابون ، لذلك فاني استحم من سطل من ماء الشرب وقد نمت بعد وصولي للفندق لانني قد بقيت طول الليلة الماضية بدون نوم .

وبعد صلاة العصر خرجنا مع بعض المشايخ مشيا على الاقدام الى داخل المدينة لكي اجدد بها العهد ، وقد لاحظت فيها تحسنا كبيرا في الطرق والبنايات والتجميل كما لاحظت زيادة في استخدام السيارات . كما استرعى انتباهي هذه

المرّة ما لاحظته سابقا من كثرة الصوماليين في المقاهي والمحلّات العامّة مما يعطي انطباعا بأن كثيرا من الصوماليين وخاصة المثقفين منهم لا يقضون اوقات فراغهم في بيوتهم .

يوم الخميس : ٢٦/٢/١٣٨٨ هـ .

٢٣/٥/١٩٦٨ م .

ذهبت الى السفارة السعودية وتحدثت مع المسؤولين فيها قرابة ساعتين بما ينبغي ان يكون عليه وضع معهد التضامن الاسلامي الذي تشترك رابطة العالم الاسلامي والجامعة الاسلامية في الاشراف عليه ، والذي كان السبب في حضوري للصومال . ثم عدت الى الفندق حيث وجدت جماعة من اخواننا الصوماليين منهم الاستاذ عبد الرحمن حاج مؤمن وزير العدل والشؤون الدينية سابقا وعضو الجمعية الوطنية الصومالية حاليا ، وكذلك بعض اعضاء البرلمان الآخرين الذين كنت قد تعرفت عليهم عندما زاروا المدينة المنورة ، كما قابلت احد سلاطين الاقليم الشمالي ، ويعتبر السلطان بمثابة الرئيس الاداري للقبيلة او الجماعة من قبيلة ، وتدفع الحكومة للسلاطين رواتب شهرية ويكون السلطان منهم مسؤولا عن تنفيذ تعليمات الحكومة في حدود مجال قبيلته .

في كيلو ١٤ :

كان الشيخ محمد احمد نور مدير مصلحة الشؤون الدينية وهو صومالي تخرج من الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، وتقلد منصبه هذا قبل سنة قد دعاني الى حفلة شاي في الكيلو ١٤ في طريق افقوى ودعا عددا من المشايخ منهم الشيخ عبد الغني حاج فارح عضو المحكمة العليا . وقد قضينا امسية ممتعة في الهواء الطلق هناك ، فوق بساط من الخضرة ، وبين اشجار كثيرة متشابكة ، ويقولون انهم الآن في اوائل فصل الربيع ، الفصل الذي يعقب فصل الحر ، وقد بدأ المطر الموسمي ينزل قليلا ، ولذلك اخضرت الارض ، والهواء هنا لطيف . ولا يستطيع المرء الا ان يأسف لعدم استغلال هذه الاراضي الخضراء في الصومال وعدم الاستفادة من الامطار الكثيرة التي تنزل عليها ولكن نرجو ان يسر الله لآخواننا الصوماليين ذلك في المستقبل .

يوم الجمعة : ١٣٨٨/٢/٢٧ هـ .

١٩٦٨/٥/٢٤ م .

في افقوى :

افقوى قرية فيها منتزه جميل على نهر شيبلي احد نهري الصومال الرئيسيين ، وتبعد (٣١) كيلا عن مقديشو

العاصمة . وكان الشيخ عبد الرحمن حاج مؤمن عضو الجمعية الوطنية الصومالية وعضو الهيئة المركزية في حزب الوحدة الصومالية الحاكم ، قد دعاني الى تناول طعام الغداء هناك في افقوى ، وقد ذهبت معه بسيارة خاصة ومعه الشيخ نور الدين علي ، المستشار بالمحكمة العليا في الصومال وقد اخذنا بجولة فيما حول نهر شيلبي ، وهو نهر صغير في عرض نهر بردى مرتين ولكنه اكثر منه ماء واعمق مجرى وحوله يزرع كثير من المحاصيل اهمها الذرة والموز والعبه (المانجو) وعلى جانبه ارانا الارض التي اهداها فخامة رئيس جمهورية الصومال الى جلالة الملك فيصل عند زيارة جلالتة الرسمية للصومال في العام الماضي .

ثم دخلنا منتزها هناك يديره رجل ايطالي ، وهو عبارة عن حديقة تظللها الاشجار الباسقة وقد قدم لنا الغداء الذي طهي على الطريقة الايطالية وهي طريقة جيدة ، وليست ببعيدة عن الطريقة العربية في الشرق الاوسط ، وتتسم عادة بوفرة الطعام ويكون دسما منوعا ، على خلاف الطعام الانكليزي الذي لا يعني عنا نحن سكان الشرق الاوسط شيئا .

وقد تعرفنا في المنتزه المذكور على عدد من اخواننا الصوماليين من بينهم السيد حاج فارح علي عمر وزير الخارجية الصومالية ، والسيد عبد الله عيسى اول رئيس

لوزراء الصومال ، وبعض الوجهاء والتجار الصوماليين .
وكان المنتزه غاصا بالرواد وخاصة من الايطاليين .

وقد استرعى انتباهي وجود فتاة خلاسية فسألت عنها
فقالوا انها من الهجاء اي من نتائج الاتصال غير الشرعي
بين الايطاليين والصوماليات في عهد الاستعمار . ومثل ذلك
النتاج يسميه الايطاليون « كباشينو » والكباشينو في
لغتهم تعني القهوة باللبن كناية عن امتزاج البياض بالسواد .

وقد اتقلنا بعد تناول الغداء الى مقهى جميل جدا
اسسه ويديره رجل صومالي كان قد عاش في الولايات
المتحدة الاميركية مدة ثلاثين سنة ، وكان قد فتح مطعما
هناك ، ثم عاد الى بلاده الصومال وانشأ هذا المقصف على
غرار المقصف الذي كان قد انشأه في الولايات المتحدة
الاميركية وقد وجدناه غاصا بالاوروبيين والاميركيين ، وذلك
لان هذا اليوم الجمعة هو يوم العطلة الاسبوعية في
الصومال . اما الطرق الى افقوى فهو معبد ومسفلت سفلتة
جيدة ، وهو يخترق منطقة خضراء . اما الطيور الموجودة في
تلك المنطقة فحدث عن كثرتها وجمالها ولا حرج ، فهناك
العصافير الملونة البديعة الشكل التي تفرخ وتبني اعشاشها
في الاشجار الكبيرة ولا من يأخذها ويبيعها ، كما ان هناك
طيور الاكل من القماري والغرائيق ، اسراب ، واسراب ،
وهي تبعد عن طريق السيارات ولا من مصطاد .

وقد شاهدنا القرويين والبدو من الصوماليين وهم يحملون اللبن على الحمير لبيعوه في القرى او لمصنع اللبن ، ويقولون ان كيلو اللبن عندهم يساوي نصف شلن اي ستة قروش سعودية .

ثم عدنا مع العصر وكان المطر يهطل ، مما لطف الجو ، وقد دخلنا شارع مكة المكرمة ، اكبر واحداث شارع في مقديشو ، ومررنا في طريقنا بمشاريع اشترك في تنفيذها وتقديمها للصومال على شكل مساعدة بعض الدول الشرقية والغربية مما جعل مضيبي السيد عبد الرحمن وهو سياسي قدير يقول : ان الصومال حقيقة حيادي ولكنه الحياد الذي يكسب من الجميع ، وليس الحياد الذي يحرم اصحابه من الجميع .

والواقع ان الصوماليين من هذه الناحية يعدون من امهر الناس ، واعظمهم حيلة ، فقد كسبوا من الجميع واستطاعوا المحافظة على صداقة الجميع بمهارة . وبعد ذلك ذهبت مع مدير الشؤون الدينية الشيخ محمد احمد نور وبحثت معه بحثا عميقا موضوع معهد التضامن الاسلامي في مقديشو الذي انشئ في العام الماضي ، وكذلك الوضع الاسلامي العام .

ثم عدت الى الفندق حيث وجدت الاستاذ مصطفى نصر الدين القائم باعمال السفارة السعودية في انتظاري

وكذلك اجتمعت بالاستاذ محمد صلاح الدين الحسيني
الملحق بالسفارة السعودية ، وبعض الاخوان الآخرين .
ثم شاهدنا حفلا اقيم في الفندق الذي نزل فيه على
شرف سفير حكومة كينية الجديد الذي كان قد وصل
مقديشو امس ، وكذلك للوفد التجاري الكيني الموجود في
مقديشو ، وقد اجتمع في هذا الحفل جميع الدبلوماسيين
وكبار القوم الموجودين في الصومال ، وقد اتضح لي من
ذلك ان التمثيل الدبلوماسي الاجنبي في الصومال ليس
واسعا جدا .

يوم السبت : ٢٨/٢/١٣٨٨ هـ .

٢٥/٥/١٩٦٨ م .

في معهد التضامن الاسلامي :

كنت قد اردت زيارة معهد التضامن الاسلامي في
مقديشو وهو المعهد الذي تشترك رابطة العالم الاسلامي في
مكة المكرمة والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة في
الاشراف على ادارته كما قدمت ، وقد وجدت ادارة المعهد
قد جمعت الموظفين والمدرسين ورتبت حفل استقبال تكلم
فيه وكيل مدير المعهد لغياب المدير عن الصومال كما تكلم
احد المدرسين والطلبة ثم قمنا بجولة على اقسامه بعد ان
القيت كلمة في الحاضرين .

ثم ذهبنا مع سعادة سفير المملكة العربية السعودية في الصومال السيد علي عوض لتناول طعام الغداء في بيته وقد حضر اعضاء السفارة ، وقد تناول الحديث اثناءها الاوضاع الاسلامية والاوضاع العامة في الصومال .

جولة فيما حول مقديشو :

بعد ان خرجنا من مائدة سعادة السفير اخذني السيد مصطفى نصر الدين القائم بالاعمال بسيارته التي يقودها بنفسه الى جولة فيما حول مقديشو ، وكان الجو بديعا إذ كان غائما والمطر يهطل رذاذا . وقد تجولنا في منطقة مطار مقديشو ، وشاهدنا بعض الطائرات التي يملكها سلاح الجو الصومالي وهي روسية الصنع ويذكر ان هناك حوالي مائة طيار حربي صومالي قد تدرب اكثرهم في الاتحاد السوفياتي . ثم ذهبنا الى مقر الاذاعة ويبعد حوالي ٧ اميال عن مقديشو ، ثم الى منطقة مصنع اللبن وقد بناه الاتحاد السوفياتي ويقوم بالاشراف الفني عليه رجل وامرأة من الروس ويبعد حوالي خمسة اميال ، ثم تجولنا في المناطق التي بنت الدول الاجنبية للصوماليين فيها بعض المشاريع ، وهي دول مختلفة من الشرق والغرب ، مما يؤكد في ذهن المرء ما قيل : من ان الصومال هي الدولة الثانية في الامم المتحدة التي تحصل على اكبر عون من الدول الاجنبية والهيئات الدولية .

وقد دخلنا بالسيارة الى منطقة غير مسفلتة ، وكانت المناظر رائعة حقا ، فالاشجار الضخمة الخضراء ، منتشرة في كل مكان ، والارض كأنها بساط سندسي ، والطيور الملونة المغردة كثيرة ، والتربة رملية حمراء غاية في الجمال ، وقد رأينا بعض الاهالي ومعهم الثيران التي قصدوا بها سوق مقديشو لبيعها وكذلك بعض الغنم والحمير . ويسترعي الاتباه ان لون الغنم في هذه البقعة هو ابيض ، والبقر فيها اللون الاحمر والاييض المخلوط بأحمر اما اللون الاسود فقليل .

وقد تحدث السيد مصطفى عن امكانية زيادة الثروة الحيوانية في تلك البلاد ، وان ذلك كفيل بجعل الصومال من البلاد التي لا تحتاج الى مساعدة اذا احسن استغلاله كما ان الارض في هذا الموسم من السنة خضراء مما يجعل المحاصيل الاستوائية تنمو بشكل طبيعي وبدون اية كلفة . ولكن ذلك يحتاج - بطبيعة الحال - الى خبرة فنية وايد عاملة مدربة وذلك ما لا يتوفر في الصومال في الوقت الحاضر . ثم ذهبنا الى افقوى وهو المكان الذي يتنزه فيه الناس على نهر شيبلي ويبعد ٣١ كيلا عن مقديشو كما قدمنا ، وقد شربنا الشاي هناك ، ورأينا رئيس مجلس الوزراء السيد محمد ابراهيم عقال وبعض الوزراء بالبساطة والديمقراطية التي يتحلى بها الصوماليون .

يوم الاحد : ٢٩/٢/١٣٨٨ هـ

٢٦/٥/١٩٦٨ م

صورة نادرة :

كان وكيل مدير معهد التضامن الاسلامي في مقديشو الاستاذ ابراهيم خليل حسن هرري قد دعانا وبعض الاصحاب الى حفلة غداء خارج مقديشو ، أو في احضان الغابة كما يقول ، وقد خرجنا بالسيارة الى جهة الشمال من مقديشو فوصلنا الى مكان هناك بمثابة مقهى او مطعم على مسافة خمسة عشر كيلا من مقديشو وهناك جاؤا بحصر تحت ظل شجرة برية كبيرة ، وجلسنا مجلسا عربيا ، وكان الطعام يتألف من لحم الحملان الصغار ، والارز والسلطة والفاكهة المكونة من الباباي فاكهة الصومال الرئيسية ، الى جانب الموز المحصول الثاني الذي تصدره الصومال بعد المواشي ، كما احضروا لونين من الالبان احدهما لبن الابل والثاني لبن البقر .

وكانت جلسة طيبة خرجنا بعد العصر تتمشى في تلك الغابة وسط الحشائش والاعشاب ، والشجيرات البرية الخضراء ، التي ازدانت بالطيور الزاهية الالوان ، المغردة بمختلف الالحان

وقد لقيت راعي غنم صوماليا وهو فتى في السادسة عشرة تقريبا ومعه خشبة كبيرة على شكل لوح طويل يزيد

طوله على متر ، ولما سألته : ماذا تصنع بهذه الخشبة ؟ ولماذا تحملها هكذا ؟ اجاب : انها لوح احفظ فيه القرآن الكريم ، قال ذلك وهو يزهو ويفخر ويعتز . ولقد هزني مرأى هذه الصورة وتجسم لي فيها رأي العين ما كنت قد سمعته وقرأته عنه سابقا من صور اولئك الذين حفظوا القرآن الكريم على مر العصور في هذه البلاد البدوية النائية بتلك الوسيلة ، وكيف صبروا على ثقل ذلك اللوح الثقيل طول اليوم ليستذكروا فيه القرآن الكريم ، وليعود الواحد منهم بعد انتهاء رعيه اليومي الى الشيخ يعيد درسه عليه ويجوده . وهم في الصومال يسمون طالب العلم «حر» .

يوم الثلاثاء : ١ / ٣ / ١٣٨٨ هـ .

٠ م ١٩٦٨ / ٥ / ٢٨

لدى وزير العدل والشؤون الدينية :

ذهبت الى وزارة العدل والشؤون الدينية بصحبة صديقي الشيخ محمد احمد نور مدير الشؤون الدينية وذلك لزيارة السيد آدم شري جامع وزير العدل والشؤون الدينية في الصومال ، وعند الباب الخارجي للوزارة ذهب صاحبي بنفسه واخبر الوزير ثم عاد واستصحبني ، فوجدت حول باب مكتب الوزير شرطيا ، ولكن الامر ليس له وانما لفتاة كان معها مفتاح اخرجته من جيبها ثم فتحت لنا فدخلنا على

الوزير فوجدنا عنده رجلين احدهما اول صومالي يتولى منصب رئيس المحكمة العليا في الصومال ويدعى عبد الرحمن شيخ علي ، وقد عين امس فقط ، وذلك بعد ان ابعد سلفه الايطالي بسبب مطالبة خطباء المساجد ورجال الدين بابعاده. أما مكتب الوزير فهو بسيط ليس فيه من المقاعد غير عدد قليل وقد اعتذر بأنه لا يحسن من العربية ما يكفي للتحديث بها فقلت ان اخانا فضيلة الشيخ محمد احمد نور سيقوم بالترجمة فقلت له : ان هذه مناسبة طيبة لكي ابلغكم سلام اخوتكم المسؤولين في الجامعة الاسلامية وعلى رأسهم سماحة رئيس الجامعة وفضيلة نائب رئيسها . ثم تكلمت عن الروابط الاسلامية الوثيقة التي تربط بين الصومال والمملكة العربية السعودية . فأجابني بكلمة شكر فيها جلالة الملك فيصل المعظم على جهوده في الحقل الاسلامي وقال اتني عندما زرت بلادكم اعجبت بالتقدم العظيم الذي احرزته وانها بذلك اثبتت عمليا ان الاخذ بالاسلام عقيدة ونظاما للحياة هو أحسن طريقة للمسلمين لانكم طبقتم الاسلام عمليا ، واضحت المملكة من أحسن البلاد الاسلامية ، ان لم تكن احسنها كلها . ثم قال اتنا نعتبر المملكة العربية السعودية الاصل والقدوة لنا .

وقد رأيت الناس يمنعون من دخول البناء الذي تقع فيه الوزارة المذكورة وهو بناء واسع فيه كثير من دوائر الحكومة ويعتبر كالمجمع للدوائر المذكورة ، فأخبرت بأن

السبب في ذلك واقعة حدثت منذ مدة قريبة وهي ان احد المراجعين دخل على احد رؤساء الاقسام ، وسأله عن معاملة له ، ولما أجابه بغير ما يشتهي ، اشتد بينهما الخصام ، فاستل المراجع مدية كانت معه وشق بها بطن الموظف فمات . وعلى أثر ذلك منع أي شخص من دخول الدائرة المذكورة الا اذا أحضر معه بطاقة تثبت ان له معاملة او اية علاقة بالموظفين مثل بطاقة مراجعة ونحوها .

في حارة العرب في مقديشو :

ويسمونها «فلاج عرب» ولعل لاصلها علاقة بكلمة (فيلج) الانكليزية بمعنى قرية وقد تناولنا طعام الغداء في بيت الشيخ احمد محمد صالح مبعوث دار الافتاء ويقع منزله في تلك الحارة في مقديشو . وسميت بحارة العرب لان سكانها من العرب بل هم الذين انشاؤها وهي حتى في مظهرها تشبه منازل العرب في جنوب الجزيرة العربية ، فشوارعها خالية من الاشجار، والخضرة تكاد تكون معدومة في بيوتها لصغرها ، وتتكون من بيوت متلاصقة من طابقين مبنية بلبن الاسمنت ومسقفة بالاخشاب والطين أي ان سقفها مسطحة . وقد حضر بعض زعماء العرب ومن هم من اصل عربي .

العرب في الصومال :

وبهذه المناسبة تجدر الاشارة الى ان عدد العرب في

الصومال يبلغ حوالي خمسين الفا منهم اربعون الفا من الاقليم الجنوبي الذي تقع فيه العاصمة مقديشو ، وعشرة آلف في الاقليم الشمالي المجاور لخليج عدن والمقابل لساحل الجزيرة العربية .

الا انه لا ينبغي اذا ذكر العرب ان يتبادر الى الذهن صورة الجالية المتميزة كما تقول الجالية الايطالية او غيرها . فالعرب الموجودون في الصومال قد اندمج اكثرهم في الصوماليين والذين لم يتم اندماجهم عنصريا قد اندمجوا سياسيا حيث حصلوا على الجنسية الصومالية واصبحوا بذلك صوماليين لا يميزهم عن غيرهم من الصوماليين الا بياض طفيف في بشرتهم تتناقص يوما بعد يوم بسبب تعرضهم الدائم لشمس افريقية التي تصبغ الاجسام بصباغ داكن . ويتكون العرب في الصومال من ثلاث فئات هي : الحضرميون ، وهؤلاء لا يكادون يتزاوجون مع الصوماليين . واليمنيون وهم اكثر العرب اسراعا للتزوج من الصوماليات وبالتالي اصطبغا باللون الصومالي ، واندماجا في الصوماليين ، وابتاؤهم من الصوماليات لا تفرق بينهم وبين الصوماليين الآخرين . والعمانيون وهم قليل ولكنهم ايضا يتزوجون بسرعة من الصوماليات ، ويندمجون فيهم على مر الايام . والعرب جميعا في الصومال يشكرون اخوانهم الصوماليين على كريم ضيافتهم ، وحسن جوارهم ، فالصوماليون لا

يعتبرون العرب الموجودين في الصومال أجنب ولا غرو في ذلك لان الدين الاسلامي يشملهم جميعا . وقرب العادات والتقاليد من العوامل المساعدة على ذلك ، ويوجد بعض العرب في الوظائف الحكومية في الصومال منهم على سبيل المثال : الاستاذ الشريف عيدروس مدير المراسم بوزارة الخارجية الصومالية .

ويعتبر العرب في الصومال في الحياة التجارية طبقة ادنى من مستوى الايطاليين ، وفوق مستوى الصوماليين ، وهذا المستوى ليس ثابتا بل هو في تحرك وتغير وقد اخذ العرب الآن يقربون من المكان الذي يحتله الايطاليون في التجارة واخذ الصوماليون يزحفون الى مكان العرب ولذلك فمستقبل التجارة في الصومال سيكون - في ظني - في ايدي العرب والصوماليين .

الثعابين في الطريق :

خرجت بعد عصر اليوم مع أحد الاصدقاء الى خارج مقديشو بمسافة ٢٠ كيلومترا الى الشمال الغربي ، وعندما صلينا المغرب ، وكنا عابدين الى مقديشو شاهدنا على ضوء السيارة ثعبانا عظيما يخترق طريق الاسفلت ، وقد حاولنا ان ندوسه بالسيارة ولكنه اسرع الى تخطي الاسفلت ودخل المنطقة الرملية المعشبة ويبلغ طوله حوالي مترين ، وكنا قد تجاوزنا بعض البدو وهم يمشون راجلين خلفنا ، ولا شك

انه لولا مطاردتنا له لكان من الممكن ان يقتربوا منه قبل ان يتعد عن الطريق . ولما سألت عن ذلك قيل لي : ان الثعابين كثيرة وانها كثيرا ما تلدغ الناس في الخارج ، فمن امكن نقله الى المستشفيات اسعف ، واتفقت حياته ، ومن لم يتيسر نقله مات .

ومن المعلوم ان الاشجار الكثيفة والاعشاب الملتفة تكون بيئة صالحة لتكاثر الثعابين واخفائها ، اصف الى ذلك وفرة الحشرات والخشاش التي تتغذى عليها تلك الثعابين .

يوم الاربعاء : ٢ / ٣ / ١٣٨٨ هـ

١٩٦٨ / ٥ / ٢٩ م

مع رئيس الجمهورية السابق :

كان صديقي الاستاذ احمد حاج آدم حولو مدير جمرک مقدشو قد مر علي عصر اليوم في الفندق حيث خرجنا مع بعض الاصدقاء في سيارته الخاصة التي يقودها بنفسه الى منطقة زراعية خصبة لا يستغلها الصوماليون الاستغلال التام بسبب نقص الخبرة الزراعية وقلة الايدي العاملة المدربة .

وعدنا مع المغرب لنصلي في مقصف هناك وقد اجتمعنا فيه بالسيد آدم عبدالله عثمان الرئيس السابق لجمهورية

الصومال وقد طلب مني الحاضرون ان اتقدمهم لصلاة المغرب ولما قلت لهم انني في حكم المسافر ، وانني أرى ان فخامة السيد آدم عبدالله عثمان هو احق بالامامة لانه اول رئيس دولة اسلامية نادى رسميا بالتضامن الاسلامي عن طريق اجتماع رؤساء الدول الاسلامية في مؤتمر عام، ضحك وقال: ما دمت تقول ذلك فأنتي ارجو ان تصلي بنا بالنيابة عني ، هذا وقد سبق ان اجتمعت بفخامته عندما كان يقوم بزيارة المملكة زيارة رسمية قبل سنوات .

يوم الخميس : ١٣٨٨/٣/٣ هـ

١٩٦٨/٥/٣٠ م

دبلوماسي وشيخ وطيبار :

صديقنا الاستاذ مصطفى نصر الدين القائم باعمال السفارة السعودية في مقديشو حضر اليه وفد من جماعة مسجد جامع النور في مقديشو وقالوا : انهم لم يجدوا من يصلي بهم الجمعة الماضية وطلبوا اليه الايعاز الى احد المشايخ الذين بعثوا من قبل دار الافتاء في المملكة السعودية بأن يقوم بذلك فقال لهم: ان المبعوثين قد وزعناهم على مساجد اخرى ولكن لا تخشوا تعطل الخطبة فأنا أصلي بكم واخطب لكم .

ولاول مرة يقوم فيها رجل دبلوماسي فيخطب بالناس ويصلي بهم صلاة الجمعة . ولعل عجبك يزول اذا عرفت ان الاستاذ الشيخ مصطفى هو خريج كلية اصول الدين في الازهر ومن الحاصلين على شهادة تخصص التدريس وقد اشتغل في وزارة المعارف السعودية عدة سنوات قبل ان ينتقل الى العمل في وزارة الخارجية ولكن عجبك سيكون اكثر اذا علمت انه ايضا طيار مدني سبق له ان حصل على شهادة الطيران من كلية الطيران بالقاهرة ، وعمل في الخطوط الجوية السعودية على عهد المرجوم الامير منصور بن عبد العزيز وزير الدفاع آنذاك وقضى في خدمة الطيران في المملكة مدة طويلة ، ولكنه عاد الى العمل كمدرس في وزارة المعارف قبل ان ينتقل الى وزارة الخارجية .

انها فكرة جديدة بالدرس من قبل وزارة الخارجية : ان ترشح من بين المتخرجين من كليات الشريعة في المملكة من يعملون في السفارات السعودية في البلدان الاسلامية لأن المملكة هي منبع الدين الاسلامي وفيها الحرمان الشريفان ويجب ان يكون من يمثلونها في البلدان الاسلامية على درجة من التعليم الاسلامي ، والفقه في الدين . وقد كان وقع صلاة الدبلوماسي السعودي الاستاذ مصطفى نصر الدين في نفوس اهالي المحلة التي يقع فيها الجامع المذكور عظيما الى درجة ان اهالي الحي وكبار المصلين في مسجد الجامع توجهوا الى السفارة السعودية على بعدها من مركز البلد

وقابلوا السفير السعودي السيد علي عوض وشكروه
على ذلك .

يوم السبت : ١٣٨٨/٣/٥ هـ

٢ ١٩٦٨/٦/١ م

في وزارة التربية والتعليم الصومالية :

ذهبت مبكرا لمقابلة السيد آدم اسحاق احمد وزير
التربية والتعليم الصومالي في مقر عمله بناء على موعد
سابق . وقد لاحظت ان هناك موظفا يقف على باب مغلق
عند اول الدرج الصاعد للطابق الثاني من بناء الادارة وهو
الطابق الذي يضم مكتب الوزير والموظف المذكور يغلق
الباب ويمنع من يريد الصعود الا باذن خاص وهكذا فالمرجعة
هنا ممنوعة للعموم كما في الوزارات والمكاتب الصومالية
الاخري وهو شيء لم نألفه في بلادنا السعودية .

وعندما صعدنا الى الطابق الثاني قابلتنا فتاة صومالية
وفتحت لنا باب غرفة الوزير التي كان عليها حارس خاص .
وقد تحدثنا اليه عن الجامعة الاسلامية والعلاقات القوية
القائمة بين الدوائر التعليمية في المملكة وفي الصومال ورد
بكلام طيب كان منه قوله: انني قد زرت بلادكم السعودية
وأعجبت بما رأيته فيها وقد لاحظت انه اطلق لحيته ، وقيل

لي بعد ذلك انه اطلق لحيته بعد ان حج وزار البلاد السعودية
في العام الماضي .

على مائدة العرب :

اجتمع بعض اخواننا العرب من اليمن وحضرموت وقد تكرموا
باقامة وليمة عشاء في مكان خارج «مقديشو» يسمى «عالياي»
ويقع على بعد ستة كيلات من المدينة ودعوا السيد مصطفى
نصر الدين وبعض المشايخ في مقديشو وقد قضينا في ذلك
المكان الرملي الطيب الهواء جلسة ممتعة حيث كان من بين
الحضور اثنان حصلوا على شهادات عالية من ايطالية وبريطانية
وهما من المثقفين الصوماليين الذين يجيدون اللغة العربية اجادة
تامة ولو قارنا بين اطعمة هذه المائدة والاطعمة التي ذكرها
ابن بطوطة لاهالي الصومال في القرن الثامن الهجري لما كان
هناك كبير فرق .

يوم الاحد : ١٣٨٨/٣/٦ هـ

١٩٦٨/٦/٢

السفر الى السودان :

ذهبنا الى مطار مقديشو مع جمع من اخواننا الصوماليين
الكرام الذين ابوا الا ان يغمروني بكرمهم وكذلك عدد من
اخواني الموظفين في السفارة السعودية . وقد قالت لنا شركة

الخطوط الايطالية ان الحضور للمطار يجب ان يكون في التاسعة صباحا وسوف تغادر الطائرة في تمام العاشرة ولكنها لم تتحرك الا في تمام الساعة الحادية عشرة .

كانت الطائرة هي التي قدمنا عليها ، ذات محركات اربعة نفاثة ، وقد ركبت في الدرجة الاولى بجوار النافذة كما طلبت ان يحجز لي ، لا كما كان عليه الحال في المرة السابقة. المضيفان في الدرجة الاولى فتاة وفتى من الايطاليين وكان اول ما فعلته المضيفة ان اعلنت ان الرحلة ستكون الى اديس ابابا عاصمة الحبشة ، وستستغرق ساعة وعشرين دقيقة ، ثم قدمت الحلوى للركاب ، وقدم المضيف مناشف ساخنة مبلولة بماء الكولونيا ، يسمح فيها الركاب ايديهم وجباهم ، ثم ارتفعت الطائرة وكان ابتداء طيرانها على مياه الخليج الهندي اللازوردية ، لانها قريبة من الساحل ثم عطفت لتسير على الارض الصومالية الخضراء .

ان ركاب الدرجة الاولى كلهم من الايطاليين ما عدا رجلا هنديا اعتقد انه احد الدبلوماسيين .

لقد اعدت المضيفة المائدة بسرعة امام كل راكب وكان اول ما فعلته ان احضرت زجاجة خمر كبيرة ، وقالت لي وهي تهتم بصب بعض محتوياتها في كأس صغير : اتريد شمبانيا ام ويسكي ؟ فقلت لها : لا اريد شيئا من ذلك ، فانا مسلم ولله الحمد ، فابتسمت وهي تبتعد بسرعة ... ثم

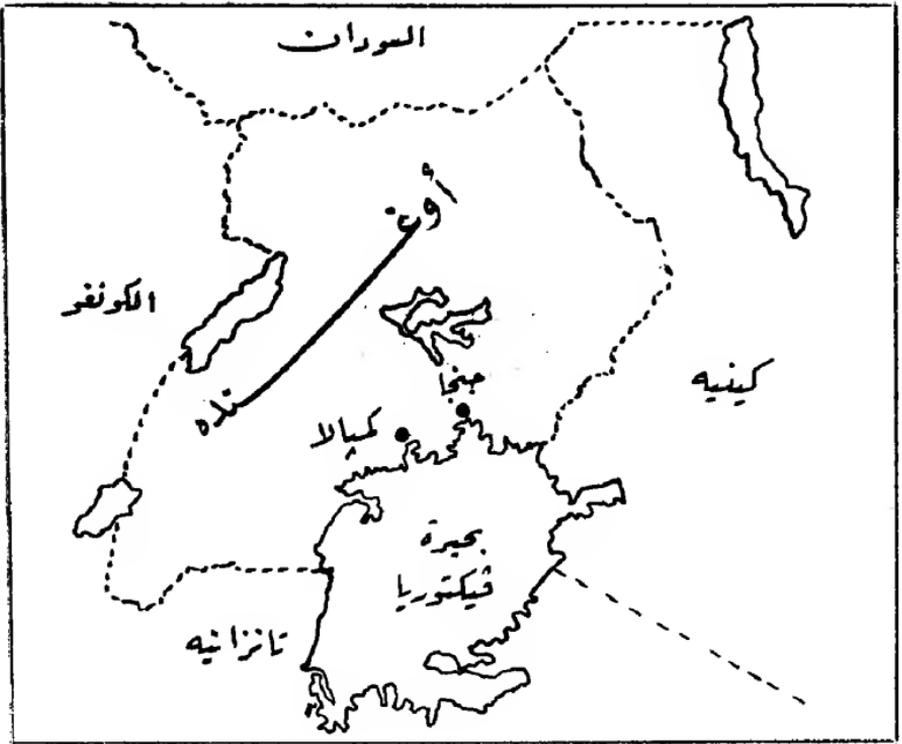
تعددت المائدة وجاء دور الغداء ولما جاءت باللحم سألتها أي لحم هو ؟ ... فقالت : انه عجل صغير (بتلو) ثم جاء دور البيرة وهنا سألتني اولاً : هل تريد بيرة؟ فرفضت، فاحضرت لي ماء من مياه فيجي المعدنية . وبعد الغداء جاؤا بالدخان يوزعونه على الركاب بالمجان كما كانوا يسقون الخمر . وذلك كله مما يختصون به ركاب الدرجة الاولى فقط ، اما ركاب الدرجة الثانية فانهم لا يحصلون على شيء من ذلك الا بئنه وبناء على طلبهم . والواقع اني لو عرفت ان ذلك سيحصل في درجتهم الاولى لما قطعت تذكرتي الا على الدرجة الثانية .

وبعد ذلك وصلنا الى مطار اديس ابابا ولم نلبث فيه اكثر من نصف ساعة عدنا الى طائرتنا وقد امتلأت الدرجة الاولى بالمسافرين كلها .

وبعد ان اقلعت الطائرة جاء المضيف وسألني هل تريد خمر؟ وهنا كانت الاجابة من المضيفية وليس مني : « انه لا يريد ذلك ». وقد صارت المضيفة بعد ذلك تشرح لي تركيبات جميع الطعام الذي تقدمه حيث عرفت انني مسلم ولله الحمد.

وبعد ان وصلنا الى مطار الخرطوم ودعني المضيفان وطاقم الطائرة بحرارة .

أوغندة



السودان

الكونغو

أوغندا

كينيه

مبجا

كيالا

بحيرة
فيكتوريا

تانزانيا

يوم الاثنين ٢٩/٥/١٣٨٤ هـ .

٥ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

من نيروبي الى كمبالا ...

تركنا فندقنا في نيروبي في الساعة الرابعة صباحاً الى مطار نيروبي . فصلينا الفجر فيه ركبنا طائرة تابعة لشركة طيران شرقي افريقية وكانت الاجراءات غاية في اليسر والسهولة .

وكانت الطائرة صغيرة من طراز « داكوتا » ، والمطر يهطل رذاذاً ، ولذلك لم نشاهد شيئاً من معالم الارض من الطائرة عند اقلاعها .

وقد اعلنت نشرة الطائرة اننا نطير على ارتفاع عشرة آلاف وسبعمائة قدم منها سبعة آلاف قدم ارتفاع الارض عن سطح البحر ، وثلاثة آلاف وسبعمائة قدم ارتفاع الطائرة عن سطح الارض . اما ملاحو الطائرة فهم من الانكليز عدا المضيف فهو فتى افريقي من كينية كانت خدمته ممتازة وكان يتحلى بدوق رفيع .

وقد استمرت الرحلة ساعة وخمس دقائق وصلنا بعدها الى مدينة كيسومو على بحيرة « نيانزا » (فكتوريا) وهي المدينة التي زرناها من قبل ، ووصلنا على السيارات كما تقدم . وقد حامت الطائرة فوق المدينة

والمنطقة المحيطة بها فبدت الارض خلالها كثيفة الخضرة
لا نرى منها غير ذلك .

وبعد ان امضينا ٢٠ دقيقة في مطار (كيسومو)
قامت بنا الطائرة الى مدينة (جنجا) في اوغندا وكان
الركاب كالعادة من الاوروبيين والهنود . وقد اعلنت نشرة
الطائرة اننا نظير على ارتفاع ستة آلاف قدم من سطح
البحر وارتفاع ألفي قدم من سطح الارض وانا سوف
نظير على ضفاف بحيرة (نيانزا، فكتوريا) لمدة
خمسين دقيقة .

وكان منظر البحيرة من الطائرة هائلا حيث
ان الطيران امتد على ضفافها لمدة خمسين دقيقة
وذلك فوق جزء ليس كبيرا من تلك الضفاف ، وانا
لا تشاهد لها من الطائرة الا طرفا واحدا اما اطرافها
الثلاثة فهي تبدو ملتصقة بالافق كمنظر المحيط الهائل .
ولولا اننا نظير على شاطئها ونشاهد قمم بعض الجبال
لخيل الينا اننا نظير فعلا فوق بحر خضم . وقد
مكننا من التمتع بتلك المناظر الساحرة ارتفاع الطائرة
القليل الذي لا يزيد كثيرا على الف قدم من سطح
الارض كما قدمت .

وقد زاد المنظر روعة تلك الغابات الكثيفة التي
تكسو الشاطئ ، والتي يتكون بعضها من اشجار

النارجيل الكبيرة التي تبدو من الطائرة سمراء رشيقة كأنها غادات افريقية قد تعبت من الرقص فنكست رؤوسها لتستريح .

أما أكواخ الوطنيين المدبية السقوف مع جداول المياه التي تأتي من المرتفعات وتصب في تلك البحيرة العظيمة وقطع السحب المنخفضة ، وهي تغذ السير كأنما اجفلت من طائرتنا ، وتنظر بعضها على البعد وهي ترصع مياه البحيرة الهادئة فان ذلك منظر لا تمل العين مرآه ، ولا يمكن للمرء ان ينساه .

وبعد مضي ٥ دقيقة بالضبط اعلن مضيف الطائرة باننا قد وصلنا الى مطار « جنجا » وهي بلدة صغيرة تابعة لاوغندة وهي تقع قرب سد (اوين) المقام على البحيرة والذي تتبع منه معظم مياه النيل الابيض . وقد شاهدنا شلالات المياه تندفع من السد وهي لتوليد التيار الكهربائي (الذي يمد اوغندة وكينية بحاجتهما من الكهرباء ، ثم تندفع مياهه بعد ذلك في مجرى عميق تندرج خضرته القائمة من ضفاف الوادي الى قمم الروابي المحيطة به .

كان مطار « جنجا » صغيرا ولكن المر الذي نزلت فيه الطائرة معبد . وبعد ان لبثنا (٣٥) دقيقة وصلنا بعدها الى مطار أتنبيية أو (عننبيية) كما يحلو لبعض اخواننا

ان يسموها . وكانت مدة الطيران جميعها في اراضي أوغندة،
وهي كلها اراض خضراء لا ترى فيها غير الخضرة سوى
الطرق التي تبدو كالوشم في جلد الدابة .

في انتيية . .

أنتيية قرية كبيرة أو مدينة صغيرة جميلة تتألف
مساكنها من « فيلات » يسكنها الاوروبيون واغنياء
الهنود وفيها المطار الدولي لأوغندة لأن مدينة كمبالا عاصمة
أوغندة تقع في منطقة وعرة ليس فيها ارض مستوية تصلح
أن تكون مطارا دوليا ، وتبعد أنتيية عن كمبالا ٣٦
كيلا .

لم نفتش امتعتنا في المطار ولكن المشكلة اتنا لم
نجد سيارة تنقلنا الى كمبالا ، فنحن جريا على عادتنا
لا نخبر احدا من زعماء المسلمين بقدمنا لئلا
يكلفوا أنفسهم عناء استقبالنا او اعداد السيارات لنا ، ولم
نجد هنا سيارة اجرة فذهبنا الى مكتب الشركة في
المطار وطلبنا منهم عمل شيء لنا فقالوا لنا : أنه سوف
تصل بعد ساعتين طائرة كبيرة من نيروبي ، وانهم
سوف يأخذوننا مع ركابها .

وقد استرخنا في مقصف المطار في الطابق العلوي
لبناية المطار الرئيسية وهو يشرف على ساحة نزول

الطائرات التي تقع على ضفة بحيرة نيانزا (فكتوريا) وقد رأينا فيها عدة طائرات حربية نقاعة تقلع وتهبط في المطار فعرفنا ان ذلك استعداد للاحتفال بعيد استقلال أوغندا الذي سوف تحل ذكراه الاولى بعد أربعة أيام .

ولكننا عرفنا - بمزيد من الاسف - أن الذين يدربون الجيش الاوغندي هم ضباط اسرائيليون ، وأن الحال هنا تشبه الى حد ما الحال في تنجانيقة حيث تغفل اليهود هناك هذا مع ان المعروف عن الشعب الاوغندي انه يقف بعواطفه مع العالم العربي والاسلامي .

وكثير من الناس وخاصة العرب ، يلقون الذنب على تغفل اليهود في الدول الافريقية عامة وبخاصة في دول شرقي افريقية التي استقلت حديثا على عاتق الاستعمار اذ ان الانكليز ارادوا ان يخلفهم اليهود في هذه الديار لأن وجودهم أي الانكليز أصبح يؤذي شعور المواطنين بعد الاستقلال لانه يذكرهم بالعهود الاستعمارية . والواقع الذي لا يمكن للمنصف الا ان يذكره ان اللوم يقع على عاتق العرب فهم بحكم كونهم من الشعوب الملونة، وكونهم قد عانوا من الاستعمار في السابق ما عاتقه الدول الافريقية المذكورة في اللاحق وكونهم لا يمتون الى الاستعماريين بصلة ، هم أحق الناس بالتعامل مع الدول الافريقية الحديثة الاستقلال وكسب صداقتها وتقديم

الخبراء والمدرسين اليها ولكن بمثل الشروط والتسهيلات التي تقدمها اسرائيل وبنفس الروح الودية التي يعاملون بها من قبل اسرائيل ، وأذكر في هذه المناسبة بمزيد الاسف والحزن اننا كنا في مجلس في ممباسة ضم عددا من الشخصيات العربية والاسلامية وقد حضر المجلس افريقي مسلم وقدم لنا ابنه واسمه «علي» ، وقال : انه كان قد حصل على منحة دراسية من اسرائيل في التعاونيات لانه قد ذهب الى هناك وعاد بعد ان اكمل الدورة المذكورة وأنه يأسف لهذا الامر ، ولكنه لو استطاع أن يحصل على تلك المنحة في احدى الدول العربية أو الاسلامية لما فكر ان يذهب الى اسرائيل ، ولم نستطع ان نقول اكثر من ان العرب مقصرون ، ولكن تقصيرهم لا يبرر ان يذهب ابناء المسلمين الى اعداء الاسلام ، ففي الارض متسع لهم في غير اسرائيل .

الى كمبالا ...

ركبنا سيارة شركة الخطوط الجوية لشرق افريقية بعد مضي ساعتين من وصولنا الى أتنبية قضيناها في مقصف المطار في ذلك المكان الجميل الذي يطل على المطار وخلفه بحيرة فكتوريا (نيانزا) ونحن نرقب نزول الطائرات واقلاعها منه .

وكانت مسافة الطريق بين أنتيبة وكمبالا ٣٦ كيلومترا ،
وقد استرعى انتباهنا لباس النساء الفضفاض الذي يتكون
من « فستان » ضيق الصدر واسع الجيب يتسع عند
الخصر جدا حتى يضرب الى الارض بطيات كثيرة عجيبة.
أوقد تحققتنا مما رأيناه ونحن في الطائفة من أن
«أوغندة» كلها بستان واحد أو قل حديقة واحدة ليس فيها
موضع لا خضرة فيه حتى تبدو الطرق وسط الخضرة كأنها
بقايا الوشم في جلد الدابة التي يكسوها الشعر .

مدينة كمبالا ...

... وصلنا كمبالا ، واعجبنا بنظافة
شوارعها وارتفاع الاشجار فيها الا ان الذي ينقص من
اجمال منظرها انها تقع في منطقة تتكون من عدة هضاب
فلا نستطيع من مكان واحد ان نرى المدينة كاملة ، كما
انك تضطر الى الهبوط والصعود في شوارعها وهي
بمجموعها انظف واجمل من نيروبي الا ان الحي
الاوروبي في نيروبي لا نظير له فيما نعرف في كثير من
البلدان الافريقية بل وبلدان الشرق الاوسط ، وبمناسبة
قرب احتفالها بالعيد الاول للاستقلال كانت الاعلام
منصوبة والشوارع مزينة .

وقد طلبنا من سائق الشركة ان يوصلنا الى محل
أخ عربي ليدلنا على احد الفنادق العربية لاننا لم

نستطع ان نجد مكانا خاليا في أي فندق وذلك بسبب قرب الاحتفال بعيد الاستقلال الاول ، وقد قيل لنا : ان الحكومة قد حجزت أكثر فنادق الدرجة الاولى للضيوف الاجانب وقد بقيت الفنادق الاخرى وهي لا تفي بحاجات الناس ، وقد اضطررنا ان نودع امتعتنا عند الاخ العربي المذكور واسمه احمد سالم من عدن ويدير مطعما كبيرا في كمبالا يسمى (عدن هوتيل) أي مطعم عدن لانهم يطلقون كلمة هوتيل على المطعم وقد تناولنا طعام الغداء في مطعمه وبعد العصر اتصل بنا احد الاخوان العرب الذي كان يدير فندقا يملكه رجل اسماعيلي فأفسح لنا مكانا كان قد حجزه للطوارئ ، مع انه فندق غير نظيف واجرته (١٠) شلنات في الليلة الواحدة أي ما يساوي ستة ريبالات سعودية وخدمته غير جيدة بل لا توجد فيه خدمة أصلا بعد غروب الشمس ، وقد جلسنا فيه مكرهين .

جولة في كمبالا . . .

على الرغم من حاجتنا الى النوم لاننا لم نتم نوما كافيا منذ مدة طويلة فلم نستطع مقاومة الرغبة في التجول في مدينة كمبالا ، فخرجنا بعد العصر على اقدامنا ، فألفيناها عاصمة افريقية حقة ، اذ ان الافريقيين فيها لهم محلات تجارية ويساهمون في ادارة الامور التجارية فيها على عكس الحال في نيروبي كما ان الاوروبيين هنا

قلة لا تذكر ولكن الشأن هنا للهنود على قتلهم النسبية .
ويظهر اليسر على اهل المدينة ، وكذلك مظاهر الصحة
والعافية . وعلامات الغنى والترف ، وهم
أي السكان الافريقيون ينتمون الى الجنس الزنجي الخالص
ذي اللون الاسود . ويلفت نظر السائح السعودي مثلنا
هنا كثرة رؤيته الجلاب (الجلاية) والطربوش الاحمر
والطاقية البيضاء ، وشدة تعلق المسلمين بالاسلام اذ اتنا
ما ان نمر على مسلم الا ويسارع بالسلام علينا وقد يضافحنا
ويرحب بنا، وشعار المسلم هنا هو غطاء الرأس بالطاقية او
الطربوش ، وهم يتغالون في لبس الطواقي ويبدلون الاثمان
الغالية فيها ، والطاقية العادية عندهم تتراوح قيمتها ما
بين ٧. شلنا الى ٤. شلنا أي ما بين اربعين الى خمسة
وعشرين ريالاً لانها تحاك باليد وتكون مطرزة تطريزا
خاصا .

والمدينة جميلة نظيفة كما قدمت ومعظم بيوتها من
الاسمنت المسلح والحجارة ولا ترى الاكواخ الا خارجها ،
وهي تمتاز عن نيروبي بكثافة اشجارها وسموقها في الجو .
وتربتها حمراء شديدة الاحمرار رملية مخلوطة ببعض
الطين الاحمر كما هي الحال في اكثر اقاليم وسط
افريقية وشرقها ، ويلفت النظر هنا قلة المطاعم والمقاهي
والحانات ، واحتشام النساء ، وادب الاهالي الجسم في
المعاملة وان كان لا يصل الى أدب الاجباش ، كما ان

السيارات في الشوارع كثيرة تفوق اكثر البلدان الافريقية التي رأيناها عدا نيروبي التي لا تجارى في كثرة السيارات، وسيارات الاجرة قليلة ولها مواقف خاصة كما هو الحال في نيروبي ، وسيارات الركاب فيها (الحافلات) اقل من نيروبي .

اما المتاجر فهي اقل بكثير من متاجر نيروبي ، وخاصة تجارة الكماليات ، حيث لا تجاري نيروبي اية بلدة افريقية مررنا بها حتى الآن ، وقبل غروب الشمس بقليل تجولنا في السيارة في نواح عدة من كمبالا ، ورأينا عدة مساجد فيها وخاصة مسجد كييلي الذي يعتبر مع كلية كييلي والمدارس الاسلامية هناك مركزا للمسلمين في اوغندا وفيه يسكن الامير بدر بن نوح ابن عم الكاباكا ملك بوغندا اكبر المقاطعات في اوغندا وهو أي الامير بدر بن نوح زعيم المسلمين هنا .

ومسجد كييلي في رأس راية جميلة يثرى من جميع انحاء كمبالا واجمل ما فيه اني رأيت على واجهته كتابة بالانكليزية (لا اله الا الله محمد رسول الله) خلاف اكثر المساجد هنا حيث تكتب بالعربية فلا يقرأها الا المسلمون بل ان بعض المسلمين لا يعرفون الحروف العربية اما الكتابة الانكليزية فيقرأها جميع الاجانب من غير المسلمين ولاسيما السياح الذين

يفدون الى البلاد فيذهبون لرؤية الكنائس والمساجد فيها .
وقد صلينا المغرب في مسجد « نكسيرو » وإمامه
الشيخ احمد مشهور الحداد من حضرموت وقد
صلى في المسجد عدد من المسلمين من الهنود والافريقيين
ما ان عرفوا اننا من المدينة المنورة حتى اخذوا يصافحوتنا
ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم .
وقد علم بمجيئنا بعض اخواننا من العرب والمسلمين
فزارنا بعضهم ، ولبثنا نتحدث معهم الى قرب منتصف الليل
ولذلك لم نتم الا متأخرين .

يوم الثلاثاء ١٣٨٤/ ٥/ ٣٠ هـ .

١٩٦٤/ ١٠/ ٦ م .

قمنا بجولة على بعض المدارس والكتاتيب الاسلامية
في العاصمة « كمبالا » وما حولها . وقد اعجبنا كثيرا باقبال
الاوغنديين على التعليم الاسلامي ، وحرصهم على تعلم
اللغة العربية ، وقد شاهدنا شيوخا كبار السن يتكلمون
العربية وقالوا لنا انهم تعلموها وهم كبار ومنهم الشيخ
« عبيد سلوم » عضو المحكمة البرلمانية بأوغندا . والعجيب
في امرهم ان الرجل منهم اذا عرف العربية فانه يأخذ
بالتحدث بها وكأنه احد ابنائها فلا تكاد تلمس في حديثه
شيئا من اللكنة .

يوم الاربعاء ٦/١ / ١٣٨٤ هـ .
١٩٦٤/١٠/٧ م .

انا من ارباب الخطوة !! .

خرجنا صباحا بالسيارة قاصدين منطقة ماساكا في اوغندا وتبعد حوالي ٣٥ ميلا الى الشمال الغربي من العاصمة كمبالا ، وذلك لزيارة المدارس والمؤسسات الاسلامية هناك وخاصة مدارس « التقوى الاسلامية » في كييجي .

وفي الطريق رأينا اشارة اقامها الانكليز وهي عبارة عن قوس صغير ، وتحتها وضعوا عدة لبنات من الآجر على شكل قاعدة جدار ممتد من الشرق الى الغرب وقد كتب على القوس « هنا خط الاستواء » والى الشمال من الجدار كتب «شمال» والى الجنوب «جنوب» ...

أي اتنا الآن تحت خط الاستواء ، ولكن المرء يلتفت فلا يرى شيئا يدل على اتنا بهذا نجتاز احد نصفي الكرة الارضية الى النصف الآخر ، ان ما ذكره الجغرافيون من ان خط الاستواء خط وهمي هو امر حقيقي بلا شك .

اما انا فقد بادرت ووضعت احدى رجلي شمالي قاعدة الجدار المذكور والرجل الاخرى جنوبيه وقلت

لمرافقي : « لتشهدوا ان احدى رجلي في شمال الارض
والاخرى في جنوبها » . وهنا واتت النكتة زميلي الشيخ
عمر محمد فقال اذا انت من ارباب الخطوة؟! وارباب
الخطوة ان لم تكن تعرف هم الذين كان يقال - في
الزمن الاول - انهم تطوى الارض لهم .

وقد وصلنا مدينة ماساكا ، ومننا فيها تلك الليلة
كلها ، وتجولنا على المدارس التي تحيط بها، وكنا قد تناولنا
طعام الغذاء في كيجي وكان الطعام مؤلفا من الماتوكو أي
الموز المطبوخ ، وقدموا معه طعامنا في الشرق
الايوسط وهو الارز واللحم والخبز والدجاج .

اما المناظر فهي متشابهة في جميع انحاء اوغندا ،
خضرة كثيفة بل انه يمكن القول انها خضرة مطبقة فانك
في الخلاء لا تستطيع ان تقنع نفسك بانك فعلا في خلاء
لانك لا ترى الافق الى آخره الا من فوق رايية اما
الاتجاهات الاخرى فان الاشجار العالية بل الغابات تسد
الافق القريب فلا ترى الا الطرق بين الغابات كأنها الممرات
الضيقة في مدن التاريخ القديمة .

يوم الجمعة ٦/٣ / ١٣٨٤ هـ .
٩ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

الاخ خميس والاخ جمعة . . .

صلينا الجمعة اليوم في جامع نكسيرو في مدينة

كقبالا وامامه الشيخ احمد مشهور الحداد وهو حضرمي
يقيم هناك يشتغل بالارشاد والتطبيب بالعقاقير
القديمة والرقى والتعاليق ، وقد ضاق المسجد بالمصلين
فيه ، وأكثرهم من الافريقيين وفيهم بعض الهنود وقد
خطب الامام بالعريية ، والتقى زميلنا الشيخ ابو بكر
جابر كلمة بعد الصلاة ترجمها احد اخواتنا الاوغنديين
للحاضرين الى اللغة الاوغندية ..

وألطف ما حصل في المسجد انه بعد الصلاة قام
المؤذن وقدم للمصلين شخصين وقال: هذان اخوان جديان
لكم ايها المسلمون ، لقد أسلم احدهما امس الخميس
فسميناه « خميس » وأسلم الآخر صباح الجمعة اليوم
فسميناه « جمعة » وكل الذي نرجوه ان تساعدوهما على
شراء ملابس المسلمين وبذل بعض المساعدة الممكنة ثم
طاف بالحاضرين الذين نفحوهما ما تيسر وكفى .

انه لمشهد جعلني اشد على ايديهما وأتأثر بالغ
التأثر ولكنني عرفت بعد ذلك ان دخول الناس الى الاسلام
مشهد يتكرر يوميا في أوغندا .

ثم قال لنا امام المسجد لقد ضربنا موعدا لاخينا
الطبيب الباكستاني ان يختتما اليوم ، ثم قال لنا امام
المسجد : ان هناك جماعة من اخواتنا الاطباء
الباكستانيين يقومون بعملية الختان لمن يسلمون حديثا
بالمجان .

ثم قال : ان موضوع الختان موضوع مهم فانا نعرف ان الذين يدخلون في الاسلام حديثا كلهم من كبار السن وهؤلاء قد يشق عليهم اجراء الختان ، فقلت له ان الختان ليس شرطا للاسلام ، فلا ينبغي لمن اراد الدخول في الاسلام ان تبادروا وتفرضوا عليه اجراء العملية فقد يتهيب ولا يقدم ولكن الافضل انه اذا دخل فعلا للاسلام يبتسم له ان الختان من سنن المسلمين ، وعندما يكون الاسلام قد وقر في قلبه فانه لا شك سوف يقدم عن رضا نفس على اجراء عملية الختان .

مع الامير بدر بن نوح

خرجنا من جامع نكسيرو قاصدين سمو الامير بدر بن نوح أمير المسلمين في اوغندة ، حيث كان قد وجه الينا دعوة للاجتماع به ، ومعنا الشيخ احمد مشهور الحداد وكنا نظن اننا سنجد الامير في بيته ولكننا وجدناه في المسجد الجامع في كييلي يستمع الى درس من احد المشايخ بعد صلاة الجمعة .

وعندما وصلنا الى الجامع اوقف الشيخ الدرس ثم اخذ الامير يتكلم والشيخ علي كلومبا احد المقربين اليه يترجم لنا كلامه من الاوغندية الى العربية ، وقد رددت عليه بكلمة جاء فيها اننا الآن لا نشعر الا اننا

في بلادنا فعلا فالمسجد هو المسجد ، بيت الله في كل مكان ، والاخوان هم الاخوان ، وشعار لا اله الا الله المكتوب فوق هذا المحراب هو الشعار نفسه المرسوم على الملكة العربية السعودية ، ثم تكلمت عن متانة الصلة الدينية التي تربط بين المسلمين ، وضربت له امثلة من سير الصحابة والسلف الصالح فانغورقت عيناه بالدموع واخذ يمسحهما بمنديله .

وبعد ذلك نهض ونهض معه كبار المسلمين الى قصره الخاص المجاور للمسجد وهو في منطقة تسمى « كيبلي » تشتمل على مركز المسلمين في اوغندة وفيها المدارس الاسلامية والمساجد وغير ذلك .

وقدم مائدة الغداء التي تشتمل على الارز والذبائح وشيئا من الموتوكو أي الموز المطبوخ وهو طعامهم الوطني ، وقد حضرها عدد كبير من الوزراء المسلمين واعضاء البرلمان .

يوم السبت ٤ / ٦ / ١٣٨٤ هـ .

١٠ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

في كتومو

ركبنا السيارة ضحى اليوم قاصدين كتومو حيث

يوجد الشيخ شعيب اسحاق أحد كبار المبشرين بالاسلام
الناشرين له في هذه البلاد .

وقد سافرنا في طريق يتجه الى الشمال الغربي وهو
الطريق الذي يعبر شمالي اوغندا الى جنوبي السودان،
وهو طريق معبد ولكنه غير مسفلت والارض رملية حمراء ،
وقد جعلت الامطار الغزيرة ذلك الرمل صالحا للسير
بسهولة على انك لا ترى من لون الارض شيئا الا ما
كان على اطراف الطريق اما الباقي فقد غطته الغابات الكثيفة
ولفته الخضرة القاتمة .

وتبعد كتومو حوالي (٧٥) كيلا من كمبالا . وقد
وصلناها قبل الظهر بقليل وقصدنا المدرسة حيث كان
الطبة موجودين فيها وتفقدناها كما تفقدنا مساكن
الطبة الغرباء القريبة من المدرسة .

وكان الشيخ شعيب اسحاق يملك هذه الارض
ومساحتها ثمانية وعشرون فدانا ، وهي كل ما يملكه ،
وتعتبر من اجود الاراضي في اوغندا وتنتج الموز
الذي منه يأكلون حيث يقطف نوع منه اخضر ثم
يطبخ ويؤكل بالمرق ويسمونه «موتوكو» كما سبق وهو
الغذاء الرئيسي لسكان تلك البلاد وهو لهم بمثابة الخبز
لسكان الشرق الاوسط وبمثابة الارز لسكان الشرق
الاقصى والى جانب الموز تنتج الارض المذكورة محصولا

وفيرا من البن الذي هو المحصول الرئيسي الذي
يصدر من تلك البلاد .

لقد قام الشيخ شعيب اسحاق منذ سنوات
طويلة وعمره الآن يقارب تسعين عاما بأن أوقف ارضه
تلك لله ، وبنى فيها ثلاث بنايات احدهما مسجد جامع ،
والثانية مدرسة اسلامية ، والثالثة اماكن للنوم ، وقد
سمى المدرسة « مدرسة الدين والتهديب الاسلامي » ووفر
لكل طالب يتعلم فيها مسكنا في المساكن المذكورة ،
ثم اشترط على كل طالب يتخرج من مدرسته ان يؤسس بعد
تخرجه مع اخوانه في مناطق مختلفة من البلاد وخاصة
في المناطق التي يكثر فيها المسيحيون والوثنيون مدارس
اسلامية ، او بتعبير ادق فروعاً لمدرسة الشيخ شعيب
تحمل اسم « مدرسة الدين والتهديب الاسلامي » وقد
بلغ عددها حتى الآن سبع عشرة مدرسة وقد قال لنا
الشيخ احمد مشهور الحداد ان عدد الذين دخلوا في
الاسلام على يد الشيخ شعيب وتلامذته قد بلغ اكثر
من مائتي الف .

هذا وعندما فرغنا من تفقد المدرسة كان موعد
صلاة الظهر قد أذف فانتهزنا فرصة الصلاة معهم في
المسجد ، وكان المسجد مبنياً كالعادة بالاعواد المطلية
بالطين وهو مسقف بالعاج على شكل مسنم ، وقد جعلوا
للسقف رفوفاً من الجانبين لها فائدتان ، الاولى : انها

تقي الجدران المطر ، والثانية : ان ماء السقف يسيل اليها
ثم ينطلق منها الى ميازيب قد سلطت على اوعية (براميل)
كبيرة فتجمع فيها ويشرب منها الناس ماء صافيا نيميرا
بدون تعب ولذلك لا يحتاجون الى حفر الآبار ، واستقاء
الماء من الانهار أو البحيرات .

وعلى ذكر الآبار والانهار اقول انني لم أر في أوغندا
طيلة تجوالي فيها أي مشروع مائي فلا آبار ولا قنوات
للري ولا مكائن لرفع المياه ، ذلك لانهم قد اكتفوا
عن كل ذلك بما من الله به عليهم من دوام نزول
الامطار وكثرتها .

وقد اعجبتي كلمة الشيخ احمد مشهور الحداد
عندما قلت له على سبيل المزاح ، من اين تشرب كل هذه
الاشجار والخضرة القاتمة ؟ فقال : من ضرع السماء !!!

وعندما انتهت الصلاة كان المطر يهطل مدرارا فلم
نستطع الخروج من المسجد فأحضروا الينا شرابا قالوا
انه مستخرج من الموز وقد اعتذرت عن شربه ، وعندما
وزعوه على الحاضرين ابتدأوا بأحد الطلاب وكان في
وسط الصف ، وطبيعي ان الذي في اول الصف احق منه
بالبدء بالشرب ، ولما استفسرت عن ذلك اجابوا : بأن
هذا قد دخل في الاسلام حديثا لذلك فاتنا تتألفه ، وتقدمه
على ابناء المسلمين !!!

٨٩ اصبع موز بشلن ٠٠٠

وعندما توقف نزول المطر سألونا هل تريدون الغداء ؟
انه الموتوكو فقط أي الموز المطبوخ فشكرناهم ، وقفنا
راجعين الى كمبالا ، ولكن الوقت وقت الغداء والمنطقة
قروية لا يوجد فيها مطاعم مناسبة فمررنا على احدي القرى
واشترينا منها موزا صغيرا لذيد الطعم يسمونه السكري
لانهم يأكلونه اكلا ولا يطبخونه كالموز الاخضر وقد نزل
سائق السيارة لأنه مواطن اوغندي واشترى من الموز
ما لم يستطع حمله بيده بشلن واحد أي بحوالي (١٢)
قرشا سعودي لقد احصيت ما اشتراه بالشلن الواحد
عددا فبلغ «٨٩» اصبعا من اصابع الموز ، وقد اكلنا منه
ونحن خمسة ، وبنا الى أكله حاجة اذ تلهينا به عن
الغداء فاكتفينا وبقي منه في السيارة بقية .

يوم الاحد ٥ / ٦ / ١٣٨٤ هـ .

١١ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

على ضفاف بحيرة « نيانزا » ٠٠٠

لقد قضينا الايام الماضية بدون ان ننال أي قسط
من الراحة لا في الليل ولا في النهار وذلك لكثرة الزيارات
والاستقبالات في العاصمة كمبالا ، وكثرة الاسفار للاطلاع
على المدارس المنتشرة في انحاء كثيرة من بلاد أوغندا خارج

العاصمة .

ولذلك عزمنا هذا اليوم الذي هو عطلة للجميع ان
نتمتع بالعطلة ، فرضي زميلنا الشيخ ابو بكر جابر جزاه الله
خيرا بأن يبقى في فندقنا يستقبل الزوار وذهبت مع الشيخ
عمر محمد الى حديقة الحيوانات في ضواحي اتتية ،
على ضفاف بحيرة فيكتوريا ، وفي الحافلة التي اقلتنا من
كمبالا الى اتتية لم يكن يرافقنا احد اذ اتنا احبنا ان
نكون وحدنا ، ولكننا لا نعرف مكان الحديقة وعلى كل
حال كان بقربنا ثلاثة صييان من الهنود كانوا مثلنا
يريدون ان يقضوا بعض يومهم هناك فسألناهم عن حديقة
الحيوانات فقالوا انهم يعرفونها ، وهكذا سرنا معهم من
اتتية الى حديقة الحيوان حوالي كيلومتر واحد وسط
مناظر جميلة خلاصة ترصعها فيلات غارقة في الجنان اقامها
الاوروبيون واغنياء الهنود ، واخذت الآن تتحول شيئا
فشيئا الى الافريقيين ، ودخلنا بعد ذلك حديقة الحيوان
ورسم الدخول اليها شلن واحد ، ولكننا وجدناها فقيرة
في حيواناتها والعناية بها ليست كبيرة ، وقد قضينا فيها
وقتا طويلا امتد حتى الظهر حيث توضعنا من ماء
البحيرة واديننا الصلاة هناك في جو غائم تحت نفحات نسيم
ليل لا يصدق المرء وهو هناك انه تحت خط الاستواء.
ولكن المشكلة كانت مشكلة الغداء فليس في
الحديقة مطعم ، وقيل لنا انه لا بد من الرجوع الى

اتتية ، ولم نجد سيارة اجرة ، فقطعنا المسافة على اقدامنا
وعندما وصلنا متعبين لم نجد الا مطاعم افريقية ، وطبيعي
ان الوجبة الرئيسية فيها من الموتوكو ، وهو الموز المطبوخ،
ولم استطع استطابته فطلبت بعض البيض المسلوق مع
قليل من البسكويت أما الخبز فلا يوجد في المطاعم منه
شيء ..

ثم عدنا بعد العصر الى الفندق ،

الإسلام في أوغندا

وصلت البعثة عاصمة اوغندا (كيبالا) قادمة اليها من نيروبي وقضت فيها عدة ايام الى جانب زيارتها ضواحي العاصمة ومناطق : مساكا ، وزيامنكا ، وكيجي ، وكيسي ، ولوكالو، وجنجا، وقد اتصلت بعدد كبير من زعماء المسلمين وعلمائهم ورؤساء الجمعيات الاسلامية كما تفقدت عددا من المدارس والكتاتيب الاسلامية في اماكن مختلفة ومن بين الزعماء المسلمين الذين اجتمعت بهم البعثة سمو الامير بدر بن نوح زعيم المسلمين هناك وابن عم الكاباكا ملك بوغندا (بالباء) احدى ولايات اوغندا ، وهو في الوقت نفسه نائب الملك ، كما اتصلت بشقيقه الامير عبد الرحيم ابن نوح وشيخ الاسلام احمد سابو كعب ، ووزير الاوقاف في بوغندا الاستاذ عبيد سلوم لوتاني وهو في الوقت نفسه عضو المحكمة البلدية والاستاذ محمود امنقي وزير المعارف في بوغندا والشيخ محمد ابراهيم سمكولا رئيس القضاة والشيخ عيسى يوسف نائب رئيس المسلمين وعضو البرلمان . كما قامت البعثة بالقاء بعض العظات والكلمات الدينية في المساجد وكان الحديث بالعربية ثم يترجم الى اللغة اليوغندية حيث ان معظم الحاضرين في المساجد لا يعرفون الانكليزية ، كما قامت البعثة بمنح مساعدات مادية لعدد من الجمعيات .

عدد المسلمين في اوغندا :

لا يوجد احصاء رسمي دقيق للمسلمين ، ولكن ثبت

ان عددهم في مقاطعة بوغندا التي تقع ضمنها العاصمة كمبالا بلغ ثمانمائة الف من مجموع سكان المقاطعة البالغ عددهم مليوني نسمة الا ان تلك المقاطعة مشهورة بانها اعظم معقل للمسلمين ومن الاحصاءات الرسمية بعدد المسلمين في بعض الاماكن والبحث مع كثير من اليوغنديين المهتمين بالشؤون الاسلامية تبين لنا ان نسبة المسلمين على وجه التقريب تبلغ ٣٠٪ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ستة ملايين و٣٠٪ منهم مسيحيون و٤٠٪ وثنيون .

نشاط الدعوة الاسلامية :

يصح القول بأن اوغندا تعتبر احسن الاماكن التي زارتها البعثة من حيث سير الدعوة الى الاسلام ، وكثرة دخول الناس فيه جماعات ووحدا ، حتى انه قل ان يمر يوم لا يدخل فيه رجل او اكثر في الاسلام وذلك في مناطق مختلفة حيث يوجد عدد من الدعاة من اهالي البلاد قد تطوعوا بالقيام في الدعوة الى الله على ضعفهم المادي ، وقلة امكانياتهم، وقوة التبشير المسيحي المادية، وهم يستخدمون وسائل بدائية في الترغيب في الدخول الى الاسلام الا ان اخلاصهم وتفانيهم وصدق عزمهم كان سبب نجاحهم وهم متفرقون في القرى والارياف والداكر لا تكاد تربط بينهم رابطة مادية ، وقد لمست البعثة في اولئك الاقوام سواء منهم من دخل في الاسلام حديثا ، او من مضت عليه مدة

فيه ، صدق القول ، وحسن الاسلام ، وطيب القصد .
ولا شك انه لو امكن مساعدتهم مساعدة مادية
بالملاص وبعض الاطعمة او ببناء مراكز بسيطة لهم في
الارياف النائية ولو كانت تلك المراكز لا تزيد على سكن
من الاكواخ لكان لذلك ثمرة طيبة مفيدة ، كما انه يوجد
عدد قليل من العرب من الحضارمة يقومون بالارشاد
والدعوة في اوغندة وتقوم الجمعيات الاسلامية واعظم تلك
الجمعيات (الجمعية الاسلامية الاوغندية) ويرأسها الامير
بدر بن نوح ابن عم الكاباكا ملك اوغندة و(جمعية مساعدة
المدارس الاسلامية) و(جمعية التبليغ الاسلامي) .

وللمسلمين في كمبالا العاصمة ضاحية جميلة تسمى
(كيبلي) تشتمل على مركز اسلامي ضخم يقع ضمنه مسكن
الامير بدر بن نوح ومقر الجمعيات الاسلامية ومسجد كبير
يقع على قمة هضبة يرى بماذنه العالية من كل مكان في
العاصمة، ومدرسة ثانوية مدنية يطبق فيها المنهج الحكومي
الى جانب تدريس حصص دينية اسلامية ويلتحق متخرجوها
بالكليات المدنية ويزيد طلبتها على الف طالب ، وبعضهم
يسمها تجاوزا الكلية الاسلامية . وهناك مدارس اسلامية
وكتائب اسلامية كثيرة وهي تشمل المدارس المدنية للبنين
والبنات التي تسير وفق المنهج الحكومي الا انها تدرس
حصصا اسلامية اضافية وهذه اكثرها للمسلمين من الهنود
وتساهم الجمعية الاسلامية لشرقي افريقية بالاتفاق عليها

الى جانب المصروفات الشهرية التي تتقاضاها من الطلاب والطالبات ، وهناك مدارس وكتاتيب اسلامية خاصة زارت البعثة وتفقدت منها في نطاق امكانياتها الزمنية عددا لا بأس به في مختلف مناطق اوغندة ومنها :

أ - مدرسة التذكرة الاسلامية ومديرها الشيخ زبير ابن شعيب عدد طلابها (١٢٥) وعدد مدرسيها (٦) وفصولها (٥) وعمارتها موقوفة عليها من قبل الجمعية الاسلامية اليوغندية .

ب - مدرسة الدين والتهديب : في كتومو ، وقد سبق الكلام عليها في اليوميات .

ج - مدرسة التقوى الاسلامية : في كيجي مديرها الشيخ طه موسى طلابها (٢٥٠) ومدرسوها (٨) وهي تدرس اللغة الانكليزية الى جانب العلوم الدينية والعربية وتعتبر مدرسة تحضيرية وبجانبا مسجد يصلي فيه الطلبة ، ويقوم صاحبها بايواء الاحداث الذين يدخلون في الاسلام حيث يوزعهم على جماعة من المسلمين فيعملونهم ويدرسهم في مدرسته حتى يتخرجوا فيصبحوا دعاة للدين وهي تقوم على ما تحصله شهريا من الطلبة القادرين وعلى تبرعات المحسنين .

د - مدرسة الدين والتهديب بمنطقة كيمايا مديرها الحاج راشد جابر مدرسوها (٦) وطلبتها (٢٤٥) .

هـ - المدرسة الاسلامية : في بامانكا اسسها الشيخ محمد ابراهيم رئيس القضاة عدد طلبتها حوالي (١٠٠) وعدد مدرسيها (٣) .

هذا وهناك عدد من المدارس في المناطق النائية تحققت البعثة من حاجتها الى المساعدة ولم تستطع الدخول اليها ضمن المدة المحدودة لاقامتها في اوغندا .

وهناك نشاط معاد للاسلام يتمثل في الجهود الكبيرة التي يبذلها المبشرون لتنصير الوثنيين وصددهم عن الاسلام الى جانب الدعوات التي تقوم بها بعض الجهات التي تستر باسم الاسلام كالقاديانية والاسماعيلية ، وهناك نشاط صهيوني اخذ يتسع على ايدي الخبراء والمستشارين العسكريين والمدنيين من الاسرائيليين الذين اخذ يتزايد عددهم منذ الاستقلال .

ولا بد هنا من التنويه بجهود شخصية لاحد الدعاة العظام الى الاسلام في اوغندا ، انه الحاج موسى كسولي . انه حي يرزق ، ولد مسيحيا ، ولبث كذلك حتى بلغ الثلاثين من عمره فاسلم وحسن اسلامه ، وكان ثريا فانفق جزءا كبيرا من ثروته على الشؤون الاسلامية ، ويكفي ان نعلم انه - وحده - بنى عدة مساجد كبيرة بالاسمنت المسلح ، وليس ذلك فحسب ، بل ان كل مسجد يبنيه يبني له عمارة مكونة من حوانيت وشقق للايجار ويوقفها على مصالح المسجد ، لكي يكون له موارد ثابتة .

وكان من آخر ما فعله في هذا الصدد ان اشترى قطعة ارض في مكان يبعد (٥) اميال من العاصمة (كمبالا) تبلغ مساحتها خمسة افدنة ، بنى فيها مسجدا جامعا ومدرسة اعدادية داخلية يتعلم فيها الطلبة العلوم الاسلامية ، ووقف الارض على المدرسة والمسجد ، كما انه قام اخيرا بمشروع يرمي الى فتح مدارس نسائية لتعليم الدين الاسلامي وقد زاد ما فتح من تلك الكتابيب على مائتي مدرسة .

ويقول الحاج موسى كسولي عن نفسه ان امنيته ان يدفن في المدينة المنورة ، وقد خصص لذلك مبلغا من المال وادعه في البنك يكفي لنقل جنازته مع مراققه من اوغندة الى المدينة المنورة .

حالة المسلمين المادية :

يشتغل معظم المسلمين بالزراعة وبعضهم يعتبرون ملاكا للاراضي الزراعية الخصبة كما ان بعضهم قد انخرطوا في سلك الوظائف الحكومية . واذا استثنينا القلة القليلة من المتعلمين تعليما عسريا من المسيحيين الاوغنديين الذين اصبحوا موظفين في الحكومة او في الشركات فان حالة المسلمين المادية تبدو احسن من حالة المواطنين الافريقيين الآخرين سواء من المسيحيين او الوثنيين ، ولكن يجب ان يكون ذلك بعد اخراج الاوروبيين والهنود من هذا التفاضل

لان هؤلاء هم الذين ييدهم ازمة التجارة والاقتصاد . ولكن مركز المسلمين الاجتماعي في اوغندة مركز محترم ومعترف به من الجميع وهم احرار لا في ان يمارسوا نشاطهم الديني فحسب بل في ان يدعو غيرهم اليه . وتجدر الاشارة الى ان معظم قادة الجيش هم من المسلمين .

الاقترحات :

ان امكانيات نجاح الدعوة الاسلامية في اوغندة امكانيات كبيرة ولذلك يجب بذل المساعدة المادية لاغراض الدعوة والدعاة على ان لا يكون ذلك بشكل مساعدة مادية صرفة قد تصرف في غير ما اريدت له لذلك تقترح ما يلي :

أ - انشاء مركز اسلامي صغير في كمبالا يتألف من مكتب يتولى الاشراف على توزيع المساعدات المادية على شكل رواتب شهرية للمدرسين واستئجار بيوت للمدارس ومراكز الدعوة الاهلية ودفع اجور انتقال للدعاة بعد التحقق من انهم يقومون بالدعوة على الوجه المرضي وتوزيع المدرسين والمرشدين الذين يرسلون الى تلك البلاد من المملكة على المناطق المحتاجة للتعليم الديني هناك .

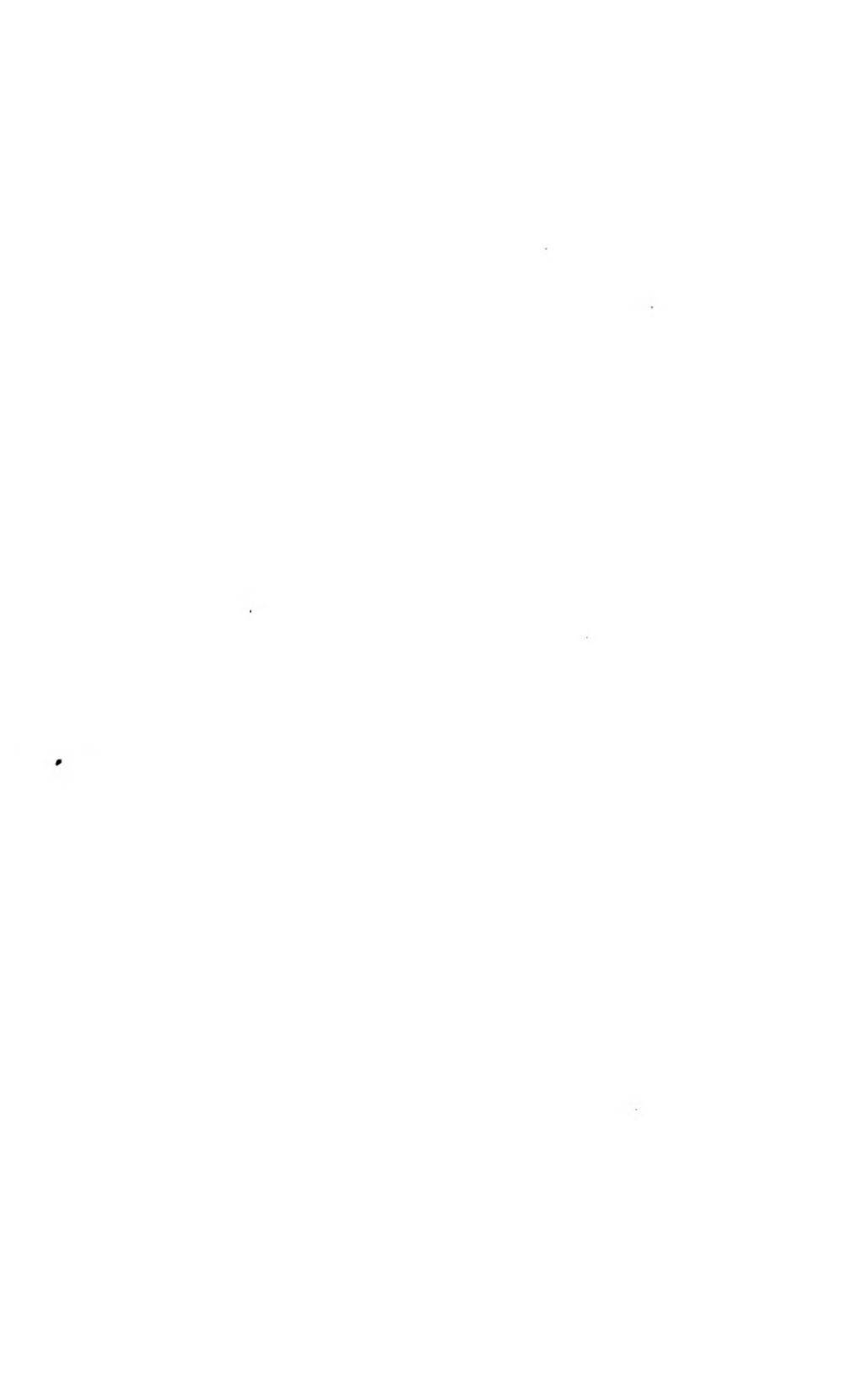
ب - ارسال عدد من المدرسين والمرشدين الملمين باللغة الانكليزية والعارفين بالسواحلية لتدريس الدين واللغة العربية في المدارس والكتاتيب هناك ، وارشاد المسلمين عن

طريق الخطابة والتذكير في المساجد والمجتمعات ، وذلك
استجابة للطلبات المتكررة من زعماء المسلمين ووجهائهم في
اوغندا ولسد الحاجة المتزايدة الى ذلك .

ج - توزيع عدد من نسخ تفسير القرآن الكريم
بالانكليزية ومن الكتب الاسلامية باللغتين الانكليزية
والسواحلية .

و - الاكثار من المنح الدراسية للطلبة اليوغنديين في
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وغيرها من معاهد التعليم
الاسلامية .

إلى أوغندة كرة أخسرى



قدمنا الى اوغندة من كينية .

وقد فوجئنا بالفتنة الكبرى التي مزقت المسلمين هناك
وتتلخص قصتها فيما يلي :

عندما دخل الانكليز الى اوغندة مستعمرين كانت هناك
مملكة بوغندا (بالباء الموحدة) وكان ملكها يقال له الكاباكا
وكانت المملكة المذكورة هي موطن المسلمين الاوائل ومن
هناك انتشر الاسلام الى باقي انحاء اوغندة فأقر الانكليز
الملك المذكور على مملكته وجعلوها محمية وضموا اليها
اراضي جديدة واسعة كان يسكنها آنذاك اناس بدائيون
وجعلوها مستعمرة وكان أول المسلمين من الاسرة المالكين
في بوغندا (بالباء الموحدة) الامير نوح ابوقو والد الامير
الحالي بدر بن نوح وكان يسكن في ضواحي كمبالا زعيما
على المسلمين وقام بذلك من دون منازع وحين توفي تولى
ولده الامير الحالي بدر بن نوح زعامة المسلمين واصبح مما
يعترف به المسلمون في كل انحاء اوغندة .

وعندما جاء الاستقلال كان دستور اوغندة ينص على
ان تكون البلاد بمجموعها جمهورية وهي ستة اقاليم وان
تكون (بوغندا) مملكة في داخل الجمهورية ملكها الكاباكا
متيسا الثاني وهو مسيحي وولي العهد بعده الامير بدر بن
نوح زعيم المسلمين . وكان رئيس وزراء جمهورية اوغندة
التي تضم جميع اقطار البلاد هو الدكتور ملتن ابوتي .

ولكن في عام ١٩٦٥ الميلادي حصل خلاف سياسي عظيم بين الكاباكا ملك بوغندا التي هي جزء من عموم اوغندا وبين الدكتور ملتن ابوتي رئيس وزارة جمهورية اوغندا كلها ، وقد تطور الى حد الصدام المسلح بل الحرب الطاحنة فقتل من اتباع الفريقين ما يقارب ستة آلاف وقتل من انصار الكاباكا ما يزيد على ثلاثة آلاف واضطر الكاباكا لتفوق خصومه وعلى رأسهم الدكتور ملتن ابوتي الى مغادرة البلاد .

وقد ألغى أبوتي الدستور الذي ينص على تمتع مملكة يوغندا باستقلالها الداخلي ، وأدمجها ضمن اقسام أوغندا ، وبذلك اصبح نشاط الامير بدر بن نوح معدوم التأثير من الناحية الرسمية ، بل زيادة على ذلك اخذت الحكومة تضايقه وتعاكس كل ما يقوم به من اعمال ، ونظرا الى ان المسلمين قوة لا يستهان بها في أوغندا ، لان معظم قواد الجيش منهم كما ان الاسلام آخذ في الانتشار هناك فقد برز من صفوف انصار الحكومة شخص يدعى اكبر منجوني يشغل منصب وزير الزراعة في حكومة اوغندا وهو رجل حديث عهد بالاسلام اسلم عام ١٩٥٩ م أي منذ سبع سنوات على يد رجل هندي وتسمى باسمه وهو قريب للدكتور ملتن ابوتي رئيس وزارة أوغندا ويقولون عنه في أوغندا انه أخوه لانهم هناك يتوسعون في موضوع القرابة فيقولون لابن العم

وابن الخال وابن العمّة والخالة أخ ولذلك لا يستسيغون حتى المسلمون منهم ان يتزوج الرجل من ابنة عمه أو ابنة خاله أو خالته ويقولون : كيف يجوز ان يتزوج من اخته .

وقد كون السيد اكبر منجوني المذكور مع السيد شعبان انكوتو وزير الصحة جمعية اسلامية جديدة استطاعت ان تستميل الى جانبها معظم المسلمين البارزين الذين كانوا حتى الامس القريب يتبعون الامير بدر بن نوح ويقرون بزعامته وعلى رأسهم المفتي الشيخ شعيب اسحاق وشيخ الاسلام احمد سابو كعب ، والشيخ عبده عبيد احد الشباب المثقفين.

وهكذا عندما وصلنا أوغندة كان هناك جمعيتان اسلاميتان كبيرتان ينقسم المسلمون فيهما في تناحر بعد ان كانوا بالامس القريب اخوة متصافين ، وكل هذا الانقسام كان بسبب السياسة .

أولاهما تسمى - جمعية الاتحاد الوطني لتقدم المسلمين في أوغندة ويرأسها اكبر منجوني وزير الزراعة وسكرتيرها العام شعبان انكوتو وزير الصحة وتؤيدها الحكومة الحاضرة ويلتف حولها عدد كبير من المسلمين لانها هي الجمعية المؤيدة من الحكومة والتي يمكن بواسطتها ان يؤدي أي عمل للمسلمين على النطاق الرسمي، ومن بين اولئك المسلمين كبار المسلمين وعلمائهم .

وثانيهما : تسمى - الجمعية الاسلامية الاوغندية
ويرأسها الامير بدر بن نوح ويعتبر من اكبر المعارضين
للحكومة الحاضرة ولذلك فان الحكومة تقف في وجه
الجمعية المذكورة ولا تنفذ أي شيء بواسطتها بل العكس
هو الصحيح اذ تحاربها وتراقب رئيسها ، وتعمل جاهدة
على إذابتها . وليس لها - أي هذه الجمعية - في الوقت
الحاضر نشاط رسمي تنفيذي - وانما مقتصر نشاطها في الوقت
الحاضر على الميدان الاهلي ، مع الترقب والاستعداد لما
يأتي به المستقبل . علما بأن هذه الجمعية كانت الجمعية
الاولى في أوغندا سابقا ولها نفوذ كبير في الماضي ، ولكن
لم تستطع ان تجاريها اية جمعية اخرى .

خطة العمل :

اننا تقدم للمسلمين في كل بلد افريقي باسم دار
الافتاء والجامعة الاسلامية اللتين يرأسهما سماحة مفتي
البلاد السعودية ثلاثة عروض طيبة .

اولا - تقديم منح دراسية في الجامعة الاسلامية
لعدد محدود من الطلبة .

الثاني - تخصيص بعض المدرسين والمرشدين
ليساعدوا على نشر الدين الاسلامي هناك على نفقة
الحكومة السعودية .

الثالث - تقديم بعض المساعدات المالية العاجلة .

ومعلوم ان الامرين الاول والثاني لا بد لتنفيذهما من ألا تقف الحكومات الحاضرة ضدتهما لان الامر يحتاج الى تحصيل جوازات وتسهيل سفر للطلبة الافريقيين كما يحتاج الى اذن بالدخول وترخيص بالاقامة والعمل للمدرسين الذين يرسلون من المملكة . اما الثالث وهو المساعدة المالية فأمر ليس ضروريا أن توافق عليه رسميا وفي حالة أوغندة لا يمكن أن يتم الامران الاولان الا بواسطة الجمعية الاولى ، التي لها نفوذ في الحكومة الحاضرة ، اما الامر الثالث فيمكن ان يقدم للجميع .

وهكذا حزمنا أمرنا على ان نتصل بالجمعيتين الاسلاميتين كليهما وان نتصرف معهما تصرفا نزيها محايدا لا يشعر احد بأن المملكة العربية السعودية تقف في جانب فريق من المسلمين دون الفريق الآخر .

وهكذا فقد عملنا ما يلي : -

لم نطلب الاتصال بأحد حال وصولنا فاتصل بنا نائب رئيس الجمعية التي تؤيدها الحكومة ودعانا باسم رئيسها الى حفلة شاي في بيته ، فطلبنا منه ان يمهلنا بعض الوقت ، وذهبنا لمقابلة الامير بدر بن نوح في بيته في كيولي ، وقد شرح لنا الوضع السياسي وما تفرع عنه في

بلادہ كما شرحہ لنا الآخرون وقد لخصناه في اول هذا التقرير ثم احالنا على الشيخ علي كلومبا سكرتير الجمعية المذكورة ، وهو رجل نشيط يعرف العربية جيدا ، وملم بجميع الاوضاع الحاضرة وقال اتني افوض الشيخ علي كلومبا في اخباركم عن كل ما تودون معرفته عن بلادنا وأوضاعها الحاضرة ، ثم ذهبنا الى رئيس الجمعية الاسلامية الاخرى السيد اكبر مانجونى في بيته فشرح لنا الاوضاع الحاضرة وكان مما قال اتنا لا نكره اعضاء الجمعية الاخرى ولكنها الآن اصبحت مشلولة بسبب الوضع السياسى في البلاد ولا يمكن ان تؤدي للمسلمين عملا ذا قيمة ..

وقد تحدثنا مع زعماء الجمعيتين وقلنا لهم اتنا لا نرغب التدخل في القضايا الداخلية لهم الا بالتقدير الذي يوافقون عليه مجتمعين ويكون من ورائه فائدة مرجوة للجميع ، فاذا كانوا يرون ان من المصلحة ان يجتمعوا معنا ونسعى للصالح بينهما فذلك واجب كل مسلم ، وان كانوا يرون ان هذا غير ممكن او غير مرغوب فيه فاننا لن نتدخل فيه . وقد رحب اعضاء الجمعية الجديدة بالوساطة . اما الشيخ علي كلومبا ممثل الجمعية التي يرأسها الامير بدر بن نوح فقال :

انه لا يرى فائدة من محاولة التوسط لان الخلافات

اعمق من ذلك فصرفنا النظر عن المحاولة مع
الجميعتين .

وهكذا ذهبنا الى المدارس التابعة للجميعتين كليهما
وقدمنا التبرعات للفريقين . اما المدرسون فقد قدمنا طلب
التحاقهم بالعمل والاذن لهم به الى الجمعية التي تؤيدها
الحكومة لانه لا يمكن الا ذلك ، كما قدمنا المنح الدراسية
للجمعية المذكورة ، وقدمنا منحة للجمعية التي يرأسها
الامير بدر وذلك بواسطة الشيخ علي كلومبا .

وهكذا غادرنا أوغندة آسفين على اننا وجدنا المسلمين
في الزيارة الثانية اسوأ مما كانوا عليه عندما زرناهم
المرّة الاولى . ومما يجدر التنويه به ان الدعوة الى
الاسلام ودخول الناس فيه على نطاق شعبي عام لا يزال كما
كان ، ولم يتأثر بهذا الخلاف وذلك لان القائمين على الدعوة
الاسلامية يعدون بالآلاف ومنتشرون في كل مكان من
أوغندة ولله الحمد .

في مملكة تورشدي

- يوم الاربعاء ٨ / ٦ / ١٣٨٤ هـ .
- ١٤ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

السفر الى بورندي :

ذهبنا في الصباح الباكر الى مكتب شركة شرق افريقية للطيران في كمبالا ، وانهينا العمل في تذاكر سفرنا حيث لم يكن فيها قبل ذلك النزول في بورندي . وقد دفعنا الفرق وقدره (١٣٩ شلنا) لكل تذكرة . ثم عدنا الى فندق الجعفرين حيث دفعنا بعض المساعدات المالية للمدارس والهيئات في أوغندا .

ثم خرجنا في الساعة الحادية عشر الى أتتية حيث مطار كمبالا ، وركبنا طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية الكونغولية من طراز - د س ٦ - وكان خدم الطائرة ومضيفوها من الكونغوليين وخدمتهم رديئة ولم يقدموا للركاب غير كوب صغير من (الكوكاكولا) أعتقد انه نصف زجاجة فقط . اما ملاحو الطائرة فهم من البلجيكين ، وأما الركاب فخليط من الاوروبيين والهنود وفيهم قليل من الافريقيين .

ولم نشاهد معالم الارض معظم الوقت ، لأن السحب كانت كثيفة تحجب رؤية الارض ، وما ان قاربنا عاصمة بورندي ونزلت الطائرة عن مستوى السحاب

حتى شاهدنا الارض تحتنا جبالا وروابي خضراء تكسوها
الاشجار الكثيفة ، وتتخللها الوديان التي تجري فيها
المياه وهي تشبه على وجه العموم في منظرها منظر
اراضي الحبشة .

وقد نزلنا في المطار بعد طيران دام ساعة ونصفا ،
وكانت اول مشكلة صادفتنا هناك ان الاستثمارات التي
يملؤها القادمون مكتوبة بالفرنسية ولما ملأنا بعضها
بالانكليزية لعدم معرفتنا بالفرنسية حضر موظف
افريقي لا يعرف حرفا من الانكليزية ورطن
بالفرنسية ، ثم شطب ما كتبناه واخذ يكتب بالفرنسية
وهو يتأفف وكان موظفو المطار خليطا من البلجيكين
والافريقيين الوطنيين . اما المطار فهو متوسط ونظيف .
وقد ركبنا سيارة اجرة من المطار الى العاصمة وكانت
المسافة (١٢ كيلا) والاجرة (٢٠٠ فرنك بورندي) أي
ما يساوي عشرة ريالات بالصرف الرسمي والسير هنا الى
اليمن ، خلاف ما عليه الحال في كينية ، وأوغندا
والصومال ، حيث السير هناك الى الشمال .

وكانت الطريق بين المطار والمدينة تمتد وسط
ارض معشبة تكسوها الحشائش البرية الكثيفة التي
يوجي منظرها بعدم العناية والتعمير ، ولا غرو فالبلاد
كانت مستعمرة بلجيكية ، وقد عرف ان الاستعمار
البلجيكي من أسوأ انواع الاستعمار . ولما قاربنا البلدة

اخذنا نلمح بعض القرويين وقد ارتدوا ثيابهم الغريبة التي يتكون الواحد منها من قطعة من القماش يلفها الرجل حول جسمه من عنقه حتى ركبتيه ، ويخرج منها احدى يديه الى الكتف كأنه معتمر مضطبع ، وقد ترك رأسه بشعره المنكوش عاريا ، ويحمل عصاه وهو يوسع الخطا وعليه مظاهر الفقر والفاقة .

مدينة بوزمبورا :

رأينا الجانب الذي دخلنا منه الى مدينة بوزمبورا العاصمة مهملا يذرع شوارعه شعب يسير بشباب مهلهلة ، وقد بدى لنا منظر العمال الذين يسكنون في هذا الحي منفرا اذ يلبس الواحد منهم سروالا قصيرا وقميصا مفتوح الصدر الى نهايته وكثيرا ما يكون حافي القدمين ، وعندما رأونا اسرع عدد كبير منهم الينا يعدون عدوا ، وبعضهم جاء من اماكن بعيدة يركض ركضا وذلك لكي يفوزوا بحمل امتعتنا .

واسترعى انتباهنا قبل وصولنا الفندق منظر بعض العرب العمانيين الذين يسكنون تلك البلاد وبدا لنا منظرهم غريبا أيضا في هذه البلاد الافريقية فهم عدا ما يتميزون به من بياض البشرة فقد ارتدوا جلابيهم (الشوالية) نسبة الى (موضة الشوال) وكوروا عمائمهم

الكبيرة ، وأغفوا لحاهم الكثة ، وقد أنسنا بمنظرهم
وشعرنا بالطمأنينة لرؤيتهم ، في هذه البلاد النائية من
وسط افريقيا التي لا نعرف فيها كثيرا من الناس ولا يوجد
فيها سفارة أو قنصية لاي بلد عربي (١) .

وقد نزلنا في فندق يدعى فندق اقبال وصاحبه مسلم
هندي حنفي المذهب . وما ان استرحنا في الفندق وتناولنا
طعام الغداء حتى رأنا فيه احد الاخوان من العرب
العمانيين المقيمين هنا فذكرنا له اتنا نجب ان تتشى في
الشوارع القريبة من فندقنا فرحب بنا وخرجنا من
الفندق وقصدنا اماكن الاخوان العمانيين الذين اخذوا
يضيفون علينا كرمهم بالدعوة الى تناول القهوة ، وقد
تناولنا القهوة في محلين واما الثالث فكان صاحبه شيخا
انتقل من روندا الى بوروندي أبى الا ان نذهب معه
الى بيته وكان المطر يهطل ونحن نجب ان نرى شيئا
من معالم البلدة قبل حلول الظلام حيث لا يستحسن
للغريب ان يتجول بعد ذلك في افريقية التي مررنا بها
ما عدا السودان ولكن اخانا العماني أبى الا ان يكرمنا
ويذهب بنا الى بيته ثم قدم لنا القهوة العربية التي
افتقدناها منذ خرجنا من بلادنا . وقد حل الظلام وعاد
معنا بعض اخواننا العمانيين الى الفندق بعد ان استمتعنا

١ - افتتحت سفارة مصرية في بوروندي فيما بعد .

بحديثهم العربي الفصيح ، واستفدنا منهم ما يتعلق بحالة العرب والمسلمين في أقاليم (رواندا) و (بورندي) وشمال وشرق الكونغو ، ومما لفت نظرنا في هذه المدينة كثرة النخيل وقد بلغ حجم طلعه ما يزيد على مقدار الحمصة فاستغربنا ذلك لان هذا الوقت هو وقت صرام النخل في بلادنا ولكن لا عجب فنحن في النصف الجنوبي من الكرة الارضية وشتاؤنا هو صيف هذه البلاد والعكس بالعكس . وقد خبرونا ان العرب هم الذين جلبوا النخل من عمان عن طريق زنجبار ومباسة ، وانه يثمر هنا ثمرا يؤكل ، على عكس حاله في اوغندا حيث يوجد النخل ولكن لا يثمر أبدا . اما هنا في بوزمبورا فقد اختلط نخيل التمر بنخيل النارجيل (جوز الهند) وبنخيل الزيت فأصبحت ترى في مكان واحد نخلة بأعذاقها الكبيرة الى جانب شجرة من اشجار النارجيل تحمل طلعهما الذي يشبه اعذاق النخيل ما دام صغيرا ، وحولهما نخلة من نخيل الزيت الذي يشبه نخيل التمر تماما عدا طلعه فهو يختلف اختلافا بينا ، ويذكر احد الاخوان العمانيين بيتا قاله شاعر عماني زار هذه البلاد وانشأ فيها قصيدة منها .

نخيلها يميل مع امباها تشابه المزون من أنباها
ويقول ان الامبا هي المانغو أي العمبة والمزون قرية في عمان .

والجو هنا معتدل متشابه طول السنة فيما يقولون :
اما الامطار فهي تسقط دائما وان كان يأتي وقت تكون فيه
اكثر من الاوقات الاخرى . واهلها كلهم من (البانتو)
او الزوج الا ان الحيوية الموجودة في الاوغنديين لا يلاحظ
المرء توفرها هنا .

يوم الجمعة ١٠/٦/ ١٣٨٤ هـ .

١٦/١٠/ ١٩٦٤ م .

في جامع مويانزي .

أدينا صلاة الجمعة اليوم في مسجد الجمعة في حي
مويانزي وهو الحي الذي يسكنه المسلمون الافارقة وقد
سررنا اذ رأينا الناس قد تجمعوا في المسجد قبل الوقت
بمدة تزيد على نصف ساعة وقد امتلأ المسجد بهم
وهم يتلون القرآن الكريم او يصلون على النبي صلى الله
عليه وسلم كل بمفرده . والمسجد متوسط السعة وهو
مبني بالآجر ومسقف بالصاج على شكل مسنم شأنه شأن
اكثر بنايات الافريقية ، وهو مفروش بالحصر الجميلة،
وقبل دخول الامام أذن الأذان الاول ، ثم لبث الناس برهة
ولم يتنقل بعد الاذان الا القليل منهم ، ثم وقف المؤذن على
باب المسجد في المؤخرة ، وتلا بعض العبارات التي تأمر
الناس بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضج

المسجد بأصواتهم وهم يقولون بصوت واحد اللهم صل وسلم عليه ثم أخذ المؤذن يمشي داخل المسجد وهو ينشد آيات مديح في النبي صلى الله عليه وسلم لم أحفظها ، والامام يسير خلفه وكل من سمعه من الناس افسح الطريق له وللامام ، ليمر الى المحراب ، وكان الامام يمشي مطأطأ الرأس ، خاشعا ، وقد ارتدى لباس المسلمين هنا وهو الجلباب الابيض ولبس فوقه - ليمتاز عن غيره - جبة سوداء كما وضع على رأسه كوفية (غترة) بيضاء ، وهي الكوفية الوحيدة التي شاهدناها في كل انحاء شرق افريقية ، وارتدى فوقها عقلا مقصبا ، وقد وضع تحت ابطه مجلدا هو ديوان خطب قديم . وقد تلا الخطبة من الديوان المذكور وهي قديمة مسجوعة ، واستطاع بصوته الجمهوري وبنغمات التأثير أن يجعل الجميع يتأثرون ، اما الافريقيون وهم لا يعرفون العربية فبصوته وباخراجه الكلمات ، واما نحن فبشدة ايمانه بما يتلو حسب ما ظهر لنا . ولم تترجم الخطبة الى لغة القوم لا قبل الصلاة ولا بعدها . وكانوا قد قالوا لنا انهم في العادة يترجمون خطبة الجمعة بعد الصلاة ، ولكن نظرا لوصولنا هنا فقد عرف الامام الحاضرين بنا ، وطلبوا منا ان نلقي اليهم موعظة بعد الصلاة فتكلم زميلنا فضيلة الشيخ أبي بكر جابر بكلمة ترجموها الى السواحلية ، واكتفوا بها عن ترجمة الخطبة . وقد سارع الجميع بعد ذلك

الينا للسلام والتحية وكل من سلم علينا صلى على
النبي صلى الله عليه وسلم لاننا قادمون من المدينة
المنورة .

وقد عدنا الى الفندق ونحن في غاية التأثر
من قوة الرابطة الروحية الاسلامية التي تربطنا
بأولئك الاخوان الاحباب على بعد الدر وقلة الانصار .

مدرسة ارشاد الحياة الاسلامية :

وبعد العصر كنا على موعد مع الجمعية الاسلامية
الافريقية ، وتعرف هنا بجمعية (امبو) ويقع مقرها في حي
مويانزي السابق ذكره ، ورئيسها الشيخ جمعة عيدي وهو
افريقي من اهل بورندي وقد رحب بنا اعضاء الجمعية
التي يقع مكتبها في بناء مكون من غرفتين ومبني على
الطريقة الافريقية الوطنية جدرانه من اللبن أي
الطين الني وسقفه مسنم من الصاج ، وقد وضع في
حواشيه ما يشبه (البرنيطة) من الصاج ليقى الجدران
الطينية من وصول المطر اليها . ومن مكتب الجمعية
توجهنا الى مدرسة ارشاد الحياة الاسلامية وهي مدرسة
للافريقيين المسلمين يدرس اولادهم فيها في ايام العطلة
الاسبوعية أي آخر يوم السبت ويوم الاحد ، وذلك لان
معظم الطلبة يذهبون الى المدارس الرسمية في الايام العادية،
وقد شاهدنا في المدرسة المذكورة حوالي ١٢٥ طالبا من

الفتيان والفتيات ، وقامت فرقة الانشاد في المدرسة
بالقاء نشيد ترحيب بالعريية ختموه بالدعاء لنصر
الاسلام والمسلمين ، ثم ألقى مدير المدرسة كلمة قصيرة،
وقد رددت عليه بكلمة بالعريية قام بترجمتها جملة
جملة الاستاذ عمران جمعة الى السواحلية ، وكان اجتماعا
مشهودا لزعماء المسلمين هنا ، أعلننا فيه للجميع اننا سوف
ندفع مساعدة مالية رمزية من الجامعة الاسلامية بالمدينة
المنورة لهذه المدرسة .

يوم السبت ١١/٦/ ١٣٨٤ هـ .

١٧/١٠/١٩٦٤ م .

ذهبنا لزيارة بعض المدارس والكتاتيب الاسلامية
في بوزمبورا وقد أسفنا لما لاحظناه من مظاهر التفرقة
بين المسلمين هنا اذ ان لكل طائفة كتابا يخصهم دون غيرهم
وان كان المسلمون الافريقيون وهم شافعية المذهب هم
الاعلية .

ومما استرعى انتباهنا ايضا اننا رأيناهم لا يكتبون
اذا أشاروا للمسجد او كتبوا عليه بكلمة (مسجد) بل لا
بد ان يضيفوا الى ذلك تعريفا آخر فيقولون مثلا مسجد
الشافعية او مسجد الحنفية ، وهذا يكون دائما للمسلمين
الهنود من اهل السنة لانه لا يوجد هناك احناف

غيرهم ، كما ان هناك مساجد للطوائف الاخرى خاصة بهم مثل الاباضية والاثني عشرية حتى طائفة الاسماعيليين اتباع آغا خان لهم مكان خاص يضم معبدا وقاعة اجتماعات يسمونه (مسجدا) .

يوم الاثنين ١٣ / ٦ / ١٣٨٤ م .

١٩ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

ذهبنا الى السفارة البلجيكية واستعدنا منها جوازاتنا بعد ان منحتنا تأشيرة الدخول الى الكونغو رغم نصيحة المسؤولين فيها لنا بعدم الذهاب الى هناك نظرا للقلقل الناشئة عن توتر العلاقات السياسية بين الكونغو برئاسة تشومبي من جهة ، وبين حكومة مصر والجزائر من جهة اخرى . وقد قال لنا سكرتير السفير البلجيكي انهم قد تبلغوا اليوم امرا من حكومة الكونغو بعدم السماح لاي عربي بدخول الكونغو . ومن السفارة البلجيكية ذهبنا بجوازاتنا الى السفارة البريطانية في بوزمبورا حيث طلبنا سمة الدخول الى روديسية الشمالية فوافقوا على ذلك ومنحوها لنا فورا .

الجمعية الاسلامية السنية :

وبعد العصر توجهنا الى المنزل الواسع الذي يملكه

الشيخ تار محمد رئيس الجمعية الاسلامية السنية
لاقاليم رواندا وبورندي والكونغو ، وهو باكستاني مسلم
يقول انه تركي الاصل وجميع اعضاء جمعيته من الهنود
السنين . وقد دعا الى هذا الحفل طائفة من ارباب
المذاهب في هذه البلاد من الافريقيين والعرب والهنود ،
وقد اشتمل برنامج الترحيب على نشيد بالعربية ألقاه
بعض الصبية من ابناء المسلمين هنا وقد لفتوه تلقينا ،
والافهم لا يعرفون العربية ، ثم تلا طالب افريقي آيات من
القرآن الكريم مرتلة موجودة ، ثم تكلم الداعي الشيخ
تار محمد كلمة اسلامية غلبه التأثير في آخرها فبكى طويلا
لحالة الاسلام والمسلمين وطلب منا الدعاء في المسجد
النبوي الشريف وكان يتكلم بالاوردية ليفهم الحاضرون
من الهنود كلامه ، ثم يعيد بالسواحلية ليفهم الافريقيون
كلامه ثم يترجم لنا احد العرب العمانيين كلامه للعربية ، وقد
رددت عليه بكلمة وفي آخرها شكرته على حسن ظنه
ووعده بالدعاء له ولاخوانه المسلمين في المسجد النبوي
الشريف نسأل الله سبحانه وتعالى ان يقبل منا جميعا
صالح الدعوات .

وزارنا تلك الليلة في الفندق كما هي الحال في اكثر الليالي
والايام في بوروندي عدد كبير من اخواننا المسلمين
من العرب والافريقيين الامر الذي لم يترك لي فرصة
كتابة هذه اليوميات بشكل مفصل .

العرب في بوروندي •

والعرب في بوروندي كثيرون على خلاف ما كنا نعتقد من قبل ، واغلبهم ان لم يكونوا كلهم من العمانيين ، ويوجد عدد محدود لا يتجاوز اصابع اليد في بوزمبورا العاصمة من اليمانيين ومثلهم من الحضرميين . ومنظر العرب في بوزمبورا خاصة لا يلفت النظر لكثرتهم ، وقد قيل لنا ان الحال كذلك في اوروندا واقليمي كيفو واورينتال في الكونغو وهم محبوبون من الشعب الافريقي ومعظمهم ميسورو الحال ، ومنهم اثرياء ولا تكاد تجد بينهم فقيرا معدما . ولا يصعب عليك ان تميز الواحد منهم وخاصة الكهول والشيوخ ، فهم متمسكون بزيتهم العماني الاصيل وقد وفروا لحاهم . اما الشباب والفتيان منهم فقد لبسوا الزي الاوروبي وتعلموا في المدارس الافرنجية الا ان بعضهم ممن لم يتيسر لهم تعلم العربية في الكتابيب والمدارس الاسلامية لا يتكلمون العربية الا بصعوبة .

ويقال ان بيوت العمانيين في بوزمبورا تبلغ حوالي ثلاثمائة بيت ، مع انها بلدة صغيرة لا يزيد سكانها على ٥٥ ألفا .

يوم الثلاثاء ١٤/٦/ ١٣٨٤ هـ .
٢٠/١٠/ ١٩٦٤ م .

اصبحنا ونحن فيهم من امر السفر اذ عدلنا عن السفر

الى اليزايث فيل في الكنفو بعد ان منعنا اخواننا من العرب
العمانيين الموجودون في موزمبورا اشفاقا علينا مما قد يصيبنا
في الكونفو ، لان الكونفو يسودها الاضطراب وعدم النظام ،
ونظرا لتوتر العلاقات بين الكنفو من جهة وبين حكومة مصر
والجزائر من جهة اخرى . وكنا سابقا قد قررنا السفر من
موزمبورا الى اليزايث فيل في طريقنا الى ملاوي ، وقد ذكر
لنا اخواننا العرب في بوزمبورا ان الكنفويين لا يفرقون بين
عربي وعربي ، وبأنهم اذا شعروا بعداوة شخص او اشخاص
من البيض لهم فانهم لا يتورعون عن الحاق شتى صنوف
العذاب بهم .

بل ان اخواننا العمانيين ومنهم الشيخ علي محمد
الطوقي اخبرونا انهم كانوا في مدينة كندو في مقاطعة اورتال
في الكنفو عام ١٩٦٢ عندما كانت الثورة ضد البيض على
اشدها هناك وانهم شاهدوا ثلاثة عشر اوروبيا من الايطاليين
نزلوا بطائرتهم في مطار مدينة كندو الذي يسيطر عليه الثوار
نزولا اضطراريا فأمسك الكنفويون بثلاثة منهم واججوا لهم
نارا وشووهم قريبا من المطار واكلوهم كما يؤكل لحم
الغنم !!!

ان هذا الخبر غريب جدا ولكن يؤكد اخواننا
العمانيون انهم شاهدوه بأنفسهم ونحن لا نشك في خبرهم
وخاصة اذا عرفنا انهم اباضية المذهب وان الكذب عندهم
من الكبائر .

وقد قالوا لنا اذا لم تصدقوا ما حدث للاوروبيين فان
الذي لا شك انه سوف يحدث لكم هو الالهانة وسلب المال
وربما الحبس او التعذيب وأتم في غنى عن ذلك، ولا يمكننا
ان نوافقكم على السفر الى الكنفو في هذا الوقت بالذات
لا سيما انكم تشاهدون العرب الذين كانوا في الكنفو منذ
سنين طويلة قد تركوها الآن ولجأوا الى بوروندي هربا من
الاضطرابات وتركوا اموالهم الثابتة هناك واتهم اولى بتلافي
المكروه المحتمل منهم . فشكرنا لهم شعورهم الكريم
ووافقناهم على ما ذكروا من اننا في غنى عن أن نعرض انفسنا
للمخاطر وان كنا نأسف لذلك لانه يحرمانا فرصة الاطلاع
على احوال المسلمين في تلك البلاد ، هذا وقد اخبرني بعض
العرب مساء اليوم انهم سمعوا خبرا من مدينة (قوما) في
الكنفو مفاده ان الكنفويين قد اعتقلوا العرب الموجودين
هناك مع انهم عمانيون ليس لهم علاقة سياسية بالحكومة
المصرية او الحكومة الجزائرية .

ومع اننا قد حصلنا امس على سمة دخول الى الكنفو
من السفارة البلجيكية في بوزمبورا فقد ذهبنا اليها اليوم
واستشرنا القنصل البلجيكي في موضوع سفرنا فنصحنا
بعدم الذهاب الى هناك وكان مما قاله انني اعرف ان القلاقل
الموجودة هي بسبب خلافات بين حكومتي مصر والجزائر
وبين حكومة الكنفو ، وان الحكومة السعودية ليس لها علاقة
سياسية بهذا الخلاف ولكن الكنفويين لن يفتنوا الى هذا

فهم لا يفرقون بين عربي وآخر في هذا الموضوع .
وهكذا عدلنا عن السفر الى الكنفو ، وذهبنا نلتبس
طريقا آخر للسفر ، ولكن بورندي صغيرة ولا تغادرها
طائرات الى الخارج الا مرتين في الاسبوع ، كما ان الطرق
البرية كلها مقطوعة او مخيفة نظرا لوجود الاضطرابات في
ما حول تلك البلاد في رواندا والكنغو ، وحتى طريق السفن
عبر بحيرة تنجانيقة من بوزمبورا قد توقف بل ان الاتصالات
بين مدينة بوزمبورا ومدينة (اوفيرا) في الكنفو قد قطعت
مع ان المسافة بينهما لا تزيد على خمسة وعشرين كيلو مترا
عبر مياه بحيرة تنجانيقة كل ذلك بسبب الثورة القائمة في
الكنغو .

وقد ذهبنا الى شركة ساينا البلجيكية للطيران فقال
لنا الموظف فيها وهو افريقي انه لا توجد اماكن ، ولما آسنا
نادانا وقال لنا بصريح العبارة : اذا اعطيتموني (٥٠٠) فرنك
فاني سأجد لكم مقاعد والا فلا ، ولما مانعنا في اعطائه المبلغ
احتد وقال : ما دمتم لم ترضوا بدفع هذا المبلغ فلا اقنع
منكم الا بثمانئة فرنك ! وقد حاولنا ان نشور عليه ، ولكن
كيف ؟ ان هذه البلاد صغيرة والطائرة التي تغادرها الى
نيروبي واحدة ولا تطير طائرة اخرى الا بعد خمسة ايام ،
فكيف نسجن انفسنا ونعطل اعمالنا ؟ وكان مترجمنا رجلا
يماني الاصل افريقي المولد والام يسمى يحيى عبد العزيز
وهو الذي يسعى معنا في امور السفر جزاه الله خيرا، وكان

يحدث الموظف بالسواحية ثم يترجم حديثه الينا بالعربية مع انه اي المترجم لا يعرف من العربية الا قليلا ، ولم يكن في مكتب الشركة كما هي الحال في اكثر المكاتب والدوائر الرسمية هنا من يعرف الانكليزية ، وقد قلت لمترجمنا انني ارى ان نشكو هذا الموظف الى رؤسائه البلجيكين في شركة الطيران فقال : انني لا ارى فائدة من ذلك لانهم شركاء له في الرشوة ، ألم تسمعه يتحدث معنا بصريح العبارة على مسمع من الموظفين والموظفات البلجيكيات في المكتب ! وهذا امر عجيب كيف يسكت اولئك الاوروبيون الذين يدعون المدنية والتهذيب على ان يأخذ الموظف عندهم المال من الناس علنا بغير حق .

وهكذا رضخنا للامر ، وسلمناه ثمانمائة فرنك بورندي وهي تساوي بالصراف الرسمي اربعين ريالاً سعودياً لاننا خشينا ان لم نسلمها له الا يحجز لنا اماكن حتى ولا يوم الاحد القادم . ان المبلغ ليس كبيراً ولكنه أخذ منا بالاكراه ، وبغير حق ، وهذا شاهد من الشواهد على ان البلجيكين وتلامذتهم من الافريقيين في مستوى منحط من الاخلاق ، وقد « قطعنا » تذاكر الى مدينة نيروبي عن طريق (اتتية) في اوغندا ومن نيروبي نتوي السفر الى (اندولا) في روديسية الشمالية .

ومن الشركة قصدنا الفندق ووزعنا مبالغ مالية على

بعض الجمعيات والمدارس الاسلامية على عجل حيث لم يبق
على سفرنا بالطائرة غير ساعتين .

عود الى نيروبي :

وفي تمام الساعة الواحدة والنصف وصلنا مطار
بوزمبورا وانجزنا اعمالنا فيه بسرعة، وكانت المشكلة المتجددة
انا لم نجد بين موظفي المطار من يعرف الانكليزية فضلا عن
العربية. وقد ركبنا الطائرة وهي من طراز دس ٦ تابعة لشركة
طيران الكونغو التي هي فرع لشركة ساينا البلجيكية . وكان
الحديث في الطائرة بالفرنسية ثم بالانكليزية لان معظم ركاب
الطائرة من الاوروبيين كما هي الحال في اكثر الطائرات التي
تعمل في افريقية ، وقد اعلن مكبر الصوت في الطائرة ان
الرحلة ستدوم ساعة ونصفا الى اتتية في اوغندا . اما رداءة
الخدمة، وبخل الشركة ، فشيء لم أره في غيرها من الشركات،
اذ لم يقدموا لنا والوقت وقت غداء والرحلة ليست بالقصيرة
الا كوبا من الكوكاكولا . وقد شاهدنا من نافذة
الطائرة ارض افريقية الخضراء التي لا ينقطع المطر عنها وهي
في معظمها اراض جبلية خضراء تتخللها الوديان العميقة
المكسوة بالغابات والتي كثيرا ما ترى المياه الجارية فيها من
خلال الاشجار تنعكس عليها اضواء الشمس ، الا ان الذي
شوه من جمال المنظر ان الطائرة اعلنت في منتصف الرحلة
باللغة الفرنسية والتي لا نعرفها ، ما فهمنا منه انه ينبغي على

الركاب ان يشدوا احزمتهم لاننا مقبلون على جو سيء وقد ربطوا جميعا احزمتهم ، ودخلت الطائرة في ليل دامس من السحاب لا ترى مما فوقك ولا مما تحتك شيئا ولكنه لم يدم طويلا فقد تجاوزنا تلك المنطقة الى منطقة صاحبة تمتعنا فيها بمراى الارض الافريقية الخضراء .

وبعد مضي ساعة ونصف وصلنا المطار الدولي في (اتتية) في اوغندا فنزل عدد من الركاب ثم استأنفت الطائرة السفر بعد نصف ساعة الى نيروبي واستغرقت الرحلة من اتتية الى نيروبي ساعة وعشرين دقيقة ، وكان الجو صاحيا، بدت ارض كينية من الطائرة مزروعة معمورة فيها الحقول الواسعة والاشجار المغروسة المنظمة .

وقد وصلنا مطار نيروبي قبل غروب الشمس بنصف ساعة ، وكان موظف الجمر ك عريبا ، ما أن سمعنا تتكلم اللغة العربية ، حتى اسرع يرسم علامة انتهاء التفتيش على حقائبنا ، وقال بالانكليزية : انني عربي الاصل من ممباسة، ولكنني لا اعرف من العربية شيئا ، وقد ذهبنا فورا الى مكتب الشركة في المطار ، وسألنا عن أول طائرة تسافر الى (اندولا) في روديسية الشمالية فلم نجد قبل يوم السبت القادم أي بعد ثلاثة ايام .

وهكذا عدنا الى نيروبي الجميلة او (هاف) لندن أي نصف لندن كما يسميها الاوروبيون ، وكان الجو فيها باردا

بالنسبة الى جو بوروندي واوغندة ، وقد عدنا اليها من
حيث لم نكن نظن سوف نعود ولكنه عود حمدناه ،ولن
يضيق الصدر من الرجوع الى نيروبي .

في بورشدي... ثانیۃ

يوم السبت ١٥/٧/١٣٨٦ هـ

٢٩/١٠/١٩٦٦ م

قمنا مبكرين لاداء صلاة الفجر ، ثم شرعنا في اكمال عملنا في المساعدات المادية للجمعيات والمدارس الاسلامية وهو العمل الذي كنا قد بدأناه من قبل وظننا انه ينتهي عند منتصف الليلة البارحة ، ولم يبق على مغادرتنا اوغدة الا ساعتان ونصف وكان عملنا في ترتيب امر السفر مستعجلا ، كما ذهبنا الى مطار (انتية) الذي يبعد عن كمبالا (٣٥) كيلا على عجل ، ووصلناه قبل قيام الطائرة بربع ساعة ، ثم ركبنا الطائرة في تمام الساعة التاسعة والنصف .

عاصمة مملكة بورندي ، وصلناها بعد مضي ساعة و٣٥ دقيقة في الجو ، وكانت الطائرة من طراز (فريندشيب) تابعة لشركة شرق افريقية للطيران ، وكنا خلال الطيران نسبح وسط لجة بيضاء من السحاب الكثيف الذي لا نرى معه شيئا اطلاقا ، وكانت الطائرة تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال وترتفع وتهبط مما جعلنا طيلة الوقت او اكثره مشدودين بالاحزمة الى مقاعد الطائرة ، ولم يتمكن المضيفون من تقديم أي شراب او اي شيء آخر طيلة الوقت .ومما زاد الحال سوءا ان مقاعد الطائرة تنط وتصر حين يتكئ عليها الراكب لشدة قدمها ، وكان صوتها في مثل هذه الحالة مزعجا ، وعندما قاربنا بوزمبورا ، وخفت حدة اضطراب

الطائرة شمنا رائحة نار ففزع الركاب وكلموا المضيفة التي ذهبت الى الطيارين فكلمتهم ، ولكنها لم ترد علينا جوابا. ودام انبعاث رائحة النار حوالي ربع ساعة ثم زال ،فتفتسنا الصعداء .

سرقوا حقيبتى من جمرك المطار :

كنت اشعر ببقايا اسهال اصببت به في اوغدة مع بقايا انفلونزا ، وكنت لذلك متعبا ، وزادتنى حالة الطائرة تعبا ، وكنت خائفا من التفتيش في بوزمبورا لاننى احمل مبالغ طائلة من الجنيهاات الاسترلينية ولم اكن اخشى عليها من الاجراءات الرسمية فدخولي بها شرعي لا غبار عليه، ولكننى اخشى من أن يكون اكتشاف تلك المبالغ الكبيرة معى سببا لتدبير جريمة او سرقة ضدي ، ومع ذلك فقد نزلت الطائرة في المطار وذهبنا الى موظف الجوازات ولم نكن نعرف الفرنسية ولا السواحلية التي لا يحسن الموظفون غيرهما ، تولت مساعدتنا في الترجمة من الفرنسية الى الانكليزية امرأة اوروبية كانت قادمة معنا بالطائرة ، وفي تلك الاثناء كان من انتهى من موظف الجوازات من المسافرين يذهب عند موظف الجوازات ، قال لي الاستاذ عبدالله الباحث : ان حقائبنا قد حضرت،وهي موجودة الآن على منصة التفتيش في الجمرك ، ثم قال لي بعد ذلك وهو منفعل : ان حقيبتك

قد اختفت ، فتركت الجوازات بعد ان أنهيت الختم منها
وذهبت أفتش عن حقيتي في الجمرک فلم أجدها، ولما لاحظ
الموظفون اضطرابي سمحوا لي بالخروج قبل تفتيش الحقيبة
اليدوية التي فيها الاوراق الهامة والصكات المالية ، وعندما
خرجت الى ساحة المطار الداخلية وانا على تلك الحالة حاولت
التفتيش عن حقيتي المفقودة مع الركاب الذين خرجوا من
الجمرك قبلي فلم أجد لها أي أثر ، ثم عدت ثانية الى الجمرك
فلم أجدها . وقد وجدت في المطار ثلاثة من اخواننا المسلمين
السنغاليين الذين جاؤوا الى بوزمبورا للتجارة في الماس بين
الكنغو وبورندي وهم يتكلمون العربية بصعوبة ، فشرحت
لهم موضوع الحقيبة فذهبوا معي الى الموظف المسؤول في
مكتب شركة شرق افريقية في المطار وشرحوا له الموضوع
بالفرنسية فطلب مني اقرارا بما تحتويه الحقيبة ورقم
الايصال الذي احملة ثم قال : انا سوف نبرق الى جميع
محطات الطيران التي تتعامل مع مطار اتينية فربما تكون
الحقيبة هناك وقد ارسلت الى مطار آخر فقلت له : ان
صاحبي قد رآها في جمرك مطار بوزمبورا ومعنى هذا انها
فقدت وهي في عهدتكم بعد انزالها من الطائرة فقال : ربما
يكون صاحبك غير متأكد ، ومع ذلك يمكنك أن تراجعنا
ظهر يوم الاثنين القادم حيث ان الغد عطلة .

وهكذا ركبنا سيارة اخواننا السنغاليين من المطار الى
فندق (بقداس) في بوزمبورا وهو اكبر الفنادق فيها وكانت

جميع ملابسى وحاجاتي بما في ذلك جهاز الراديو وبعض الادوية وحتى بعض مذكراتي اليومية في أخريات أيامي في كينية وأوغندا في الحقبة المفقودة .

جولة في بوزمبورا :

خرجنا بعد العصر الى الحي السذي يوجد فيه حوانيت بعض العرب العمانيين علنا ان نجد منهم من يساعدنا أو يواسينا ، وقد استعدت ذكرياتي في هذه المدينة قبل سنتين ولم أجد في بوزمبورا شيئا لم أراه من قبل الا ما خيل الي أنه زيادة في عدد العاطلين والمحتاجين الذين ليس على بعضهم سوى خرق مهلهلة وقد رأيت في دكان اخينا العربي علي بن محمد الطوقي عاملين سألته عن اجر العامل اليومي منهما فقال انه (٢٠) فرنكا بورنديا أي حوالي ريال سعودي بالصرف الرسمي ، منه يأكل ويشرب ويسكن هو وعائلته ، ثم عدنا الى الفندق حيث تكرم بزيارتنا بعض اخواننا العرب من الموريتانيين الذين جاؤوا الى بوزمبورا للاتجار في ماس الكنفو ، كما علم بمجيئنا بعض اخواننا من العرب ورؤساء المسلمين وقد أنسنا بهم كثيرا وكان في اجتماع العمانيين والموريتانيين عندنا في الفندق وهم يتفاهمون بلغة الضاد ما جعلني أزداد يقينا بأنه يجب على جميع المسلمين المحافظة على اللغة العربية بل والسعي لانتشارها وشمولها في جميع المسلمين ، لقد كان العماني على شاطئ الخليج في شرق

الجزيرة العربية يتكلم بسهولة مع اخيه العربي الموريتاني الذي يسكن ويعيش في شاطئ المحيط الاطلسي في أقصى غرب العالم العربي . أما اخواننا السنغاليون والمسلمون البورنديون فقد أظهروا مشاركتهم لنا بالاسف لحادث اختفاء الحقيبة ووعدونا بالعمل على ارجاعها بقدر استطاعتهم من ذلك انهم قالوا : ان نائب قسم الترحيلات في المطار مسلم فلنذهب اليه ونخبره بحادث الحقيبة ، وهكذا ذهبنا مع رئيس الجمعية الاسلامية الشيخ سعيد جمعة مهبي اليه وبعد ان رحب بنا طمأننا انه لا يحتمل ان تكون الحقيبة قد سرقت من المطار لان الحراسة - فيما يقول - شديدة وقال : انه من المحتمل ان تكون قد ضُمت غلطا الى متاع شخص آخر ، ومع ذلك فقد وعدنا ان يخرج غدا الى المطار ويتأكد من جميع الامكنة فيه، فشكرناه وعدنا الى الفندق.

يوم الاحد ١٦/٧/١٣٨٦ هـ

٣٠/١٠/١٩٦٦ م

ذهبنا الى مطعم الفندق لتناول طعام الافطار ، وعلى ذكر المطعم فقد كانت اسعاره غالية فوجبة العشاء كلفت مئة وخمس وسبعين فرنكا أي ثمانية ريالات ونصف للشخص الواحد تقريبا ، خلاف ما عليه الحال في اقطار شرق افريقية التي مررنا بها .

وبينما كنا نتناول الفطور اذ شعرنا بصوت يشبه صوت القطار التي يتمهل في سيره مع تحرك الارض بنا مرتين ، فقلت للاستاذ عبدالله ان هذا زلزال نرجو الا يتكرر فقال : لا حول ولا قوة الا بالله . أزلزالان زلزال في الارض وزلزال في الطائرة ، ثم عرفنا بعد ذلك ان بعض الناس قد فزعوا وخرجوا الى الشوارع ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هذا وقد خرجنا للمطار وفتشنا عن الحقيبة مرة ثانية فلم نجدها وقال لنا مكتب الشركة انهم بعثوا برقيات الى اتينية ، ونيروبي ، وكنشاسا ، وكيقالي عاصمة رواندا ، وهم ينتظرون الجواب .

يوم الاثنين ١٧/٧/١٣٨٦ هـ

٣١/١٠/١٩٦٦ م

قالوا لنا ونحن ننتظر بفارغ الصبر بزوغ شمس اليوم لنتمكن من اخذ التأشيرات اللازمة لنا من بعض السفارات الاجنبية وللأسوال عن حقيبتنا المفقودة في المكتب الرئيسي للشركة ، لاننا لم نتمكن من عمل ذلك أمس الاحد لانه يوم العطلة الاسبوعية . قالوا لنا : ان هذا اليوم الاثنين ايضا عطلة رسمية لمناسبة عيد العمال وجميع المؤسسات والدوائر الرسمية وغيرها فيه مغلقة وقد حضر الينا بعض اخواننا

المسلمين من اعضاء الجمعية الاسلامية وقالوا : ان لهم أخوا مسلما من موظفي المطار يعرف جميع العمال فيه حتى من اشتهر منهم بالسرقة وسوف يبحث معهم ليعرف ما اذا كانت الحقيية قد سرقت فعلا ام ضاعت قبل ان تصل الى المطار .

هذا وقد توارد الينا في الفندق اخواننا من زعماء المسلمين هنا وعامتهم ، وكنت قد تعرفت على كثير منهم في المرة الماضية ، وقد طلبوا مني ان يجمعوا المسلمين في بناية المدرسة الاسلامية لكي نتحدث اليهم عن مهمتنا فأجبتهم الى ذلك وذهبت فعلا بعد صلاة العصر الى مكان الاجتماع وكان أكثر زعماء المسلمين حاضرين ومنهم الحاكم المسلم الوحيد في احدى النواحي في بورندي ، وبعد ان رحب رئيسهم بنا وتكلم منهم خطيب عن الجميع رددت عليه بكلمة بينت فيها أثر الاخوة الاسلامية وقوة ذلك في الجمع بين المسلمين ، ثم شرحت الغرض من مهمتنا هنا في بورندي وفي غيرها من البلاد الافريقية ، واخبرتهم ان دار الافتاء سترسل اليهم مدرسين اثنين نرجو أن يكونا الدفعة الاولى من المدرسين ، وان الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة قد خصصت لابنائهم خمسة مقاعد على شكل منح دراسية يمكننا نحن ان نختار اللائقين من الطلاب للمنها وتقوم بدفع تذاكر اركابهم وترحيلهم الى المدينة المنورة قبل سفرنا اذا أمكن ذلك ، كما أننا على استعداد لان تقدم لهم مساعدات

مالية رمزية للجمعيات والهيئات والمدارس الاسلامية من
الآن ،فسروا لذلك ودعوا لله سبحانه وتعالى ان يحفظ جلالته
ملك المملكة العربية السعودية فيصل المعظم ، كما شكروا
المسؤولين في دار الافتاء والجامعة الاسلامية .

يوم الاربعاء ١٩/٧/١٣٨٦ هـ

٢/١١/١٩٦٦ م

قمنا بجولة على المدارس والكتاتيب الاسلامية
الموجودة في منطقة (فابوروا) قرب بوزمبورا العاصمة ، وقد
سرنا ما رأينا فيها من جهات وساءنا من جهة ، لقد سررنا
لوجود الكتاتيب المذكورة تدرس اطفال المسلمين من بنين وبنات
باللغة العربية لغة القرآن الكريم مبادئ الدين الاسلامي
الحنيف ، وذلك على قلة الامكانيات ، وبعد الشقة بينهم
وبين اقطار المسلمين وساءنا ان وجدنا تلك الكتاتيب على
حالة من سوء الامكنة وقلة التهوية وقلة الادوات المدرسية
بل وانعدامها في بعض الحالات . فبعض المدارس لا توجد
فيها فرش فضلا عن مقاعد يجلس عليها الطلبة .

اما اسماء المدارس فهي اسلامية وان كان فيها نوع من
الغرابة بالنسبة الى ما ألفناه من الاسماء في بلادنا ، فمثلا رأينا
اليوم مدرسة اظهر الحق لصاحبها عمر باروتي . مدرسة
السفينة الاسلامية لصاحبها عبدالله دسترر . المدرسة النسائية

الاسلامية في مسجد النور في بويانزي . المدرسة الحسينية
لصاحبها محمود حسين نيزلو . مدرسة الدعوة في بويانزي
لصاحبها حسن سعدالله .

لقد كنا نتجول على المدارس والمساجد بالسيارة
والمطر يهطل مدرارا . وكان اخواننا يستقبلوننا بل
ويتجمعون نساء ورجالا لاستقبالنا على تلك الحال مما
زاد في نشوتنا وحماسنا ولا ننسى ما قام به الاستاذ
يوسف أليمنغو نائب رئيس جمعية الطلاب الافريقيين
المسلمين في بورندي من جهود طيبة في هذا الموضوع من
اهمها مراقبتنا في جولاتنا للترجمة ولو كان في ذلك
تعطيل عمله طيلة حاجتنا اليه .

يوم الاحد ١٣٨٦/ ٧/ ٢٣ هـ .

١٩٦٦/ ١١/ ٦ م .

خرجنا بعد العصر مع احد الاصدقاء العرب بسيارته
الخاصة وهو الشيخ علي بن محمد الطوقي من عمان
الى نزهة على شاطئ بحيرة تنجانيقة الذي تقع عليه مدينة
بوزمبورا . وسرنا على الطريق المحاذي للشاطئ والمؤدي
الى الكنفو حتى لم يبق لنا الا عدة كيلوات على الوصول
الى حدود الكنفو . وكنا نشاهد اكواخ الاهالي المبنية
من القش وقد تظامنت حتى كادت تغيب بين الحشائش

والاشجار الصغيرة . وعندما ترى احد الاهالي حافي
القدمين قد وضع على عورته وبعض صدره خرقا متسخة ،
فانك ترهب ذلك وتخشاه وتشفق على استقلال البلاد ،
صحيح ان هؤلاء قرويون وان هناك بعض الوطنيين ممن
ارتفع مستوى معيشتهم ولكنهم قلة قليلة جدا . وكانت
هذه مناسبة ليقول احد اصحابنا وهو يشير اليهم والى
مساكنهم انهم وقد مضى على حصولهم على الاستقلال
اكثر من اربع سنوات اسوأ اقتصاديا مما كانوا عليه
قبل ذلك بكثير .

ثم تحدث الينا صاحبنا العماني لمناسبة وجودنا
قرب ميناء (بوزمبورا) على شاطئ بحيرة تنجانيقة عن
الحقيية المفقودة فكرر ما رواه لنا احد الاشخاص العمانيين
انه منذ سنتين سرق من جمرك بوزمبورا مئتا
بالة من القماش زنة كل واحدة مئتا كيلو غراما ، ولكن
كيف يكون ذلك ؟ وكيف تسرق هذه القطع الثقيلة
الكبيرة ؟. لا شك ان السبب في ذلك ان جماعة كبيرة من
موظفي الجمرك قد اشتركوا في سرقتها لانه لا يمكن
اخفاؤها . ثم قال الشيخ علي بن محمد الطوقي
انه منذ شهرين فقط سرق من الجمرك ايضا ثمانون
بالة من القماش كانت مرسلة بطريق التجارة العابرة
(ترانزيت) الى بوكافو في الكنغو ثم قال : فاذا كانت هذه
الاشياء الكبيرة الحجم الثقيلة الوزن قد سرقت فما

بالك بحقية يمكن اخفاؤها بسهولة ؟ .
ثم جلسنا مع صاحبنا على شاطئ بحيرة تنجانيقة
على يميننا جبال الكنفو وعلى يسارنا مدينة بوزمبورا
ومن خلفها جبال بورندي ، والجو غائم والنسيم
عليل ، وقد توقف المطر لفترة قصيرة وكان قبل ذلك
يهطل طيلة النهار يذكر المرء بجو أوروبا في الصيف
لولا عدم البرد .

البهوت والاطوس :

يسكن بورندي ورواندا جنسان من الناس
احدهما يقال لهم الاطوس ، وهم طوال الاجسام شم
الانوف ، واسعو العيون يكادون يشبهون الصوماليين
وهم الاقلية في القطرين ولكنهم كانوا اصحاب الحكم
والصولجان ، ومنهم الوزراء والزعماء وقواد الجيش .
والجنس الثاني البهوت وهم قصار القامة فطس
الانوف ، يشبهون الى حد ما أهالي شرق الكنفو ، بل هم
يقولون انهم وأهالي شرق الكنفو من عنصر واحد وهم
الاكثرية في القطرين ولكنهم كانوا المحكومين في السابق ،
الا انهم ثاروا على الاطوس في رواندا بعد حصول
البلاد على الاستقلال وشردوا عشرات الالوف منهم
وعاملوهم بوحشية حتى مات بعضهم جوعا ولجأ بعضهم
الى بورندي المجاورة التي لا يزال يحكمها الاطوس .

يوم الاثنين ٢٤/٧/١٣٨٦ هـ .

٧/١١/١٩٦٦ م .

اللغة :

يتكلم المسلمون في بورندي اللغة السواحلية وليس لهم لغة غيرها ، ويتكلم معظم الاهالي لغة البورندي الى جانب معرفتهم بالسواحلية ، والحاصل ان اهالي البلاد عندما يتقابلون سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين فانما يتفاهمون بالسواحلية مما يؤكد اهمية السواحلية في شرق افريقية ووسطها ، وقد قيل لنا ان الحال كذلك في رواندا وشرق الكونغو وقد عانينا هنا صعوبة في اللغة حيث لا يعرف الناس من اللغات الاوروبية سوى الفرنسية لغة المستعمرين السابقين ونحن لا نعرفها .

الا ان وجود عدد من اخواتنا العرب العمانيين في بوزمبورا قد خفف علينا من ذلك . وتسمع الاذاعات العربية وخاصة اذاعات المملكة العربية السعودية ومصر والسودان واضحة في منطقة بوزمبورا سواء على الموجة المتوسطة ليلا او القصيرة نهارا .

اللباس :

اما اللباس فالمسلمون يلبسون لباس المسلمين

السواحليين في زنجبار وممباسة ودار السلام ، وهو اشبه ما يكون باللباس العربي القديم : قميص طويل يضرب الى الكعبين (جلاية) وفوقه صدري ، ثم على الرأس طاقة واذا احتاج المسلم الى ارتداء الزي الافرنجسي فانه يفعل ذلك ولكن لا بد من ان يلبس الطاقة لكي تكون علامة على انه مسلم . وهكذا كنا كثيرا ما نتعرف على المسلمين بسبب طواقيمهم .

اما لباس الاهالي من غير المسلمين فقد ذكرته سابقا ومن اغرب ما رأيت ان شخصين من اهل البادية بادية بورندي من الفقراء قد لبس كل منهما كيسا من الخيش فتح في اسفله شقا ادخل منه رأسه وفتح شقين آخرين اخرج منهما يديه فبدا للعيان وهو يلبس (الشوال) حتمية وليس موضة الشوال .

اما الطعام فأغلب طعام أهل البلاد هو (الموهوقو) وهو عبارة عن عصير من البطاطا بعد طبخه ومعالجته ، ويأكل بعضهم (الموتوكو) الموز المطبوخ كما قدمت ، وقد يأكلون شيئا يشبه الفاصوليا بعد طبخه ، وكل هذه المأكولات مما تنتجه بلادهم ويزرعونه بأيديهم ، أما خبز القمح والارز فغير معروف اصلا لعامتهم كطعام رئيسي عام ، وجو بلادهم يجعل الزراعة سهلة ميسورة لأن المزروعات جميعهما تشرب من ماء المطر ومشاريع الري

الزراعية تكاد تكون عندهم معدومة ، واذا تأخر المطر شح الطعام الى درجة ان بعض الناس يموتون جوعا أو يكادون وذلك لان الزراعة عندهم بدائية والاهالي على جهل عظيم بالزراعة الحديثة ، حتى ان المرء يأخذ العجب عندما يقارن بين هؤلاء القوم وبين جيرانهم الاوغنديين حيث يكون للافريقيين في اوغندا نصيب كبير في التجارة ولهم كل الزراعة الا ما ندر وهم أي الاوغنديون على حالة طيبة من اليسر والرخاء يغبطون عليها ، اما لباس العرب في بوزمبورا بل في كافة انحاء بورندي ورواندا وشرق الكونغو فهو اللباس العماني وهم بين الناس كالعلم الذي في رأسه نار لأن على رؤوسهم العمائم الكبيرة التي تميزهم عن غيرهم الى جانب كونهم يسكنون مع الافريقيين ويختلطون بهم كالزهرة الصفراء في الحقل الاخضر .

أما ابناؤهم فقد شوهتهم شمس افريقية حتى اصبحوا الحلقة التي لم تفقد بين العرب والافريقيين ، وحتى ان اكثرهم لا يعرفون من العربية الا كيف حالك ، وجوابها طيب ، ان لم يقولوا (مزورى) أي طيب بالسواحلية .

الخدم بالجان :

ليس هناك أزمة خدم في بوزمبورا بل في بلاد بورندي ورواندا جميعها فقل ان تجد شخصا من العرب

أو الاوروبيين الا ولديه جماعة من الخدم وقد سألنا عن السبب فعرفنا أن ذلك راجع الى رخص الاجرة ، ويكفي ان تعرف أن الخادم ولو كان رجلا بالغاً يمكنه ان ينفق في خدمتك من الفجر حتى الغسق بل والى ان تصرفه ولا يتقاضى عن ذلك الا ثلاثمائة فرنك في الشهر أي ما يساوي (١٥) ريالاً سعوديً بالصرف الرسمي . وقد وجدت عند الاخ الشيخ محمد الطوقي عدداً من الخدم الافريقيين الذين يحسنون الكتابة ويقيدون ما يستلمونه منه من البضائع في أول النهار ثم يقدمون كشف حساب بقيمة ما باعوه من البضائع وما تبقى منها لديهم ، فذكر انه يعطي الواحد منهم عشرين فرنكاً بورندياً في اليوم أي ريالاً سعودياً وربعا في السعر الرسمي مع انهم كما قلت لديهم خبرة في البيع والشراء والاخذ والعطاء وقيد القيمة واستلام الثمن ، ولهذا السبب تجد الخدم في بعض البيوت اكثر من عدد سكانها الاصليين ، وهم على طاعة عجيبة واتياد كامل لا يكاد السيد يشير اليهم حتى ينطلقوا كالسهم منفيدين أمره، ولو كان ذلك وقت المطر او اشتداد حرارة الشمس ، وقد قيل لنا ان الخدم كانوا في الماضي اقل اجورا منهم الآن .

الاجاب في بورندي :

كان اكثر الاجاب في بورندي قبل الاستقلال

الاوروبيين يليهم الآسيويون والاولون يشملون البلجيكين من الحكام واليونانيين من التجار وغيرهم. اما الآسيويون فهم الهنود والعرب وقد تناقص عدد الطوائف كلها من الاجانب ما عدا العرب ، فرحل البلجيكون الا القليل وكذلك فعل اكثر الهنود وعدد الموجودين من اليونانيين والهنود يتناقص كل يوم ، منذ اعلان الاستقلال حتى الآن .

يوم الاربعاء ١٣٨٦/ ٧/٢٦ هـ .

٩ / ١١ / ١٩٦٦ م .

العودة الى نيروبي :

بعد ان عجزنا عن الحصول على اذن بالدخول الى الكونغو من السفارة الكونغوية في بوزمبورا وعجزنا كذلك عن الحصول على سمة الدخول الى زامبية بسبب عدم وجود من يمثلها في بوزمبورا ، حولنا وجهتنا مرة اخرى كما فعلنا قبل سنتين الى نيروبي عاصمة كينية حيث سنحاول الوصول الى البلدين المذكورين (الكونغو وزامبية) من طريق اخرى .

وهكذا ركبنا طائرة شرق افريقية للطيران وحطت بنا في اتتية في أوغندا ، واجرى الموظفون فيها التفتيش على امتعتنا مع اتنا قاصدون لكينية ولكن البلدين

يشتركان في وحدة جمركية ، وبعد ان لبثنا ساعة كاملة في أتيبة ركبنا طائرة اخرى تابعة لشركة خطوط شرق افريقية للطيران قاصدين نيروبي وكانت المسافة بينهما ساعة وثلثا . وفي مطار نيروبي ذكر ضابط الجوازات وهو انكليزي أن سمة العودة التي توجد في جوازاتنا قد اصبحت لاغية لاننا غادرنا منطقة شرق افريقية التي تضم أوغندا وتنزانيا الى جانب كينيا ، وان القانون يجيز له ان يعيدنا من المطار ، الا انه بعد ان تحدثنا معه قليلا سمح لنا بالدخول وختم جوازاتنا ، وقد عرفنا بعد ذلك من أحد الموظفين العرب، ان ذلك الانكليزي هو رئيس جوازات المطار وانه ليس لاحد من الموظفين حق ادخال امثالنا ما عداه .

واسرعنا العودة الى فندقنا في نيروبي على امل مبارحتها بعد ذلك الى قطر افريقي آخر .

المسالمون في بورندي

تعتبر مدينة بوزمبورا العاصمة اكبر نقطة تجمع للمسلمين في مملكة بورندي ، ويقدر عدد المسلمين فيها بما يعادل ٢٠٪ من مجموع المسلمين في جميع انحاء مملكة بورندي . اما الباقي فهم متفرقون في انحاء المملكة. ويتكون السواد الاعظم من المسلمين هناك من الافريقيين الذين اسلموا على ايدي اهالي تنجانيقة من العرب والسواحليين . كما يليهم العرب من العمانيين الذين يكثرون هناك ويقدر عددهم في بوزمبورا العاصمة بمائتي عائلة ويعتقون جميعا المذهب الاباضي . ثم يليهم المسلمون من الهنود ، وهؤلاء هم اعلى المسلمين مستوى من الناحية المادية حيث يكون معظمهم من التجار او اصحاب الاملاك . اما العرب فان حالتهم المادية لا بأس بها ، واكثرهم يشتغلون بالتجارة وقليل منهم من يشتغل بالزراعة . اما المسلمون الافريقيون فانهم ضعيفون ماديا ولكنهم على كل حال احسن من السواد الاعظم من مواطنيهم الافريقيين غير المسلمين . ويشغل بعضهم بالتجارة ، وبعضهم في الزراعة .

ويقدر عدد المسلمين في جميع انحاء بورندي بخمسة وثمانين الفا ، وهم قلة ضئيلة بالنسبة الى مجموع عدد السكان الذي يبلغ حوالي مليوني نسمة ، واكثر السكان وثنيون ومن السهل نشر الاسلام بين الوثنيين في افريقية كما اثبتت التجارب ذلك .

عمل البعثة :

لقد قامت البعثة الى جانب الاتصالات الشخصية برؤساء المسلمين وزعمائهم بالقاء الخطب والعظات الدينية في المساجد وكان اكبر اجتماع للمسلمين في جامع بينزي في بوزمبورا حيث كانوا على علم بوصولنا ، وقد شرحنا لهم مهمة البعثة واهداف رحلتها وكان الحديث بالعربية ويقوم بترجمته الى اللغة السواحلية احد الاخوان البورنديين الذين يحسنون العربية ، كما قامت بتفقد المدارس والكتاتيب الاسلامية هناك وقدمت لها مساعدات مالية رمزية ، كما كانت تنتهز الفرصة فتصحح الاخطاء التي تكون قد علقت في اذهان بعض المسلمين عن الوضع الديني في المملكة السعودية شأنها في ذلك في كل بلد اسلامي حلته وكل ما اقتضت المناسبة ذلك ، كما تشرح الغرض من انشاء الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة وهو لتعليم ابناء العالم الاسلامي حتى اصبح فيها لغاية الآن طلاب ينتمون الى اكثر من ٦٠ جنسية .

ولم تتمكن البعثة من زيارة انحاء اخرى من مملكة بورندي بسبب ضيق الوقت من جهة وسبب كون السفر ممنوعا الى اية مدينة او ناحية في البلاد الا بتصريح خاص من الامن العام وذلك لظروف الثورة والاضطرابات التي تكشف البلاد من اكثر جهاتها في الكنفو ورواندا .

الدعوة الإسلامية في بورندي :

يصح القول بان المسلمين في بورندي حديثو العهد بالاسلام ويقل في الافريقيين من جده مسلم وانما المسلم من اسلم بنفسه او هو وابوه او ابوه فقط (١) ومع ذلك فان النشاط الاسلامي هناك وخاصة من الافريقيين لا بأس به على قلة الامكانيات وضعف مستوى التعليم وضحالة الثقافة الاسلامية والعربية .

وكثيرا ما يدخل افراد وطوائف من الافريقيين في الاسلام بسبب جهود المسلمين الافريقيين هناك . وقد ساعد الافريقيين على ذلك موقف الحكومة الحاضرة في بورندي حيث تقف من المسلمين موقفا وديا . وتمنح لهم ولكل داع الى الاسلام الحرية الكاملة ، وتفتح بلادها لكل لاجيء من رواندا او مناطق الاضطرابات في الكونغو وخاصة من العرب العمانيين هناك . كما انها تسمح بتخصيص فترة من الوقت في الاذاعة الحكومية في بوزمبورا للمسلمين مساء كل خميس لمدة نصف ساعة يذيعون فيها الارشاد الديني الاسلامي .

١ - ويقال ان اول مسلم دخل بورندي كان رجلا يدعى محمد ابن خلفان وهو عماني جاء تانجانيقا حوالي عام ١٨٦٠م واول مسجد بني في بورندي كان في عام ١٩٠٢ .

الجمعيات الاسلامية :

يوجد في بورندي ثلاث جمعيات اسلامية احداها (جمعية المسلمين السنيين) وهي وان كان اسمها عاما فانها تقتصر على المسلمين السنيين الهنود ويرأسها الشيخ ثار محمد سليمان وهو باكستاني الجنسية . ونطاق جهودها محدود بسبب قلة عدد اعضائها وضعف مواردها .

والثانية (الجمعية الاسلامية الافريقية) وتعرف اختصارا باسم (امبو) ويرأسها الشيخ جمعه بن بلال وهي تعنى بشؤون المسلمين الافريقيين وتجمع التبرعات لبناء المساجد وترميمها ولمساعدة الكتاتيب الاسلامية الافريقية ، ويمكن القول بان اكثر الافريقيين يثقون بهذه الجمعية . فهي بحق جديرة بالمساعدة والتعاضد وقد ذكر لنا رئيسها انهم كتبوا لبعض البلاد العربية يطلبون ارسال عدد من المرشدين والمدرسين لتبصير المسلمين وللتبشير بالدين الاسلامي ولكن لم يستجب لدعوتهم غير المملكة العربية السعودية .

والثالثة (جمعية الطلبة الافريقيين المسلمين) ويرأسها الحاج سعيد جمعه مهبي وقد سبق له ان ادى فريضة الحج واتصل بالرابطة الاسلامية طالبا تزويد بورندي بمرشدين ومدرسين ومساعدة الجمعية الاسلامية المذكورة كما كتب للجامعة الاسلامية في هذا السبيل

وهو شخصية محترمة ، ولوجوده على رأس الجمعية المذكورة له فائدة كبيرة لشخصيته القوية .

التعليم الاسلامي :

لا يوجد في بورندي تعليم اسلامي نظامي بالمعنى المعروف ولكن يوجد عدة مدارس وكتاتيب يتعلم فيها اطفال المسلمين اما كطلبة منتظمين واما كطلبة يحضرون في غير اوقات الدراسة في المدارس الحكومية النظامية اي بعد العصر وفي العطل الاسبوعية . ومع ذلك فتلك الكتاتيب الاسلامية لا تحظى بمساعدة تذكر ، لذلك فان مستواها من حيث البناء والتجهيز منخفض ومدرسوها قلة وتلاميذها معظمهم من الفقراء ما عدا الكتاتيب العربية حيث يكون مستوى المدرسة المادي اعلى من ذلك وحيث يكثر الطلبة في المدرسة بعد العصر ، وقد تفقدت البعثة الكتاتيب الآتية وقدمت لها مساعدات مادية كما خصصت لها عددا من الكتب والاجزاء القرآنية الكريمة .

النشاط المعادي للاسلام :

لا يوجد عداً مباشراً للاسلام ولكن توجد في بورندي حركة تبشيرية كبيرة حتى اصبح عدد المؤسسات التبشيرية في العاصمة بوزمبورا وحدها اكثر من (٢٠)

مؤسسة مع ان عدد سكانها لا يزيد على (٤٥) الفا ومن بين تلك المؤسسات المدارس الكبيرة التي تضم الاقسام الداخلية والمستشفيات الكاملة التجهيز ، وتبدو احدى هذه المؤسسات التبشيرية لكل امرئ يصل بوزمبورا وهي كلية لتخريج المعلمين على جبل مطل على العاصمة .

كما يوجد نشاط صهيوني كبير في الميدان التجاري ، ويملك اليهود عدة شركات ومحلات تجارية منها شركة لتصدير محصول البلاد من البن بعد طحن قسم منه وتعليه .

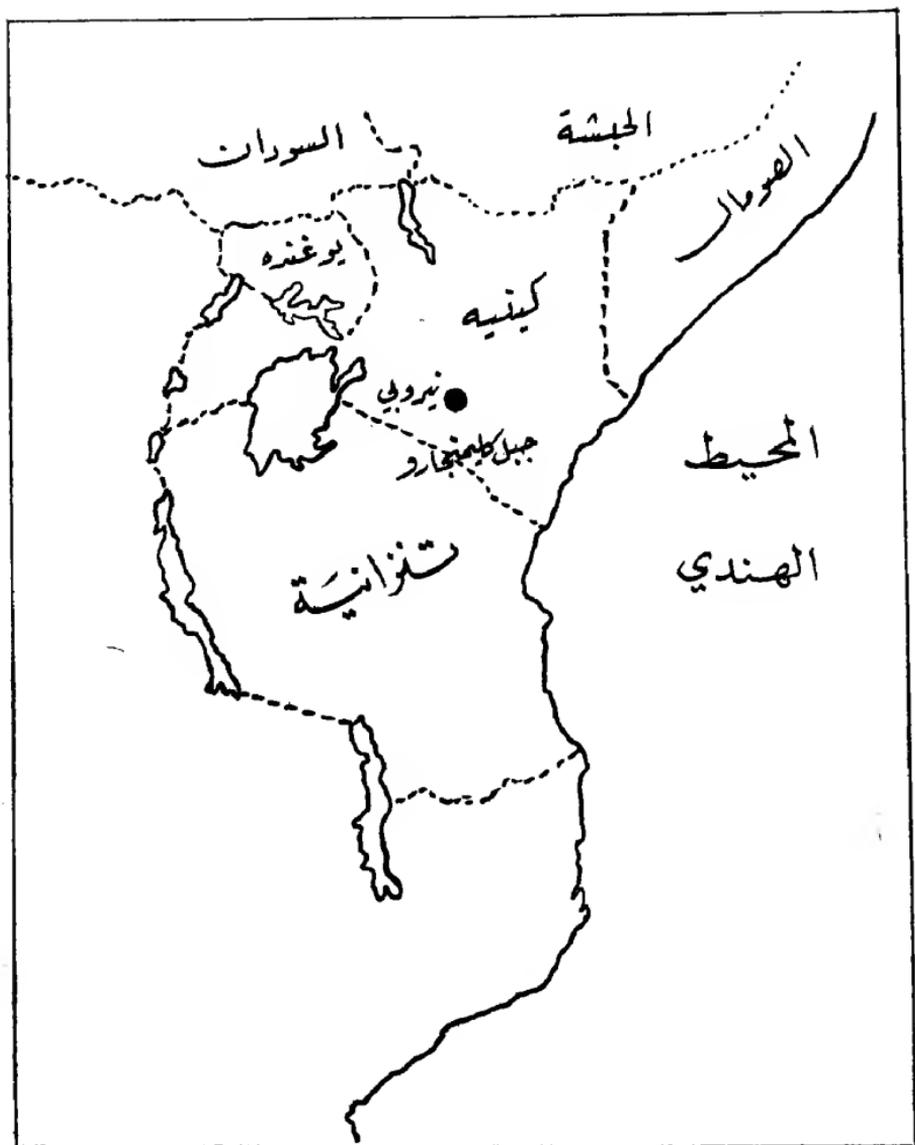
الاقتراحات :

اولا : فتح مركز اسلامي في العاصمة بوزمبورا يضم قاعة محاضرات ومدرسة لاعداد معلمي الدين الاسلامي واللغة العربية ويضم عددا من المرشدين لا يقل عن خمسة على ان يكون اولئك المدرسون ممن يعرفون الفرنسية او السواحلية اذ لا تكفي معرفة الانجليزية لعدم شيوعها هناك. على ان يزودوا بامكانيات مادية تكفي لتشجيع الدعوة ومساعدة الدعاة في بورندي وغيرها من البلدان المجاورة كأقليمي كيفو وأرينتال في الكونغو وجمهورية رواندا . ويكون بمجموعه بمثابة مركز انطلاق للدعوة الاسلامية في تلك الجهات .

ب - تخصيص عدد كاف من المنح الدراسية فسي

الجامعة الاسلامية وغيرها من المدارس الحكومية في
المملكة للطلبة المسلمين من بورندي والجهات المجاورة
لها حتى يعودوا الى بلادهم بعد ذلك مرشدين وموجهين.
ج - مواصلة ارسال المساعدات المادية العاجلة
للجمعيات والهيئات والكتاتيب الاسلامية ضمن المساعدات
المادية المطلوب ارسالها الى جهات شرقي افريقية .

في رودييه الشماليه (زامبييه)



يوم السبت ١٨/٦/١٣٨٤ هـ .

٢٤/١٠/١٩٦٤ م .

السفر الى روديسية الشمالية :

بكرنا في الخروج الى مطار نيروبي وكان الجو مطرا باردا في ذلك الوقت من النهار ، وقد لبثنا في المطار مدة تقرب من الساعة ، وفي تمام الساعة الثامنة الا ربعا صباحا غادرت طائرتنا مطار نيروبي وهي من طراز (فريندشيب) ذات محركين (طورينيين) تابعة لشركة طيران شرق افريقية وتتسع لاربعين مسافرا . وكان ملاحو الطائرة كلهم من الانكليز اما المضيفان فهما رجل حبشي الاصل يعرف قدرا من العربية ، وفتاة انكليزية وكانت الخدمة حسنة ، ولم يكن في الطائرة الا أقل من نصف مقاعدها مشغولا بالركاب ، وكلهم من الاوروبيين عدا هنديا واحدا وليس بينهم افريقي واحد .

جبل كليمنجارو :

وبعد ان مضى على مغادرتنا مطار نيروبي (٣٥) دقيقة جاء المضيف واخبرنا ان الطائرة سوف تمر في قمة جبل كليمنجارو الشهيرة ، وهي اعلى قمة في افريقية ويبلغ ارتفاعها اكثر من (١٧) الف قدم ، وقد تحولنا عن مقاعدنا الى الجانب الآخر من الطائرة فأخذنا نشاهد

الجبل العظيم وهو يرتفع شيئاً فشيئاً مع قرب الطائرة منه ، والسحاب يجلله صاعداً معه ، ثم يقف السحاب دون هامته العالية ، التي ازدانت بقلنسوة بيضاء من الثلج الدائم ، وهي تلمع في ضوء الشمس ، وقد شاهدنا الثلج ينضح منه الماء منحدرًا إلى سفح الجبل . وفي الهامة المستديرة المستوية تقع فوهة بركان واسعة باطنها يبدو لنا مظلمًا كأنما هي البئر المطوية في جوف الأرض في الصحراء .

انه لمنظر رائع جميل لا يحلم المرء برؤيته لأن معظم الطائرات كانت تمر به من بعد ، اما قائد طائرتنا فقد تعمد المرور بقربه ، والدوران حول قمته ، ثم انحرف إلى الخط المقرر بعد ان أمتع الركاب برؤيته .

وقد قدم المضيف للركاب شطائر من لحم الخنزير وقال لنا مقدما انها لحم خنزير ، وانا اعرف انكم مسلمون لا تأكلونه ، وسوف نعوضكم عن ذلك ، ثم احضرت المضيفة شيئاً من البسكوت وانواعاً اخرى من الحلوى .

والحقيقة ان تلك الطائرة طائرة الصداقة لها من اسمها نصيب ، فقد نشأ بين ركابها ما يشبه الصداقة عندما مررنا بجبل كليمنجارو وخرج بعض الاوروبيين عن تزمتهم واخذوا يشيرون الى بعض النقط التي تسترعي الانتباه في قمة جبل كليمنجارو ويوضحونها لنا .

هذا وقد مررنا بعد ذلك بعدد من الجبال الشاهقة والقمم المرتفعة وبعضها فوق مستوى السحاب الا انها ليست في روعة (كليمنجارو) ولا في سموه . وقد خفت كثافة السحب فاصبحنا نرى الارض من تحتنا جبلية قليلة الخضرة نسبيا ولا غرو فنحن الآن فوق ارض المراعي التي تقطنها قبائل الماساي الرعاة المشهورين .

وبعد ان امضينا ساعة وربعا واصبحنا نظير على ساحل المحيط الهندي ، اشار المضيف الى الافق الشمالي وقال هنا جزيرة زنجبار فرأيناها على البعد ولكننا لم نتبين من معالمها شيئا وبعد قليل لمحنا مدينة دار السلام وهي تقع في منطقة خضراء ولكنها ليست في كثافة خضرة اوغندا .

في مطار دار السلام :

هبطت بنا الطائرة بعد ان امضينا في الجو ساعتين الا ربعا في مطار دار السلام عاصمة تنجانيقة ، بل عاصمة جمهورية تنجانيقة وزنجبار المتحدة . وقد بدا المطار حقيرا بالنسبة الى مطار نيروبي ومتوسطا في الحقيقة ولكنه دون مطارات العواصم في شرقنا العربي بكثير . وقد امضينا فيه مدة نصف ساعة في قاعة المسافرين العابرين ، تناولنا المرطبات على حساب الشركة ثم عدنا .

الى الطائرة ثانية :

الطائرة نفسها ولكن طاقم ملاحيا ومضيفها قد تغير فقد استبدلوا المضيف الافريقي والمضيفة الانكليزية بفتى وفتاة من الانكليز وقد ركب من المسافرين بمقدار عدد الذين نزلوا تقريبا . ولم يكن في الطائرة من الافريقيين غير شخص واحد يبدو من هيئته ومن حقيته التي يحملها انه دبلوماسي . اما اكثر ركاب الطائرة فهم من الاوروبيين وفيها هنديان ونحن العرب الثلاثة .

وفور اقلاع الطائرة وزعت علينا المضيفة الانكليزية الاستثمارات التي يملؤها القادمون الى روديسية الشمالية مع ان هناك متسع من الوقت والرحلة تستغرق ثلاث ساعات ونصفا متواصلة ، كما اعلنت ذلك مضيفة الطائرة وقد تبينا السبب وهو طول تلك الاستثمارات ودقتها بل وتعقيدها وكثرة التعهدات التي يجب على القادم ان يوقع عليها ويتعهد بتنفيذها واكثرها اقرارات تتعلق بتبيان الاشياء التي لا ينبغي ان يجهلها المسافر ، والاشياء التي لا يجوز له ان يخرجها عند مغادرته لروديسية ، وعلى وجه العموم فهي اطول واصعب استثمارات رأيتها في حياتي .

وقد كان طيران الطائرة سَجَسَجاً رخاء لا نشاز فيه، وكانت خدمة المضيفين فيها طيبة ، وقد اصبحنا نرى ارض

القارة الافريقية من الطائرة ، هنا حمراء مشوبة بالسواد أي دهماء تتخللها وديان وأكمام حمراء اللون وتبدو بعض خطوط السيارات غير المعبدة شديدة الاحمرار ، وقد تكرر معنا موضوع اللحم فقد قدموا للركاب الغداء وسألنا المضيفة وهي تستعد لتقديمه عن اللحم فقالت انه لحم خنزير . فقلنا انا مسلمون ولا نأكل لحم الخنزير فقالت انني أعرف ذلك وسوف اقدم لكم لحم دجاج . كما انها قدمت بعد ذلك للركاب اقداحا من البيرة وقدمت لنا عصير البرتقال عوضا عنها .

وقد دام طيران الطائرة ثلاث ساعات ونصفا تمتعنا خلالها في اكثر الوقت بمنظر ارض القارة الافريقية الذي اخذ يتحول من مناظر الغابات والاشجار الكثيفة فوق الجبال التي لا تبعد كثيرا عن ساحل المحيط الهندي الى مناظر جبلية لا تكون الخضرة فيها كثيفة الا في الوديان .

وفي تمام الساعة الواحدة والنصف ظهرا وصلنا :

مطار اندولا :

وهو المطار الرئيسي في روديسية الشمالية ، اما العاصمة فهي (لوساكا) وتقع على بعد مئتي ميل من اندولا . ويبدو المطار صغيرا ولكنه نظيف ، وموظفوه

خليط من الانكليز والافريقيين الوطنيين ، ولكن الافريقيين يأتون في المرتبة الثانية أي يعملون في الوظائف الصغيرة .

وفي مكتب الجوازات في المطار تولى ختم جوازاتنا واوراق سفرنا موظف انكليزي في حوالي الثلاثين من عمره وكانت معاملته لنا غاية في اللطف والمجاملة .

وقد فزعنا حين رأينا شدة التفتيش في جمرك المطار فقد شاهدنا اثنين من الركاب وهما هنديان قد نزع الموظفون ملابسهما عدا القميص (والبنطلون) وفتشوها جميعا كما فتشوا جيوبهما وحقائبهما اليدوية. وقد توقعنا ان يكون الامر معنا اشد ونحن غرباء لم يسبق للموظفين ان نزل عندهم احد من بلادنا فيما نعرف ، فتقدم منا موظف افريقي ، وامرنا بملء بعض الاقرارات الجمركية بطريقة فظة جافة ، وبينما كنا نحاول ان نستفهم منه بعض النقط التي لم تتبينها في تلك الاقرارات تقدم منا موظف انكليزي اكبر منه وتكلم معنا بعبارات مجاملة ثم امر باخلاء سبيلنا وخروجنا من الجمرك بدون ان يفتحوا لنا حقيبة واحدة ، وبدون ان يسألونا عما في حقائبنا سواء الحقائب الكبيرة وحقائب اليد .

وهكذا خرجنا من المطار بدون صعوبة ، ونحن لا نكاد نصدق لان بعض مرافقينا في الطائرة لقوا عنتا

ومشقة وتركناهم وهم لا يزالون تحت التفتيش في جمر ك المطار . والظاهر ان للمفتشين الانكليز نظرة خاصة فيمن يزالون التهريب ، او يحاولون اخفاء شيء ممنوع .

اليوم عيد روديسية الشمالية :

عرفنا قبل ان نحضر الى روديسية الشمالية ان اليوم هو أول ايام الاحتفالات التي تقام في روديسية الشمالية بمناسبة الاستقلال وان اسمها سوف يتغير ابتداء من منتصف الليل فيصبح (زامية) . وقد رأينا الاعلام الجديدة منصوبة ومعالم الزينة التي كان اظهرها مد الخيوط التي علقت فيها خرق صغيرة رمزا لاطهار الزينة والفرح بالاستقلال ، كما ألصقت صور الزعيم الوطني الافريقي (كس خوندا) رئيس اول وزارة افريقية في روديسية الشمالية ، وقد اخبرنا ان الاعمال قد عطلت لمدة ثلاثة أيام بهذه المناسبة .

لقد ركبنا سيارة الاوتوبيس التابعة لشركة الطيران التي قدمنا معها ومع ذلك فقد اخذوا منا اجرة الركوب وقدرها (خمسة شلنات) كما هي الحال في نيروبي . وتبلغ المسافة بين المطار وقلب مدينة اندولا (سبعة اكيال) .

في اندولا :

كنا سألنا هنديا كان معنا بالطائرة عن فندق مناسب لنا في اندولا فذكر لنا فندقا يسمى (سافوي) ولما وصلنا اليه وانزلنا امتعتنا من سيارة الشركة ، لم نجد غير خادم افريقي قال : ان المديرة ستأتي بعد قليل ، ثم اقبلت المديرة واذا بها عجوز اوروية اظنها يونانية الاصل ، فذكرنا لها اننا نريد غرفة من ثلاثة اسرة ، فقالت : انه لا توجد لديهم غرف من هذا النوع خالية ولا يوجد الا غرف خاصة ، ومع ذلك فأجبراة الغرفة الواحدة ثلاثة جنيهات استرلينية مع الاكل . فطلبنا منها ان تدلنا على فندق مناسب فأمرت احد خدامها بادخال امتعتنا الى مستودع الفندق ثم ارسلت معنا خادما آخر الى فندق يبعد حوالي (ستمائة متر) . وبعد ان ارانا الخادم الفندق من بعيد نكص على عقبه ، وهذا الفندق هو (فندق فيكتوريا) وصاحبه اوروبي انكليزي الاصل من مواليد جنوب افريقية يسمى (كلين كلزر) وقد جاء الى روديسية للعمل ، وبينما كان يحدثنا عن فندقه قال : ان الجو حار وفهمنا من ذلك أنه يريد ان يدخل من هذه العبارة السى معرفة البلاد التي نتمي اليها بدون ان يسألنا سؤالا مباشرا خاليا من الذوق في عرف الاوروبيين ، لذلك

اجبته قائلا : ان الجو حار، ولكن نحن معتادون على
الحر في بلادنا ، فقال : أي بلاد هي ؟ فقلت انها المملكة
العربية السعودية ، فقال بلاد العرب ؟ ان زوجتي قد
ولدت في بلاد العرب ، لقد كانت ولادتها في القاهرة واهلها
من الانكليز الذين تركوا مصر ليعيشوا في جنوب
افريقية ، وهنا اقبلت زوجته فعرفها بنا وقالت انها لا
تعرف شيئا من العربية لانها تركت القاهرة وهي
صغيرة السن .

ثم ذهب معنا بسيارته الخاصة التي يقودها بنفسه
وحمل امتعتنا من مستودع فندق سافوي ، وقد استأجرنا
غرفة واسعة فيها ثلاثة اسرة وحمام خاص بأربعة جنهات
استرلينية ونصف . وهذا الفندق اي فندق فيكتوريا
يعتبر من ارحص الفنادق وهو طابق واحد وملحق
به مقهى ومطعم وجميع نزلاته من الاوروبيين ، وهو
نظيف جدا ، وقد سألنا صاحب الفندق عما اذا كان قد
نزل عنده احد من العرب قبلنا ؟ فأجاب بالنفي .

وقد نزلنا في هذا الفندق الاوروبي مضطرين اذ لا
توجد فنادق للمسلمين بل لا توجد فنادق للاسيويين اصلا،
اما الافريقيون فما رأينا في جميع البلاد التي مررنا
بها فندقا يديره افريقيون الا في السودان والحبشة .

جولة في اندولا :

خرجنا بعد ان استرحنا قليلا في الفندق الى جولة في اندولا فبدت لنا البلدة اشبه بضاحية من ضواحي مدينة كبيرة منها ببلدة مستقلة والجو فيها حار خلاف ما عليه الحال في البلدان الاستوائية التي مررنا بها ولا غرو فهذه البلاد تقع تحت خط عرض (١٢) درجة جنوب خط الاستواء الا ان وقوعها في داخل القارة وارتفاعها عن سطح البحر جعل جوها اقل حرا مما كنا نتوقع . وكانت حوانيت المدينة ومتاجرها ومقاهيها جميعا مغلقة وهي تبدو ساكنة سكون الاموات ، وذلك بمناسبة الاحتفال باستقلال البلاد ، ولا يشاهد المرء الا مرور بعض سيارات الاوروبيين الذين لم يشاركوا الافريقيين فرحهم بالاستقلال بطبيعة الحال .

وقد قابلنا شابان افريقيان متعلمان وقالا ببساطة الافريقيين : من اين اتيتم ايها السادة ؟ فقلنا : من المملكة العربية السعودية فقالا : بلاد البترول ؟ فاجبناهما : نعم ، انه يوجد بترول في بلادنا والله الحمد ، ولكن يوجد ايضا اشياء كثيرة في بلادنا اهم من البترول ، ثم قالوا : لاي غرض جئتما ؟ فقلنا : لغرض السياحة ، فقالوا : لا شك انكم من رجال الدين وتحبون ان تزوروا بعض الكنائس وهنا كنائس كثيرة فقلنا : اتنا مسلمون ولسنا

مسيحيين ، فتهللت وجوههما وقال احدهما : انتي مسيحي ولكنني احب الاسلام ولم اجد من يحدثني عنه ، وقال الثاني : نعم ، اتنا لا نعرف شيئا عن الاسلام ، ونحسب نريد ان نعرف عنه كل شيء فقلنا اتنا مستعدون لشرح كل ما تريدان معرفته عن الاسلام واذا احببتما ان نعود الى الفندق فنجلس معكما فيه لهذا الغرض ، فوعدا بانهما سوف يحضران الينا في الفندق فيما بعد ، ولم نرهما بعد ذلك .

وهنا تبرز لنا مرة ثانية حقيقة مرّة لسناها في اكثر البلدان الافريقية التي زرناها وهي : عدم وجود الدعاة الى الله وجهل كثير من المسلمين بالاسلام مع استعداد الافريقيين بفطرتهم لاعتناق الدين الاسلامي اذا وجدوا دعاة صالحين إليه لانه دين الفطرة .

ثم واصلنا تجوالنا في مدينة أندولا فمررنا بطريق الصدفة برجل هندي فنادانا قائلاً : السلام عليكم ، وقد علمنا بعد ذلك انه مسلم فطلبنا منه ان يدلنا على مسجد في هذا الجانب من مدينة اندولا فقال : انه لا يوجد مسجد هنا ، وانما يوجد مكان يصلي فيه المسلمون يوم الجمعة فقصدنا ذلك المكان فوجدناه اشبه بغرفة متوسطة ليس فيها محراب ولا منارة تتسع لثلاثين مصلياً قد تبرع بها مسلم هندي من بيته المجاور لها ، وقد اتصلنا بصاحب البيت الذي هس لنا وبش ، وقد عرفنا من الرجلين

انهما من عامة المسلمين فاخذنا منهما عناوين كبار المسلمين الموجودين في هذه البلاد ، واتفقنا على اللقاء غدا ، ثم عدنا الى الفندق .

وتلك طريقة اتبعناها في رحلاتنا ووجدناها مفيدة وعملية وهي اننا اذا وصلنا الى بلد ولم نعرف عنوان احد من المسلمين فيه ، ذهبنا نسأل عن المسجد فيها، والى جانب الصلاة فيه وموعظة اهله نعرف عن طريق امامه والمصلين فيه عناوين كبار المسلمين واماكن اقامتهم في ذلك البلد .

يوم الاحد ١٩/٦/ ١٣٨٤ هـ .

٢٥/١٠/ ١٩٦٤ م .

انها زامبية :

اصبح استقلال روديسية الشمالية حقيقيا منذ الليلة البارحة واصبح اسمها الجديد (زامبية) بدل اسمها القديم (روديسية الشمالية) .

وقد سمعت البارحة ليلا احد الاوروبيين الذين يسكنون في فندقنا وهو يذرع حديقة الفندق بين مقاعد زملائه الاوروبيين ويردد - موجه الكلام اليهم - : انها زامبية ! ان كلمات ذلك الاوروبي تعكس القلق الذي

يساور الاوروبيين على مستقبلهم في هذه البلاد التي لم يكونوا يظنون انهم سيتركونها في يوم من الأيام لانها - في زعمهم - جزء من ممتلكاتهم ، ولان اهلها من الوطنيين الافريقيين ليسوا بقادرين على ان يرغموهم على تركها اذا ما رأوا ان مصلحتهم تقتضي ذلك .

مع زعماء المسلمين :

علمنا ان المسلم الهندي الذي لقيناه امس قد اخبر بنا بعض كبار الهنود المسلمين هنا فزارنا بعضهم في الفندق وذهبنا الى بيت احدهم ويدعى (رفيع برهاني) وفي بيته قابلنا عمًا له شيخا جاء من باكستان لزيارته ، وقد فرح القوم للقائنا ورحبوا بنا ، وقال عمه في حديث طويل، يستحشا على وجوب السعي في تبليغ الدين الاسلامي والقيام بالدعوة الى الله : اني ارى أن الاتصال بالمسلمين في افريقية ومساعدتهم على الاحتفاظ بدينهم وبخاصة بين الناشئة منهم ، ان ذلك واجب على جميع المسلمين ، لا يستثنى منه فرد دون آخر ، وان بلادكم المملكة العربية السعودية بصفتها مهبط الوحي ومنبع الدين الاسلامي ، يقع عليها اكبر العبء في هذا الواجب ، ثم قال والدمع ينساب من عينيه : انني شاهدت منذ ايام بعض ابناء المسلمين وهم لا يعرفون حتى انهم

مسلمون لانهم لم يجدوا من يشرح لهم الاسلام ، ولم يجدوا مدارس اسلامية فدخلوا وهم صفار مدارس المبشرين فنصروهم ! ثم قال : تصوروا كيف يكون حزنكم وحزن المسلمين اذا سمعتم اسم احدهم (هنري محمد) أو (جيمس علي) !. ثم استمر ذلك الشيخ الهندي الغيور في بث شجونه التي احزنتنا وآلمتنا لانها هي شجون المسلمين جميعا . وقد شرحنا له اهتمام المملكة العربية السعودية ملكا وشعبا في اقامة اوثق الروابط واقوى العلاقات مع المسلمين في شتى اقطارهم وامصارهم عامة ، وفي افريقية خاصة وقلنا له : ان مجيئنا هنا ليس الا مظهرا من مظاهر ذلك الاهتمام المتزايد فاننا لم تقدم الى افريقية لغرض سياسي او تجاري أو أي غرض آخر غير الاطلاع على احوال المسلمين والبحث عن الطريقة التي يمكن بها مساعدتهم والاخذ بيدهم الى ما فيه رفع شأن الاسلام والمسلمين ، وذلك في حدود الطاقات المتيسرة والامكانيات المتاحة .

ثم ذهبنا مع زعماء المسلمين الى بناية مدرسة اسلامية فألفيناها جميلة نظيفة بنيت على احدث طراز واجمله ، وقال لنا بعض المسلمين من الهنود اننا قد انتهينا من بناء هذه المدرسة منذ حوالي سنتين ومع ذلك فهي مغلقة حتى الآن لعدم وجود مدرس ! وهي تقع في حي (كينيي) من اندولا .

في الحي الافريقي :

ثم ذهبنا بعد ذلك بالسيارة الى الحي الافريقي من اندولا ويقع على مسافة ثلاثة اميال الى الشرق من فندقنا الذي نسكن فيه والذي يقع في قلب الحي الاوروبي من المدينة ، وذلك لزيارة الجمعية الاسلامية الافريقية في اندولا والمسجد الجامع الوحيد الموجود هناك ، وقد قابلنا رئيس الجمعية وسكرتيرها وبعض اعضائها وامام المسجد الجامع كما دخلنا المسجد فوجدناه نظيفا واسعا يتسع لحوالي ثلاثمائة مصل أو اكثر من ذلك قليلا ، كما ان فيه ركنا قد خصص للنساء ولكن المسجد فقير جدا بفرشه اذ لم يفرش منه الا قسم قليل ، وقد فرش ببطانيات الصوف التي صنعتها النساء المسلمات بأيديهن اما الباقي فهو بلاط اقرع ، كما انه لا توجد في المسجد منارة ولا دورة مياه للوضوء ، وهم يحاولون الآن ان يجمعوا مبالغ من المال لهذا الغرض ويعتبرونه اهم من الفراش كما يريدون بناء غرفة للامام وغرفة للمؤذن وغرفة لتعليم ابنائهم القرآن تكون جميعها بجانب المسجد وقد خصصوا لها ارضا بجانب المسجد وقد علمنا منهم ومن المسلمين الهنود ان بناء هذا المسجد قد تم بطريقة مؤثرة ، وذلك ان بعض المسلمين تقدموا الى الحكومة الاوروبية التي كانت تحكم

روديسية الشمالية وطلبوا تسجيل جمعية لهم باسم
 جمعية انشاء جامع اندولا كما طلبوا من الحكومة
 منحهم قطعة ارض بالمجان ليقموا عليها المسجد والمنشآت
 التابعة له اسوة بالمعابد المسيحية ، فمنحتهم الحكومة
 الترخيص واعطتهم الارض وكونوا منهم لجانا تطوف البلاد
 وتجمع من المسلمين واغلبهم فقراء يعيشون اما على
 الزراعة البسيطة او على العمل في مناجم النحاس في
 روديسية واخذوا يجمعون بالشلن ونصف الشلن حتى
 جمعوا خمسة آلاف جنيه استرليني وهي كافية لشراء
 ما يحتاجه المسجد من الحديد والاسمنت والحديد
 اللازم للسقف ، ثم طلبوا من مهندس انكليزي ان
 يشرف على اقامة البناء . اما العمال فقد استنفروا جماعتهم
 من المسلمين الافريقيين لهذا الغرض فكان كل من
 وجد فسحة من الوقت يأتي ومعه من يستطيع العمل
 من عائلته فيحملون الاسمنت ويحفرون في الارض ،
 ويعاون النساء الرجال في هذا الشأن حتى طلبة المدارس
 عندما يخرجون من مدارسهم وحتى العمال الذين يخرجون
 من العمل في المناجم ويعودون الى اهلهم كأنما خرجوا
 من القبور يبادرون فيعملون في المسجد ! . قالوا :
 وعندما رأى المهندس الانكليزي اخلاصهم وتفانيهم في
 بناء المسجد تأثر من ذلك واعلن انه قد تنازل عن
 اجرته وانه سيتبرع بعمله فيه .

انها لطريقة مؤثرة حقا هذا مع فقرهم وانحطاط
مستواهم المادي ذاك الفقر والانحطاط اللذان يشملان
جميع الافريقيين في هذه البلاد وليسا خاصين بالمسلمين
منهم .

لقد بنوا المسجد بالاسمنت المسلح وسقفوه
بالصاج سقفا مسنما شأن جميع المنازل هنا اذ لا توجد
السقوف المسطحة اصلا .

اما منازل الافريقيين في هذا الحي فهي مبنية
بالطين ومسقفة بالصاج وقد تكون منازل الفقراء منهم
مبنية بالقش ومسقفة ايضا بالقش على شكل هرمي .

والافريقيون هنا من الباتو او من الجنس الزنجي
الفاحم اللون .

ويبلغ سكان مقاطعة اندولا بما في ذلك المدينة
وضواحيها حوالي مئة وسبعة واربعين الفا منهم (١٢)
الفا من الاوروبيين وحوالي ألفين من الهنود ، والباقون
من الافريقيين . ومعظم المسلمين من الافريقيين يليهم
الهنود كما توجد امرأة اوروبية مسلمة واحدة .

جمعية المسلمين الهنود :

حضر الينا في الفندق نائب رئيس الجمعية الاسلامية
ويدعى السيد رفيع برهاني وطلب ان يجتمع كبار المسلمين في

اندولا بعد العصر وأن تلقي فيهم كلمة ، وقد اجتمعنا في الساعة الرابعة بعد الظهر والقيت فيهم كلمة بالانكليزية لانه ليس فيهم من يفهم العربية .

وقد كان مدار الحديث عن حالة الاسلام والمسلمين في هذه البلاد ، وقد شكوا من الشكوى من أنه لا يوجد من يعلم اولادهم امور دينهم ، وانهم يخشون على اولادهم من الضياع الديني كما ارونا خارطة لبناء مسجد جامع يزعمون انشاءه بجانب المدرسة التي ذكرنا سابقا انهم اتموا بناءها ولكنها خاوية خالية لعدم وجود مدرس! وقد ذكروا ان المسجد يحتاج الى (٤٠٠) جنيه استرليني جمعوا منها حتى الآن في البنك (١٥٠) جنيه فوعدناهم بتقديم مبلغ من المال باسم الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة .

لا عربية في اندولا . .

قلت ان الحديث كان بالانكليزية ، وذلك لانه لا يوجد من يحسن العربية من المسلمين في اندولا حتى أئمة المساجد لا يعرفون من العربية شيئا وكنا نضطر الى الحديث مع المثقفين الهنود بالانكليزية فيترجمونه بالسواحلية او الاردية او احدى اللغات الوطنية هنا ولولا اننا نعرف قليلا من الانكليزية لما استطعنا ان نعمل شيئا

ولا ان تتفاهم مع احد . ونذكر ان الانكليزية هنا هي اللغة الاولى ويليها عدة لغات ليست شاملة واهمها لغة تدعى (يامبا) ولذلك يظن ان الانكليزية ستحافظ على اهميتها بعد رحيل الانكليز كما هي الحال في الهند ، ونظرا لاهمية الانكليزية فان المسلمين هنا يقولون انه لا بد للمبلغ أو المعلم الذي يحضر اليهم من ان يكون عارفا بالانكليزية لانها اللغة الشائعة بين الجميع هنا . ومما يذكر ان بعض الحاضرين هنا من المسلمين الهنود ذكر ابياتا ابتهالية باللغة العربية كان يحفظها في صغره ولا يعرف معناها وقال : ان هذه فرصة قلما تسنح وطلب مني ترجمة تلك الايات ، وهكذا فان اكثرهم وان حفظ شيئا من القرآن الكريم او الحديث النبوي او الادعية الاسلامية فانه لا يعرف معناه وبالتالي لا يمكن ان يعلمه لغيره او ينتفع به من لا يعرف الاسلام .

يوم الاثنين ٢٠/٦/١٣٨٤ هـ .

٢٦/١٠/١٩٦٤ م .

سلطنة اسلامية :

عرفنا - متأخرين - اتنا في بعض اجزاء اندولا نستظل بظل سلطنة اسلامية على رأسها السلطان (محمد

شوالا) ويقال ان اجداد هذا السلطان من العرب الذين
اختلفوا بالافريقيين فاصبحوا على مر العصور لا يختلفون
عنهم في المظهر والعادات .

ويقولون انه عندما دخل الانكليز الى تلك البلاد
كان في اندولا سلطان مسلم فأقره الانكليز على سلطنته
وعقدوا معه معاهدة حماية وضموا الى المنطقة مناطق
اخرى سموها مستعمرة وجعلوا الجميع تحت ادارتهم
المباشرة ، وقد بقيت سلالة ذلك السلطان تتوارث السلطنة
الاسمية في ظل الانكليز ، حتى كان آخرها الآن صيبا
في الثالثة عشرة من عمره حاولنا ان نجتمع به ، ولكن
قيل لنا : انه ليس له تصرف في نفسه وانما يسيطر عليه
بعض اقاربه الذين لا يهتمون بالشؤون الاسلامية مع
انه من المعتقد ان تلك السلطنة في طريقها الى الزوال
لانهما ستذوب في جمهورية زامبية الافريقية . ولا يبقى
لها حتى ولا الاسم .

هذا وقد قمنا بجولة بالسيارة في المنطقة التي
تحيط بمدينة اندولا وشاهدنا بحيرة هناك صغيرة تشرب
منها البلدة بعد تصفية مائها وتنقيته ، وقد رأينا معظم
الحشائش في هذه المنطقة جافة هامدة ، عدا الاشجار
الكبيرة والحدائق التي تروى بخراطيم المياه كما هي
الحال في بلادنا وذلك لان هذا الفصل في روديسية

الشمالية فصل الجفاف ، ويقولون ان فصل الامطار يبدأ من منتصف شهر نوفمبر ولمدة عدة اشهر خلاف ما عليه الحال في المناطق الاستوائية التي لا تحتاج الحدائق فيها الى الاستعداد للسقي بسبب كثرة الامطار

ويذكر ان الزراعة هنا متأخرة جدا لان البلاد تعتمد على الثروة المعدنية ، واكبر مظهر لذلك انه لا يوجد في البلاد اي نوع من انواع الفاكهة المعروفة ولا تقدم المطاعم فاكهة اصلا ، وقيل ان بعض الاشخاص يستوردون الفاكهة من اتحاد جنوبي افريقية ، لأن الجو هناك معتدل صالح لنمو كافة انواع الفاكهة .

وقد اعجبنا بنظافة (الفيلات) واتساع المساحات التي تحيط بها في ضواحي المدينة ، واكثر تلك الفيلات ليس لحدائقها وافئتها حواجز من الخارج مما يدل على توفر الامن في البلاد . وجميع الفيلات الجميلة يملكها الاوروبيون والآسيويون اما الافريقيون فنادر او أندر من النادر ان يملكوا منزلا جميلا في اندولا .

في مدينة لوانشا :

قمنا في الساعة الرابعة بعد الظهر بزيارة مدينة لوانشا التي تبعد حوالي (٣٧) كيلو مترا الى الجنوب من مدينة اندولا وذلك لزيارة المسجد الذي بنته شركة معادن

النحاس للعمال المسلمين الذي يعملون في تعدين
النحاس هناك .

وقد سرنا اليها في طريق اسفلتي جميل تتفرع منه
طرق اخرى الى معادن اخرى للنحاس في غير مدينة
لوانشا . وتبدو المنطقة ريفية جميلة ، الا أنها غير
كثيفة الاشجار ، وكنا ونحن نسير في روديسية
الشمالية كأننا نسير في الشرق الاوسط .

وقد وصلنا المدينة المذكورة وهي نظيفة الشوارع
جميلة الحدائق ، تنتشر في حدائقها الزهور المنوعة
البديعة ، وتتكون منازلها من فيلات تكاد تكون اجمل
من اندولا المدينة الرئيسية في هذه المقاطعة .

مسجد لوانشا :

ذهبنا لرؤية المسجد الذي بنته شركة تعدين
النحاس في لوانشا للعمال المسلمين ، وهو يقع في احد احياء
العمال هناك خارج المدينة الرئيسية بين
بيوت العمال الصغيرة التي بنتها الشركة ، وهو متوسط
البناء بل يكاد يكون رديء البنيان ، كما أنه
متوسط السعة ايضا ، وهو مبني بالاسمنت المسلح
ومستقف بالصاج ومفروش جزء منه بالبطنيات ، اما باقيه
فهو أملس لا فراش فيه .

وفي مؤخرة المسجد اقيم جدار من لبن الاسمنت يرتفع اعلى من قامة الرجل بقليل وجعل فيه صف من الكوى الصغيرة ، وذلك ليصلي وراءه النساء المسلمات ويسمعن من خلال الكوى التكبير والتحميد .

والحقيقة ان مظهر هذا المسجد لا يليق ابدا بالاسلام لا سيما عند مقارنته بالكنائس المسيحية ولقد شعرت وانا اطوف ارجاء المسجد بالأسف والأسى يحز في نفسي وقلت : ما قيمة المال اذا كان المرء لا ينفق منه في سبيل الله وعلى نفع اخوانه المسلمين واظهارهم بالمظهر اللائق بهم بين الامم ؟ ولقد عزمنا على تقديم بعض المساعدة المادية الممكنة لذلك المسجد وامثاله من المؤسسات الاسلامية في هذه البلاد كما عزمنا على بسط الامر للمسؤولين في بلادنا رجاء ان تتاح لنا فرصة تقديم مساعدة اكبر في رحلة اخرى في المستقبل ان شاء الله ، اما اخواننا المسلمون الذين يصلون في المسجد المذكور فانتني لن انسى ما حييت علامات الشعور بالغبطة والنشوة التي علت وجوههم لرؤيتنا نحن اخوانهم المسلمين الذين جاؤوا من بلاد بعيدة لا لشيء الا لكي يتعرفوا عليهم ويتبادلوا الآراء معهم .

لقد قضينا امسية جميلة في ذلك الحي الافريقي من مدينة لوانشا ونحن نتمتع بالهواء الجاف الذي

يشبه هواء بلادنا في عشيات ايام فصل الصيف ولم يكدر صفو تلك الامسية الجميلة الا ما شعرنا به من الاسف لحالة المسلمين هنا .

في مناجم النحاس :

يقال ان روديسية الشمالية تصدر من النحاس (٣٣٪) مما يستهلكه العالم وتشارك باقي الدول بالنسبة المئوية الباقية ، وفي كل من ساعات الليل والنهار يغادر روديسية الشمالية قطار محمل بالنحاس الى (موزنيق) حيث يصدر من هناك الى كافة انحاء العالم ، ولذلك فان روديسية تعد بحق ارض النحاس .

ولم نشأ ان تترك مدينة لوانشا التي قامت على صناعة تعدين النحاس بدون ان نشاهد شيئا من تلك الصناعة ، وكان الوقت متأخرا اذ لم يبق على غروب الشمس اكثر من نصف ساعة ، ولم يكن بالامكان نزولنا الى المدينة القابعة تحت الارض ، كنا نرى افواج العمال الذين انتهت اعمالهم يخرجون منها وهم يجرون ارجلهم من الاعياء . وقد اكتفينا برؤية الصف الهائل من حجر النحاس الذي يخرج من جوف الارض الى معامل صهر النحاس وتنقيته تحمله جنازير من الحديد في سلسلة متصلة الحلقات لا ينقطع دورانها ليلا ولا نهارا ، كل ذلك بطريقة آلية لا ترى معها عاملا او حتى مراقبا .

وقد قربنا من مصنع صهر النحاس الهائل ورأينا من بعد النار تتأجج في جوفه وترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر . ولكن مراقبة المصنع من بعيد لم تشف غليلنا فذهب احد الاخوان الهنود ممن يسكنون في مدينة لوانشا الى المهندس الكبير المسؤول عن ادارة المصنع ، وكلمه بأن يأذن لنا بزيارة المصنع ويرسل معنا دليلا فأجاب المهندس وهو اوروبي ابوه فرنسي وامه انكليزية بأنه مستعد بأن يأذن لنا ويصحبنا بنفسه في ارجاء المصنع .

وكان اول ما فعله ان طلب منا ارتداء اغطية حديدية للرأس تشبه الخوذات الحربية ، وقال : انها تقى الرأس مما قد يسقط عليه من حجارة او نحوها . ثم طاف بنا جميع انحاء المصنع الذي لا اجد له اسما يليق بحقيقته فكلمة (المصنع) حقيرة بالنسبة اليه . وقد استغرق تجوالنا فيه اكثر من الساعة وذلك المهندس الاوروبي البارع يشرح لنا بالتفصيل جميع مراحل العمل ابتداء من دخول حجارة النحاس الى المصنع حتى انتهاء صهره ثم سبكه في صفائح ضخمة تزن الواحدة منها نصف طن كما أخبرنا بذلك وشاهدناه بأنفسنا .

وكان هدير الآلات الهائلة ومنظر النيران المتأججة ، وارتفاع درجة الحرارة داخل المصنع وفي ممراته وردهاته ، وقلة الهواء النقي مما لا يكاد يحتمله المرء الذي يدخل

اليه لأول مرة . واعظم ما شاهدنا فيه القرن الضخم الذي تبلغ درجة الحرارة داخله (١٣٧٠) درجة مئوية أي انه اشد حرارة من درجة غليان الماء بثلاثة عشر ضعفا ونصفا وقد فهمت من المهندس المذكور ان المصنع ينتج في الساعة الواحدة (٦٧) طنا من النحاس الذي يحيله من حجارة لا تكاد تفرق بينها وبين الحجارة العادية - على البعد - الى نحاس خالص ويستمر العمل فيه طيلة الاربع والعشرين ساعة بدون انقطاع دولاب العمل فيه لحظة واحدة . وبعد ان كتبنا اسماءنا وعناويننا عند المهندس المذكور واعطانا اسمه وعنوانه شكرناه لما تجشم من التعب في سبيل الشرح والايضاح ، وكان قد استفسرنا قبل ذلك عن معنى بعض الكلمات بالعريية مثل كلمة (ماء) وكلمة (نحاس) وقد خرجنا من المصنع معجبين باتساع صدر ذلك الرجل الاوروبي وبخبرة وشجاعة الرجال الذين اقاموا هذا المصنع الهائل ..

وكان الوقت بين المغرب والعشاء ، والجو صافيا والنجوم لامعة فجعلت ابحت عن النجوم الشهيرة التي كنا نراها في بلادنا مثل الجدي والفرقدين وبنات نعش فلم اجد لشيء منها اثرا فهي لا ترى هنا في هذا الركن من النصف الجنوبي للكرة الارضية . وبعض النجوم قد تغير مكانها من السماء في رأي العين كالنسر الطائر والنسر الواقع والمكتف ، وكنا نراها في بلادنا فوق

الرأس عندنا تتوسط ، قد اصبحت الآن مائلة كثيرا الى
الشمال .

يوم الثلاثاء ١٣٨٤/٦/٢١ هـ .
١٩٦٤/١٠/٢٧ م .

دخلنا هذا الصباح مصرفين من مصارف اندولا
فاستغربنا كون جميع الموظفين فيهما من الاوروبيين
ولم أر الا موظفا افريقيا واحدا في كل مصرف مع ان
كثيرا من الموظفين الاوروبيين من الفتيان والفتيات
صغار السن وهم يشغلون وظائف صغيرة لا شك ان في
الافريقيين من يحسنونها ولكن الافريقيين هنا في مؤخرة
الصفوف دائما ومعظم الاوروبيين بل وكثير منهم جاؤوا من
جنوب افريقية ، حيث يوجد التمييز العنصري ويحتقر
الافريقيون وحيث يتولى الاوروبيون تصريف جميع
الشؤون الهامة في البلاد بمفردهم ، ولكن لاحظنا انه على
الرغم من كون التمييز العنصري غير موجود هنا رسميا
أي انه لا يكتب على الفنادق او المقاهي والمطاعم عبارات
التمييز العنصري صريحة فان واقع الحال يقتضي التمييز
العنصري اذ ان واقع الافريقيين ومستوى حياتهم المنخفض
يجعلهم لا يدخلون المحلات الاوروبية لانها تحتاج لاتفاق
بقود كثيرة لا يقوى على انفاقها الا الاوروبيون وحدهم ،

وعلى سبيل المثال فانه لا يوجد هنا فنادق ، ولا مقاه ولا مطاعم في هذا الحي النظيف من البلد الا وهو في ايدي الاوروبيين وحدهم . وقد لقينا عنتا في الفندق الاوروبي الذي سكنا فيه فطريقة طهو الطعام ودقة المواعيد فيه . وغرابة انواع من الطعام علينا ، وسؤالنا عن اللحم هل هو لحم خنزير ؟ كل ذلك جعلنا نضطر الى تغيير عاداتنا اذ انهم يطهون الطعام حتى العادي منه المعروف لنا بطريقة غريبة تجعلنا لا نستطيع مذاقه . فمثلا احضروا لنا مرة مع الغذاء شيئا لا نعرفه ولم نستطيع طعمه فسالنا خادما ما هذا؟ فقال انه دقيق البطاطس مطحونا وقد غلي غليا خفيفا ووضع على لحم دجاج مسحوق ايضا ومخلوط بالدقيق وقد اضيف الى الجميع مربى ، أي نعم مربى لا ندري ما هو طعمه حلو بعض الحلاوة مليخا لا ملح فيه فمسا رأيك بالبطاطس المخلوط بالمربى ؟ وعلى ذلك فقس الشوربة وانواع الخضار التي تغلى جميعها حتى الخس غليا خفيفا ثم تقدم مقادير طفيفة منها وتقتير عجيب ، لانهم لا يكثرون مثلنا من الاكل مما يضطرننا بعض الاحيان الى طلب مقادير اضافية من الخبز يقابل ذلك التقتير بالطعام سخاء هائل في الصحون الكبيرة والصغيرة والملاعق والشوك والسكاكين ، وافراط في كثرة الخدم حتى ان كل مائدة وكل بها خادم خاص يقف ويراقب الآكلين بحيث لا يضطر الآكل أن يضع دقيقة واحدة من الوقت في انتظار

النوع الآخر من الطعام .

وكل الخدم من الافريقيين الذين ألبسوا زيا خاصا للفندق نظيفا انيقا جميلا تراه في كل لحظة كأنما اخرج من عند الكواء لفوره وحتى الحذاء لا بد أن يبدو لامعا ، وقد لاحظنا بعض الخدم عندما ينتهي واجبهم ويريدون العودة الى منازلهم فاذا بهم يخلعون لباس الفندق ويلبسون لباسهم الخاص وهو لباس قذر كثيرا ما يكون ممزقا او مرقعا متنافرا يؤذي العين مرآه ، وقد هالنا مبلغ السمع والطاعة التي يتحلى بها هؤلاء الافريقيون لأولئك الاوروبيين فأية اشارة ولو عابرة من اوروبي تجعل الخادم يهتز ويجري مسرعا الى حيث أمر ، وقد يخني رأسه قليلا الى الامام علامة الطاعة والانصياع للامر . وقد دهشوا لمقابلتنا لهم بالحسنى حيث كنا نعاملهم معاملة الاخوان ، ونهش في وجوههم ، ونشكر لهم فعلهم فأنسوا بنا وأخذوا يسألوننا عن بلادنا وعن السبب لسفرنا .

أما مواعيد الطعام فهي مواعيد محددة صارمة لا تقبل الاستثناء ، وأول ما يحين موعد الطعام يمشي بعض الفراشين في ردهات الفندق وممراته ومعهم آلات موسيقية صغيرة تشبه (البيانو) يعزفون عليها بصوت خفيض ولكنه مسموع فيسارع الجميع الى قاعة الطعام في الفندق اما من تأخر عن الموعد المحدد فانه لن يجد

طعاما بل لن يجد خدم المطعم اذ أن معظمهم يكون قد
انصرف الى بيته أو الى أي عمل آخر ...

لا عرب في روديسية الشمالية ...

ولم نجد في هذه البلاد عربيا واحدا ولم يذكر
اهلها ممن سألناهم من المسلمين أنه جاءهم عربي من
قبل عدا رجلا واحدا قالوا انه جاء من عدن يتلو القرآن
ويستجدي المسلمين هنا وأنهم يحفظون من اسمه كلمة
(فضل) ولذلك فقد لاحظنا الجهل المطبق بأحوال بلادنا
وآية ذلك تقع في عدم التفريق بين الاقطار العربية . وقد
كنا موضع الاستغراب من الجميع على حد سواء ،
افريقيين وأوروبيين ، ولكن الاوروبيين لما يتحلون به
من أدب وما يأخذون به أنفسهم من تزمتم ووقار لا
يسألوننا عن بلادنا مباشرة ولا ينظرون الينا الا اختلاسا ،
وعندما يرون اتنا نلاحظ نظرهم الينا واستغرابهم لهيئتنا
فانهم يسارعون بغض الطرف والتظاهر بأنهم لا يقصدون
النظر ولا يهمهم من أمرنا شيء .

أما الافريقيون فانهم لبساطتهم وعدم تزمتمهم بل
وعدم أخذهم بأداب المدنية الغربية تجدهم يسارعون
الينا ويسألوننا مباشرة وبدون سابق تهيؤ من أين
اقلنا ؟ ومن أي جنس من الناس نحن ؟ وعندما

نجيبهم بأننا عرب يقولون : نعم لقد قرأنا بعض الشيء في الصحف عن البلاد العربية وان كانوا لا يكادون يعرفون شيئا عن الاقطار العربية وأذكر انني التقيت باحد المثقفين الافريقيين الذي كان قد سافر الى بعض البلاد الاوروبية وتثقف سألتني هل غانا تعتبر بلادا عربية ؟ أما الاوروبيون فانهم بعد ان يتعرف عليهم المرء وتكون هناك مناسبة لسؤالنا عن بلادنا نجدهم يعرفون عن ماضي البلاد العربية أكثر مما يعرفون عن حاضرها فقد قرؤوا شيئا من التاريخ عنها (١) ولكنهم لا توجد لديهم معرفة كافية عن حاضر البلاد العربية يضاف الى ذلك ان الدعاية الصهيونية قد شوهدت سمعة العرب في كثير من البلاد لانها وجدت مجالا خصيبا لا منافس فيه فاستطاعت ان تبث سمومها الدعائية بدون أن تلقى اية مقاومة من البلاد العربية .

والعجيب المؤسف ان اسرائيل قد قامت بمفردها وبمساعدة من اليهود في الخارج في بث تلك الدعاية في اقطار كثيرة على حين ان العرب بمجموعهم لم يقوموا بشيء يذكر اللهم الا في سب بعضهم بعضا وتشويه سمعة

١ - وهم يذكرون ما قرؤوا عنها بالجلال والتعظيم لان تاريخ الحروب الصليبية وتاريخ جنوب اوروبة مشحون بالامجاد العربية

العرب انفسهم ، والا فالمعتقد أنه لو تضافرت الجهود العربية سواء عن طريق الجامعة العربية أو عن طريق اتفاق مباشر بينهم على اقتسام الدعاية والاعلام في البلاد المختلفة فأخذت كل دولة على عاتقها بث الدعاية والاعلام للعرب وللقضايا العربية وتفنيد المزاعم الصهيونية في بلد أو بلدان معينة لكان ذلك نافعا مجديا .. لا سيما اذا راعوا نفسية الشعوب المختلفة وواقع أمرها فقد كنا مثلا نقول للافريقيين : اتنا عرب ، والعرب افريقيون مثلكم ، وان كانوا يسكنون في شمال القارة الافريقية وانه يوجد ٧٠٪ من العرب في القارة الافريقية وان ٣٠٪ فقط من العرب يوجدون في آسيا ولكن علاقتهم بافريقية علاقة وثيقة وطيدة فيطربهم ذلك ويسرون له لأن هذا وأمثاله لا يمكن ان يسمعه من الاوروبيين أو من اليهود (١) .

١ - كما ان السياسة الاعلامية الرسمية لبعض الاقطار العربية تقوم على اساس قومي عنصري ، فحرمت بذلك عنصرا فعلا نشيطا منبثا في كل مكان من القارة الافريقية الا وهو العنصر الاسلامي ، فكثير من مسلمي افريقية وجدناهم قد فهموا قضية فلسطين على انها قضية عربية قومية وليس للمسلمين بها صلة ، وقد اعان على رسوخ هذا الفهم في نفوسهم ان الدول العربية المتاخمة لفلسطين لم تتصل بهم فتطلب منهم العون والمساعدة بقدر طاقتهم .

السفر الى لوساكا :

لم نجد واسطة للسفر برا الى لوساكا عاصمة جمهورية زامبية (رودييسية الشمالية سابقا) . غير الحافلات (الاوتوبيسات) العامة ويركبها الافريقيون ويتزاحمون فيها فنجد عناء من ذلك كما انها تقف في كل محطة تقريبا لذا قررنا السفر بالقطار بعد أن أخبرنا بأنه قطار نظيف وجميل ، وأنه يسافر في تمام الساعة التاسعة ليلا ، ويصل في الساعة السادسة والنصف صباحا . أي أن المرء يدخل القطار وينام وعندما يصحو يكون قد وصل الى بلد آخر فلا يضيع وقتا ولا راحة .

وهكذا تركنا مدينة أندولا في تمام الساعة التاسعة ليلا في ذلك القطار الفاخر الجميل وفي الدرجة الثانية الخاصة أي التي يمكن فيها النوم على سرير مريح .

وقد وصلنا قبل سفر القطار بنصف ساعة بصحبة بعض الاخوان الهنود الذين أبوا الا أن يلاحقونا بكرمهم فيودعوننا في القطار . وقد وجدنا لوحة في مكتب القطار قد وضعت فيها أسماؤنا باننا في غرفة (ف) من العربات رقم (٢٠٩٢) وهكذا ما كان منا الا أن ذهبنا الى تلك الغرفة ذات الرقم المعين وأقمنا فيها وحدنا ، فوجدناها وجميع القطار عامة شيئا لا يستطيع القلم أن يصف فخامتة ونظافته

ونظامه ، ولقد ركبت في الدرجة الاولى في القطارات في كثير من البلاد العربية فما وجدتها تعد شيئا بجانب هذا القطار حتى الانوار الكهربائية يوجد منها في العربة اكثر من أربعة انواع مختلفة ويوجد في العرفة مكيف هواء خاص وأربعة انواع من الستائر للنوافذ ، ويمكنك أن تغلق عليك الباب والنوافذ وتفتح صمام مكيف الهواء وتنام معزولا عن الخارج كأنك في غرفتك الخاصة أو احسن من ذلك . ولديك حوض لطيف مغطى للماء ومائدة للطعام تطوى بطريقة محكمة ثم ترفع الى جانب الحائط فتتحول الى مرآة كبيرة كما ان لديك مرايا كثيرة غيرها ، واذا أردت ان ترى من في الخارج بدون أن تسمع أصواتهم فيمكنك رفع الحواجز فيكون لك نافذتان زجاجيتان أحدهما الى الجانب الخارجي من القطار والاخرى الى الممر العام في القطار . أما تنجيد جوانب القطار وسقف الحجارات فشيء لا يشبه الا تنجيد الطائرات الفخمة .

وهذا القطار تابع لحكومة روديسية الجنوبية التي يحكمها البيض ، وفيه مفتشان أوروبيان على غاية من الذوق ولطف المعاملة وفي القطار بوفيه (قاعة طعام) فاخرة كأفخر القاعات في الفنادق ، وزجاجات المياه الباردة في كل عربة ، ويشغل المطبخ وحده ثلاث حجرات في احدى

العربات ، ويحضر الخدم اليك جميع طلباتك الى غرفتك اذا أردت ، وجميع الخدم والعمال فيه هم من الافريقيين وهم على درجة من البراءة والسذاجة ، أو هكذا بدوا لنا من سرعة التفاهم حولنا ، وسؤالهم عنا ، من أين جئنا ؟ ثم من طريقة كلامهم عن الاوروبيين في روديسية الجنوبية حيث سيطروا على كل شيء وليس للافريقيين الا الدنيء من المقام والاعمال ، وقد عرفنا منهم ان هذا القطار يسافر من اندولا الى روديسية الجنوبية ثم الى اتحاد جنوبي افريقية ، وقد تكفل المفتش الانكليزي بملاحظة ايقاظنا فيما لو نمنا عند وصولنا الى لوساكا ، وقد نمنا نوما هادئا مريحا على فرش وثيرة وبأغطية صوفية ، وكان السفر في هذا القطار متعة دونها متعة السفر بالطائرة أو الحافلة ، وقد حاولنا ان نقارن بين القطارات في الحبشة وفي البلاد العربية وبينه ، فلم نجد وجها للمقارنة .

يوم الاربعاء ٦/٢٢ / ١٣٨٤ هـ .

١٠/٢٨ / ١٩٦٤ م .

وصلنا لوساكا عاصمة جمهورية زامبية (روديسية الشمالية) في تمام الساعة السادسة أي بعد طلوع الشمس بنصف ساعة ولم يكن هناك فندق يملكه شرقي بل

جميع الفنادق يملكها ويديرها الاوروبيون ، وقد نزلنا في فندق يسمى فندق فكتوريا نفس اسم الفندق الذي نزلنا فيه في اندولا .

وقد بدت مدينة لوساكا لنا لأول وهلة أشبه بمجموعة من الضواحي الواسعة ولكنها ليست في جمال اندولا وليس فيها من الحداثق ما في لوانشا وأكثر المنازل فيها من طبقة واحدة وقل أن تجد فيها عمارة عالية ، وانت عندما تصل اليها تستصغرها لان المنازل قد نثرت فيها نثرا ولأن مكانها منذ عهد غير بعيد كان منطقة خالية فابتدأت العمارة فيها حديثا يضاف الى ذلك أن كثرة السيارات في المستعمرات الانكليزية والرواج الاقتصادي الذي تتمتع به تلك المستعمرات قد ساعد على أن يختار كل شخص مكانا لمنزله ولو بعيدا حيث توجد السيارات والامان وهكذا الحال في أكثر المستعمرات الانكليزية السابقة التي مررنا بها حيث وجدناها تفص بالسيارات بشكل لا يكاد المرء يصدقه قبل أن يراه .

وعندما نزلنا في الفندق أخذنا مدير الفندق وهو أوروبي يذكر أنه من جنوب افريقية وأشار بيده من شرفة الفندق الى معالم البلدة فقال : هنا أكبر شارع في لوساكا ويسمى (كايرو رود) (١) وهناك شارع لفجستون ،

١ - «كايرو رود» اي طريق القاهرة والسبب في تسميته =

وهناك مسجد الهنود المحمديين يعني المسلمين الهنود .

جولة في لوساكا :

خرجنا الى جولة في لوساكا على الاقدام فوجدناها مدينة تعتبر عاصمة افريقية اذ أن اغلبية السكان فيها من الافريقيين الوطنيين وان كانت المتاجر والحوانيت الكبيرة والمتوسطة كلها بأيدي الاوروبيين أو الهنود ، وقد ذهبنا الى مسجد المسلمين الهنود في لوساكا فوجدناه فاخرا جميلا واسعا قد بني على أحدث طراز وأثاث أجمل أثاث وألحقت به دورة مياه فاخرة مجهزة حتى بالمناشف وأكواب الشرب وأحذية الوضوء كما وجدنا المسجد وقد علق به عدد من الجلابيب وذلك ليصلي فيها من لا يود ان يصلي بيدلته الافرنجية ، وبجانب المسجد بنيت مدرستان يتعلم فيهما أبناء المسلمين بنين وبنات، وقد تفرغ للتدريس في المدرستين عالمان من علماء الهند

= بطريق القاهرة ان الانكليز عندما كانوا يحكمون القارة الافريقية من رأس الرجاء الصالح حتى الاسكندرية فكروا في مشروع بناء طريق اسفلتي يمتد من مدينة الرأس حتى الاسكندرية وقد ابتدأوا بنائه وأنجزوا منه قسما كبيرا شمل أراضي جنوب افريقية وروديسية الجنوبية وروديسية الشمالية ثم وقف ، فأسموه لهذا السبب طريق القاهرة ..

وخصص لكل عالم منهما مسكن قرب المسجد وهما في الوقت نفسه اماما المسجد حيث يتناوبان الصلاة فيه كما بني مسكن آخر لمؤذن المسجد وهو افريقي سماه الهنود اسما جديدا هو (بلال) تيمنا باسم بلال بن رباح مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك اضافة الى اسمه الأصلي صالح .

وهناك ملحق بالمسجد أيضا بناء مستقل أسموه بيت الضيافة أو مسافر خانه . وينزل به المسلمون الذين يقدمون الى لوساكا ولا يريدون السكن في فنادق لغير المسلمين أو لا يستطيعون ذلك (٢) كما ألحق بالمسجد منزل خاص لتجهيز موتى المسلمين أو تغسيلهم وتكفينهم والانتظار بالميت حتى يدفن كل ذلك في مساحة واسعة من الارض ، وعلى نفقة الاخوان الهنود هناك .

ان هذا شيء عجيب جميل جدا لو أخذ به بقية المسلمين في الخارج وقد أخبرونا انهم فرضوا على أنفسهم نفقات شهرية وفق خطة ارتضوها ينفقون منها على رواتب الامامين المدرسين والمؤذن ، وعلى صيانة المسجد

٢ - وقد عرضوا علينا الانتقال من الفندق والاقامة في هذا المسكن فشكرناهم واعتذرنا لهم بأننا نؤثر غيرنا من اخواننا المسلمين المحتاجين وقد حدث فعلا أن جاء في آخر هذا اليوم مسلمان من تنجانيقة ونزلا فيه .

والمباني الملحقة به ، ولهم جمعية خاصة اسمها جمعية المسلمين الهنود في لوساكا ورئيس الجمعية هو السيد (آدم بدات) وهو تاجر ثري شديد التمسك بدينه ، وقد أعجبنا جدا بحالة هؤلاء الاخوان الهنود هنا اذ كنا نجد الواحد منهم في المسجد كأنه سارية من سواريه لا ينفك يصلي ويتنقل ،حتى اذا انتقل الى محله التجاري وقد انتقلنا من المسجد مع احدهم الى بعض حوانيتهم حتى يصبح مديرا ماهرا لمحله لا يجلس ولا يفتر ولا يقدم على عمله التجاري أي شيء .

وبعد أن انتهينا من المسجد وصلينا مع الاخوان هناك عدنا الى الفندق ، وقد اصلنا تجوالنا على اقدامنا في مدينة لوساكا .

والافريقيون فيها من الجنس الزنجي الفاحم السواد الا أن قاماتهم تبدو قصيرة بالنسبة الى الافريقيين الذين يقطنون تحت خط الاستواء أي في كينية وأوغندا كما أن علامات الفقر والضعفة تبدو واضحة عليهم ، ولا يوجد في هذه المدينة عربي واحد حسب ما نعرف ولم نسمع كلمة عربية الا من الامامين الهنديين وهما لا يستطيعان الكلام بالعربية الا بصعوبة ، وان كانا قد درساهما دراسة واسعة في الهند ولكن ينقصهما التمرن على التحدث بها ولذلك فقد كان جميع كلامنا بالانكليزية في كل محل سواء في المطاعم أو المقاهي وحتى في المساجد مع الاسف .

وقد طلب مني الاخوان الهنود أن ألقى فيهم كلمة بعد أن يجتمعوا في المسجد بعد العشاء فأجبتهم الى ذلك وألقيت فيهم كلمة بالانكليزية بعد ان اعتذرت اليهم عما قد يقع في كلامي من اللحن او الغلط بسبب عدم اجادتي التكلم بالانكليزية ، وقد تضمنت الكلمة الحديث عن الغرض من مجيئنا الى لوساكا خاصة والى بقية اقطار شرق افريقية عامة ، كما حدثتهم عن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وعن الغرض من انشائها هناك .

وقد طلبوا منا أن نبلغ المسؤولين في المملكة العربية السعودية بحاجتهم الشديدة وحاجة المسلمين في اقطار شرق افريقية وبخاصة في جمهوريتي زامبية وملاوي الى مرشدين ووعاظ وقالوا : انه ينبغي لمن يرسل الى هذه البلاد أن يكون عارفا بالانكليزية لأنه اذا لم يكن كذلك لم تحصل الفائدة المطلوبة من ارساله لعدم وجود من يفهم العربية ، وقد وعدناهم بابلاغ رغبتهم تلك الى المسؤولين في المملكة .

يوم الخميس ٦/٢٣ / ١٣٨٤ هـ .

١٩٦٤/١٠/٢٩ م .

في مسجد الافريقيين في لوساكا :

ذهبنا مبكرين صباحا الى مسجد للمسلمين

الافريقيين غربي لوساكا لمشاهدته وزيارة المدرسة الاسلامية الافريقية هناك وقد رأينا المسجد صغيرا ولكنه نظيف أما المدرسة فهي مكونة من غرفتين يتعلم فيهما حوالي (٤٠) طالبا من البنين والبنات وبعضهم غير موجود في الصباح لأنهم يتعلمون صباحا في مدارس الحكومة وفي المساء يتعلمون القرآن الكريم هنا . ويدرس في هذه المدرسة مدرّسان من الافريقيين تعلما العربية والدين الاسلامي في زنجبار ولكنهما لا يستطيعان التحدث بالعربية وانما يتحدثان بالسواحلية (١) . ولكن الاطفال والمدرّسين هنا تبدو عليهم علامات الفقر وقلة ذات اليد، والمسجد لم يفرش فرشاً كاملاً ، ومنظره ومنظر المدرسة لا يليق بالاسلام في هذه البلاد التي يكون فيها المسلمون الاقلية ، والواقع ان المسلمين الافريقيين بحاجة الى المساعدة المادية كما هي الحال في أندولا أما المسلمون من الهنود فهم أثرياء أقوياء ذوو دين وصلاح وجميع مظاهر حياتهم الدينية والديوية موضع فخر واعتزاز للمسلم الغريب الذي يأتي الى هنا .

قلت اتا هنا موضع الاستغراب والتعجب من الجميع

١ - كما يفعل الهنود اذ يدرسون العلوم بالاردية وبالعربية ويعلمون الاطفال من بنين وبنات بعد الظهر اذ يذهبون جميعا في الصباح الى المدارس المدنية حيث يتعلمون الانكليزية وغيرها من المواد المدنية ..

وموقع النظرات الكثيرة المتلاحقة من الاوروبيين والافريقيين على السواء وذلك لغرابة ملابسنا العربية على أهل هذه البلاد وأذكر أن جميع من رأنا هنا وسألنا عن السبب لمجيئنا الى هذه البلاد لا يشك في أننا من المبشرين المسيحيين وقد اعتذر الينا أحد الشبان المثقفين من الافريقيين عندما قلنا له اننا مسلمون ولسنا مسيحيين بأن قال ان ملابسكم هذه لا يلبسها هنا الا العاملون في الكنيسة ، وقد كنا نقول دائما للافريقيين على سبيل المجاملة اننا عرب وان أكثرية العرب يسكنون في افريقية اذاً فان أكثرية العرب افريقيون فنحن مثلكم افريقيون ولكن بعضهم لا يسلم بذلك اذ يقول لكن بيننا وبينكم فرقا : فانكم بيض ونحن سود . فنجيب بأن نقول : ان سبب ذلك هو المناخ ليس الا ... ومن طريف ما ضحك له صاحباي وهما لا يعرفان الا العربية اننا تعرفنا على أحد الافريقيين وكنت اترجم لهما ما يقوله بالانكليزية الى العربية فكان أن سألنا من أين نكون ؟ قلنا : اننا عرب ، فقال : أعرف ان لي صديقا زار القاهرة بلادكم ، ثم زار غانا ثم أضاف : هل لغة غانا مثل لغتكم (بربرة) ؟ وأخرج من فمه أصواتا لا معنى لها وهو جاد غير هازل .. وهكذا ضحك صاحباي حتى شبعنا من هذا الافريقي الذي يسمي العربية رطانة أو بربرة على حد تعبيره ، لأنه لا يفهم منها حرفا وتمثلا بالآية الكريمة (ان تسخروا منا

فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذ أنهما كانا يتعجبان دائما من اللغات الافريقية ذات المقاطع الكثيرة والتي يكثر فيها حرف الكاف حتى لا تكاد تخلو منه جملة واحدة .

واللغة السائدة هنا هي الانكليزية بالدرجة الاولى تليها عدة لغات افريقية ليس لها كبير قيمة بسبب تعددها أهمها : اللغة التي تسمى « ثسانجا » .

وقد عانينا متاعب بسبب عدم وجود مطاعم ومشارب للمسلمين فجميع المطاعم هنا بأيدي الاوروبيين فكنا نضطر الى السؤال عن نوع اللحم ما هو ؟.. خشية ان يكون لحم خنزير كما كان أحد صاحبي يتحرج من دخول المطاعم والمشارب الاوروبية التي يوجد فيها أكثر الاحيان نساء أوروبيات قد خلعن ربة الحياء وأصبحن كاسيات عاريات . ويقول ان هؤلاء الاوروبيين لا ينقضي عجبهم منهم فساؤهم يلبسن الملابس الخليعة حتى الرجال بعضهم يلبس سروالا قصيرا يبدو منه أكثر فخذه بشعره القبيح المنظر ، ومع ذلك ينظرون الينا والى لباسنا العربي نظرة الاستغراب ، انه لأمر لم يستطع صاحبي هضمه .

العودة الى أندولا :

ركبنا القطار الليلة من لوساكا الى أندولا بعد ان انتهينا من زيارة لوساكا وقد ذهبنا قبل ذلك الى

مكاتب شركات الطيران وحاولنا ان نجد وسيلة سريعة لزيارة بعض المقاطعات الاخرى في زامبية وفي ملاوي فلم نجد ولم نستطع الانتظار بسبب ضيق الوقت المحدد لنا فحزنا أمرنا على العودة الى أندولا ومن هناك الى دار السلام في تنجانيقة .

وقد ودعنا في محطة القطار اخواننا المسلمون الهنود ولا أنسى منظر الشيخ الحاج سليمان بلحيته البيضاء الكثة وهو يتناول احدى حقائبنا ويحملها من المحطة الى القطار في تلك الساعة من الليل وقد حاولنا ان نشيه عن ذلك فأبى وقال ان واجبي الاسلامي يحلني على خدمتكم ... وهكذا قضينا ليلة جميلة هادئة مريحة تمتعنا فيها بنوم طيب جميل في ذلك القطار الفاخر الذي وصفته عند سفرنا من أندولا الى لوساكا . وقد كان عمال القطار وجميع المسؤولين فيه يعاملوننا معاملة غاية في الجمالة وهم جميعا من الافريقيين عدا المفتشين فهم من الانكليز الذين نجد منهم المعاملة الطيبة ولم يظهر على أحد منهم عدم الرغبة في مساعدتنا في المواضيع التي لا تتصل بالامور الدينية علما بأننا لم نكن نخبرهم بالغرض من مجيئنا لتلك البلاد ، وربما تتغير نظرتهم الينا لو عرفوا ذلك .

أما الافريقيون ، فقد كنا نتحدث اليهم عندما يسألوننا عن الغرض من مجيئنا بأننا مسلمون جئنا لنرى بلادهم

بصفتهم اصدقاء للعرب ، ونشرح مقاصد الدين الاسلامي
على وجه الاجمال ونبين لهم قواعده العامة ، وكثير
منهم يتعجب من ذلك ويبدون لنا استغرابهم لانهم
يسمعون هذا الكلام لأول مرة .

يوم الجمعة ٦/٢٤ / ١٣٨٤ هـ .
٣٠ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

وصلنا مدينة أندولا في تمام الساعة السابعة والنصف
صباحا ، وقد قصدنا توا فندقنا السابق (فندق فكتوريا).
ثم ذهبنا الى شركة طيران وسط افريقية ، وقد أخبرتنا
الموظفة في المكتب وهي فتاة أوروبية من جنوبي
افريقية بأن جميع المقاعد قد حجزت ولما أخبرناها أننا
مضطرون الى السفر ولا نستطيع التأخير قالت انها
ستبرق الى مدينة «السبوري» عاصمة روديسية
الجنوبية . تطلب حجز ثلاثة مقاعد لنا وأنها سوف تحاول
ما أمكن ايجاد مقاعد لنا وطلبت منا مراجعة المكتب غدا.
وفي المساء جددنا عهدنا ببعض زعماء المسلمين من
الهنود والافريقيين كما التقينا بأحد العرب واسمه « جبر
حسين » وهو لبناني يقيم بصفة مؤقتة في مدينة (اليزايث
فيل) في الكونغو وقد جاء الى هذه البلاد ليقوم فيها
يومين أو ثلاثة ويشغل في تجارة الماس وقد أخبرنا أنه

يوجد عدد من المدرسين من سورية ولبنان في الكنفو
تعقدت معهم هيئة اليونسكو للتدريس هناك .

يوم السبت ٦/٢٥ / ١٣٨٤ هـ .
٣١ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

راجعنا شركة الطيران فاخبرونا بأنهم وردتهم الاجابة
هذا الصباح من مدينة « سالسبوري » التي تقوم منها
طائرتنا وتمر بمدينة أندولا بأنهم حجزوا لنا المقاعد وأنه
يجب علينا أن نكون في المطار في الساعة الثانية عشرة
والنصف ظهرا . وقد اخبرنا صاحب الفندق الذي نسكن
فيه بموعد سفرنا فعرض علينا ان يخرج معنا
بسيارته الخاصة الى المطار ويودعنا من هناك فشكرناه ،
وقلنا له : ان أخانا اللبناني قد قال لنا أنه سيمر على الفندق
ويأخذنا بسيارته .

وعندما خرجنا الى المطار وجدنا فيه الدكتور عبد
العزیز السيد وزير التعليم العالي في مصر ، ومعه اثنان
من الدبلوماسيين وهم جميعا يمثلون الوفد المصري الى
اجتماعات زامبية بالاستقلال . وقد أصبح عددنا نحن
العرب في المطار سبعة وكنا نتحدث بالعربية وكانت
بنبراتها القوية تملو على أصوات المتحدثين من الاوروبيين
في المطار باللغة الانكليزية .

وقد غادرت بنا الطائرة مطار أندولا في زامبية متجهة الى دار السلام في تمام الساعة الواحدة والنصف ظهرا وهي طائرة من طراز (فريند شيب) ذات المحركين النفاثين تابعة لشركة الخطوط الجوية لشرق افريقية وقد كانت مقاعد الطائرة جميعها مزدحمة مملوءة بالركاب ومقاعدنا تبلغ اربعين مقعدا ، وكان ركاب الطائرة يتألفون من اكثرية اوروية تليها اقلية عربية وهندية ، فقد كنا ثلاثة من السعوديين وثلاثة من المصريين ، وقد استمر طيران الطائرة مدة ثلاث ساعات ونصف . وكان ملاحوها كالعادة من الانكليز عدا مضييفا افريقيا كان يعمل الى جانب مضييفة انكليزية . وكانت الخدمة جيدة والطعام سخيا .

حالة المسلمين في زامبية

ان منطقة أندولا في زامبية هي التي يوجد فيها أكبر تجمع للمسلمين هناك وهم يعيشون في مناطق صغيرة متفرقة حول اندولا . وفي مدينة لوانشا توجد اقلية من المسلمين قامت شركة مناجم الماس في تلك البلدة ببناء مسجد لهم اعترافا منها بوجودهم . وقد اتصلنا بكبار المسلمين هناك واكثرهم من الطبقة المتوسطة في المجتمع بما في ذلك رئيس الجمعية الاسلامية الافريقية الشيخ (حاجي ستنجي) ورئيس الجمعية الاسلامية الهندية في اندولا الشيخ (احمد ابراهيم) منقيرا ورئيس الجمعية الاسلامية الهندية في لوساكا السيد (آدم بدات) ولا يوجد احصاء يحدد عدد المسلمين في تلك البلاد ولكن اقرب احصاء لهم الى الحقيقة فيما نظن هو ثلاثمائة الف وهم متفرقون في البلاد واكبر نقط التجمع لهم في مقاطعة اندولا وفي مدينة فورت جيمستون وعلى شواطئ بحيرة نياسا ويتألف معظمهم من الافريقيين الذين قدموا الى البلاد من نياسالاند أو ممن اسلموا حديثا كما انه توجد جالية من المسلمين ويسكن معظم افرادها في مدينة فورت جيمستون على بحيرة نياسا .

ويعتبر المسلمون اقلية بالنسبة الى مجموع السكان بالبلاد الذي يقدر بمليون وستمائة الف نسمة . ويشغل معظم المسلمين من الهنود ان لم يكونوا كلهم في التجارة وهم على جانب من الثراء ومن النشاط التجاري .

اما الافريقيون فاكثرهم يشتغلون عمالا في شركات التعدين وخاصة في معادن النحاس التي تكثر في تلك البلاد.

ولا تكاد توجد مدارس للمسلمين الا مدرسة للمسلمين الهنود في لوساكا العاصمة تضم ١٨٠ ما بين طالب وطالبة وهم يدرسون فيها القرآن الكريم ومبادئ الدين باللغة الاردية وقد استقدموا لها مدرسين من الهنود والدراسة فيها تبدأ بعد الظهر حيث ان جميع الطلبة يدرسون في المدارس الحكومية الرسمية قبل الظهر .

اما المساجد فانها كذلك قليلة ، ولا يزال المسلمون في قلب مدينة اندولا ويقدر عددهم بأربعين عائلة لا يجدون مسجدا يصلون فيه الجمعة فيضطر بعضهم الى الذهاب مسافة احدى عشر كيلو مترا الى الجامع الكبير الموجود هناك والذي بناه المسلمون من الافريقيين بطريقة مؤثرة ذكرناها في اليوميات .

والامر في التعليم ليس بعيدا عن ذلك فقد قام المسلمون الهنود في اندولا ببناء مدرسة لتعليم ابنائهم الدين الاسلامي في المساء وبقيت تلك المدرسة مغلقة منذ ثلاثة عشر شهرا في ذلك الوقت ولا تزال بسبب عدم وجود مدرس للاسلام في تلك البلاد لا بالتبرع ولا بطريق صرف المرتب ، ومن الشواهد على ضعف الثقافة الاسلامية هناك اننا لم نجد في الاماكن التي زرناها من تلك البلاد من

يحسن التكلم بالعربية ولا شخصا واحدا وانما كنا
نتفاهم معهم بالانكليزية التي تعتبر اللغة السائدة هنا .

الاقتراحات :

نقترح في الوقت الحاضر ما يلي :
أ - ارسال عدد من المدرسين الملمين بالانكليزية
أو السواحلية يوزعون على الجهات التي يقطنها
المسلمون .

ب - توزيع عدد من الكتب وبخاصة ترجمات
تفسير القرآن الكريم بالانكليزية اذ لم تقم
البعثة بتوزيع شيء من الكتب الموجودة
لديها لانها باللغة العربية التي لا يفهمونها
وبالتالي لا يستفيدون من الكتب المذكورة .

تجانیقہ

يوم السبت ٦/٢٥ / ١٣٨٤ هـ .
٣١ / ١٠ / ١٩٦٤ م .

في دار السلام :

نزلنا في مطار دار السلام قادمين اليها من اندولا في زامبية وذلك قبل غروب الشمس بقليل ، وكانت الاجراءات في المطار شديدة جدا . فكانوا يطالبون كل راكب بابرار تذكرة عودته من تنجانيقة وكانوا يفتشون أمتعة الركاب بدقة متناهية ، ولم يجاملوا أحدا حتى الأوروبيين ، وكنا آخر الركاب تقريبا بسبب تخلفنا في ملء الاستمارات التي كانت مكتوبة بالانكليزية وكنت أملؤها لرفيقي . وكانت معنا أوراق ومطبوعات تتعلق بمهنتنا فأشفقنا من التفتيش الدقيق خشية من سوء فهم لقصدنا لا سيما في هذا الجو الذي يسود فيه هذه البلاد وما حولها عدااء محموم للعرب ولكل ما هو عربي وبخاصة عرب الجزيرة العربية ..

وكان أحد المفتشين قد اقبل الينا وقال بالانكليزية: هل تتكلمون الانكليزية جيدا ؟ فأجبتة : الى حد ما . فقال بعربية فصيحة ، ولسان العرب ؟ فكانت مفاجأة سررنا بها حيث لم نتوقع أن نكلم بعربية فصيحة في هذا المطار وفي هذا الظرف بالذات فسألنا عما تحويه حقائبنا فأخبرناه ، وقد سألناه بعد ذلك أين تعلم العربية ؟ فقال انه عربي

من عمان ولد في زنجبار وهو يشتغل في هذه البلاد منذ
مدة طويلة وهكذا تركنا المطار الى دار السلام وتبلغ
المسافة (١٧) كيلا ...

وقد قصدنا فندقا كنا قد أخذنا اسمه من قبل يدعى
(زاهر هوتيل) ويملكه رجل هندي مسلم اسمه « زاهر
رفيع » وأجرته ثمانية شلنات أي ما يقابل خمسة ريالات
سعودية للسريير الواحد ، وقد جاء الى الغرفة فتى يظهر
أنه كاتب الادارة وطلب منا أن نسلم له الاجرة مقدما فقلنا
له ان هذه ليست معاملة فندق كبير مشهور وليس معنا من
تقود هذه البلاد الا قليل لا يكفي وعندما نصرف من
المصرف تقودا نعطيكم واذا كنتم تصرون على طلب الاجرة
مقدما فاننا سنضطر الى ترك الفندق، وعندما رأى اننا قد
عزمنا على ترك فندقه تركنا ، وذكرنا بهذه المناسبة ما فعله
بنا الأوروبي الذي نزلنا في فندقه في أندولا فلم يذكر لنا
شيئا أبدا عن تسديد الاجرة وجعلنا نأكل في مطعم الفندق
جميع الوجبات وهو لا يعرف شيئا الا أننا عرب سعوديون
ولم يطلب منا كتابة أسمائنا ولا رؤية جوازاتنا وعندما أردنا
السفر من عنده قدم لنا قائمة الحساب وأعطيناها سكا
سياحيا فقبله منا ولم يفترض أنه ربما كان غير
صحيح ...

هذا مع ان ديننا غير دينه ، وجنسيتنا غير جنسيته
وهذا الرجل الهندي مسلم ابن مسلم ولكنها التربية

والتعليم وآداب المعاملة ، وقد كانت هذه الواقعة احدى المناسبات التي كنا نتألم فيها عندما نرى معاملة الاوروبيين وتقارنهما بمعاملة العرب والمسلمين لآخوانهم من العرب والمسلمين الآخرين .

يوم الاحد ٦/٢٦ / ١٣٨٤ هـ .
١ / ١١ / ١٩٦٤ م .

جولة في دار السلام :

اليوم هو يوم العطلة الاسبوعية رسميا ومع ذلك فكثير من الحوانيت والمتاجر الصغيرة والكبيرة قد فتحت أبوابها على خلاف ما عليه الحال في أكثر بلدان افريقية الشرقية ، وقد عرفنا من اللافتات المكتوبة على المتاجر أن ارباب الحوانيت الذين فتحو متاجرهم هم من المسلمين أو من الهندوكيين . والفندق الذي نزلنا فيه يقع في وسط المدينة .. وفي الحي التجاري منها بالذات ويسكن في هذا الحي الهنود وأغلبهم من الاسماعيليين ويوجد منهم قليل من الهندوكيين والسيخ (١) . وكان الجو في دار

١ - وقد بدت لنا مدينة دار السلام عند خروجنا من الفندق وكأنها مدينة هندية لولا وجود الافريقيين في الشوارع .

السلام حرا رطبا لم نسر منه بعد جو روديسية الجاف الذي يشبه الى حد ما جو بلادنا . وعندما أتمنا جولتنا في أكثر أنحاء المدينة تبين لنا أنها لا تخرج عن بقية مدن افريقية الشرقية حيث يكون في المدينة ثلاثة أقسام يكاد يفصل بعضها عن بعض أو قل ان المدينة تتكون من ثلاث مدن متلاصقة احداها للهنود وفيها غالبا الاحياء التجارية وتتألف بيوتها من طابقين أو ثلاثة ومعظمها مبني بالاسمنت المسلح وتكون شوارعها ضيقة غير مشجرة ولكنها مرصوفة . والثانية للأوروبيين وهي عبارة عن ضاحية من الضواحي الجميلة تتكون من فيلات متباعدة محاطة بحدائق كبيرة مشجرة الشوارع نظيفة غاية النظافة والثالثة للافريقيين وتتكون غالبا من بيوت من الطين وأكواخ من الصفيح أو القش وهكذا الحال في دار السلام. وينزل العرب في حي الهنود وحي الافريقيين مختلطين بالفريقيين ،ومدينة دار السلام مدينة تجارية عريقة في التجارة. ولكن يظهر من وجوه أهلها ومظهرهم العام أنها ليست في مستوى نيروبي أو كمبالا في جودة الهواء . وكثيرا ما ترى مظاهر عدم الصحة على الوجوه ، وطبيعي انه ليس فيها أوبئة عامة ، وتشرب دار السلام من ماء نهري ولكنه يظهر بأدوية كثيرة ولا تكاد تستسغ شرب الماء بسبب شدة ظهور طعم الادوية المطهرة وخاصة مادة الكلور فيه مما يجعله كريه الطعم كريه الرائحة على الرغم

من حلاوته .

وعندما كنا نتجول في دار السلام لم يكن منظرنا يسترعي الانتباه كثيرا ويثير الاستغراب ، وذلك بسبب كثرة العرب في هذه المنطقة والسبب الثاني أن الاهالي انفسهم يلبسون لباس العرب عدا غطاء الرأس حيث يقتصرون على تغطيته بالطاقيّة فقط بالاضافة الى ان من يلبسون منهم الزي الافرنجي هم المتعلمون .

وأكثر المطاعم هنا ان لم يكن جميعها يديرها الهنود. فصعب علينا استساغة طعامهم بسبب كثرة الفلفل والبهارات والدهن فيه ، وبسبب طريقة طهيهم الطعام ، والطعام متوسط القيمة فانا نستطيع أن نأكل وجبة من الارزّ والخبز واللحم ونشرب فنجانا من القهوة بأربعة شلنات، أما الافريقيون فلا يوجد لهم مطاعم خاصة كما هي الحال في أكثر البلدان الافريقية التي زرناها .

العرب في دار السلام :

يبلغ عدد العرب في دار السلام حسب الاحصاء الرسمي الحكومي لعام ١٩٦٢ (٣٥٠٠) نسمة وفي تنجانيقة كلها (٣٣) ألف نسمة (١) يشتغلون في التجارة والزراعة

١ - لا شك انهم قد زادوا كثيرا بعد كارثة زنجبار اذ هاجر من هناك عدد منهم واستقروا في تنجانيقة هربا بانفسهم من القتل والسجن .

وبعضهم موظفون في الشركات وغالبهم من حضرموت
وعمان ويوجد أقلية منهم من اليمن وعدن وليس
فيهم من عرب الشرق الاوسط أحد ..

وفي دار السلام استرعى انتباهنا كثرة المساجد والحق
أن دار السلام تعتبر مدينة اسلامية حيث يبلغ عدد المسلمين
فيها نسبة لا تقل عن عدد المسلمين في المدن الاسلاميية
المعروفة كالخرطوم والقاهرة وغير المسلمين فيها الآن هم
باستثناء الاوروبيين والهنود من الافريقيين الذين جاؤوا
حديثا من داخل البلاد للعمل أو الاقامة فيها وليسوا من
سكانها الاصليين .

وعدد المساجد في دار السلام كبير جدا وهي موزعة
على المذاهب الطائفيية هناك فمثلا مسجد السنين الاحناف
ومسجد الاباضية ومسجد الشافعية وللشيعة الاثني عشرية
مسجد وللإسماعيلية اتباع آغاخان معبد يسمونه مسجدا
وقد كتبوا عليه مسجد الخوجا ، وللبهرة مسجد ، حتى
القاديانية لهم مكان يسمونه مسجدا .

ومن الشوارع الرئيسيية في دار السلام شارع
الجمعة وشارع آخر يسمى شارع الحايد ..
ومن المعلوم ان دار السلام أول من بناها العمانيون ،
وذلك عندما انتصروا على البرتغاليين في احدى المعارك ،
وآبوا بأسطولهم الى مرفأ دار السلام في الوقت الحاضر
أطلقوا عليه هذا الاسم ، وبذلك بدأت دار السلام وأخذت

تمو حتى اصبح عدد سكانها الآن يقارب مائتي ألف نسمة.

يوم الاثنين ٦/٢٧ / ١٣٨٤ هـ .
٢ / ١١ / ١٩٦٤ م .

مع كبير علماء تنجانيقة :

ذهبنا لزيارة الشيخ حسن بن عمير الشيرازي من كبار علماء المسلمين هنا ان لم يكن أكبرهم وكنت قد التقيت به في المدينة المنورة في العام الماضي حيث كان عضوا في الوفد التنجانيقي الرسمي الذي زار المملكة العربية السعودية ضمن جولة له في البلاد العربية كما وجدت عنده عددا من طلبة العلم الذين يعرفون اللغة العربية ويدرسون في المدارس الاسلامية في تنجانيقة .

المتحف الوطني :

زرنا المتحف الوطني ويقع في الحي الاوروبي في ضاحية جميلة شمالي شرق المدينة وقد كتب عليه لافتة أنه أنشئ في عهد الملك جورج الخامس ملك بريطانيا ويتألف من غرف تضم احداها المخلفات القبليّة وكلها حديثة ويتألف معظمها من طبول ورماح وسيوف وأقنعة وملابس افريقية وقد كتب عليها بالانكليزية وفي بعض الاحيان يكتب معها بالسواحلية ايضا حات غير كافية ، وقاعة

أخرى تضم مخلفات عربية معظمها من زنجبار وتضم رسوما زيتية عن بعض المناظر التاريخية الحديثة في البلاد مثل منظر العبيد والسحرة الذين كان الألمان يجبرونهم على العمل إبان الاستعمار الألماني لشرق إفريقيا وقبل دخول الإنكليز ، كما يضم بعض المناظر لبيع العبيد ومنها منظر سوق بيع العبيد في زنجبار منذ مائة سنة ، ورسوما إيضاحية لتاريخ الاستعمار العربي والإفريقي لساحل تنجانيقة على حد تعبير الذين كتبوا على تلك اللوحات ، وجميع الرسوم التي كتبت عن التاريخ العربي تظهرهم أي العرب بمظهر الحاكم المسيطر على الإفريقيين ولكن المخلفات العربية جميلة وتدل على الحضارة التي بلغها الحكام العرب في شرق إفريقيا وبخاصة في زنجبار حيث عرض فيه كرسي جميل مطعم بعضه بالذهب وبعضه مطعم بالفضة وسرير للنوم يشبه سرر سلاطين المماليك في مصر والشام وأواني صنع القهوة وسيوف وخناجر محلاة بالذهب وملابس عربية جميلة من القرن الماضي ، والواقع أن الآثار العربية فيه من أنفس ما في المتحف حسب ما تراءى لي .

والحقيقة أن المتحف لا يستحق الإعجاب ويعتبر فقيرا في مادته وتنظيمه ولكنه على كل حال خير من لا شيء ويستحق من أنشأه من لا شيء الشاء والتقدير ..
ومن المفارقات فيه أنه وضع في داخله تمثال نصفي

بالحجم الطبيعي لأحد الانكليز الذين أسسوا هذا المتحف وأفنوا حياتهم في جمع مادته وقد وضع الافريقيون بعد الاستقلال بجانبه صورة بارزة للرئيس « يوليوس نيريري » رئيس الجمهورية مع أنه ليس له في انشاء المتحف يد وهذا خلاف ما جرت عليه العادة في المتاحف الاخرى حيث يخلد اصحاب الجهد الحقيقيون في انشائها ولا يذكر معهم الزعماء السياسيون الذين يعملون في غير هذا الحقل وعلى سبيل المثال فلم توضع صورة الزعيم « جوموكينياتا » بجانب صورة الانكليزي الذي قام بانشاء متحف نيروبي العظيم ، وقد خرجنا من المتحف الى قاعة أخرى تابعة له ولكنها منفصلة عنه وفيها تعرض صور فوتوغرافية معظمها من رسوم حديثة جاءت من الخارج مثل المعرض البلغاري الذي أقيم من قبل ...

يوم الاربعاء ٦/٢٩ / ١٣٨٤ هـ .
٤ / ١١ / ١٩٦٤ م .

جمعية تشجيع التعليم الاسلامي :

زارنا اليوم في الفندق الاستاذ عمر مهاجي وهو المسؤول عن التعليم الاسلامي في جمعية الاسعاف الاسلامية بتجانقة وهو في الوقت نفسه أحد موظفي الحكومة وأحد أعضاء الحزب الوطني الافريقي الحاكم .

وبعد أن تحدثنا معه في الشؤون المتعلقة بالمسلمين اتفقنا على أن يصحبنا في جولة على بعض المدارس الإسلامية التي تقوم الجمعية بمساعدتها ولكي نطلعنا على بعض معالم البلاد القريبة من دار السلام بعد أن أخبرنا أنه لولا ضيق الوقت لدينا لذهب بنا في جولة واسعة في أنحاء تنجانيقة كما يقول فشكرناه على ذلك وذهبنا معه في الساعة الثانية بعد الظهر الى ثلاث مدارس اسلامية قد اتفقت الجمعية الاسلامية المذكورة مع وزارة المعارف في حكومة تنجانيقة على أن تعين الحكومة مدرسين للغة الانكليزية والعلوم المدنية فيها وتعين الجمعية مدرسين للديانة الاسلامية ، ويدفع كل من الفريقين رواتب المدرسين الذين يعينهم وقد زرنا بعض المدارس المذكورة فوجدناها مدارس لا بأس بها قريبة من ان تستكمل شروط المدارس النظامية ، ولكنها لا تزال بحاجة الى تشجيع ومساندة وخاصة فيما يتعلق بالمصاحف والاجزاء القرآنية كما أنها تعاني نقصا في عدد المدرسين الذين يجيدون تدريس اللغة العربية الى جانب معرفتهم بالسواحلية لغة البلاد .

ثم خرجنا من دار السلام في اتجاه الغرب الى مبنى الكلية الجامعية هناك ، وهي تقع على ربوة عالية وتبعد عن دار السلام مسافة ١٦ كيلو مترا ، ولكن المنطقة لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة الى جمال البلاد الافريقية الاخرى في كينية وحتى الساحلية منها مثل ممباسا .

وأقرب شبه بدار السلام من المدن هي مدينة
مقديشو . وهي تشترك معها في أن كلا منهما على ساحل
المحيط الهندي ويكادان يتساويان في البعد عن خط
الاستواء ، الا أن دار السلام تقع جنوبي خط الاستواء
ومقديشو شماليه ..

عرب بلا عربية :

قابلنا في الفندق اليوم جماعة عرفنا من أشكالهم أنهم
عمانيون ومعهم اولادهم وقد حاولنا ان نغتنم هذه الفرصة
فكلمهم الا أن أحدا منهم لم يفهم منا ما نقول ، ولم
ينطقوا الا ببضع كلمات لا تعني ولا تسمن من عوز ، وبعد
قليل حضر شيخ ملتج جليل ، فكلمنا بعربية فصيحة وقال
بالحرف الواحد : العفو منكم هؤلاء لا يعرفون الا
السواحلية لأنهم لم تتح لهم فرصة الالتحاق بالمدارس
العربية ولم يعرفوا من العامة في الشوارع الا السواحلية .
وقد أسفنا كثيرا لأن عددا كبيرا من العرب ممن ولدوا
في شرق افريقية لا يعرفون العربية ، ولولا ما بقي لهم من
لون لم تستكمل شمس افريقية الاجهاز عليه بعد ، ولولا
علامات مميزة لهم كالعمامة لم يعرف أحد أنهم عرب ، او
أن آباءهم كانوا يوما ما من العرب ..

يوم الخميس ٧/١ / ١٣٨٤ هـ .
١٩٦٤/١١/٥ م .

في مطار زنجبار :

في طريق العودة الى نيروبي من دار السلام اخترنا الطائرة التي تمر بزنجبار فمدينة تانجا في تنجانيقة فمدينة ممباسا في كينية فيروبي ، على الطائرة التي تذهب مباشرة من دار السلام الى نيروبي وذلك لأن الأولى تسافر صباحا والثانية تسافر مساء ولأننا نستطيع أن نرى في الأولى ما لا نراه في الثانية .

وقد غادرنا الفندق في تمام الساعة السادسة والنصف الى مطار دار السلام وقد تكرم بوداعنا بعض اخواننا من المسلمين والعرب وغادرنا مطار دار السلام في تمام الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين على طائرة تابعة لخطوط شركة شرقي افريقية للطيران من طراز (فريند شيب) ذات المحركين .

وقد استغرقت الرحلة من دار السلام الى زنجبار مدة (١٧) دقيقة تمتعنا خلالها بمشاهدة شاطئ افريقية الشرقي وشاطئ زنجبار على البعد في منتصف الطريق ولكن حين قربنا من زنجبار كثرت السحب المنخفضة فلم نر شواطئ جزيرة زنجبار الشرقية الا بعد ان نزلت الطائرة الى مستوى السحاب وكان منظر الطائرة من خلال السحاب

الواطىء الخفيف المشبع بذرات الماء الدقيقة رائعا ، ثم بدت لنا جزيرة زنجبار من الطائرة خضراء كثيفة الاشجار ، وقد كسا أرضها نخيل جوز الهند واشجار القرنفل الذي قيل ان زنجبار تنتج منه ٩٠٪ من جميع القرنفل في العالم ، ولم أستطع رؤية الشجر عن قرب لذلك، لم أستطع وصفها . وبعد أن وصلنا مطار زنجبار ، وهو مطار متوسط نظيف وقد كتب على واجهته بالعربية الى جانب الانكليزية (زنجبار) وكان بهذا أول مطار نرى الكتابة عليه بالعربية منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر عندما تركنا مطار الخرطوم باستثناء بعض الكلمات التي رأيناها بالعربية على مكاتب مطار مقديشو ، وقد عرضت في ساحة العابرين (الترانزيت) في المطار صور وطوابع تمثل بعض مناظر زنجبار في السابق ومنها اظهارهم الافريقي قد حطم القيد من يديه (القيد العربي) فيما يزعمون ، وكنا نشعر ان نظرات بعض الموظفين الينا غير ودية .

لماذا لم نزر زنجبار ؟

كان برنامج رحلتنا يتضمن زيارة زنجبار للاطلاع على أحوال التعليم الاسلامي فيها وبخاصة وأنه كان هناك معهد اسلامي تخرج منه عدد كبير من طلبة العلم من سائر انحاء شرقي افريقية وكنا نظن ان الاوضاع التي أعقبت كارثة العرب في زنجبار قد تغيرت قليلا بحيث يمكن لنا

ان تقوم بتلك الزيارة ولكننا عرفنا بعد وصولنا الى شرق افريقية ان الظروف لا تزال كما هي وأن العرب بصفة خاصة قد منع دخولهم الى زنجبار . وان الفئات الاخرى من الناس اذا أرادوا دخول زنجبار عليهم ان يرسلوا طلبا مكتوبا وينتظروا جوابه وغالبا ما يستغرق ذلك شهرا أو اكثر لأنه لا توجد سلطة خارج زنجبار تستطيع منح تأشيرة دخول إليها ، لذا فليس بإمكاننا الانتظار المدة الطويلة المذكورة مع اننا كنا على ثقة من النتيجة بانها ستكون الرفض .

أسباب كارثة زنجبار :

منذ وصلت الى شرق افريقية وأنا أتحدث مع كل من أحسست منه حسن تقدير للأمور وبصر بيوطنها من العرب والافريقيين أسألهم عن الاسباب الحقيقية لكارثة زنجبار التي أطاحت بعد اقل من شهر على حصول البلاد على استقلالها بالحكم العربي هناك ، وألحقت بالعرب اضرارا مادية ومعنوية لا يمكن تقدير مداها .
وقد اتضح لي من مجموع ما استقرئته من الامور ما يلي :

اولا : إن بعض العرب كانوا يحكمون في زنجبار بدون ان يختلطوا بالافريقيين ويمتزجوا سياسيا معهم فكان الافريقيون ينظرون اليهم لهذا السبب نظرتهم الى حكام

اجانب يجب التخلص منهم .

ثانيا : أن هناك رواسب قديمة من مشاعر الكراهية للعرب تولد معظمها من كون بعض العرب والآسيويين ممن لا يتقيدون بأحكام الشريعة الاسلامية ولا يميزون بين الحلال والحرام فيها كانوا يتاجرون بالرقيق ليس ذلك فحسب بل انهم كانوا في بعض الاحيان يهبون الافريقيين ومنهم مسلمون ويبيعونهم في الخارج ويفرقون بذلك بين المرء منهم وزوجه وأهله وذويه وطبيعي أن مثل تلك المشاعر المهتاجة لا تفرق بين الجاني وغير الجاني من العرب .

ثالثا : أنه عند وصول الانكليز الى زنجبار بعد ان عقدوا معاهدة حماية مع سلطانها وفدت معهم الثقافة الغربية التي منها حرية الصحافة والتعبير فاستطاع أن يسيطر على الدعاية والاعلام أناس من الاوروبيين وغيرهم من الحاقدين على الاسلام والعرب فجعلوا على المدى الطويل يظهرين العرب للافريقيين على أنهم اناس غزاة مغامرون وصلوا الى افريقية لهذا الغرض ، كما شرحوا بطريقة مبالغ فيها ما كان العرب يزاولونه من تجارة الرقيق هناك . وقد استطاعوا على مر السنين أن يسمموا افكار الافريقيين في نفس الوقت الذي لم يكن فيه العرب يعنون بالرد على تلك المفتريات بل لم يكونوا يعنون بالدعاية السياسية اصلا .

رابعا : ان ريح الوطنية الافريقية قد هبت على زنجبار من سائر انحاء القارة الافريقية ، وتلك الروح الوطنية ترى

الحكام العرب عنصرا خارجا عن نطاق القومية الافريقية ،
وذلك لان العرب يتميزون بلونهم وعرقهم عن الافريقيين ،
ولم يوفقوا الى ان يفصحوا عن صلات القربى التي كانت
تصلهم بهم على مر العصور .

خامسا : تسلسلت اليسارية بل الماركسية والافكار
المستوردة من خارج القارة الافريقية الى زنجبار فأخذت
تصور الحكام العرب في زنجبار لا للافريقيين فحسب بل
ولبعض العرب بأنهم حكام اقطاعيون مستبدون يجب القضاء
عليهم واسقاط حكمهم تحقيقا للاهداف اليسارية .

فاجتمعت الماركسية المتعصبة ضد الاسلام مع القومية
الافريقية المتعصبة ضد العرب بعد أن غذتها العوامل التي
ذكرتها على نكبة العرب في ذلك المكان الذي حكموه مئات
السنين ، وكان لهم شرف طرد البرتغاليين منه بعد ان عاث
هؤلاء البرتغاليون فيه فسادا وفسادا .

والمؤسف في الامر أنه قد ذهبت في تلك العاصفة
الهوجاء دماء عربية بريئة ، وأهدرت كرامات عزيزة ، وكان
من أبرز ما في ذلك هتك أعراض الأسر العربية الكريمة من
الرعا والسوقة حتى أصبحت أسر عربية كريمة بين ليلة
وضحاها تتكفف الناس لكي تعيش ، بعد أن كانت تتعم
بالكرامة والعيش الرغيد ، واصبحت بعض كرائم وعقائل
العرب اذا وجدت من يمن عليها بالملجأ والعيش عيشة
الخدام ، فانها تشعر بأنها قد حصلت على خير كثير .

والآن ما هي الحالة في زنجبار ؟

يقول العارفون بالامور أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلى الزنجباريين الآن بالخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات .

فقد جاء الى الحكم اناس لا يعرفون اساليبه ولا يقدرونها حق قدرها ، فأساءوا ادارة البلاد ، ونهبوا خيراتها فلم يبق لعامة الناس الا الخوف والارهاب ، واصبحت زنجبار بعد أن كانت تسمى جزيرة الاحلام لأنها كانت آمنة مطمئنة تعيش الكراهية والحرمان والتعصب حتى بين صانعي النكبة أنفسهم .

العرب في شرقي افريقية :

ويسوقنا هذا الكلام الى تسجيل كلمة مختصرة عن العرب في شرقي افريقية .

لقد لمحت خلال يومياتي بايجاز عن أحوال العرب في شرقي افريقية في الحاضر والماضي ، وأنهم كانوا على مر القرون يفتدون الى تلك الديار زائرين وتجارا بل ومستوطنين، وأن كثيرا منهم قد اتخذوها دارا واندمجوا بأهلها ونشأ عن ذلك اللغة السواحلية والمدن العربية الافريقية التي كانت تقوم في مختلف العهود في تلك البلاد والتي لا يزال بعضها قائما حتى الآن مثل ممباسة وماليندي ودار السلام الخ ...

بل كان العرب أول من لفت الانظار الى تلك البلاد
وسماها برالزنج التي حرفت بعد ذلك الى زنجبار أي الزنج
لأن كلمة بار هي كلمة « بر » بالعربية ضد « بحر »
وجميع العرب في شرق افريقية هم من جنوبي وشرقي
الجزيرة العربية من عمان حتى اليمن ويمكن تقسيمهم الآن
الى ثلاث فئات ..

الاولى : العمانيون ، وهم كانوا الحكام والطبقات
المتأزفة في الماضي ، ولا يزال منهم في الحاضر موظفون كبار
وحكام ولايات في كينية وهم بمظاهرهم التي منها بياض
بشرتهم نسبيا وأنوفهم الشماء وأزيائهم التقليدية يمثلون
الحكام العرب في نظر الاجانب الوافدين الى تلك البلاد
حتى أن البرتغاليين عندما وصلوا شرقي افريقية من رأس
الرجاء الصالح سموهم المغاربة ظنا منهم انهم من اهل
المغرب العربي ، أو تشبيها لهم بعرب المغرب .

الثانية : فئة الحضرميين ، وهم تجار فحسب ، وقد
حصل بعضهم على ثروات كبيرة في شرقي افريقية وهم
أنشط الى الدعوة للاسلام في افريقية والسعي لادخال
الافريقيين الى حظيرته ، وأكبر دليل على ذلك ان مسلمي
شرق افريقية من الافريقيين هم شافعيو المذهب اي على
مذهب الحضارم ، وليسوا أباضية على مذهب العمانيين .

الثالثة : فئة اليمانيين و « أبناء الجنوب العربي » ،
وكثير منهم الآن يعيش عيشة الكفاف في تلك البلاد ، ومما

يؤسف له أن بعضهم يتعاطون بيع وشراء القات ، تلك الشجرة الخبيثة التي تهدم البدن وتؤثر تأثيرا سيئا على العقل وقد راح فريق من عقلاء الافريقيين ينحون باللائمة على باعة القات من العرب بأنهم حتى بعد استقلال البلاد لا يزالون يسهلون للافريقيين الوقوع في شرك « القات » الخبيث .

هذه حالة العرب في الحاضر أما في المستقبل فأنا لا أتوقع للعرب ولا لأي جنس آخر أبيض أو اسمر أي مستقبل مشرق في افريقية ، لأن الافريقيين قد أخذتهم نشوة الظفر باستقلال بلادهم فاصبحوا يشعرون بأن لهم الحق في أن يكونوا دون سواهم من الاجناس سادة بلادهم ، وأن يعتبروا غيرهم من الوافدين من خارج القارة غرباء ليس لهم حق العيش كما للافريقيين الا بمقدار ما يؤدي للبلاد من خدمة على أن ننظر اليهم نظرة الغريب المتميز .

ومن المعلوم انه اذا كان التمييز بين الأجناس البشرية بعامل اللون فان ذلك يكون أصعب أنواع التمييز لأن لون الانسان لا يمكن ستره لذلك لا يمكن تناسيه فضلا عن نسيانه . وذلك بخلاف التمييز الذي يكون على أساس العرق والدين واللغة .

الى تنجانا :

تركنا مطار زنجبار بعد أن لبثنا فيه ربع ساعة وركبنا

الطائرة الى مدينة تانجا في تنجانيقة على ساحل القارة
الافريقية الى الشمال الغربي من زنجبار . وقد تعمد
الطيار أن يمر بنا فوق مدينة زنجبار بعد اقلع الطائرة
فأينها من الجو مدينة عربية ذات بيوت متلاصقة وغير
واسعة وتقع في الجهة الجنوبية الغربية من الجزيرة . وكان
أعلى ما فيها مئذنة شاهقة تشهد بأن البلدة بلدة اسلامية
عريقة ولا غرابة فان المسلمين في زنجبار يبلغون ٩٥ ٪ من
السكان .

أما الجزيرة نفسها فان المرء يرى شواطئها واضحة من
الطائرة ولم تمض على مغادرة الطائرة مطار زنجبار غير
٢٨ دقيقة حتى وصلنا مدينة تانجا وهي تبدو من الطائرة
مدينة جميلة كما يبدو الساحل الافريقي على المحيط الهندي
الذي تقع فيه المدينة أخضر مفروشا بالغابات ، ومطارها
صغير نسبيا ، وأول ما لفت نظري فيه ان دورات المياه فيه
كتب عليها « مرحاض أوروبي » أي افرنجي و « مرحاض
آسيوي » أما الافريقيون فلم تذكر لهم مراحيض هنا وقد
أمضينا في مطار مدينة «تانجا» ٢٥ دقيقة ثم غادرتها الطائرة.

الى مهبسة :

وكان اكثر من نصف مقاعد الطائرة خاليا منذ أن
غادرنا دار السلام حتى الآن حيث كان عدد الركاب قليلا
وأكثرهم كالعادة من الاوروبيين والهنود الا أنه كان معنا

افريقيان فقط . وقد أمضينا ٣٢ دقيقة في الطائرة ثم وصلنا الى مطار مدينة ممباسة في كينية ، وكان مطارها بالنسبة الى المطارات الثلاثة التي أقلعنا منها هذا الصباح وهي مطارات دار السلام وزنجبار وتانجا فحما واسعا جميل الرياش وكان يعج بالمسافرين وخاصة من الاوروبيين الذين كان بعضهم ينتظر طائرات ليسافر الى نيروبي وبعضهم ينتظر طائرات أخرى سافرت احداها الى دار السلام وهكذا امضينا ٣٢ دقيقة في مطار ممباسة ومن ثم غادرناه الى نيروبي ، وقد ازدحمت الطائرة الآن بالركاب حتى كادت تمتلىء جميع مقاعدها .

وأمضينا في الطريق من ممباسة الى نيروبي ساعة وربعاً ، وأتيح لنا ايضاً ان نرى قمة جبل كليمنجارو الشاهقة ولكن على البعد وقد جللتها قطع من السحاب الابيض الذي ارتفع عن مستوى السحاب العادي صاعداً مع ارتفاع الجبل حتى منكبيه فذكرت بيت امرىء القيس الذي يقوله في جبل أبان ولو رأى جبل كليمنجارو لما أثار أبان في نفسه شيئاً من الشعر :

كأن أبانا في أفانين ويله كبير أناس في بجاد مزمل

ولم تفتش حقائبنا ولا حقائب أحد من الركاب الذين جاؤوا معنا بالطائرة ، وهكذا عدنا الى مدينة نيروبي تاج افريقية الجميل ، المدينة التي لا يمل المرء العودة اليها .

إلى تنزانيته... مرة أخرى

يوم الثلاثاء ١٦/٨/١٣٨٦ هـ .
٢٩/١١/١٩٦٦ م .

ذهبنا مبكرين الى مطار نيروبي فاقلعت بنا طائسرة تابعة لشركة خطوط شرق افريقية الجوية من طراز (فريند شيب) ذات المحركين متأخرة زهاء عشرين دقيقة الأمر الذي لم نعتده من الشركة المذكورة حيث كانت طائراتها دائما مضرب المثل في دقة المواعيد وضبطها ، وقد غادرت الطائرة مطار نيروبي في تمام الساعة السابعة والدقيقة الاربعين الى ماليندي في كينية وعلى متنها ثلاثة وثلاثون راكبا لم أر بينهم افريقيا واحدا على عادة الطائرات في افريقية الشرقية، وكان معظم الركاب من الاوروبيين وبعض الهنود وقد جلس في المقعد المجاور لي في الطائرة أوروبي لاحظت عليه المرح وبعد أن تحدث الي وتحدثت اليه ذكر لي أنه انكليزي ترك انكلترا منذ عهد طويل ، وأنه عاش عدة سنوات في عدن وفي ليبيا كما أنه قد زار من البلاد العربية سورية ولبنان ومصر . وقد أتفقنا الوقت كله في الحديث معه واستمر الطيران لمدة ساعة وعشرين دقيقة حيث وصلنا مطار ماليندي وقد أخبرني أنه ذاهب الى ممباسة .

مطار ماليندي :

مطار صغير ولكنه نظيف ويقع وسط أراض كثيفة الاشجار بل هي غابات عظيمة حيث أن ماليندي كما أسلفت

مدينة ساحلية تقع على المحيط الهندي .
وفي المطار انتظرنا (١٥) دقيقة ، ثم عدنا الى الطائرة
ولم ينزل أحد من ركابها كما لم يصعد اليها راكب جديد،
وقد تكلم صاحبنا الانكليزي عن اسماء بعض البلاد
بالعربية مثل دار السلام ، وقبل أن ننزل في مطار ممباسة
أخرج لي بطاقته الشخصية «الكرت» وأعطها الي وطلب
مني أن أملي عليها اسمي وعنواني وقال آمل اذا عدت الى
نيروبي أن أراك هناك .

ونظرت في الكارت فاذا هو شخصية كبيرة فهو جنرال
سابق في الجيش ويعمل الآن مديرا لشركة القوة الكهربائية
في شرقي افريقية ، وقد استمر طيراتنا من ماليندي الى
ممباسة عشرين دقيقة ثم من ممباسة الى (تانجا) وهي
اول مدينة في تنزانية نصلها في هذه الرحلة «٣٠» دقيقة
ومطارها صغير وهو أقل نظافة من مطار ماليندي وقد
انتظرنا هناك (١٥) دقيقة ، ثم قمنا من «تانجا» الى زنجبار
حيث قطعت الطائرة المسافة في (٣٥) دقيقة ولبثت قبل
نزولها تطير في محاذاة الساحل الغربي للجزيرة حيث كان
ساحل افريقية الرئيسي عن يميننا وساحل زنجبار عن
يسارنا وتبدو زنجبار حقا جزيرة خضراء لا تكاد ترى فيها
بقعة خالية من الخضرة .

والواقع أن كلمة زنجبار معناها بر الزنج أو ساحل
بلاد الزنج وكانت تطلق قديما على ذلك الساحل الذي هو

الآن عن يميننا أي على الساحل الأفريقي وليس على تلك الجزيرة الصغيرة بالذات ولكن الاسم بعد ذلك انصرف الى تلك الجزيرة كما انصرف اسم البحرين من ساحل الجزيرة العربية الشرقي أي بلاد القطيف والاحساء الى تلك الجزيرة الصغيرة في الخليج العربي والتي كانت تسمى جزيرة «أوال» وعندما اقتربت الطائرة بنا من الأرض وهي تستعد للنزول على بعد من المطار ظهرت لنا قبة المسجد الجامع في مدينة زنجبار وهي أوضح ما تكون من المدينة ثم ظهرت عدة مآذن أخرى .

مطار زنجبار :

نزلت الطائرة فكان أول ما حاولت أن أراه تلك الكلمة المكتوبة بالعربية والتي رأيتها في المرة الماضية عندما زرت أو على الاصح عندما نزلنا في مطار زنجبار عابرين على نفس الخط الذي نسير عليه الآن الا أنه في الاتجاه المضاد وهي كلمة « زنجبار » . وقد وجدتها كما هي ، ثم دخلنا قاعة العابرين وقد تنقذتها لأرى ما اذا كانت تلك الصور التي كانت تصور تخلص الأفريقيين من حكم العرب في زنجبار باقية كما رأيناها في المرة الماضية حيث كانت الثورة التي قاموا بها ضد العرب لم يمض عليها وقت طويل وقد وجدتها مرفوعة من القاعة وكانت احدى اللوحات المذكورة تصور الأفريقي وقد حطم القيد الذي كان في

يديه اشارة الى ما سبق ، وقد لبثت الطائرة في المطار
عشرين دقيقة ثم قمنا الى دار السلام ولم يستمر طيرانها
غير (١٥) دقيقة نزلنا بعدها في مطار دار السلام .

المطار كما عهدناه لا يداني مطار نيروبي ولكنه قد
أحدثت فيه ترميمات حسنت من مظهره قليلا ، وقد
مررنا خلى ضابط الجوازات وكان افريقياً بجانبه آخر
يظهر أن أصله عربي وما أن عرفنا أننا عرب حتى اخذا
يدققان في الجواز ويسألان عن عملنا ثم مررنا من عندهما
الى ضابط الجمرك الذي سألنا من أين قدمتم فقلنا له اننا
قدمنا من نيروبي فأشار الى حقائبنا بدون تفتيش ،حيث
أن جميع أقطار شرقي افريقية وهي كينية وتنزانية
وأوغندا تعتبر منطقة جمركية واحدة ، وهكذا اخرجنا من
المطار بسهولة لم نكن نتصورها .

ونزلنا في فندق «زاهر هوتيل» وصاحبه مسلم سني
هندي وهو الفندق الذي سكنت فيه في الرحلة السابقة .

دار السلام :

هذه هي المرة الثانية التي أدخل فيها دار السلام ولم
تتغير عما رأيتها عليه منذ سنتين سوى أننا الآن في
موسم الحر هنا حيث شعرنا بحر شديد لم نكد نتصور
أنه موجود في شرقي افريقية وخاصة لأننا قدمنا من
نيروبي وقبلها من أوغندا ، ولا غرو فموسم الحر هنا قد

بدأ لأن دار السلام تقع في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية وهي الى ذلك مدينة ساحلية ويجدر بالذكر أننا علمنا ان العطلة الصيفية للمدارس هنا بدأت قبل ثلاثة أيام أي يوم «٢٥» نوفمبر وهذا في الوقت الذي يشتد فيه البرد في بلادنا في هذه الايام ويستعد الناس عندنا لموسم الشتاء بل يعتبرون الموسم قد حل ويمكن ان يقال ان اربعينية الشتاء في بلادنا تساوي اربعينية الصيف في هذه البلاد .

والذي يقدم من نيروبي الى دار السلام يلاحظ الفرق بينهما ليس فقط في الجو بل في تنظيم البلديتين ونظافتهما فبينما تعد نيروبي مدينة نموذجية بالنسبة لدول شرقي افريقية تعتبر دار السلام تشبه الموانئ في جزيرة العرب حيث يكثر التراب في الاسواق وتكثر الاماكن التي تحتاج الى ترميم في الشوارع والارصفة وغيرها .

أما في اللباس وألوان السكان ولغتهم فليس هناك كبير فرق الا في قلة الاوروبيين هنا وكثرتهم في نيروبي ، والا فالسواد الاعظم هنا من الافريقيين يليهم الهنود وهنا يجد المرء جالية عربية نشيطة نسبيا على خلاف ما عليه الحال في نيروبي ويرى أيضا فرقا في الاسماء التي تعلق المتاجر والجوانيت اذ ان أكثر الهنود هنا من المسلمين على خلاف ما عليه الحال في نيروبي حيث أكثر

الهنود من الهندوكيين كما أن هناك في نيروبي جماعة من
السيخ كبيرة وهم هنا من الندرة بحيث لا يكادون
يرون وفي دار السلام لا يعدم المرء لافتة مكتوبة بالعربية
وان كانت قليلة ، والعرب هنا أكثرهم من التجار وان كان
التجار الكبار فيهم قليلون وأكثر التجار من الحضرميين
ثم من العمانيين .

وقد قصدنا مسجد الجمعة حيث صلينا المغرب
فيه وتعرفنا على امامه وهو عربي حضرمي يدعى « عبد
القادر الجنيد » ، وقد طربنا حين رأينا المسجد يكاد يمثل
على سعته بالمصلين الذين حضروا للصلاة قبل أذان المغرب
بوقت ، وقد صلى خلف الامام من الناس عدد كبير جدا ،
ولعل السبب في ذلك كون المسجد المذكور يقع في السوق
العام في دار السلام فيصلي فيه التجار وغيرهم .

يوم الاربعاء ١٣٨٦/ ٨/١٧ هـ .
١٩٦٦/١١/٣٠ م .

لدى الجمعية الاسلامية :

خرجنا مبكرين اليوم قاصدين مقر جمعية الاسعاف
الاسلامية التي هي الجمعية الاسلامية الوحيدة المأذون بها
في تنزانية في هذا الوقت وقد قابلنا فيها الاستاذ عزيز خاكي
الامين العام للجمعية وكنت قد اجتمعت به سابقا في المدينة

المنورة ثم في دار السلام وبحثت معه في شأن مهمتنا لأننا لم نجد رئيس الجمعية المذكورة وهو أحد زعماء المسلمين من الافريقيين في هذه البلاد، وكان وزير الاراضي والغابات سابقا ، ثم سفير تنزانية في الصين ، ويعمل مديرا للمصانع الحكومية في دار السلام .

ثم تركنا الجمعية قاصدين قنصلية زامبية لأخذ تأشيرة منها الى زامبية ، وقد قابلتنا فتاة افريقية أخذت جوازاتنا ثم أعادتها اليها بعد فحصها داخل المبنى ، ثم أعطتنا استمارات ملئها وأمرتنا بالرجوع اليهم غدا .

في سفارة الكنفو :

ومن سفارة زامبية دخلنا الى مكان مجاور هو سفارة الكنفو في دار السلام وقد قابلتنا فتاة افريقية عرفنا فيما بعد أنها تنزانية الجنسية من تانجا ، فلما أخبرناها أننا نريد الحصول على تأشيرة للدخول لنا للكنفو أعطتنا أوراقا مكتوبة بالفرنسية عرفنا أنها تتضمن طلب مقابلة القنصل فملأناها فذهبت بها الى مكتب مجاور ثم بعد قليل جاء الاذن لنا بالمقابلة فذهبت بنا حتى أدخلتنا على موظف كونغولي افريقي يتكلم الفرنسية و شيئاً من السواحلية ولما كان لا يعرف من الانكليزية شيئاً ونحن كذلك لا نحسن من الفرنسية ولا السواحلية شيئاً يكفي طلب شخصا بالتلفون فكان سكرتيرة أوروبية قامت

بالترجمة بيننا وبين القنصل الكونغولي فكان يتكلم بالفرنسية فتنتقل الينا كلماته بالانكليزية وهكذا تنقل كلماتنا من الانكليزية الى الفرنسية وقد أمرنا أن نحضر غدا صورا شمسية ونملأ استمارات ثلاثا أعطانا اياها ووعدنا بانجاز الاوراق غدا على ان يعطينا تأشيرة للمرور فقط ويقول اذا احتجتم الى مزيد من الوقت فيمكنكم اخذ ذلك من دائرة الهجرة في كينشاسا أي عاصمة الكونغو وقال : انكم بالتأشيرة التي سنعطيك اياها يمكنكم قضاء ثلاثة أيام الى خمسة هناك فشكرناه وانصرفنا ، وكان لطيفا معنا مجاملا كل المجاملة .

مع رئيس الجمعية الاسلامية :

مر علينا السيد عزيز خاكي الامين العام لجمعية الاسعاف الاسلامية في فندقنا بعد ظهر اليوم حيث صحبنا الى منزل رئيس الجمعية المذكورة ومنزله يقع على بعد حوالي (٧) اميال من دار السلام شمالا قرب ساحل البحر وقد قابلنا رئيس الجمعية الاسلامية بعواطف طيبة ويشر ظاهر وقال لنا انني لأقابلكم بقلب مفتوح لأنكم اخوان لنا أعزاء جتتم من عند اخوان أعزاء نكنّ لهم كل مودة واخلاص لأنكم من مهد الاسلام ومهبط الوحي ثم أخذ يتكلم عن العلاقة الاسلامية الوثيقة التي تربط بين المسلمين فرددت عليه بكلمة شكرته فيها على ترحيبه

الجار بنا وكررت له ما ذكرته سابقا لاخواننا الافريقيين من ضرب المثل بقرب بلال بن رباح (رضي الله عنه) وهو افريقي من رسول الله (صل الله عليه وسلم) وبعده أبي لهب منه وهو عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنه كان كافرا ثم أبلغته تحيات وسلام سماحة مفتي البلاد السعودية وفضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ثم قدمت اليه عرضا بارسال ثلاثة من المدرسين تكون جميع رواتبهم ونفقات ارسالهم وسكناهم على حساب دار الافتاء في المملكة العربية السعودية وقدمت اليه استعدادنا لتدريس وقبول عدد من الطلبة من تنزانية في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لدراسة العلوم الاسلامية هناك كما أخبرته أنه بإمكاننا تقديم مساعدة مالية للجمعية وللمدارس الاسلامية هنا فقال : انني أشكركم لهذه العروض الطيبة ، ورددت عليه بأن هذا واجبنا ونحن نشعر أننا لم نقم الا ببعض الواجب ثم قلت ان هذا شيء متواضع ولكنني ارجو أن يكون البداية الطيبة لعمل اسلامي طيب فكرر شكره ثم ودعناه وانصرفنا..

يوم الاثنين ١٣/٢٢ / ١٣٨٦ هـ .

٥ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

قمنا مبكرين وقصدنا مكتب شركة شرق افريقية

للطيران لنسأل عن الحجز الذي كنا قد طلبناه من قبل ذلك
 بثلاثة أيام ، وذكر لنا الموظف المسؤول وهو هندي غير
 مسلم أنه سيخبرنا اذا جاء الرد بالموافقة من نيروبي وعندما
 سألته كان جافا ضيق العطن فقال : راجعني في الساعة
 الحادية عشرة فتركته ، وقصدت فرع بنك باركليز في دار
 السلام لأصرف بعض الصكوك السياحية فوجدت من
 الارتباك وعدم النظام وكثرة التأخير في البنك ما لم أشهده
 في أي بنك آخر في شرق افريقية ، ولا شك أن ذلك كان
 بسبب عدم كفاءة الموظفين فقد كانوا على قتلهم يبطئون في
 انجاز الاعمال مما استغرق مني وقتا طويلا ثم رجعت
 من البنك الى الموظف الهندي في الشركة قبل
 تمام الساعة الحادية عشرة لانني اردت أن أذهب بعد
 ذلك الى سفارة زامبية بدون أن أتكلف عناء العودة الى
 الشركة فما أن رأني داخلا حتى رفع صوته في وجهي
 قائلا : أنا قلت لك في تمام الساعة الحادية عشرة ، وذلك قبل
 أن أسأله ، أو أكلمه . فقلت : نعم ، وانصرفت متعجبا من
 الفرق الواضح بين خلقه وبين أخلاق الاوروبيين الذين
 تعودنا منهم سعة الصدر ، وكثرة المجاملة ، وعدم احراج
 السائل أو المستفهم ، فقد كان الموظف قد قال لي أنه ينتظر
 برقية من نيروبي والبرقية ليس لوصولها حد معين فمن
 الجائز أن تكون قد وصلت وعلى سبيل الفرق بأنها لم تصل
 فان كل ما يكلف هذا الموظف أن يقول لا خبر .

لدى قنصل زامبية :

ثم أخذت سيارة أجرة الى سفارة زامبية حيث قابلنا القنصل هناك وهو افريقي متعصب لأفريقيته تعصبا لا أظن أنه يقل عن تعصب الاوروبيين لأوروبيتهم ، وكان قد امتنع في السابق عن اعطائنا تأشيرة مرور الى زامبية الا اذا حصلنا على تأشيرة دخول الى روديسية ومن المعلوم أنه لا يمكن ذلك لأنه لا يوجد أحد يمثل روديسية في دار السلام أو غيرها من أنحاء العالم ، وقال : انني اذا أعطيتكم تأشيرة مرور وانتم لم تحصلوا على تأشيرة الى بلد آخر بعد زامبية فربما تجلسون هناك ، فقلت له : اتنا معنا تذاكر سفر بالطائرة الى عدة جهات ومعنا مبالغ كافية من المال بالعملة الصعبة ومعنا تأشيرة عودة الى نيروبي فاذا لم تقبلنا روديسية فان بإمكانكم أن ترحلونا في اية لحظة الى نيروبي أو غيرها اذا لم نرحل بانفسنا فامتنع ، ومع ذلك فقد وجدنا في قوله بعض الوجاهة . هذا كان يوم الجمعة فأخذنا تأشيرة دخول الى الكونغو وهي بلد مجاور لزامبية ، وقلنا لعل ذلك يشفع لنا لديه ، وعدت اليه هذا اليوم على هذا الامل ، ولكنه لم يكلف نفسه حتى عناء النظر في جوازاتنا ، وهل ما ذكرناه من أننا قد حصلنا على تأشيرة الى الكونغو صحيح وأخذ يناقشنا في امور هي أبعد ما تكون عن الواقع وأهمها قوله اذا أعطيتكم تأشيرة مرور فماذا تصنع لكم الهجرة ودائرة الشرطة في زامبية

وأتم لا تحملون اقامة طويلة فقلنا له ليصنعوا بنا ما
شأؤوا ، ونحن على مسؤوليتنا نتقبل أي اجراء تقوم به
الشرطة هناك ، لأننا نثق بأنهم اخواننا ولن يصنعوا بنا
ما يضر ، وأقصى ما يفعلونه ان يرحلونا عن بلادهم أو ان
يسجنونا الى حين موعد الطائرة فيرحلونا عليها وهذا ما
نقصد اذ أننا لا نقصد أن نقيم هناك مدة طويلة ، وبعد
نقاش معه رفض اعطاءنا حتى تأشيرة مرور .

قللت له قبل ان أودعه : اني آسف على عدم منحنا
سمة الدخول من قبلكم ونحن نعتبر الافريقيين بمثابة
اخوان لنا وبخاصة لأن ذلك قد حدث بعد عدة اتصالات
كلفتنا كثيرا من الوقت ، ثم ودعته وانصرفت .

وذكرت في نفسي المرة الاولى عندما أردنا الدخول
الى زامبية وكانت تسمى في ذلك الوقت روديسية
الشمالية فقد ذهبنا الى القنصلية البريطانية ، فأعطونا
تأشيرة دخول مجانية اليها ، ولم يستغرق ذلك أكثر من
نصف ساعة ومع تلك التأشيرة كانوا يقدمون لنا كافة
المعاملات وحسن المعاملة والاستقبال .

والواقع فيما نعتقد أن وصولنا الى زامبية لو تيسر
لنا دخولها لن يكون فيه أي ضرر لأحد بل ان العكس
هو الصحيح لأننا نحمل مبالغ كبيرة من المال بالعملية
الصعبة سننفقها فيها ، ولن نتدخل في أي شأن من

شؤونها السياسية كما هي عادتنا وكما فعلنا في المرة الاولى .

وكان حرصي على دخولها لأتني في الرحلة السابقة قد وعدت بعض اخواننا المسلمين فيها بمعونة مالية وتعليمية من المملكة العربية السعودية تشمل تقديم المنح الدراسية ، لأبنائهم وتقديم المساعدات المالية لمؤسساتهم الاسلامية ، والاتفاق على ارسال بعض المدرسين والمرشدين بدون أن يتكلفوا الاتفاق عليهم ، وكانت هذه فرصة للوفاء لهم بذلك الوعد في هذه المرة لو تيسر لنا دخول البلاد .

ثم عدت الى صاحبنا الهندي الموظف في شركة افريقية للطيران وهو هندوكي الديانة لأسأله عن مصير حجز المقاعد لنا الذي كلمته بشأنه ، فلما رأني مقبلا قال بصوت مرتفع : (نوروم) أي لا مكان لكم في هذه الطائرة ثم اخذ يكررها فقلت في نفسي : (نصدق بلا حلف) اذ لا داعي للتكرار منه .

وخرجت من عنده وأنا أقارن أيضا في نفسي بين موقفه وبين بعض الموظفين الاوروبيين الذين كانوا يخدموننا في حدود واجبههم خدمة صادقة ويسمعوننا من عبارات المجاملة ما لا يمكن أن نسمعه الا من صديق على الرغم من علو مكائتهم في التعليم ، ورفعة دولهم ، وأولئك المتخلفون على تخلفهم - يعاملون الناس معاملة فظة فتمثلت بقول القائل القديم : « كل ينفق مما عنده »

أو كما يقول المثل العربي « كل اناء بما فيه ينضح » .

جمعية الاسعاف الاسلامية :

ذهبنا بعد الظهر الى جمعية الاسعاف الاسلامية في دار السلام وقدمنا الى الجمعية تبرعا ماليا وكلمت سكرتير الجمعية الاستاذ عزيز خاكي عما حدث لنا في شركة الطيران ونحن وقتنا ضيق ، ونريد السفر فقال : ان ادارة مكتب الشركة سيئة جدا ، ولكن لا بأس ، تركبون ان شاء الله ، فان لي صديقا له وكالة سفريات يمكن أن يساعدكم ثم اتصل به هاتفيا فقال له : اطمئن واعتبر أنهم مسافرون وعليهم الاتصال بي في الصباح الباكر غدا ففرحنا لذلك وخرجنا من عند الجمعية بعد ان ودعنا بعض الموظفين الموجودين فيها والذين كنا قد تعرفنا عليهم سابقا .

ثم ذهبنا الى الشيخ « حسن بن عمير الشيرازي » كبير علماء تنجانيقة في بيته لرد الزيارة التي كان قد قام بها الينا في الفندق .

ويقع بيته في غربي دار السلام في حي تقطنه أغلبية افريقية وأقلية عربية واقل من الاقلية من الهنود .

اللغة السواحلية :

مررنا ببناء كتب عليه (مجمع اللغة السواحلية) وقد

أخبرت أنه عبارة عن جمعية تشرف على الكتب ،
والمطبوعات التي تصدر باللغة السواحلية فتأذن بإخراجها
إذا كانت لغتها قوية وفقا للقواعد المطلوبة ، كما أن تلك
اللجنة تقدم الاقتراحات الخاصة بالنهوض بتلك اللغة
وحمايتها من الالفاظ الدخيلة .

وآخر عمل لتلك اللجنة تقدمت به الى حكومة تنزانية
هو أن تعلن ان اللغة الرسمية للدولة هي السواحلية فقط
وكانت قبل ذلك اللغة الانكليزية .

وهكذا أعلنت الحكومة ذلك ونحن في نيروبي مما
جعل بعض الحاقدين على العرب هناك يكتب في صحيفة
يومية تصدر بالانكليزية قائلا : ان اللغة السواحلية تذكر
الافريقيين بالعهد الذي كان فيه العرب يبيعون الافريقيين ،
وهو يشير ذلك الى أن جزءا كبيرا من مفردات اللغة
السواحلية قد دخلها من اللغة العربية .

واللغة السواحلية سبق لي ان ذكرت شيئا عنها ،
وقد أسماها العرب بهذا الاسم نسبة الى السواحل - جمع
ساحل - والمراد بها سواحل افريقية الشرقية فهي عبارة عن
اختلاط العربية لغة العرب الذين قدموا الى تلك البلاد
باللغة المحلية للمواطنين الافريقيين هناك ، ويمتد نفوذ
اللغة السواحلية من كينية حتى اواسط الكنفو على
اختلاف تلك الاقطار ، فمثلا في زنجبار وساحل تنجانيقة
وكينية لا يعرفون غيرها وفي المناطق الاخرى هناك لغات

أخرى ولكنها تتصف بصفة المحلية أما السواحلية فانها لغة اقليمية يمكن للجميع ان يتفاهموا بواسطتها .

واللغة السواحلية حافلة بالمفردات والتعابير العربية وهناك خلاف بين اللغويين هل هي عربية مؤفرقة . أي أنها العربية دخلها كثير من المفردات والتعابير الافريقية ؟ ام انها لغة افريقية معربة ؟ . وأصح الاقوال أنها في الاصل عربية مؤفرقة ، أي انها عبارة عن مفردات وتعابير عربية أخضعت للطابع الافريقي .

وقد دخلت العربية الى السواحل الافريقية الشرقية في عصور مختلفة ، وكلما ضعف تأثير العربية لسبب من الاسباب جاءت موجات جديدة من الهجرة العربية فدفعت في عروقها بدماء عربية جديدة . والآن وقد أصبحت اللغة السواحلية احدى اللغات الرسمية في كثير من بلدان شرقي افريقية ووسطها حتى في الكونغو . فانها قد ظفرت بكثير من عناية الباحثين ، والدارسين .

ولقد حاولت الحصول على كتاب يوضح الكلمات العربية في السواحلية الحديثة وسألت فضيلة الشيخ محمد قاسم المزروعى عن ذلك فقال ان احد علماء العمانيين في ممباسة كتب رسالة في هذا الموضوع وأنها مخطوطة لم تطبع بعد ووعدني الاتصال بورثة المؤلف ، ولكن لم يتيسر له ذلك .. وقد جمعت بعض الكلمات العربية في جداول سأوردها هنا على سبيل المثال لا الحصر

ويلاحظ أن الكلمات العربية أصبح كثير منها خاضعا
للنطق الافريقي الذي يحوّل الكلمات لمقاطع ممدودة .
فمثلا : (سَكَّر) العربية صارت (سكارى) بالسواحلية ،
وسمك (سماكا) و قهوة (قاهوا) .. الخ ..

وما الطف قول الافريقيين حيث يقابل بعضهم بعضا
(خبارى) ؟ أي خبرك . والمراد : ما خبرك ؟ أي : كيف
حالك ؟ .

وفي الاذاعة في مباحثة يقول المذيع : (هني اذاعة
صوت كينيا . أي هنا اذاعة صوت كينيا) وكلماته كما ترى
كلها عربية ، وهني : هنا بالامالة .

وأذكر أنني في مقهى فندق بقداس في بزمبورا
عاصمة بروندي حاولت ان اطلب قهوة بدون سكر
بالانكليزية فلم يعرف الخدم كلامي ، وأنا لا اعرف
الفرنسية لغة المستعمرين التي يفهمونها فرجعت الى
السواحلية فاسعفتني بما أريد اذ قلت (قهاوى بلا سكارى)
أي (قهوة بلا سكر) ، والكلمات كلها عربية كما ترى
ففهموا مني بسرعة .

وهذه هي بعض الكلمات العربية في السواحلية .

النطق السواحليالسواحلية بحروف لاتينيةالعربية

خباري	KHABARI	خبر
زيادا	ZIYADA	زيادة
كاميلي	KAMILI	كامل
ربعو	ROBO	ربع
نصو	NUSU	نصف
راسي	RASI	رأس
اذاعا	IDHAA	اذاعة
ساعا	SAA	ساعة
عسكري	ASKARI	عسكر
غالي	GHALI	غال
واجب	WAJIB	واجب
عنواني	ANWANI	عنوان
سياسا	SIYASA	سياسة
أما	UMMA	أمة
بعضي	BAADHI	بعض
عدوي	ADUI	عدو
عماري	UMARI	عمر
معنى	MAANA	معنى
مراضي	MARADHI	مرض
اهورو	UHURU	الحرية
كبولي	KUBULI	قبول

<u>النطق السواحلي</u>	<u>السواحلية بحروف لاتينية</u>	<u>العربية</u>
محلّى	MAHALA	محل
كوردي	KURUDI	كردّ
دمو	DAMU	دم
كاتيبو	KATIBU	كاتب
جيشي	JESHI	جيش
لازما	LAZIMA	لازم
جاديلي	JADILI	مجادلة
داوا	DAWA	دواء
رفيكي	RAFIKI	رفيق (صديق)
بعدا	BAADA	بعد
كبلا	KABLA	قبل
معلوم	MAALUM	معلوم
كورا	KURA	قرعة
جهودي	JUHUDI	جهود
كوجاريبو	KUJARIBU	تجربة
ساماكي	SAMAKI	سمكة
بحاري	BAHARI	بحر
حالي	HALI	حال
اعلاني	ILANI	اعلان
جماعا	JAMAA	جماعة
فاهامو	FAHAMU	فهم

<u>النطق السواحلي</u>	<u>السواحلية بحروف لاتينية</u>	<u>العربية</u>
تفضلي	TAFADHALI	تفضل
كريبو	KARIBU	قريب
كتابو	KITABU	كتاب
كالامو	KALAMU	قلم
سفاري	SAFARI	سفر
كاراتاسي	KARATASI	قرطاس
صاندوكو	SANDUKU	صندوق
دوكاني	DUKANI	دكان
كوداني	KUDHANI	ظن
فيكيرا	FIKIRA	فكرة
اكيلي	AKILI	عقل
وزير	WAZIRI	وزير
رئيسي	RAISI	رئيس
وزارا	WIZARA	وزارة
عيليمو	ILIMU	علم
عافيا	AFYA	عافية
سيها	SIHA	صحة
داليلي	DALILI	دليل
مصاحفو	MSAHAFU	مصحف
هوتوبا	HUTUBA	خطبة

<u>العربية</u>	<u>السواحلية بحروف لاتينية</u>	<u>النطق السواحلي</u>
الخميس	AL-KHAMISI	الخميسي
الجمعة	JUMAA	جمعا
سرّ	SIRI	سيري
مسألة	MASAULA	مساوالا
تجربة	TUJARIBU	توجاربو
إلا	ILA	الا
خيمة	KHEMA	خيما
ميزان	MZANI	مزاني
ابريق	BIRIKA	بريكا
صحن	SAHANI	صاهاني
قهوة	KAHAWA	قاهوا
رسمي	RASMI	راسمي
مساعدة	MSAADA	مساداة
رعية	RAIYA	رعيا
امانة	AMANA	امانا
مشورة	SHAURI	شوري
زيارة	KUZURU	كوزورو
سواء	SAWA	سوا
وكيل	WAKILI	واكلي
عيد	IDI	عيدي
حزن	HUZUNI	حوزوني

<u>النطق السواحلي</u>	<u>السواحلية بحروف لاتينية</u>	<u>العربية</u>
فوراحا	FURAHA	فرح
لغا	LUGHA	لغة
سلاما	SALAMA	سلام
فخاري	FAKHARI	فخر
فائدة	FAIDA	فائدة
مالي	MALI	مال
او	AU	او
شرطي	SHARTI	شرط
ماشاركي	MASHARIKI	مشرق
ماغاريبي	MAGHARIBI	مغرب
واكاتي	WAKATI	وقت
حديثي	HADITHI	حديث
تعريفا	TAARIFA	تعريف
خوفو	KHOFU	خوف
فاراسي	FARASI	فرس
كوهوصو	KUHUSU	خصوصا
لاواما	LAWAMA	لوم
كانيسا	KANISA	كنيسة
كوشوكورو	KUSHUKURU	شكر
مسواكي	MSWAKI	السواك
هسارا	HASARA	خسر

<u>النطق السواحلي</u>	<u>السواحلية بحروف لاتينية</u>	<u>العربية</u>
سابابو	SABABU	سبب
كياسى	KIASI	قياس
نفسى	NAFSI	نفس
كوصوبيرى	KUSUBIRI	صبر
سلاحا	SILAHA	سلاح
دينى	DINI	دين
عبادا	IBADA	عبادة
شاربعا	SHARIA	شريعة
ماشاكَا	MASHAKA	مشقة
صوتى	SAUTI	صوت
ييعى	BEI	ييع
ثامانى	THAMANI	ثمن
سيتا	SITA	ست
سابا	SABA	سبع
تيسا	TISA	تسع
عشرينى	ISHIRINI	عشرين
ثلاثينى	THALATHINI	ثلاثين
ضمانا	DHAMANA	ضمان
سيهمو	SEHEMU	سهم
حالالى	HALALI	حلال
حرامو	HARAMU	حرام

<u>النطق السواحلي</u>	<u>السواحلية بحروف لاتينية</u>	<u>العربية</u>
كوكيضي	KUKIDHI	قضاء
السبوهي	ASUBUHI	صباح
واتووا	WATUWA	خطوة
واكاتي	WAKATI	وقت
ماكتبا	MAKTABA	مكتبة
اتيفاكي	ITIFAKI	اتفاق
تاريهي	TAREHE	تاريخ
بضاعا	BIDHAA	بضاعة
ميتي	MAITI	ميت
ميراثي	MIRATHI	ميراث
فرسا	FURSA	فرصة
كاموسي	KAMUSI	قاموس
سيري	SIRI	سر
هاكي	HAKI	حق
بن آدم	BIN ADAM	بني آدم
هاكيكا	HAKIKA	حقيقة
دايما	DAIMA	دائم
شاك	SHAKA	شك
كارني	KARNE	قرن
حتى	HATA	حتى
جامهوري	JAMHURI	جمهور

<u>النطق السواحلي</u>	<u>السواحلية بحروف لاتينية</u>	<u>العربية</u>
ماعيشا	MAISHA	معيشة
مارا	MARA	مرة
هاليسي	HALISI	خالص
شريكا	SHIRIKA	شركة
ناعاما	NAAMA	نعم
كوهيتاجي	KUHITAJI	احتياج
فلاني بن فلاني	FULANI BIN FULANI	فلان بن فلان
سلتاني	SULTANI	سلطان
صاهيهي	SAHIHI	صحيح
دونيا	DUNIA	دنيا
تايفا	TAIFA	طائفة
داكيكا	DAKIKA	دقيقة
موهيمي	MUHIMI	مهم
تاييعا	TABIA	طبيعة
اذيا	UDHIYA	اذية
سوالي	SUALI	سؤال
ماجي	MAJI	ماء
مسيكي	MSIKITI	مسجد
صالا	SALA	صلاة
صاداكا	SADAKA	صدقة
زاكا	ZAKA	زكاة

الإسلام في تنزانيّة

من المعروف ان حكومة تنزانية الحالية تميل الى الشيوعيين وتطبق كثيرا من اساليبهم ولذلك فقد ألغت رخص جميع الجمعيات الاسلامية عدا جمعية واحدة هي المسماة جمعية الاسعاف الاسلامية لأن الجمعية المذكورة يشترك الاسماعيليون بتمويلها وهم اصحاب ثراء واملاك طائلة فتستفيد الدولة ماديا من الجمعية المذكورة وقد عمدت الحكومة الى ربط جميع المدارس الاسلامية النظامية تحت اشراف الجمعية المذكورة فزرننا بعض المدارس التي تنفق عليها الجمعية المذكورة فوجدنا أكثرها قد حولت الى مدارس مدنية ، وخصص الدين واللغة العربية فيها قليلة جدا وقد لمسنا أنه لا يكاد يوجد عندهم من مدرسي الدين واللغة العربية أحد لذلك رأينا ان من المناسب ارسال بعض المدرسين من الموثوق بدينهم وحسن تصرفهم في العلاقات بين الناس لكي يدرسوا في تلك المدارس ولكن الحكومة التنزانية المذكورة لم توافق على منحهم تأشيرات الدخول والعمل فيها . وقد اجتمعنا برئيس الجمعية الوحيدة المذكورة ويدعى السيد تي . آ . تيوا . وكان وزير الغابات والاراضي في حكومة تنجانيقة ويشغل الآن وظيفة رئيس مجلس ادارة احد المشاريع الزراعية الصناعية هناك . وأصله من تنجانيقة من عائلة عريقة في الاسلام ولكنه لا يعرف من الاسلام شيئا وقد تحدثنا معه طويلا في المسائل الاسلامية العامة وما ينبغي ان تكون عليه

العلاقات الاخوية بين المسلمين كما شرحنا له مرامي السياسة
الاسلامية الرشيدة التي ينادي بها جلالة الملك فيصل حفظه
الله والتي تهدف الى جمع كلمة المسلمين وازالة العوائق
التي تحول دون اتصال بعضهم ببعض وذلك بغية ما ينفعهم
ويصلح من احوالهم في الدين والدنيا . كما أخبرناه ان
بالامكان ارسال بعض المدرسين الى هنا لمساعدتهم على
تعليم ابنائهم ما ينفعهم من امور دينهم مع بذل الارشاد
والنصح لجميع المسلمين هناك بدون التدخل في الشؤون
السياسية أو أية شؤون اخرى خارج دائرة عملهم التعليمي.
كما ان الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة يمكنها
تقديم بعض المنح الدراسية للطلبة المسلمين في تنزانية
للدراسة في الجامعة الاسلامية على نفقة الحكومة السعودية
هذا الى جانب المساعدة المادية التي أمر بها جلالة الملك
فيصل المعظم حفظه الله لمعاونة الجمعيات الاسلامية .

وقد أبدى شكره لذلك ولكننا شعرنا انه لن يقول كل
ما يود قوله عن علاقة المسلمين بالحكومة الحاضرة . وقد
اتصلنا بعد ذلك بالشيخ حسن بن عمير الشيرازي وهو
كبير العلماء في تنجانيقة شافعي المذهب على درجة عظيمة
من المكانة في نفوس المسلمين هنا ، وقد أخبرنا ان الحالة قد
تغيرت عما كانت عليه في عهد الحكم الانكليزي حيث كان
الناس في ذلك العهد احرارا في كل شيء أما الآن فلا حرية
الا لأنصار الحكومة وقد طلبنا منه ترشيح بعض الطلبة

ولكنه قال ان ذلك ليس بإمكانه الآن اذ لا يقبل منه ولا من غيره ممن ليسوا على وفاق تام مع الحكومة ان يرشحوا احداً أو يحصلوا على اذن بالسفر للبلدان الاسلامية .
وقد تجولنا على بعض المدارس والكتاتيب في دار السلام وطلبنا الحصول على اذن لزيارة زنجبار ولكننا أخبرنا ان ذلك لا يمكن الا بإذن من حكومة زنجبار نفسها وانه يحتاج الى مدة تزيد على شهر في المتوسط اذا قبل الطلب .

الاسلام في تنزانية :

تتكون تنزانيا من تنجانيقة وزنجبار .

أولا - تنجانيقة :

يعتبر المسلمون اكبر جماعة دينية في تنجانيقة ويأتي بعدهم في الكثرة الوثنيون فالمسيحيون ، ومع ذلك فالسلطات الحقيقية بأيدي المسيحيين نظرا لوجود المتعلمين منهم اكثر من المسلمين ونظرا الى انهم بطبيعتهم كانوا في زمن الحكم الانكليزي اكثر ميلا للاروبيين بل انهم جميعا تعلموا في المدارس الاوروبية او في مدارس المبشرين وعلى الرغم من ان حكومة تنزانية يسارية فان رئيسها (نيريري) هو مسيحي وله نائبان من المسلمين هما (رشيد كاواوا وعبيد كارومي) وحوالي نصف اعضاء الحكومة من المسلمين ..

ويقدر سكان تنزانية بعشرة ملايين في الوقت الحاضر
خمس ملايين منهم مسلمون وثلاثة ملايين وثنيون
ومليونان مسيحيون ، ويكثر المسلمون في ساحل المحيط
الهندي . حيث توجد مدن تكاد تعتبر مدنا اسلامية مثل
دار السلام (العاصمة) ومدينة تانجا حيث تبلغ نسبة
المسلمين فيهما (٩٠٪) .

الدعوة الاسلامية :

لولا وجود تلك الحكومة الملحدة لكان بالامكان
ادخال عدد كبير غير المسلمين في الاسلام نظرا الى انه كانت
توجد جمعيات اسلامية قوية هنا ، ولكنها الغيت كلها
كما قدمنا عدا واحدة ، ومع ذلك لا يزال عدد من
الافريقيين من المشائخ وأئمة المساجد ، يقومون بالدعوة
الاسلامية بصفة فردية في الاماكن النائية من البلاد ،
ولا يزال عدد الداخلين الجدد في الاسلام يتزايد ، ولا
يزال يبني العديد من المساجد وبخاصة في الاماكن النائية
كما قدمت .

ونحن نظن أنه لو قدر لتتجانية ان تسلم من تلك
الحكومة اليسارية التي تقترب شيئا فشيئا من الشيوعية
لكان من الممكن ان تغدو مركزا للدعوة الاسلامية في
شرقي افريقية نظرا لسابقة سكان السواحل فيها في الاسلام
وشدة تدينهم .

ثانيا - زنجبار :

لقد تحالفت الشيوعية مع القومية الافريقية في زنجبار ضد العرب والاسلام ، فأسقطت الحكومة اللغة العربية في زنجبار وألغى التعليم الاسلامي ، وحول المعهد الاسلامي الذي كان قائما هناك الى مدرسة عادية ، وألغيت منه الدروس الدينية ولم يبق هناك للتعليم الاسلامي أثر الا في بعض المساجد وان كان قد قام الآن بعض المسلمين بجهود لجمع مبلغ من المال يكفي لبناء مدرسة اسلامية من جديد ، ولكنهم غير واثقين من ان الحكومة لن تصادرها منهم . اما نسبة عدد المسلمين في زنجبار الى بقية السكان فتبلغ ٩٥٪ منهم ٢٠٪ من العرب والباقيون من الافريقيين .

في مسلاوي .. (نيا سالاند)

يوم الثلاثاء ١٣/٨/ ١٣٨٦ هـ .

٦ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

حضر الينا في الصباح الباكر في فندقنا بدار السلام
عاصمة تنزانية الشيخ حسن بن عمير الشيرازي كبير
العلماء الافريقيين في تنجانيقة ومعه بعض علماء الدين
الآخريين وذلك لانهاء البحث في مسائل تتصل بالمدارس
الاسلامية والمنح التي تقدمها الجامعة الاسلامية في المدينة
المنورة لطلبة تلك البلاد ...

ثم ذهبنا مع الاستاذ عزيز خاكي الامين العام لجمعية
الاسعاف الاسلامية هناك وذلك لاعادة المحاولة التي بدأنا
أمس مع مكتب شركة شرق افريقية للطيران على أمل
الحصول على مقاعد للسفر الى ملاوي في الطائرة التي
ستسافر اليوم من دار السلام الى بلانتير عاصمة ملاوي،
وكان الموظف المختص وهو هندي قد اخبرنا انه لا أمل
في الحصول على مقاعد اليوم كما سبق ان ذكرت فكرر
الموظف لنا قوله بعدم الامل في الركوب . ولكن الاستاذ
عزيز لم ييأس وذهب الى صديق له يعمل في احدى وكالات
السياحة في دار السلام فما اسرع ان حجز هذا لنا ، وقال
ان علينا ان نخرج فوراً الى مطار دار السلام لان موعد
الطائرة قد أذف . ولم نكن نصدق ذلك لان الموظف
الهندي كان منذ ايام يكرر ويعيد القول بانه لا يمكن
اركابنا ..

وهكذا خرجنا مسرعين الى مطار دار السلام وكانت اجراءات الخروج سهلة على عكس ما كنا نتوقع فلم تفتش حقائبنا في الجمرک . واكتفى المسؤول برسم الاشارة عليها وكان قد قيل لنا انهم يشددون التفتيش حذرا من تهريب العملة .

وقد تأخر قيام الطائرة بسبب وجود الرئيس (خاوندا) رئيس جمهورية زامبية في مطار دار السلام في هذا الوقت وكان مارا بها في طريق عودته الى بلاده من جولة في أوروبا . وكان معه في المطار الرئيس نيريري رئيس جمهورية تنزانية . وعدد من الرسميين والدبلوماسيين في البلاد . وقد شاهدنا الاحتفال وليس فيه ما يسترعي الانتباه ، وقد ظل نيريري على منصة الشرف في المطار ومعه سفير زامبية تحت شمس محرقة لبرهة طويلة وذلك عندما اغلق باب طائرة الرئيس (خاوندا) ولبثت اكثر من ثلث ساعة وهي تستعد للاقلاع . وكان ضابط حرس الشرف للرئيس (نيريري) اورويا . كما كان هناك طائرتان حريتان حول طائرة الرئيس (خاوندا) . وبعد ان انتهت مراسم التوديع حضرت طائرتنا الى ساحة الاقلاع ...

الى ملاوي :

اقلعنا من مطار دار السلام قاصدين مدينة بلاتير عاصمة جمهورية ملاوي في تمام الساعة الحادية عشرة الا

ربعا بالتوقيت المحلي ، وقد اعلن مضيف الطائرة ان مدة الطيران ستكون ثلاث ساعات الاربعا .

كان الجو في الخارج حارا جدا وشديد الرطوبة ، وكان داخل الطائرة اشد حرا بل كان خاقا . وعندما أقلعت الطائرة كان الهواء الذي يدخل من الصمامات شديد الحرارة كأنه هواء الصحراء وسط النهار في فصل الصيف، ولا غرابة فنحن الآن في النصف الجنوبي من الكرة الارضية والفصل صيف . مع اننا في شهر ديسمبر وذلك على عكس الحال في بلادنا التي تقع في النصف الشمالي من الارض .

الطائرة من طراز (فرند شب) تابعة لشركة خطوط شرق افريقية الجوية ، ومعظم ركابها من الاوروبيين والهنود . وهذه هي المرة الاولى التي اسلك فيها هذا الطريق وان كنت قد سافرت في المرة السابقة من دار السلام الى اندولا في زامبيا التي كانت تسمى في ذلك الوقت (روديسية الشمالية) .

وبعد ان مضى ثلث ساعة على اقلاع الطائرة تحسن الجو قليلا لانها ارتفعت ولان المنطقة تحتها اصبحت اكثر ارتفاعا بالنسبة للمنطقة الساحلية التي كنا فيها من قبل حيث انها ترتفع كلما توغلنا في ارض القارة الافريقية بطبيعة الحال ..

وكان مضيئا الطائرة فتى وفتاة من الافريقيين ، خدمتهما متوسطة . وجاري في المقعد اوروبي . يقرأ جريدة ايطالية، وعندما رأني اكتب بالعربية سألني عن بلادي ؟ فقلت له : انني من الشرق الاوسط . فقال بسرعة وانفعال : من أي بلد ؟ قلت : من المملكة العربية السعودية . فقال فوراً : ما رأيك في اسرائيل ؟ فأجبت ان رأي العرب واحد بالنسبة لاسرائيل ومشكلة فلسطين ، ثم سألته عن جنسيته ؟ فاجاب : انه ايطالي مسافر الى زامبية للعمل هناك . فقلت له : هل زرت قطرا من الاقطار العربية ؟ قال : لقد عرفت الاردن وسورية ولبنان ، فسألته : هل زرت بيت المقدس ؟ فقال : لا بل عمان فقط ، واجابته هذه جعلتني اشك في صدق قوله لانه من المستبعد ان يزور أوروبي مسيحي الاردن ويصل الى عمان ولا يزور القدس ، ولذلك سألته : هل انت يهودي ؟. فاجاب قائلاً : لا ولكني أريد ان اعرف رأيك في اسرائيل ...

فقلت له : تصور انه قد جاء اناس غرباء من عدة بقاع من العالم ونزلوا بالقوة في جزء في وسط ايطالية ، واقاموا دولة لهم على اسس حضارية بعيدة كل البعد عن ديانة الايطاليين ولغتهم وحضارتهم ، بل هم يقيمون دولتهم لتهديد ايطالية كلها بالتوسع وطرد الايطاليين الباقين ليحلوا محلهم عندما تحين لهم الفرصة فهل تقبلون معشر الايطاليين ذلك ؟.

فقال : لا ، ولكن اليهود يقولون انها بلادهم ،
فقلت له : ان اناسا من اليهود سكنوا في بعض بلاد
فلسطين خلال حقبة قصيرة وموغلة في القدم ، ولكن العرب
لبثوا في جميع فلسطين اكثر مما اقام فيها اليهود خلال
تاريخهم القديم عدة اضعاف . واليهود انفسهم جاؤا اليها
غرباء في الاصل وسكانها قبل اليهود هم الكنعانيون الذي
اصلهم من الجزيرة العربية أي انهم من اسلاف العرب
فقال : هذا صحيح ، ولكن اسرائيل قوية ، فقلت : ولكن
العرب يملكون من اسباب القوة ما يعتقد انه يكفي للدفاع
عن حقوقهم ، وكل المتاعب التي يعانونها الآن ، انما هي
بسبب انشغالهم بمعارك جانبية ، وبالتالي تفرقهم وعدم
وحدة عملهم ..

ثم قلت له : ارجو ان تفهم ان العرب عندما يتحدثون
عن اسرائيل ومشكلة فلسطين فانهم لا يقصدون من ذلك
ابادة اليهود كجنس ، بدليل ان اليهود كانوا موجودين
في البلاد العربية والاسلامية منذ اقدم العصور . وكان
اليهود يجدون من الامان والحماية في ظل الدين الاسلامي
بصفتهم من اهل الذمة ما لا يجدونه في أي مكان من العالم
في تلك العصور ، ومع ذلك فهم لم يرعوا للعرب والمسلمين
ذلك العمل ، بل احتلوا بلادهم فلسطين وطردوهم منها
وشردوا نساءهم واولادهم .

هذا وقد تحسن الجو الآن في الطائرة وكانت شديدة

الارتفاع مما جعلنا لا نستطيع تمييز معالم الارض تميزا كاملا ، وعندما بدأت الطائرة في الهبوط ، اتضحت لنا معالم الارض وهي لا تكاد تختلف عن غيرها من اراضي افريقية الوسطى في انها اراض خضراء تتخللها الوديان الا ان هذه اشبه باراضي بوروندي وشرق الكونغو في ان فيها جبالا كثيرة تكسوها الخضرة وان كانت الخضرة فيها اقل كثافة .
وقد بدت مساكن الوطنيين من الطائرة أغلبها اكواخ من القش مخروطة الشكل او مسنمة كسائر البيوت الافريقية ، وقد امتلأت بها جميع الاراضي التي نشاهدها من الطائرة .

في مطار بلاتير :

نزلنا في مطار بلاتير وهو صغير فتقدم بعض الموظفين من الوطنيين الى الطائرة ومعهم موظف اوروبي كما هي الحال في معظم المطارات الافريقية حيث يكون مع الموظفين الافريقيين الذين يستقبلون الطائرة - ما عدا في السودان ، الحبشة - احد الاوروبيين أو الآسيويين ، وعندما دخلنا الى ساحة المطار كان هناك موظفان احدهما يسرع بختم الاوراق والآخر يتمهل وينظر فيها ، فذهبنا مع الذاهبين الى الاول ، الا انه بعد ان نظر الى جوازاتنا احالنا الى الثاني فعرفنا بعد ذلك انه موظف مخصص للبلاد التي لا يحتاج رعاياها الى تأشيرة دخول الى ملاوي وهي

الولايات المتحدة الامريكية وكندا ومعظم الدول الاوروبية غير الشيوعية . اما نحن فقد اسرع الموظف المختص بختم جوازاتنا بعد ان نظر الى تذاكر الخروج ومررنا بعد ذلك لموظف الجمرك الذي كان يفتش حقائب المسافرين الا انه بعد ان نظر الينا سألنا هل معكم اشياء ثمينة فأجبناه بالنفي فوضع اشارته على حقائبنا وخرجنا ، وهكذا مرت جميع الاجراءات بسهولة ويسر خلاف ما عليه الحال في اكثر البلدان الافريقية .

ازمة السكن :

لم نحجز قبل قدومنا الى ملاوي في فندق معين ، لذلك سألنا مرافقاً لنا في الطائرة وهو افريقي من ملاوي عن فندق مناسب فقال انه أحد اثنين اما « رويال هوتيل » في مدينة بلاتير العاصمة او فندق « اترناشال » في مدينة (لمب) وهكذا ذهبنا الى الفندق الاول فقال مديره: انه لا توجد لديه اماكن خالية فتطوع سائق سيارة الشركة الذي اوصلنا من المطار الى بلاتير أن يبحث لنا عن سيارة اجرة توصلنا الى الفندق الثاني اي فندق اترناشال بعد أن اخذنا سيارة اجرة بمبلغ ٩ شلنات و٦ بنسات أي ما يعادل ٦ ريالات تقريبا فوجدنا مديره اوريبا قابلنا بعض الجفاء والشدة على عكس ما عهدنا من الأوروبيين ولما قيدت اسمي في دفتر نزلاء الفندق ورأى انني عربي من المملكة العربية

السعودية تهل وجهه وزال التجهم الذي كان مخيما عليه بل تبدل فانقلب الى سرور وانبساط وقال : إني المانسي عملت في الحرب الثانية في الشرق الاوسط وعرفت السيد أمين الحسيني مفتي القدس ثم قال : إنه في زمن الحرب لم يكن هناك بالشرق الاوسط بلاد ليست مع الانجليز سوى السعودية ثم أخذ يسألنا عن الشرق الاوسط وقال : أذكر أنني مرة عندما كنت مقيما في سالسبوري في روديسية نزل عندنا شخصان من السعودية لا اذكر اسميهما وهما مثال للتهذيب والاخلاق ، وهكذا أخذ يلاطفنا في الحديث ويسألنا عن بلادنا خاصة وعن الشرق الاوسط عامة .

ونزلنا عنده في غرفة بسريرين بثلاثة جنيهات استرلينية وعشر بنسات أي ما يساوي ستة وأربعين ريالاً سعودياً تقريباً للجميع بما في ذلك الاكل ثلاث وجبات ، وفندقه نظيف يعادل فنادق الدرجة الثانية عندنا ، والخدمة فيه تكاد تبلغ حد الكمال حتى الاحذية يأخذها الخدم من النزلاء كل صباح وينظفونها ويصبغونها مجاناً ، والخدم كلهم من الفتيان الافريقيين . ومعظم سكان الفندق من الاوروبيين وأكثرهم من البرتغاليين الذين جاءوا من مستعمرة (موزمبيق) المجاورة وهم يدخلون بسياراتهم لأن الفندق من طابق واحد ويحيط به فناء واسع قد غرست فيه بعض الاشجار وأحاطت به الزهور . وقد فهمنا بعد ذلك ان سبب انقباض صاحب الفندق عند رؤيتنا انه قد ظننا من

اليهود وربما كانت له علاقة سابقة بالنازي في المانيا ويخشى على نفسه الضرر من اليهود لذلك السبب .

الجو هنا لطيف نظرا لارتفاع البلاد عن سطح البحر ولكن الشمس حارة ، والبلاد خضراء ولكنها ليست كثيفة الخضرة كالمناطق الاستوائية التي شاهدناها من قبل في أوغندا وكينية وغيرها ، لذلك فان خضرتها جميلة مفرحة. وقد هطل المطر مدرارا كأفواه القرب ولكننا لم نجد له آثارا بعد قليل فلم يخلف مستنقعات أو أوحالا لأن القوم لكثرة الامطار عندهم قد هياأوا لها مجاري ومسالك تذهب منها الى البحيرات الكبرى التي تفص بها بلادهم وسميت بلد البحيرات لهذا السبب .

الاهالي :

الاهالي هنا سود الالوان من الجنس الزنجي الخالص كما يتراءى لنا أنوفهم فطس وشفاهم غليظة ، ويظهرون لأول وهلة أقل وجاهة من غيرهم من الزنوج تحت خط الاستواء ، ويشبهون الى حد كبير أهالي الكنغو أو قبائل البهوت في راوندا وبروندي ، ويظهر على العامة منهم الفقر وإن كان دون فقر العامة من الاحباش والبورنديين ، فهم في هذا الامر وسط بين اولئك وبين الكينيين واليوغنديين الذين يظهر عليهم الثراء والوجاهة . الا ان هؤلاء القوم أي سكان ملاوي مشهورون بذكائهم وبأنهم عمال مهرة يتنافس

ارباب العمل على استجلابهم ، ولذلك يوجد منهم عدد كبير جدا في جنوبي افريقية وروديسية وزامبية ، ولا يزالون يذهبون لطلب العمل في تلك الاقطار ...

اللغة :

عندما فتحت الراديو على اذاعة القوم وسمعت نبرات كلامهم ذكرت أصوات اللغة التي يتكلم بها اليوغنديون والبورنديون والتي هي بعيدة عن السواحلية ويوجد في البلاد اربع لغات محلية منها لغتان رسميتان هما لغة : تشاينجا ولغة بامبا الى جانب الانكليزية ، وقد قال لنا صاحب الفندق انه اذا التقى وطنيان من أهالي البلاد لا يحسنان الانكليزية فقد يتعذر عليهما التفاهم اذا كانا من منطقتين مختلفتين لغوياً وذلك على صغر بلادهم ولكن هذا هو شأن الافريقيين ولغاتهم المتعددة التي تضم لهجات كثيرة الى جانب اللغات الكثيرة المتعددة .

في جامع بلاتير :

قصدنا بيت أحد إخواننا من كبار المسلمين الهنود في هذه البلاد وكنا قد أخذنا اسمه وعنوانه سابقا من دار السلام فلم نجده وقد ركبنا الاتوبيس من الفندق الذي نسكن فيه في (لمب) الى بلاتير وكان الاتوبيس مزدحما بالافريقيين لم يخالطهم أحد لا من الاوروبيين ولا من

الآسيويين وبعضهم عائدون من العمل . والواقع أنه لولا حرصنا على رؤية القوم على تلك الحالة لما ركبنا معهم وقد لمسنا فيهم كما في الافريقيين غيرهم هدوءا في السيارة وتمسكا بالآداب العامة فلا صخب ولا مشاجرة ولا ضوضاء تكدر صفو الراكب معهم ، وقد بحثنا عن صاحبنا الهندي فوجدناه قد ترك مكتبه في بلاتير الى بيته فذهبنا الى المسجد - الجامع ووجدنا الناس يستعدون لصلاة المغرب فيه وجميعهم من المسلمين الهنود ولم أر افريقيا معهم عدا المؤذن - والسبب في ذلك أن جميع سكان هذا الحي ، وأصحاب المتاجر فيه هم من الهنود وليس فيه من المسلمين - الافريقيين أحد لأن الافريقيين يسكنون اطراف المدن أو الهامش كما يسمونه في اللغة السواحلية كما قدمت ... وأعجب ما رأيت في هذا المسجد عدد من الاطفال يستعدون لأداء الصلاة فيتوضأون الى جانب الشبان والكهول والشيوخ ، وقد استرعى وجودنا أبناءهم فتحلقوا حولنا وعندما أخبرناهم أننا من المدينة المنورة تعجبوا وفرحوا برؤيتنا ، وكان إمام المسجد لا يعرف الانكليزية ولا العربية اما المؤذن وهو الافريقي الوحيد في المسجد فقد تلجلجت الكلمات في لسانه حيث يعرف من العربية كلمات لا أظنها تتعدى أصابع اليد ، وقد أعجبت روعة المفاجأة فلم يستطع التعبير ، وأخذ يردد كلمات المدينة المنورة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وقد أذّن للصلاة فتخيلت

أذان بلال رضي الله عنه لخشوع المؤذن وشدة
 إخلاصه ، وكان يرقق اللام وينطق الحاء هاء . ثم أقيمت
 الصلاة فور انتهاء الأذان ، وما أن انتهت الإقامة ويخيل الي
 أن الامام لم ينتظر حتى انتهت ، حتى دخل الصلاة بسرعة
 ولم يتمهل ليسوي الصفوف أو ليجيب المقيم ، ثم صلى
 صلاة خفيفة ولكنها فيما يظهر مليئة بالخشوع والخضوع .
 ونسيت أن أقول انه مع اقامة الصلاة جاء طفلان
 يحملان كومة من الطواقي (القلانس) فوزعوها على المصلين
 ليستروا رؤوسهم حيث كان اغليبتهم من لابسى الزّي
 الأفرنجي وبعد انتهاء الصلاة والراتبة تقدم أحد المثقفين من
 المصلين وهو ذو لحية وعارضين وعلى وجهه بهاء واشراق
 فسألنا بالأوردية عن اللغات التي نحسنها فقلت له - وأنا
 أعرف كلمات معدودة من اللغة الأوردية انا نعرف العربية
 والانكليزية فقط - فأوماً الينا بطريق الاشارة ان نخرج من
 المسجد ، فلما خرجنا أخذ يكلمنا بالانكليزية ،
 وقد تجمهر المصلون حولنا فألقت فيهم كلمة
 مختصرة قلنا فيها : إنا جئنا من المدينة المنورة وان اخوانكم
 المسلمين في المملكة العربية السعودية من العلماء وطلبة
 العلم وعامة المسلمين يسلمون عليكم ويحيونكم على البعد،
 ويشعرون ان المسافة التي تفصل بينكم وبينهم لا أهمية
 لها ، لان رابطة الاسلام تشد المسلمين جميعا بعضهم الى
 بعض ، وقد حيونا وفرحوا بنا فرحا ممتزجا بالعجب .

هذا والمسجد متوسط الحجم ولكنه نظيف غاية النظافة وحماماته واماكن الوضوء غاية في النظافة ايضا كلها مبلطة بالرخام بما في ذلك الجدر ، والوضوء من انايب نظيفة حيث ان المصلين من الحنفية الذين لا يجيزون الوضوء بالماء المستعمل على عكس الشافعية الذين رأيتهم في بعض الاماكن وبخاصة في ممباسة والصومال يجعلون لماء الوضوء حوضا كبيرا يشبه البركة يعترفون منه اغترافا ..

وبعد الصلاة وبعد ان ودعناهم تطوع بعضهم بأن أخذنا بسيارته الى الفندق الذي نسكن فيه في مدينة (لمب) على بعد ستة أميال كما ذكرت وكان أعظم ما هزني هذا أن رأيت الشارع الذي يقع فيه باب المسجد مليئا بالسيارات التي حضر اصحابها لأداء الفريضة ليس غير كأنه أحد الجوامع في بلادنا عند حضور صلاة الجمعة أو أكثر ازدهاما بالسيارات ...

الليلة الاولى في ملاوي :

عدنا الى الفندق فجلسنا في البهو الخارجي نرقب الجالسين والغادين والرائحين وهم يتكونون من طائفتين ليس غير ، إحداهما : طائفة البيض وهؤلاء معظمهم ان لم يكن كلهم من البرتغاليين وقد ذكرونا بألوانهم وطريقة حديثهم وتحررهم من آداب الجلوس والقيام والحديث واللباس بسكان الشرق الاوسط فهم بيض ولكن ليس في بياض الالمان أو صهبة الانكليز وتراهم ليسوا على جانب

كبير من الآداب حتى لاحظت أن بعضهم وليس واحدا فقط عندما تمر به الخادمة السوداء يمزح معها مزاحا ثقيلًا والناس يرونه ، والغريب أن تلك الخادمة لا تبدي نكرها لهذا الفعل ، أو اشمئزازا منه بل تضحك على طريق المغازلة أيضا . كل ذلك ونحن ننظر والناس ينظرون ، وقد أثار سخطنا واشمئزازنا ولكن ماذا نصنع ؟..

والطائفة الثانية : السود من اهل البلاد وهم يبدون أقل وجاهة في المظهر من الكينيين واليوغنديين كما قلنا .

وقد تناولنا طعام العشاء في مطعم الفندق على الطريقة الأوروبية ولكن الطعام كان سخيا ليس في الكمية فقط بل وفي النوع فهو يتكون من الشوربة واللحم الفاخر (الشواء) والسك والخضار والسلطات الطازجة التي كانت قد غابت عنا أو غبنا عنها منذ مدة طويلة ثم الحلوى ثم القهوة والخدم افريقيون ومؤدبون وخاضعون كل الخضوع لرئيسهم على عكس بعض الخدم في كينية وأوغندا الذين يشعرون بعد استقلال بلادهم بالكبرياء وعدم الحاجة الى الخضوع أو طاعة الرؤساء من غير الافريقيين ..

بعد ذلك العشاء الفاخر الذي كنا قد افتقدناه في مطاعم دار السلام التي كان يديرها الهنود او بعض العرب ولكن النظافة لديهم معدومة كما أن رواد مطاعمهم قد يلبسون ثيابا مهلهلة ويحضرون بوسخهم وعرقهم الذي

يتصبب من أجسامهم بسبب الحر في دار السلام في هذا الفصل من السنة .

عدنا الى البهو الخارجي للفندق وجلسنا قليلا ثم رجعنا الى غرفتنا وأخذت جهاز الراديو وهو صغير من طراز نشنال الياباني ذي الموجتين وأملي ضئيل في أن أسمع اية اذاعة عربية هنا حيث كنا في دار السلام لا نسمع شيئا من الاذاعات العربية ولكنني عثرت على اذاعة الرياض تذيع موجز الأنباء ، ثم تواصل برامجها وكذلك سمعت بعض الاذاعات العربية الاخرى واضحة كل الوضوح على عكس ما عليه الحال في دار السلام واعتقد أن السبب أن البلاد مرتفعة جدا بالنسبة الى دار السلام ...

يوم الاربعاء ٢٤/٨/١٣٨٦ هـ .

٧/١٢/١٩٦٦ م .

ذهبنا في الصباح الى صاحبنا في بلاتير وقد استأجرنا سيارة أجرة بلغت تكاليفها حسب عدد السيارات سبعة شلنات وعشر بنسات أي ما يساوي خمسة ريالات تقريبا وذلك لمسافة خمسة أميال ...

التقينا بصاحبنا الهندي وهو (الحاج محمد أبو بكر) ويعتبر رئيسا للمسلمين الآسيويين في منطقة بلاتير وقد قدمت له نفسي وصاحبي وأعطيته بطاقتي الشخصية وحدثته

عن مهمتنا وعن سفرنا ، فأجاب بتحفظ وقال : إننا هنا لا نستطيع أن نعمل شيئاً لأننا آسيويون لسنا متمتعين بالجسدية الافريقية ولذلك فإن أي شيء نعمله يكون في غير صالح المسلمين ولا في صالحكم . وهنا طلبت منه أن يصلنا تلفونياً برئيس الجمعية الاسلامية الافريقية وهو السيد الياس امين موسى لانه معترف به من الحكومة فقال : انه يسكن في زومبا على بعد ٣٧ ميلا من بلاتير ثم أضاف قوله : ثقوا أن أي شيء تقولونه له سوف ينقله مباشرة الى الدكتور باندا رئيس الجمهورية فقلت له : إنه ليس لدينا ما نخفيه عن الحكومة . وليس لنا أي هدف غير الاتصال بزعماء المسلمين وتقديم ما يمكن تقديمه من المساعدة لهم وقد قلت له ذلك لانه اخرج قوله مخرج التخويف والتحذير ...

ثم أخرج رقم الهاتف من الدليل فتكلمت مع المذكور وبعد أن حييته قلت له : اننا رأينا انه من الضروري ان نتصل بكم بصفتم اخوانا لنا في الاسلام ولنتحدث في الشؤون الاسلامية التي تتعلق بهذه البلاد فقال : انني مستعد لذلك سوف اقابلكم حالما تصلون الى زومبا ...

جولة في بلاتير :

خرجنا للتجول في اسواق بلاتير وهي مدينة صغيرة وتكاد الحوانيت فيها تكون اكثر من البيوت حيث ان معظم

المتاجر تقع فيها ويتعامل معها سكان البلاد المنتشرون حولها الى جانب كونها مصدرا لتموين المدن الصغيرة بالبضائع التجارية وقد لاحظت أن اكثر المتاجر فيها تحمل اسماء اسلامية اذ ان معظم التجار الآسيويين هم من المسلمين ، وبلا تثير لا تشذ عن القاعدة العامة في مدن افريقية الشرقية والوسطى حيث تكون التجارة مع غير الافريقيين فلم أشاهد مع الافريقيين الا حوانيت قليلة بعضها لاصلاح الاحذية وبعضها للخياطة . وقد رأينا الأهالي في المدن : جمهورا من زبائن المحلات التجارية ليس غير اي لا يشاركون في الاعمال التجارية . ولم نستطع مواصلة التجوال في تلك البلدة بسبب وهج الشمس الشديد في هذه الساعة من النهار فعدنا الى مكتب صاحبنا الهندي وقد حضر اليه بعض زعماء المسلمين هناك فاستشرناهم في أن نذهب الى مكان تجمع المسلمين في «فورت جونستون» فنصحونا بعدم السفر الى هناك وقالوا ان اهالي «فورت جونستون» يعتبرون معارضين للرئيس باندا وحكومته . وهناك ترابط افواج من الجيش لاختصاصهم والمخابرات نشطة جدا هناك ، ولذلك فان ذهابكم اليها غير مناسب ولما سألناهم عن السبب في كونهم معارضين للحكومة قالوا ان احد الوزراء المعارضين للحكومة هو من منطقة «فورت جونستون» وهو مسلم الأصل ويعتبر زعيما في تلك المنطقة وقد سجنته الحكومة وطاردت انصاره ، وكلهم تقريبا من المسلمين ..

في قنصلية البرتغال :

بعد أن أنهينا فترة تناول الغداء في الفندق انتظرنا صاحبنا المسلم الهندي محمد ابو بكر الذي كان قد وعدنا بالمرور علينا ليذهب معنا الى قنصلية البرتغال في بلاطير طلباً للحصول على تأشيرة دخول منها الى موزمبيق ، وعلى ذكر فترة الغداء والعمل فان العمل هنا على فترتين كما هي عليه الحال في كل اقطار شرقي ووسط افريقية حيث يبدأ من الساعة الثامنة والنصف صباحا الى الساعة الثانية عشرة ظهرا ثم تبدأ فترة الغداء ثم يستأنف العمل في تمام الساعة الثانية ويعود الناس الى اعمالهم حتى تمام الساعة الرابعة بعد الظهر عدا يوم السبت فلا تكون هناك فترة للعمل بعد الظهر ...

ذهبنا الى قنصلية البرتغال فوجدنا فتاة برتغالية قالت انها لا تستطيع أن تعرف هل يمكننا الحصول على التأشيرة ولا تستطيع ان تعرف النتيجة الا يوم الجمعة القادم لان يوم غد الخميس هو يوم عيد الجمهورية في البرتغال اي يوم عطلة ، وهكذا فنحن قد ابتلينا بعطل البلاد المختلفة ، حتى تنزانية خرجنا منها في أول يوم من ايام عيدها الجمهوري ! وكنت حريصا جدا على زيارة موزمبيق وذلك من أجل القيام بواجب المهمة التي وكلت الي من جهة ، ولحرصي من جهة اخرى على رؤية البلاد التي كان يتردد عليها العرب منذ اكثر من ألف عام وكان فيمن زارها ووصفها العلامة

المسعودي وسماها كما سماها غيره «سقالة» لأنها في رأيهم في أسفل بلاد الارض وسموا الارض القريبة منها «واق الواق» وربما كانت مسرحا لقصص السندباد البحري .. وهكذا قضينا عدة ساعات بعد ذلك ونحن لا نعرف هل سنتمكن من السفر الى «زومبا» اليوم أم لا ، لانه لا وسيلة هناك سوى الحافلة وهي تزدهم بالافريقيين على الرغم من بطء سيرها وكثرة وقوفها في المحطات المختلفة وهذا ما يتعبنا او السفر في سيارة أجرة خاصة ، وقد أبى علينا صاحبنا الهندي ذلك وقال : ان الأجرة ثلاث جنيهات ونصف أي خمسة وأربعون ريالاً سعودياً وهي في بعد جدة عن مكة ، ولا ينبغي أن تدفعوا هذا المبلغ وقد أخبرنا اصحاب الفندق اننا سوف نغادر الليلة ، وفي المساء مر علينا وأخذنا بسيارته الى بيته في لمب وهو بيت يقع وسط غابة كثيفة من الاشجار السامقة ...

ويقول أنه بناه منذ ١٤ سنة وقد أثته تأثيثاً فاخراً ثم حدثنا عن نفسه وعن المسلمين الآسيويين هنا والافريقيين فقال : انه يشتغل في التجارة وان جميع المسلمين الآسيويين هنا يشتغلون في التجارة أيضاً وان المسلمين الافريقيين في مستوى منخفض جداً لانه لا يوجد بينهم من تعلم تعليماً كافياً ولأن معظم المتعلمين من الافريقيين هم من المسيحيين الذين تخرجوا في مدارس المبشرين الاوروبيين . وقال : انه في هذا الوقت بعد الاستقلال تحسنت الحال بعض الشيء

حيث اصبح في امكان المسلمين ان يدخلوا اولادهم في المدارس الحكومية بدون أن يخشوا تغيير عقائدهم لان التعليم فيها مدني بحت ، وقال : إن معظم الحراس الذين تراهم على المتاجر هم من المسلمين لان معظم التجار من المسلمين الآسيويين يخصون اخوانهم بوظائف الحراسة ، ولكون المسلمين الافريقيين لا يحسنون غير ذلك . وقد سافرنا بعد صلاة المغرب من مدينة لمبي الى زومبا بالسيارة ومسافة الطريق اليها ٣٧ ميلا ولم نستطع ان نميز معاملة . ولكن معظمه تحيط به أشجار الغابات العظيمة التي تغطي معظم بلاد نياسالاند أي ملاوي الحديثة والطريق كله معمور فتجد القرية بعد القرية حتى وصلنا ..

مدينة زومبا :

وهي مدينة صغيرة تقع الى الشمال الشرقي من بلاتير على مسافة ٣٧ ميلا وقد كانت عاصمة نياسالاند في زمن الحكم البريطاني وقد أنزلنا صاحب السيارة قرب المسجد الجامع في زومبا حيث كان صاحبنا الهندي محمد أبو بكر قد أخبر الجمعية الاسلامية بنا وطلب منهم أن ينزلونا في بيت الضيافة الملحق بالمسجد ويقدموا لنا الطعام لانه لا يوجد هناك فنادق أو مطاعم للمسلمين ، وإنما يوجد فندق أوربي في مكان ناء ، أما الافريقيون وهم الذين يكونون الاغلبية فلا محل لهم من الاعراب عندما نذكر المطاعم أو

الفنادق هنا اذ انهم قد استراحوا من ذلك واستراح منهم
الناس بسبب فقرهم ..

وقد احاط بنا المسلمون واولادهم عندما وصلنا
للمسجد حيث كان الوقت عشاء وموعد الصلاة قد اشرف ،
وقد حضروا مع اطفالهم الى المسجد فأخذوا يستفهمون منا
عن اسباب مجيئنا وينظرون الى هيئاتنا وطريقتنا في
الحديث ، وعن كل شيء فينا وقد التفوا حولنا جميعا وكأنما
قدمنا من عالم آخر ، وقد أدينا صلاة العشاء في المسجد
وكان مزدحما بالمصلين كبارا وصغارا ثم انزلونا بعد الصلاة
في غرفة من الغرف المعدة للضيوف من المسلمين الذين
يصلون الى هذه البلاد ، والغرفة المذكورة في جناح كامل
يشتمل على مكتب مجهز بكل أدوات المكاتب ، حتى جهاز
الراديو والتليفون (الهاتف) ، ومساحة الدبايس ، وساعة
الحائط الخ. واعطونا مفتاح المكتب الى جانب مفتاح غرفتنا
لكي نستعمله او نستعمل الراديو والتليفون متى شئنا ،
وقد ألحق بالجناح المذكور دورة مياه خلاف دورات المياه
الكثيرة الملحقة بالمسجد ، ووجدناهم قد احضروا لنا عشاء
من احد البيوت هناك وهو طعام بسيط من طعام اهل
البيت بدون تكليف فهو يتكون من مرق هندي كثير
التوابل ومليء بالفلفل ومعه ما يشبه المخلل الذي هو أيضا
في طعام مرق مشبع بالتوابل الى جانب الملح وابريق فيه
شاي مخلوط باللبن على عاداتهم في استعمال الشاي مع

اللبن وبعد ان لبثوا لدينا مدة يتحدثون اليانا ، والحديث كله بالانكليزية ، حيث لا يوجد في هذه البلاد كلها من يحسن التكلم بالعربية ، حتى إمام المسجد لا يحسن منها شيئاً وان كان يحسن من قراءة القرآن بقدر ما يكفي للصلاة ...

وعندما انصرفوا عنا أكلنا الطعام وكنا نجد له من اللذة ما لا نجده في أي مكان آخر حتى نفس النوع من ذلك الطعام اذ كنا في مطاعم الهنود لا نستسيغه ولا أدري تعليل ذلك ، ولا شك أن استضافتهم إيانا كانت لله وفي الله وليست لغرض دنيوي ...

يوم الخميس ١٢٨٦/ ٨/ ٢٥ هـ .
١٩٦٦/ ١٢/ ٨ م .

مسجد زومبا :

تجولنا صباحا في المسجد فاذا به واسع محاط بفناء فيه حديقة صغيرة مليئة بالزهور ذات الرائحة الشذية ومن الجهة الشرقية هناك حوانيت ملحقة به تؤجر ويصرف ريعها لمصالح المسجد ، ومن الجهة الغربية تقع دارالضيافة ، وبعدها يوجد فناء كبير جدا يتسع لأكثر من الف شخص خصص ملعبا لأطفال المسلمين ، وخلفه مباشرة تقع بناية المدرسة الاسلامية حيث يقوم الامام بتدريس الاطفال

المسلمين بعد الظهر مبادئ الدين الاسلامي واللغة الاوردية والكجراتية لغة الاغلبية من المسلمين هنا ، وكل تلك المساحة تابعة للمسجد وقد استرعى انتباهي هنا نظافة دورة المياه في المسجد ، حتى ان جميع اماكن الوضوء فيه قد كسيت جدرانها بالرخام كما انه استرعى انتباهي ما لم أراه في غيره ان المؤذن يضع في محراب المسجد عن يمين الامام اثناء صغيرا يشبه مطفأة السجاير وقد سألت عن الغرض منه ؟ فقل لي انه لكي يتفل فيه الامام اذا احتاج الى ذلك ، ولا شك ان ذلك غير مناسب وان المنديل افضل منه ، ولكن لا ادري سبب تمسكهم به .

ويقوم على الانفاق على المسجد جماعة من المسلمين سكرتيرها يسمى (السيد فاروق سليمان) وهو شاب نشيط مخلص في عمله عرضنا عليه ان تقدم بعض المساعدة للمسجد فقال : اتنا ننفق على المسجد من ريع الاوقاف التابعة له من الحوانيت وغيرها ، وقال : ان جميع الآسيويين هنا هم من المسلمين وييدهم زمام التجارة .

جولة في زومبا :

زومبا مدينة صغيرة كانت عاصمة لاقليم نياسالاند زمن الحكم البريطاني وهي تقع في حوض جبل زومبا الذي يرتفع ثمانية آلاف قدم عن سطح البحر وتقع معظم البنايات الرئيسية في سفح الجبل في القسم الاوروبي

منها فهناك مقر برلمان ملاوي ويبت الرئاسة الذي يقيم فيه الرئيس (باندا) في بعض الاحيان ، كما تقع المكاتب الرئيسية لوزارة التعليم وغيرها من المصالح الحكومية واغلبية سكانها من الافريقيين الزنوج كما قدمت .

وقد زرنا السوق الوطني فيها وجميع الباعة والمشتريين فيه من الوطنيين وهو عبارة عن مساحة من الارض محجوزة ليس فيها حوانيت يعرض فيها الباعة الافريقيون بعض بضائعهم ومعظمها من المأكولات الافريقية واهمها السمك الذي يستخرج من بحيرة نياسا وغيرها وقد عرضوه في اشكال كثيرة منها المملح والمقعد والمطبوخ والنيء وحتى المعفن وقد وجدنا له من الرائحة الكريهة ما أزعجنا خاصة وان الوقت صيف في تلك البلاد ، وهناك نوع من السردين الطازج والمطبوخ يبيعونه لا تكاد تراه من كثرة الذباب عليه والكومة منه وهي حوالي ثلاثين سمكة كل واحدة في حجم الاصبع الواحد تباع بشلن واحد أي ما يساوي ١٢ قرشا سعودييا وبعضه مشوي بطريقة خاصة يبدو منها اصفر اللون ربما كان ذلك لانه قد دخن عليه تدخيننا ، ويجلبون السمك من بحيرة نياسا الكبيرة التي سمي هذا الاقليم كله باسمها في السابق فليل نياسالاند وغيرها من البحيرات وهناك في الكثرة بعد السمك في هذا السوق اثمار المانجو حيث تباع الواحدة المتوسطة الحجم بقرش سعودي واحد وقد اشترينا بشلن واحد اثني عشرة واحدة

ويبلغ وزنها حوالي كيلوين اثنين وهي طيبة الطعم وان لم تكن فاخرة الى الدرجة التي عليها المانجو في ساحل كينية او تنزانية . وهناك البيض ويبيعون الدزينة «١٢» بشلنين أي كل بيضة بقرشين سعوديين والاهالي على وجه العموم تظهر عليهم الحاجة لأول وهلة .

وقد استرعى انتباهي اوراق كنا نجدها موضوعة على بعض الاكوام من المانجو وغيرها من الخضراوات وهي تتكون من ايصالات صادرة من البلدية لتدل على ان اصحابها على فقرهم وقلة معروضاتهم وثمنها البخس قد دفعوا ضريبة العرض في السوق للبلدية ، ثم ذهبنا الى الحوانيت التجارية فاذا بمعظم اصحابها يسلمون علينا ويرحبون بنا لأن معظمهم قد رأونا في المسجد من قبل ذلك لأن التجارة في زومبا بأيدي المسلمين من الهنود والباكستانيين .

مع رئيس المسلمين الافريقيين :

رئيس الجمعيات الاسلامية هنا يسمى السيد الياس امين موسى وهو رئيس مجلس الجمعيات الاسلامية في ملاوي وهو من المقربين للدكتور باندا رئيس الجمهورية ويسكن في مدينة زومبا وقد قال لنا اكثر المسلمين من الهنود انه لا يمكن عمل شيء في هذه البلاد الا بواسطة هذا الشخص لأنه من المسلمين المقربين من الحكومة وقبضة

الحكومة شديدة والدكتور باندا شديد الحساسية لأي عمل يشم منه معاونة احد من مواطنيه من خارج البلاد .

وقد حضر الينا المذكور بعد ظهر اليوم ومعه السيد (آر. آي. جوانجا) الامين العام للجمعيات الاسلامية في ملاوي فشرحت لهما مهمتنا وقلت اننا نمثل سماحة مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس الجامعة الاسلامية وقصدنا الاتصال باخواننا المسلمين هنا والتعرف على احوالهم وتقديم ما نستطيع تقديمه اليهم وأهم ذلك شيان :

أولهما : اننا نستطيع ان نقدم للمسلمين بعض المنح الدراسية مجانية نأخذ من ابناء المسلمين من يصلح لذلك ونرحله الى الجامعة الاسلامية على حساب الجامعة وتكون نفقة ترحيله واقامته هناك حتى يتم دراسته على حساب الجامعة الاسلامية وكذلك اعادته الى بلاده بعد انتهاء دراسته ليكونوا بعد ذلك مرشدين ووعاظ لهم .

وثانيهما : اننا نستطيع ارسال مدرسين يعرفون العربية معرفة تامة ليكونوا مرشدين لمدرسي الدين الاسلامي هنا وليساعدوكم على تنظيم امور المسلمين الدينية مثل شؤون أئمة المساجد والكتاتيب الاسلامية مع التوصية بعدم التدخل في الشؤون السياسية بل يكونون بعيدين عنها ، وذلك لمدة سنة قابلة للتجديد ، ثم تكلمت عن العلاقات بين حكومتينا وانا لسنا سياسيين وعلما بعيد عن السياسة ، وتكلمت بعده عن العلاقة الاسلامية الوثيقة التي تربط

المسلمين بعضهم ببعض على بعد الديار وتناهي الامكنة على النحو الذي كنت اتكلم مع غيره من اخواتنا المسلمين في افريقية .

وبعد ان انهيت كلامي بدأ كلامه بشكرنا على هذه البادرة الطيبة كما يقول ، وقال كلاما طويلا ملخصه قوله : اذا رأيتم انكم تتقدمون بهذا الى الحكومة الملاوية لانه لا يمكن لنا أن نعمل شيئا الا بعد ان توافق عليه حكومتنا . فقلت: انه لا مانع لدينا من ان تعرضوا ذلك على المسؤولين في بلادكم ، وبخاصة اذا كان يمكن لنا ان نعرف الجواب اليوم او غدا ، فقال : انه سوف يتصل بالمسؤولين في الحكومة ويحاول ان يعطينا الجواب غدا مساء .

ثم قلت له انني ارجو ان تشرحوا لي احتياجات المسلمين في هذه البلاد حتى نضمنها تقريرا عن احوال المسلمين ولعله يكون في امكان رئاسة الجامعة الاسلامية او دار الافتاء تلبية بعضها وخاصة ارسال مساعدة مالية بعد ذلك فقال : ان اهم ما نحتاج الى ان ترسلوه الينا هو المصاحف والاجزاء القرآنية والكتب الدينية المبسطة لأن بلادنا تحتاج الى ذلك ، اما المساعدة المالية فلا نستطيع قبولها لأن اوامر الحكومة لدينا تقضي بالألا يستلم أي مواطن أي مبلغ مالي كان من الخارج وقلت له : وماذا تصنعون اذا احتجتم الى شيء من المال لبناء مسجد او مدرسة ونحو ذلك فقال : نجمع المال قليلا قليلا من الداخل

قلت له : ولو كان ارسال المال صريحا من جهة دينية اسلامية في المملكة اليكم وأتمم جهة معترف بها من حكومتكم ؟ فقال : ولو ، ثم اضاف بان هذا يسري على جميع الجمعيات الدينية في ملاوي حتى الجمعيات المسيحية .

على قمة جبل زومبا :

خرجنا مع احد الاخوان الهنود بصحبة الاخ فاروق سليمان سكرتير الجمعية الاسلامية الآسيوية هناك في جولة حول مدينة زومبا سعدنا بعدها الى قمة جبل زومبا التي ترتفع فوق سطح البحر (٨٠٠) قدم وكان الطريق ضيقا محفوبا بالمهاوي يضيق في منتصفه حتى يصبح لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة وقد اعدت الحكومة نظاما لتفادي تلاقي السيارات في الطرق فجعلت نصف ساعة للقادم ونصف ساعة للذهاب بمعنى انك اذا وصلت في الساعة السادسة والنصف ودقيقة واحدة فعليك ان تقف حتى تبلغ الساعة السابعة وهكذا .

كان منظر مدينة زومبا من الجبل رائعا بل كان المنظر كله رائعا لأن الجبل مغطى بأشجار الاخشاب الكبيرة وفي سفوحه تنمو بعض المحاصيل مثل الذرة وغيرها ، وكان الجو غائما والمطر يتساقط رذاذا خفيفا . والارض الواقعة تحت اعيننا خضراء ، تلالها ووديانها ، ووصلنا الى قمة الجبل حيث هناك فندق اوروبي ، وقد حان وقت صلاة

المغرب فوققنا بالقرب من منبع نهر زومبا ولجريانه حفيف لطيف ، وهو بارد الماء شديد البرودة ، فتوضأنا منه وصلينا هناك على احدى صخور قمة الجبل التي قد غسلتها الامطار غسلا ، وماء النهر صاف زلال .

وبعد صلاة المغرب طفنا قليلا في الاتجاهات المختلفة في تلك القمة والجو بارد هناك ، وقد بدت أنوار مدينة زومبا متلاثة تخفت احيانا بسبب الرذاذ ، وفي هذا الجو البارد تطرق الحديث مع اصحابنا الى موضوع اسباب ألوان الناس ، ولماذا اصبح الاسود أسود ، والاسمر أسمر والاييض ابيض ، وهل مرد ذلك الى الطقس واذا كان الامر كذلك ، وهو ما يقول به اكثر العلماء فان أمثال هذه البلاد طقسها معتدل وهي لا تقع في المنطقة الاستوائية بل تقع على خط العرض الرابع عشر أو الخامس عشر جنوبا ومع ذلك فأهلها سود الالوان ولهم تقاطيع الزنوج الكاملة وقد يقول من يؤمن بأن جميع اسباب اللون ترجع الى الطقس ان اولئك كانوا قد قدموا من المناطق الاستوائية شمالا وعاشوا في هذه البلاد مددا لا تكفي لتغيير ملامحهم كما هي الحال بالنسبة للزنوج في الولايات المتحدة الاميركية وفي افريقية الجنوبية ، ولكن هذا يحتاج الى دليل .

هذا وتبلغ المسافة من سفح الجبل الى قمته ١٤ كيلو مترا ، وقد اراد صاحبنا ان يزيد من مجاملته لنا

فأخذ يدير جهاز الراديو على المحطات العربية وان كان لا يفهم من العربية حرفا فاستمعنا الى نشرة اخبار وغيرها من عدد من الاذاعات العربية التي كانت تسمع في هذه البلاد على الرغم من بعد المسافة بسبب ارتفاعها .

يوم الجمعة ١٨٣٦/ ٨/ ٢٦ هـ .
١٩٦٦/ ١٢/ ٩ م .

أدينا صلاة الجمعة اليوم في جامع زومبا وقد اكتظ المسجد بالمصلين قبل ابتداء الخطبة وقد حضر عدد كبير من الافريقيين لاداء الصلاة خلاف ما عليه الحال في اوقات الصلوات الاخرى حيث كان أكثر المصلين من الهنود ، وعندما حان وقت الخطبة دخل الامام وقد لبس فوق رأسه (غترة) ولبس فوقها جبة بيضاء طويلة تصل الى كعبيه ولم يكن من عاداته ان يلبسها بل كان يلبس طاقية هندية وجبة او على الاصح قميصا بين القميص الافرنجي والقميص العربي اي قميص هندي يصل الى الركبتين ، وتحت سروال هندي ابيض ، وقد حمل معه حين صعد المنبر مجلدا ضخما اخذ يتلو منه بالعربية خطبة مكتوبة ، لا يدري هو من معناها شيئا، ولا يدري احد من الحاضرين سوانا لها معنى ايضا ، لأنهم جميعا لا يعرفون العربية ، ثم تلا بعدها بخشوع قصيدة بالاوردية كانت فيما يظهر

كالخطبة تتحدث عن فضل الصيام بمناسبة قرب حلول شهر رمضان .

أما الافريقيون الذين لا يعرفون العربية ولا الاوردية فليس لهم حظ من الخطبة ولم يخصهم احد بأن يسمعهم شيئاً من الموعظة باللغة التي يفهمونها ، الا انه بعد ان انتهت الصلاة وانهى الناس ركعتي الراتبة قام أحد الهنود ممن عاشوا طويلاً في هذه البلاد وألقى فيهم كلمة بلغة تشيانجا كنت اسمع أثناء الكلام كلمات عربية ، فسألت عنها فقال : دخلت الى لغة القوم عن طريق اللغة السواحلية حيث اختلقت لغة تشيانجا والسواحلية وهذه مليئة بالكلمات العربية كما هو معروف .

ومما استرعى انتباهي أن أحد المصلين الهنود الذين كنت أعرفهم بحضور الصلاة في الاوقات العادية وبارتداء الملابس الهندية رأته في صلاة الجمعة وقد حضر الى الصلاة وهو يرتدي كوفية (غتره) وفوقها عقاب مقصب وقد فعل ذلك تزييناً لصلاة الجمعة .

النتيجة :

حضر الينا بعد الصلاة السيد الياس امين موسى رئيس اتحاد الجمعيات الاسلامية الافريقية في ملاوي وذلك ليخبرنا بنتيجة مساعيه حول الموضوع الذي تحدثنا فيه معه سابقاً ووعدنا انه سيحضر الينا بالنتيجة اليوم

فقال انه تحدث مع المسؤولين في الحكومة واهمهم وزيران فيها من المسلمين احدهم وزير الزراعة والآخر المتحدث بلسان الحكومة في البرلمان ، وانهم رحبوا بالفكرة الا ان النتيجة النهائية لا يمكن معرفتها الا بعد ان يبحثوا الامر مع رئيس الدولة ، ويحتاج ذلك الى وقت لا يقل عن عدة ايام وان اختيار الطلبة كما قال يحتاج الى وقت طويل لأن جمعيتهم تمثل المسلمين جميعا في ملاوي واختيار الطلبة من بقعة واحدة يفضب باقي المقاطعات وانما يستحسن كما قال ان ننظر في الامر ونخبركم بعد ذلك عن الاشخاص الذين يتم انتخابهم وعن شهاداتهم ومؤهلاتهم واتم تخبروننا بعد ذلك عن موضوع قبولهم وتذاكرهم .

حالة المسلمين في ملاوي :

ثم تحدثت معه عن حالة المسلمين في ملاوي بصفته رئيسا لاتحاد جمعياتهم فكان مما قاله ان نسبة عدد المسلمين في ملاوي تبلغ حوالي ٤٥٪ من مجموع السكان وانهم موجودون في ثمان مقاطعات فيها وان في المقاطعات الاخرى توجد اقليات ممن هاجروا اليها وهناك اماكن مثل فورت جونستون وكوتا كوتا يكون المسلمون فيها اغلبية السكان ، وقال : ان المشكلة انه لا يوجد مدرسون يفهمون الناس امور الدين او يعرفون اللغة العربية ثم طلب تزويدهم بالكتب الدينية ، وقد اكد لي ما ذكره غيره من

ان الافضل ألا نزور ناحية فورت جونستون حيث يكثر المسلمون لان الوضع السياسي هناك لا يساعد على انجاح تلك الزيارة ، وان الزيارة لن تكون في صالح المسلمين لانها تظهرهم بمظهر من يتصلون بدولة اجنبية ، وذلك مما قد يسبب لهم الضرر عند الحكومة .

وقد اخذنا نستعد للعودة الى « بلاتير » العاصمة ومنها الى مدينة لمبي فاتصلنا تلفونيا بقنصلية البرتغال هناك نستفسر عما تم في موضوع طلبنا منحنا تأشيرة دخول الى موزمبيق فأجاب سكرتير القنصلية بأن الامر يتطلب ارسال الجوازات الى حكومة موزنيق والحصول منها على تأشيرة الدخول وهذا يحتاج الى وقت لا يقل عن اسبوعين فاخبرناهم بأننا لا نستطيع الانتظار تلك المدة ، وطلبنا منهم ان لا يرسلوا جوازاتنا الى هناك .

ولقد كان سكرتير لجنة المسجد السيد فاروق سليمان قد اخبرنا أنه ينوي السفر الى بلاتير ولمبي فجر الغد وانه يود ان نصحبه بسيارته فأجبناه شاكرين .

وقد زرنا بعد عصر اليوم السيد فاروق سليمان في سوق زومبا وهو حانوت كبير يضم بضائع مختلفة من عود الثقاب الى المعاطف ويعمل فيه مع ابيه وقد قال لنا السيد فاروق انني سوف اريكم معجزة اليوم ، قلت : وما هي ؟ قال : ان أمي قد اشترت من السوق نوعا من الخضرة وعندما شقته بالسكين رأت عليه حروفا فأرناها الامام أي

امام المسجد الذي هو اعلم رجل عندهم بالعربية فقال : انه مكتوب عليه بالعربية (يا الله) ثم احضر والده باذنجانة سوداء قطعها بالعرض وقال انظر الى هذه الحروف ولم أر الا تقاسيم الباذنجان التي تنفرج بعض الاحيان حتى تشبه (يا) بدو نقط اما الباقي فلا ، وهكذا أثبت الامام العالم انه يعرف العربية حقا .

يوم السبت ١٣/٢٧ / ١٣٨٦ هـ .
١٠ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

العودة الى لمبي :

غادرنا مدينة زومبا فجرا بصحبة صديقنا السيد فاروق سليمان امين جمعية المسجد الجامع وقد اتيح لنا بذلك ان نرى نهارا الارض والقرى بين زومبا وبلاتير وتبلغ المسافة بينهما (٣٧) ميلا كما قدمت .

وقد كان الطريق جميعه يخترق اراضي معمورة مزروعة ، والاهالي يظهر من عنايتهم بالزراعة انهم على درجة طيبة جدا من المعرفة بالفلاحة وانهم لا يدانيهم في هذا الامر الا الاوغنديون الذين يفوقون غيرهم من الافريقيين في هذا الصدد .

والارض كلها خضراء ولا تجد فيها شبرا خاليا من الخضرة سواء أكانت خضرة طبيعية أم زراعية، ومما يسترعي

الانتباه هنا في ملاوي كثرة الاوروبيين من ذوي الاعمال وغيرهم .

اما الدبلوماسيون فعددهم قليل جدا ولا يوجد سوى خمسة سفراء وثلاثة قائمين بالاعمال ، ومما يؤسف له ان احدى السفارات النشيطة هي السفارة الصهيونية ولليهود في ملاوي نفوذ عظيم .

ومن الاسباب في انحياز ملاوي الى اليهود انه قامت في بعض الاجزاء من البلاد حركة سياسية ضد الرئيس (باندا) وحزبه الحاكم فاتهمت السفارة المصرية وهي السفارة العربية الوحيدة التي كانت موجودة هناك بانها اصبحت تؤيد المعارضين للحكومة وتمدهم بالمساعدات فأمر الدكتور باندا باغلاق السفارة المصرية وترحيل جميع موظفيها في ظرف يومين ، كما ان السفارة الاسرائيلية تقدم لحكومة باندا انواعا من المساعدات التي تحتاج اليها مثل الخبرة الفنية وتدريب الموظفين والعمال في ملاوي بدون ان تتدخل في الخلافات السياسية القائمة بشكل مباشر ، شأنها في بعض البلاد الافريقية الاخرى ، وبذلك استطاعت ان تتسلل اليها وتفرض نفوذها ، وهذا شيء يؤسف له بطبيعة الحال ولكن الاسف وحده ليس علاجاً للمشكلة بل يجب على الدول العربية وبخاصة الافريقية منها ، ان تجتمع وتنظر في هذا الامر وتوزع العمل في البلاد الافريقية وترسل من تستطيع ارساله من

الخبراء والمدربين الى كافة انواع المساعدات الاخرى ،وهي اذا قالت للدول الافريقية ان اسرائيل ليست مخصصة فيما تقدمه من مساعدات ،ولم تبذل لها ما تبذله اسرائيل واكثر منه ، فانها لن تلتفت الى هذا القول اما اذا قدمت لها تلك المساعدات فانها بلا شك سيكون لذلك الاثر المرجو .

عدنا الى لمبي ونزلنا في الفندق نفسه وهو فندق (اترناسيونال) .

وقد ذهبنا الى بلاتير وأكملنا اتصالاتنا بالمسلمين هناك .

وقبل المغرب ذهبنا الى جامع لمبي ، وصلينا المغرب فيه ، وبعد الصلاة تحدثنا الى المصلين وقد أولونا عواطفهم مما أنسانا بعض ما نعانيه من وحشة الغربة .

كما زرنا المدرسة الملحقة بجامع لمبي وهي قسمان : قسم للصبيان وقسم للبنات وكلها تدرس مبادئ العلوم الاسلامية بطريقة التلقين وبواسطة اللغتين الأوردية والكجراتية وهما لغتا المسلمين الهنود في هذه البلاد .

المسامون في ملاوي

وصلنا اليها قادمين من تنزانية .

وقد اتصلنا في مدينة بلاتير العاصمة ومدينة لمبي
القريبة منها بالمسلمين الهنود ولهم جمعيات اسلامية
صغيرة تشرف على المساجد وتكفين الاموات ومدارس
تحفيظ القرآن هناك .

والمسلمون الهنود في ملاوي اغلبهم ان لم يكن كلهم
من الاغنياء وليسوا بحاجة الى المساعدة المادية وكثير
من جمعياتهم يوجد فيها وفر من المال لانهم قد فرضوا على
كل رجل قادر منهم مبلغا شهريا من المال يؤديه الى صندوق
الجمعية الاسلامية .

اما المسلمون من الافريقيين فهم في غاية من الضعف
والمسكنة اذ لا يكاد يوجد بينهم متعلم ، واكبر مثال على
ذلك ان نسبة المسلمين في ملاوي حوالي ٤٪ اي انها اكثر
الاقطار الافريقية في تلك المنطقة ازدحاما بالمسلمين ومع
ذلك لا يوجد في الحكومة من الوزراء المسلمين غير
وزيرين فقط هما (جي . دبليو . توماني) وزير الزراعة
والمعادن (وقاسم سوتي) المتحدث بلسان الحكومة في
البرلمان وهو برتبة وزير .

والسبب في كثرة المسلمين في ملاوي لا يرجع الى
العهد الحديث بل لان المسلمين كانوا قد وصلوا الى اقليم
سفالة في شمالي موزمبيق قبل اكثر من الف سنة ، ثم
دخلوا الى تلك المنطقة واختلطوا بالاهالي ، ومع ذلك

ليس هناك مدارس نظامية لآبناء المسلمين واغلبيتهم يشتغلون عمالا وعمالا زراعيين وما اشبه ذلك . وحتى المدارس والكتاتيب الاسلامية قليلة جدا ومساجدهم اكثرها مبني من القش او الصفيح بخلاف مساجد الهنود المبنية بالاسمنت المسلح على الطراز المغولي الذي تتميز به المساجد في القارة الهندية .

ويكثر المسلمون في ملاوي في مقاطعة « فورت جونستون » حيث يكونون اغلبية هناك . وكذلك يكثرون في كوتاكوتا، ورواوا ، وملانجي، وكاسوبي ، وجير الزور، ولولونجو ، وكارونقا ، اي انهم يوجدون بكثرة في ثمانى مقاطعات من مقاطعات البلاد التي يبلغ عددها عشرين كما لا تخلو منهم المقاطعات الاخرى .

وعلى الرغم من ضعف المسلمين فان عدد الداخلين في الاسلام يزداد يوما بعد يوم والسبب في ذلك جهود فردية صغيرة لبعض المشائخ الافريقيين .

الجمعية الاسلامية الافريقية في ملاوي :

سافرنا الى مدينة زومبا العاصمة الثانية للدولة للاجتماع برئيس الجمعية الاسلامية الافريقية السيد الياس امين موسى ، وتسمى الجمعية المذكورة بالانجليزية : (نياسالاند مسلم اسوسيشان) . وهو من المقربين الى الدكتور باندا رئيس جمهورية ملاوي ورئيس الحزب الوحيد الحاكم في البلاد ، وبصفته تلك اصبح رئيسا

للجمعية المذكورة ، وقد اجتمعنا ايضا بالسيد (آر. اي. جوانيجا) الامين العام للجمعية المذكورة وبحثنا معهما المهمة التي قدمنا من اجلها والاشياء التي يمكن ان تقدمها للمسلمين باسم المملكة العربية السعودية ، وهي المساعدة المالية للجمعيات والهيئات الاسلامية ، واختيار طلبة منهم لترحيلهم الى المدينة المنورة للدراسة هناك على حساب الحكومة السعودية ، وارسال بعض المدرسين لمساعدتهم على نشر التعليم الاسلامي في بلادهم .

وبعد ان فكر رئيس الجمعية كثيرا قال : لقد ابتلينا نحن المسلمين هنا بما حصل من احدى السفارات العربية من اعمال اضررت بالمسلمين فقد حاولت التدخل في الشؤون الداخلية في ملاوي الى حد تشجيع المعارضين للرئيس باندا حتى حدث انقسام في البلاد أضر بالطرفين الحكومة والمعارضة مما اضطر حكومتنا الى ان تطرد جميع اعضاء السفارة المذكورة ، وقال : اتنا لذلك نأسف اذ نخبركم اتنا لا نستطيع ان تقبل اي شيء الا بعد التفاوض مع الحكومة واستئذان الرئيس باندا .

ثم جاء الينا بعد ذلك وقال : اتني اتصلت بالمسؤولين - وهو يقصد فيما فهمنا الرئيس باندا والوزيرين المسلمين في حكومته - وقالوا انهم يشكرون الحكومة السعودية وخاصة حول ما يتعلق بتقديم المدرسين ومنح الطلبة ، واما ما يختص بالمساعدات المادية فان قوانين البلاد تمنع قبول

اية مساعدة مالية من الخارج للافراد والهيئات في ملاوي ،
قال ، وهذا شيء قد طبقتة الحكومة حتى بالنسبة للجمعيات
المسيحية في البلاد ، ولكن يمكن ان ترسلوا الينا مصاحف
وكتبا دينية .

هذا وقد حاولنا ان نزور مقاطعة فورت جونستون
فوجدنا ذلك صعبا جدا لانه يحتاج الى اذن خاص من
الشرطة بسبب الاضطرابات السياسية كما قدمت في
اليوميات .

في رُودِيَّةِ الجَنُوبِيَّةِ

يوم الاثنين ٢٩/٨/١٣٨٦ هـ .
١٢/٢/١٩٦٦ م .

السفر الى روديسية :

خرجنا الى مطار بلانثير في ملاوي ويسمونه مطار تساليجا لانه يقع في منطقة تسمى بهذا الاسم وذلك في تمام الساعة التاسعة صباحا وقد كان الموظف الذي أخذ تذاكرنا انكليزيا بعد أن ارشدنا الى كل ما نحتاج اليه وأخذ جوازاتنا شكرنا .

مع أنه كان من الطبيعي أن نشكره لانه هو الذي قام بواجبه نحونا فذكرت الموظف الهندي في شركة شرق افريقية وقارنته به وكانت المقارنة في غير صالح صاحبنا الهندي - هندي دار السلام - ومما تجدر ملاحظته أن الهندي المشار اليه هو هندوكي الديانة .

ذكاء ضابط الجوازات :

وقفنا في الردهة الخارجية للمطار مدة لا تقل عن نصف ساعة بدون أن يؤذن لنا بالدخول الى ضابط الجوازات لانهاء الاجراءات الخاصة بجوازاتنا ، ولم يكن في المكان مقاعد ، ولم يكن هناك من يرشدنا فرأيت ضابطا يتجول فسألته عن مكان الجوازات وأين ينبغي لنا أن نذهب الآن فأجاب : انه ضابط الجوازات نفسه ، وأن مكبر الصوت

سيعلن عند ابتداء العمل في الجوازات ذلك . ثم أخذ يحدثني فسألني هل انتم سعوديون ؟ فقلت نعم من أين عرفت ؟ قال لقد رأيتم عند قدومكم الى ملاوي منذ ستة ايام ثم سألتني ما هي لغتكم ؟ مع أنه يعرف أننا عرب سعوديون فقلت : العربية ، وليست لغتنا وحدنا بل هي لغة جميع الاقطار العربية في الشرق الاوسط وشمالى افريقية وأخذت أعدده له الأقطار التي تتكلم العربية فقال لي : وماذا عن اسرائيل ؟ وهل هي من الاقطار العربية ؟

ومع ذلك فلنكفي لا أعظم هذا الضابط الذكي حقه أقول : انه عندما حان الوقت ودخل الى مكتبه كان لطيفا معنا وأنهى اجراءات سفرنا وجميع المسافرين بسهولة ويسر.

الى سالسبورى :

قامت بنا الطائرة من بلاتير الى سالسبورى في تمام الساعة العاشرة الا ربعا بعد أن أعلنت المضيفة أن مدة السفر ستكون ساعة وعشر دقائق ، والطائرة من طراز (دي ، سي ، ستكس) ذات المحركات الاربعة تابعة لشركة خطوط ملاوي الجوية ولكن الذي يظهر أن الاوروبيين هم الذين يقومون على ادارتها لأن جميع هيئة الطائرة من الاوروبيين . وكانت المضيفتان من الانكليز .

سارت الطائرة سيرا رخوا في سماء ارض ذات وهاد وجبال خضر ، تتخللها مسابيل الماء التي تجري وتنعكس

عليها اشعة الشمس عندما نحاذيها ، ثم ارتفعت الطائرة فلم نعد نتبين من معالم الارض شيئا خاصة وأن هناك بعض السحب المرتفعة والمنخفضة .

وقبل هبوط الطائرة بثلاث ساعة اتضحت لنا الارض واذا بها لا تكاد تختلف مناظرها عن منظر الارض في زامبية حيث كثافة الخضرة أقل منها في ملاوي وأقل بكثير من كثافة الخضرة في البلدان الاستوائية . وقبل هبوط الطائرة بدت مدينة سالسبوري وضواحيها جميلة منسقة بل غاية في الجمال .

في مطار سالسبوري :

هبطت بنا الطائرة في المطار ولسنا على ثقة من دخول روديسية لانه ليس معنا تأشيريات دخول اليها ، وقد كان جميع الموظفين الذين استقبلوا الطائرة من الاوروبيين عدا الحمالين . المطار نظيف جدا وفخم يكاد يقارن بمطار نيروبي في السعة ، أما في النظام وجمال المظهر فهو يفوق مطار نيروبي حقا . وكان جميع الموظفين فيه من الاوروبيين، وقد عجبت جدا لسهولة الاجراءات وسرعتها ، فالطابور الذي يتقدمنا من المسافرين وهو يتكون من ستة اشخاص لم تستغرق اجراءاتهم اكثر من ثلاث دقائق ، أي أن كل شخص لم يقف أمام ضابط الجوازات أكثر من نصف دقيقة ، وهذا شيء لا يصدق ولكن هذا هو الواقع . وعندما

جاء دورنا ، ونحن كما قلت ندخل البلاد بدون أن نحصل على إذن مسبق ، بالدخول ، سألنا ضابط الجوازات بلطف هل معكم (فيزا) الى روديسية ؟ فلما أجبتاه بالنفي أسرع الى أوراقه وكتب لنا تأشيرة دخول في أقل من دقيقتين ، وطلب منا رسم التأشيرة وقدره جنيه لكل واحد ، ولما أجبتاه بأنه لا توجد لدينا عملة روديسية وانما هي عملة ملاوي قال انها تكفي ، مع أنها أقل قليلا في الصرف من عملة روديسية .

وعلى الرغم من أن جوازاتنا غريبة في هذه البلاد ، فلم يبد استغرابه لنا ، وانما نظر الى أحد الجوازين وقال هل الآخر مثله ؟ فقلنا نعم . فاكتمى بنظر الاول ثم قال : هل معكم تذكرة عودة الى بلادكم ؟ قلت نعم . فصدقنا بدون ان ينظر الى تذاكرنا ولم يطلب ابرازها أو النظر فيها .

ونظرا الى أننا قد انتهينا بعد جميع المسافرين فقد وقف قريبا منا رجل اوروبي كهل عرفنا فيما بعد أنه ضابط في جمرک المطار وأرشدنا الى مكان حقائبنا ، وكنت أحمل معي في يدي حقيبة يدوية ، لان حقيبتي الكبيرة ثقيلة فقد أسرع ليحمل بنفسه حقيبتي الى مكان التفتيش وذلك مع كونه أسن مني ، وعندما مانعت في ذلك حمل حقيبتي اليدوية وحملت أنا حقيبتي الكبيرة ، ولا أدري أين الحمالون .

وعندما وصلنا الى مكان التفتيش سألنا شاب اوروبي

عن النقود التي نحملها فأخرجناها لنعدها فقال انه لا داعي
لعدها ، اكتبوا ما شئتم ، ثم أفسحوا لنا الطريق للخروج من
المطار بدون أن يفتشوا شيئاً من حقائبنا لا الكبيرة منها ولا
الصغيرة حتى ايصالات الحقائب لم يطلبوا منا ان نعطيهم
اياها .

وبأسرع ما يمكن خرجنا من المطار ونحن لا نكاد
نصدق ما حدث ، فهذه أيسر اجراءات مررنا بها منذ خرجنا
من بلادنا ، وتعجبنا جميعا لذلك ، وان كان صاحبي أكثر
مني تعجبا لأنني أعرف من طريقة الاوروبيين في معاملة
الناس أكثر مما يعرف ، فأولئك القوم قدروا بخيرتهم
وثقافتهم الواسعة أننا لا نخشى منا أي ضرر على قضيتهم
السياسية فما الذي يدعوهم الى مضايقتنا هذا ما خمنت
وما أظنه صحيحا .

مدينة سالسبوري :

ركبنا حافلة الى البلد ، والمسافة بينهما ١٢ كلم والأجرة
شلنان ونصف أي ريال ونصف تقريبا . انه شيء زهيد جدا
نظرا لفخامة الحافلة وبعد المسافة .

ونزلنا في (فندق اليزايث) وهو فندق أوروبي فخم
جميع تزلأته من الاوروبيين ، ولم أر فيه أحدا غيرهم ولا
أدري هل ذلك من باب المصادفة أم أنهم لا يسمحون
بذلك . ويديره ايطاليون على رأسهم عجوز هي التي

وجدناها في الادارة وفي المكتب عجوز أخرى أوروبية كأنها كاتبة ، وأجرة الغرفة الواحدة فيه ذات السرير الواحد جنيه استرليني وسبعة شلنات أي ما يساوي سبعة عشر ريالا تقريبا ، ومستواه مستوى فنادق الدرجة الاولى في البلاد العربية فهو غاية في النظافة وفيه مطعم فخم ورياشه من أعلى الرياش ، والمياه في الغرفة حارة وباردة . وعلى كل حال فهو أرخص فندق نزلناه بالنسبة لمستواه في أي بلد آخر .

جولة في مدينة سالسبوري :

ذهبنا نبحث عن جامع سالسبوري وعن السيد علي آدم رئيس الجمعية الاسلامية هناك ، فبدت لنا مدينة سالسبوري حديثة ضخمة تفوق نيروبي في كل شيء تقريبا، شوارعها واسعة ، وحدائقها كثيرة ، وحركة السيارات فيها عظيمة ، وعماراتها ضخمة ولكن دون الحد الذي يخرجها عن الجمال ، أما متاجرها فهي غاصة بالسلع المختلفة . وأما نظافتها فتكاد تبلغ حد الاسراف . شيء لم أره في أية مدينة أخرى في افريقية ، والواقع أنه يمكن القول -بحق- أنها مدينة أوروبية في افريقية ، لأنه ليس للافريقيين فيها اي نصيب الا أن يكونوا من زبائن بعض المحلات التجارية .

أما سكانها الاوروبيون فانهم يظهر عليهم الثراء والنعمة ، وأما الافريقيون فانهم في لباسهم ومظهرهم الصحي فوق مستوى كثير من الافريقيين في البلاد الافريقية التي

مررنا بها . الا أنهم مع ذلك تبدو عليهم المسكنة والخضوع ،
وعدم الشعور بأنهم في مستوى الآخرين من غير الافريقيين ،
ولا شك أن ذلك ناشىء عن السياسة العنصرية التي كانت
ولا تزال سائدة في تلك البلاد ، وان تكن أقل تطرفا من
السياسة المتبعة في جنوب افريقية .

وعندما رأيت مدينة سالسبوري بهذه المثابة من الثراء
والحركة التجارية العظيمة لم أستطع أن أصدق بأن روديسية
تعاني حصارا اقتصاديا ، حتى السيارات تسمع لها جلبة
عظيمة لكثرتها وتنوعها فأين الحصار الاقتصادي الذي
يشمل القيود العظيمة على ارسال النفط وغيره اليها . لا
شك أن ذلك الحصار ليس فعالا والسبب في ذلك هو
جمهورية جنوب افريقية (الباب الخلفي) لروديسية أو
(باك دور) كما يقول الاوروبيون ، فجميع احتياجات
روديسية تأتي عن طريق ذلك الباب الخلفي لان حكومة
جنوب افريقية اكثر عراقا في سياسة التمييز العنصري ،
ولذلك فانه لا يعقل أن تطبق العقوبات الاقتصادية المفروضة
على روديسية ، كما أن روديسية تجد متنفسا في مستعمرة
موزمبيق المجاورة فعن طريقها تصدر كثيرا من بضائعها
وتستورد بعضها .

ومدينة سالسبوري عبارة عن مدينة رئيسية وضواحيها ،
فالمدينة الرئيسية للاوروبيين فقط ، ولا يجوز لأي افريقي
أن يسكن فيها أو يفتح فيها محلا تجاريا ، وأما ضواحيها

وهي منفصلة عنها فانها مساكن مخصصة للافريقيين ولا يجوز لغيرهم أن يسكن فيها . أما الآسيويون وهم هنا الهنود فقط فانهم قلة وهم يسكنون في الوسط بين الأوروبيين والافريقيين ، وليس عليهم من التمييز العنصري ما على الافريقيين .

وقد رأينا بعض مظاهر الزينة في سالسبوري لا تزال باقية بعد احتفالهم بالعيد الاول لاغتصابهم الاستقلال . ويتمثل أكثرها في أشكال هندسية بدیعة من الأضواء الكهربائية وأقواس النصر في الشوارع .

وبعد تجوالنا في المدينة على أقدامنا رأينا ما يدل على أن هناك في باطن الارض دورة مياه فقصدناها فوجدنا خارجها نظيفا جدا لا يختلف عن مظهر أية دورة مياه نظيفة في بيت خاص لرجل ثري ذي ذوق جميل وقد كتب عليها :
(للأوروبيين فقط) ..

مع رئيس الجمعية الاسلامية :

قابلنا السيد علي آدم رئيس الجمعية الاسلامية الآسيوية وهو هندي الاصل واقتصادي كبير ، يملك رأس مال عظيم وهو ذكي سريع الفهم ، وطيب القلب ، وقد رأينا متجره واسعا كبيرا يعمل لديه فيه اكثر من اثني عشر موظفا وقد حدثنا بأن له مصنعا كبيرا لغزل القطن ونسجه وتفصيل القماش .

وقد حدثنا عن تجارته فقال ، ان قضية اغتصاب الاستقلال قد أثرت على الصناعة في روديسية بعض الشيء بالنسبة لما كانت عليه الحال قبل ذلك لأن كثيرا من البلاد الافريقية تقاطع روديسية اقتصاديا في الوقت الحاضر، ولولا وجود جنوب افريقية بجانب روديسية لما استطاعت أن تعيش طويلا .

في جامع سالسبوري :

قصدنا جامع سالسبوري وهو في موقع متوسط من المدينة في الحد الفاصل تقريبا بين مساكن الاوروبيين والآسيويين وأدينا فيه صلاة المغرب فوجدناه لا يختلف عن بقية مساجد المسلمين في الروديستين ونياسالاند كما قدمت وصفها وهو عبارة عن بناء متوسط السعة ، مقدمته مسجد ، ومؤخرته ردهة في جانب منها المنافع الضرورية وفي الجانب الثاني عدة غرف خصصت لسكنى إمام المسجد ، وفيه غرفة كبيرة كانت فيها المدرسة الاسلامية قبل انتقالها الى مكان واسع كما قالوا . الا أن المسجد صغير نوعا ، وردهاته ضيقة ليس فيها حديقة ، وقد امتلأ المسجد بالمصلين قبل أذان المغرب وقد أذن للصلاة افريقي يلبس ثوبا عربيا على عادة المؤذنين هنا ، وقبل الصلاة قال المؤذن جملة لم أسمعها الا في هذه المنطقة أي منطقة الروديستين (ونياسالاند) وهي: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة

دائمة الى يوم الدين» ثم يقيم الصلاة بعدها مباشرة ،
فيدخل الامام بعد ذلك مباشرة اي دون أن يلتفت الى
المؤمنين أو يأمرهم بتسوية الصفوف ولم يجهر احد
بالتأمين لأن القوم خفية، ولم يكن في المسجد من الافريقيين
أحد ، لان مساكن الافريقيين في مكان بعيد عن البلد .

وبعد الصلاة وأداء الراتبة بعدها مباشرة سلمنا على
الامام وعلى جماعة القوم ، وقد سرنني أنني لم أسمع بعد
الصلاة شيئاً كنت أسمعه في شرق افريقية من الدعاء الجماعي
والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) بصوت مرتفع
بشكل جماعي أيضا بحيث يظن كثير من العامة منهم أنها
جزء متمم للصلاة لا تصح بدونها ، وقد لبثنا فترة طويلة
تحدث مع الامام ، واسمه الشيخ عبد الله صديق الصوفي ،
ومعه شيخ آخر اسمه الشيخ موسى .. وهو نائب الامام
ومدرس أيضا مثله في المدرسة الاسلامية هناك وهم جميعا
من الهنود .

وقد لقينا من القوم استقبالا طيبا ومشاعر نبيلة .

ثم ذهبنا من المسجد الى بيت السيد علي آدم وكان
قد دعانا لتناول طعام العشاء في بيته فوجدناه قصرا فخما
في ربوة عالية تطل على سالسبوري من احدى الضواحي
القريبة ، وبه جناح خاص مجهز بكل ما يلزم وقد دعانا الى
أن نمكث فيه ونكون ضيوفه مدة اقامتنا في سالسبوري
فشكرناه على ذلك واعتذرنا له بأننا قد ارتبطنا مع الفندق

بوعد في أن نقيم عنده ، وبعد العشاء أوصلنا بسيارته الى الفندق أو على الأصح باحدى سياراته فلديه اكثر من خمس سيارات للركوب فقط . ويقول ان تعدد السيارات لديه ينفعه لأن البنزين مقنن في رويدسية لكل سيارة قدر معلوم ، وهو جالون الا ربعا يوميا وقيمة الجالون ستة شلنات ونصف أي أن قيمة الصفيحة ٢٦ شلنا أي ما يساوي ستة عشر ريالاً سعودياً تقريباً . ويقول السيد علي أنه يستطيع ان يوفر من البنزين لسد حاجاته كلها منه بسبب تعدد السيارات لديه . وله ثلاثة اولاد يشتغلون معه ويدرس اثنان منهم في جامعة رويدسية بسالسبوري ، وقد أكملوا مدة من الدراسة في لندن في وقت سابق ، وذكر لي أنهما تعرفا على عدد من الطلبة العرب هناك ، ومنهم طلبة سعوديون وذكر أحدهما أنه كان عضواً في جمعية الطلبة العرب على الرغم من أنه ليس عربياً بالجنسية وانما ذلك لمحجته العرب وقال انه ايضا في الشكل يشبه العرب .

هل نحن سعوديون حقا؟ ...

مديرة الفندق الذي نسكن فيه عجوز ايطالية ما أن رأت كتابتنا على سجل الفندق بأننا من المملكة العربية السعودية حتى بانث عليها الدهشة ولكنها لم تذكر لنا شيئاً حتى جاءت المناسبة في هذه الليلة عندما عدنا وأخذت تحدثنا حتى قالت : لم أكن أتصور أنكم من سكان الجزيرة

العربية لأنكم بيض الالوان وسكان الجزيرة فيما أعتقد ليسوا من البيض فأخبرتها بأننا في الجزيرة العربية ديننا الاسلام ولا نلقي الى اللون بالآوانا نزن المرء بأعماله وبقدر ما يحسن وما يقدمه من عمل ، وعلى ما في هذه الاجابة من عدم المجاملة لها فاني قد ركزت عليها ولم أر أن تفوت هذه المسألة بغير أن أبين موقف الاسلام منها .
وهكذا نجد الاوروبيين في هذا الجزء من افريقية شديدي الحساسية بالنسبة الى اللون . ولا غرو فان السياسة الرسمية للأوروبيين في روديسية وفي جمهورية جنوبي افريقية هي سياسة التمييز العنصري .

يوم الثلاثاء الموافق ٣٠/٨/١٣٨٦ هـ .
١٣/١٢/١٩٦٦ م

مثل آخر على تأثير لون المرء عند الاوروبيين في هذه البلاد فقد ذهبت الى بنك باركليز لأصرف احدى الصكات السياحية وكانت الموظفة فتاة اوروية دهشت لسرعة انجازها الاعمال اذ كان هناك طابور من المنتظرين ما أسرع أن انتهت منه في دقائق حتى وصلني الدور فأعطيتها الشيك فنظرت اليه ثم ذهبت به الى مكان داخل البنك ثم عادت مسرعة وقالت : ضع توقيعك الثاني عليه وذهبت بنفسها الى أمين الصندوق حيث أحضرت بيدها قيمته وأعطتني

اياها ولم تسألني عن جوازي ولم تنظر الى توقيعى فيه حتى النقود لم تقل لي عدّها ، ودهشت. فهذه اول مرة يصرف لي فيها شيك سياحي بدون النظر الى الجواز منذ خرجت من المملكة حتى وصلت الى سالسبوري .

وقد كانت عادة أكثر الموظفين الافريقيين والآسيويين في البنوك التي مررت عليها أن يطلبوا ابراز جوازي قبل صرف الشيك ثم يتحققوا من توقيعى بعد أن يقارنوا بينه وبين توقيعى الاول عليه ، وفي أكثر الاحيان لا يكتفى الموظف بذلك بل يذهب الى موظف أكبر منه وربما الى من له خبرة في التوقيع في البنك ، ثم اذا رأى جوازي عريا سعوديا أخذ يستفصل عن بعض الاشياء . ثم اذا أجرى تحقيق المبلغ وانتهى كل شيء أحالني على امين الصندوق ، وأمين الصندوق يأمرني بعدّ النقود والتأكد منها لئلا يقال عنه بعد ذلك أنه ربما سلمها وهي ناقصة ، أما هذه الفتاة الاوروبية فلم تفعل شيئا من ذلك ، وعندما سألت السيد علي آدم وعنده ثلاثة من المسلمين الهنود عن السبب في هذا ضحكوا وقالوا : لقد عاملوك معاملة الاوروبيين وانك لو كنت افريقيا لحققوا معك ونظروا الى جوازك ، ولكنهم وثقوا بك على عادتهم بالثقة في الاوروبيين ، وبمناسبة الحديث عن البنك المذكور اقول اتني لاحظت أن جميع الموظفين فيه من الاوروبيين وليس فيه افريقي واحد .

معهد سالسبوري الاسلامي :

ويقع في مكان جميل تظله الاشجار الباسقة ، وتمتد غرفه على شكل ضلعي مربع وتحيط به حديقة جميلة مليئة بالزهور. أما الحشائش وملاعب الاطفال فهي أحسن شيء يمكن توفيره ، وغرفه واسعة منظمة ، والطلبة فيه تبدو عليهم النظافة والصحة والنشاط وكلهم من الآسيويين وليس فيهم من الافريقيين أحد .

والسبب في ذلك أن مناطق سكنى الافريقيين بعيدة عن هذه المنطقة ولو أراد أحد منهم السكنى قريبا منه لما استطاع بسبب سياسة التمييز العنصري المطبقة هنا .

استقبلنا عند وصولنا للمعهد المدير والمدرسون وكلهم من الهنود ما عدا واحدا فهو افريقي يسكن في روديسية وأصله من فورت جونستون في ملاوي وقد طافوا بنا فصول المعهد وغرفه وردهاته وهو بحق أحسن معهد او مدرسة اسلامية رأيناها منذ خروجنا من المملكة من حيث البناية والتنظيم وقد خصصوا فصلا منفردا لكبار البنات تدرس فيه امرأة هي زوج المدير .

وبناية المدرسة ملك للدولة وقد استأجرتها الجمعية الاسلامية التي يرأسها السيد علي آدم بمبلغ ٤٥ جنيهها استرلينيا في الشهر وهو مبلغ أقل مما تستحقه ايجارا لها بكثير ولكن الحكومة - كما يقولون - تسامحت معهم لكون المكان مدرسة دينية .

ويأخذ المدير راتبا شهريا من الجمعية الاسلامية قدره ٣٥ جنيها استرلنيا كما يأخذ بقية المدرسين الهنود ٣٠ جنيها فقط لكل مدرس ويأخذ المدرس الافريقي ١٢ جنيها فقط لأنه لا يحمل شهادات وقد سمعنا تلاوة القرآن من احدى الفتيات الصغيرات حيث تلت تلاوة مجودة متقنة تعجز عنها اكثر الفتيات العربيات بلا شك مع انها لم تتم السنة العاشرة من عمرها. وتلا طالب هندي في التاسعة بعض قصار السور فأعجبنا وأطربنا ، وهم مع ذلك لا يستطيعون الكلام بالعربية ولا يفهمون معاني القرآن الكريم ، حتى المدير والمدرسون رغم حصولهم على شهادات عالية من مدارس الهند الاسلامية لا يستطيعون التكلم بالعربية وان كانوا يفهمون الكتب العربية وذلك شأن جميع المسلمين الهنود في الروديسيتين ونياسالاند ، فهم وأولادهم يقرؤون القرآن الكريم ولكنهم لا يفهمون له معنى .

وقد رأيت على السبورة عبارات باللغة الاوردية في فن التوحيد جميلة كل الجمال حين ترجمها لنا المدرس الى الانكليزية حتى نستطيع فهمها لأن الانكليزية هنا في روديسية هي اللغة السائدة ويتفاهم بها الهنود حتى فيما بينهم كما يتفاهم بها سائر القوم هنا .

في قنصلية جنوب افريقية :

قصدنا مع احد اخواننا من الهنود المسلمين المقيمين في

سالسبورى قنصلية جنوب افريقية وتشغل طابقا في احدى العمارات الكبيرة . وقد لقينا على المكتب في المدخل امرأة اوروية بدت متجهمة الوجه مقطبة الجبين ، ولما أخبرناها بقصدنا أشارت بطريقة جافة الى مكتب آخر في الداخل فوجدنا فيه امرأة اوروية أخرى نصفاً ، اي في سن الكهولة ، فاستقبلتنا استقبالا جامدا ان لم يكن سيئا ولما أخبرناها بقصدنا قادتنا بطريقة بعيدة عن الذوق الى غرفة للانتظار ، وقالت : انتظروا هنا وسوف تدعون لمقابلة الموظف المسؤول اذا جاء دوركم .

وبعد مدة قصيرة حضرت فتاة فأشارت الينا بالدخول الى غرفة مجاورة فلما دخلناها وجدنا فيها رجلا اييض عرفنا فيما بعد أنه نائب القنصل فاستقبلنا ببرود وبتكبر وترفع ظاهر ولما أخبرناه بقصدنا وأتينا عرب سعوديون واطلع على جوازاتنا تغيرت لهجة حديثه وبدأ يظهر اللين في القول ، والمجاملة في العبارة ..

وقد بحثنا معه طلبنا للحصول على اذن الدخول الى جمهورية جنوب افريقية فأجابنا بأنه يود ذلك، ولكن ليست لديه صلاحية منحنا تلك التأشيرات ، وقال : إنني مع معرفتي بأن القنصل نفسه لا يستطيع فإنتي سوف أتكلم معه ثم تكلم مع القنصل بالانكليزية وشرح له موضوعنا وقال : إنهم من رجال العلم ومعهم مبلغ كاف من المال ويريدون أن يروا البلاد ، ثم أخذ يتكلم مع باللغة الهولندية

وهي اللغة الثانية في جنوب افريقية ، ثم بعد ذلك قال لنا :
 إنني آسف اذ اخبركم انه لا يستطيع أن يمنح سمات
 الدخول لكم الا جهة واحدة هي حكومة بروتيريا في جنوبي
 افريقية تلك هي قوانين بلادنا ، وسوف نشفع طلباتكم
 بتوصية اعطاءكم السمات المطلوبة وأكاد أؤكد أنها ستعطي
 لكم ، فقلنا له ان الايام المخصصة لرحلتنا في اواخرها
 ويصعب علينا الانتظار حتى ورود الجواب الذي قال : إنه
 سيستغرق اسبوعين على الاقل ، فقال : انتي سوف ارسله
 مستعجلا ، ومع ذلك استطيع في حدود صلاحياتي أن
 اعطيكم سمة مرور في مطارات جنوب افريقية .
 ثم أخذ يسألنا عن أحوال بلادنا وعن طرق معيشتنا
 وعن علاقتنا بالدول الاخرى ، وقد لبثنا عنده أكثر من
 ساعتين وكان يستبقينا كلما اردنا الذهاب ، ويفيض في
 البحث في مثل هذه المواضيع ، ولما رأينا رغبته في ذلك قلت
 له : ان حكومتنا تمنح سمات الدخول كل سنة لاكثر من
 ألف شخص من رعايا حكومة جنوب افريقية ، ولذلك
 فنحن نتوقع أن تكون معاملتكم لنا بالمثل ، فضحك وقال :
 أولئك الناس جماعتكم أو (يورييل) إنك تقصد المسلمين
 الذين يذهبون الى بلادكم للحج ، فأولئك اصلهم من
 الشرق ، أما بالنسبة لي أنا فأعتقد ان الامر يختلف ، أليس
 كذلك ؟ فقلت له : انتي شخصيا ليست لدي الخبرة في
 أمور الجوازات والاقامة ، ولكن الذي أعرفه ان حجاجا

كثيرين من رعايا بلادكم يصلون للمملكة كل عام ..
هذا وقد خرجنا من عنده فودعنا الى خارج باب مكتبه،
وهو يعتذر عن عدم تمكنه من منحنا سمات الدخول ،
ويعد بالتوصية بذلك لدى حكومته .

هذا وقد خرجنا من عنده ونحن عازمون على الغاء
زيارة جمهورية جنوب افريقية من برنامجنا لذلك السبب
لانه لا يمكننا أن نقيم في روديسية حتى ترد الاجابة ،
لضيق وقتنا ، ولأتنا لسنا على يقين الأجابة بالقبول لان
سياسة تلك الحكومة العنصرية الهوجاء تقوم على عدم
تسهيل دخول رعايا البلاد التي تقول عنها انها ملونة ..

مسجد هراري :

هناك في روديسية يسكن الافريقيون في أماكن منفصلة
ضمن مساحات معينة تلك كانت السياسة الرسمية للحكومة
الروديسية في السابق .

وقد بنت الحكومة مدينة صغيرة في ضاحية
سالسبوري للافريقيين من أهل الوظائف والقادرين على
دفع الاقساط الشهرية المستحقة وتسمى «هراري» وهي
تقع في الجنوب الشرقي من مدينة سالسبوري الاوروية ،
وهي تتكون من بيوت جميلة بعضها على شكل (فلات)
وبعضها على شكل وحدات سكنية أي على شكل غرفة
كبيرة من الخارج تنقسم الى عدة غرف في الداخل ويحيط

بكل بيت مساحة مزروعة من الارض ، ولولا ان الارض كلها خضراء لأسميتها حديقة وفيها الشوارع المسفلتة ، والكهرباء الكاملة والحدائق والملاعب . الا ان ما يضايق الافريقيين وهو شيء يضايق حقا - أنهم مجبرون حتى الآن على السكنى منعزلين عن غيرهم من الاوروبيين والآسيويين ، وقد كان هؤلاء الاوروبيون والآسيويون ممنوعين من الدخول الى مناطق سكن الافريقيين ويتعرض من يجروء منهم على دخول منطقة سكن الافريقيين الى التحقيق معه من قبل الشرطة ولكن ذلك قد خف الآن بسبب المشكلة التي تتخبط فيها الحكومة الروديسية غير الشرعية نتيجة لاعلانها الاستقلال من جانب واحد ولما سألت عن حجة الحكومة أو الشرطة في هذا الامر قالوا انهم يقولون ان ذلك كان لحماية الاوروبيين والآسيويين مما قد يصيبهم من الافريقيين لأنهم قد يتعرضون لمشاكل بزعمهم لتخريب سياراتهم . وهذه حجة ساقطة كما هو ظاهر .

وقد دخلنا المسجد في تلك الحارة فاذا به نظيف جميل متوسط السعة يحيط به فناء صغير ألحقت به مدرسة (كتاب) من غرفة واحدة كبيرة وغرفتين لسكنى المدرس وهو مبني بالطوب الأحمر ومسقف بشكل جميل ومفروش بفرش بسيط والواقع ان بنيته هنا للمسلمين في حي اغلبية أهله من الافريقيين غير المسلمين كان مناسبا بل كان

توفيقاً من الله سبحانه وتعالى تم بناؤه بطريقة جمع التبرعات وساهمت الجمعية الإسلامية التي يرأسها السيد علي آدم بنصيب كبير من نفقاته . وهذا المسجد يعد عن قلب مدينة سالسبوري ٣ أميال فقط وإمامه يسمى حبيب ماتشنجي وهو من اصل صومالي .

مسجد هايفل :

ومن هنا ذهبنا الى ضاحية أخرى بل الى بلدة أخرى وان كان يشملها اسم «سالسبوري» وتسمى (هايفل) وهي منطقة من مناطق سكنى الافريقيين وهي كبيرة اكبر من هاراري وبيوتها ليست على طراز واحد لأنها بيوت خاصة بنيت بنقود الافريقيين — لذلك اختلفت أحجام البيوت من حيث المساحة .

وهي ضاحية جميلة جدا تخترقها شوارع مسفلتة على احسن طراز للذاهب والآيب وتملاً الزهور حدائق البيوت — والبيوت كلها وكذلك بيوت حي هراري — مبنية إما بالآجر أي اللبن الأحمر ، واما بالأسمنت المسلح فلا تجد فيها كوخاً أو عشة أو ما يماثل ذلك او يقرب منه مما تجده في المدن الافريقية الاخرى .

مع ذلك فلا ارى الافريقيين يشعرون بالسعادة لانهم يعيشون هنا وحدهم بدون ان يسمح لاحد بأن يختلط معهم في السكنى فكأنهم يعيشون في سجن كبير ولأنهم اينما

يتوجهون في روديسية يجابهون بالاحتقار وعدم الاحترام.
زرنا المسجد هناك وهو ثالث مسجد رأيناه في منطقة
سالسبوري وهو صغير فقير في فراشه وأثاثه ويحتاج الى
بعض التكميلات ، وقد وعدناهم غدا بتقديم مبلغ من
سماحة مفتي الديار السعودية ، لتكميل بنائه ، وإمامه يدعى
(علي محمد) وأصله من ملاوي .

ويقع حي هايفل الى الجنوب من سالسبوري وهو
يعتبر ضاحية لها، متصلا بها ويبعد عن قلب المدينة خمسة
أميال .

حتى في القبور :

في طريق العودة من هراري رأينا المقبرة فاذا بها
قد قسمت اجزاء قسم منها للأوروبيين وقسم للهنود وقسم
للأفريقيين ولا يمكن ان يدفن احدهم مع الآخرين حتى
المسلمون الهنود لهم مقبرتهم المنفصلة عن المسلمين
الأفريقيين بسبب اللون والاوروبيون المسيحيون لهم
قبورهم المنفصلة عن قبور الأفريقيين المسيحيين ، ويقول
احد المسلمين هنا انه ذهب الى الحكومة منذ شهرين وقال
لهم ان الاسلام لا يعرف التفرقة العنصرية وانه لا داعي
لبقاء قبور المسلمين منفصلة بل انه يريد ان تكون مقابر
المسلمين من جميع الاجناس واحدة ، قال ولا يزال يسعى
في هذا الامر ، وهو يدعى الشيخ (كمال ابراهيم) هندي

الاصل و يقيم منذ مدة طويلة في هذه البلاد و يحمل الجنسية الروديسية و هذه احدى مهازل التفرقة العنصرية و ليست هذه هي الشاهد الوحيد بل ان احد اخواننا الروديسيين المسلمين من اصل صومالي ، حدثني : انه عرضت للبيع عمارة في الحي الاوروبي مكونة من حوانيت في اسفلها ، و مسكن في اعلاها قال : فزدت في ثمنها ، و اتصل بي الدلال و قال لي بالهاتف : انني آسف اذ اخبرك انني لا استطيع قبول زيادتك في العمارة و لما سألته عن السبب قال لأننا وجدنا في وصية صاحب البيت ألا تباع لاسود . قال : فسألته ما دام انه قد مات فما الذي يهمه من البياض و السواد ؟ فأجاب : لثلا يضايق جيرانه البياض اذا باعها على اسود ، انها مهزلة المهازل بلا شك !.

سد ماكلاوين :

حملنا السيد علي آدم بعد ظهر اليوم بسيارته في نزهة فيما حول مدينة سالسبوري فذهبنا حوالي ٢٦ كيلو مترا جنوبا حيث سد ماكلاوين الذي اقامه الانكليز ليحجز خلفه المياه الضرورية لتغذية مدينة سالسبوري ، وهو سد كبير اقيم على واد بين جبلين و جهز الى ذلك بجميع ما يجعله صالحا لقضاء الاجازات الاسبوعية فهناك الاشجار الوارفة الظلال ، و هناك ظهر السد و جوانبه حيث تقوم

البلدية على الدوام بتنظيفه وتعهده، كما ان كثيرا من الناس يقضون اجازاتهم في صيد السمك من البحيرة التي تكونت ، وهي بحيرة واسعة لا يدرك البصر لها حدا ، وتخرج منها انايب كبيرة الى محطة التصفية قرب مدينة سالسبوري والباقي يخرج من السد على شكل نهر صغير .

والواقع ان المرء لا يستطيع ان يصف روعة المنظر هنا فالماء الجاري والظلال الكثيفة والجو الذي كان غائما والنسيم العليل ، وعظمة الفن في بناء هذا السد كل ذلك شيء معجب مطرب . وزاد المنظر روعة ان اقبلت اسراب هائلة من الطيور البيضاء التي نسميها عندنا في المملكة «الغرائيق» والتي نصطادها عندما تمر علينا في هجرتها الى اوروبة مرتين كل عام واحدة في الذهاب ، والاخرى في الاياب ، وقد تحققت مما ذكره العلماء من انها تعيش في منطقة جنوب افريقية ابتداء من رودسية حتى نهاية الجنوب وقد اقبلت تلك الطيور في اسراب متعاقبة كل سرب حوالي ثلاثمائة طائر ولعلها ذاهبة الى اوكارها للنوم لان الوقت الآن قبل الغروب . والطريق الى السد من سالسبوري عجيب فهو جزء من خط مسفلت يدعى خط القاهرة - كيب تاون ، أو (كايرو رود) كما يسمونه ، وقد كان جزءا من مشروع انكليزي سابق لربط القاهرة في شمالي افريقية بمدينة كيب تاون في اقصى جنوبها بخط مسفلت واحد ، عندما كانت انكلترا تملك من القارة الافريقية

من شاطئها الجنوبي الى شاطئها الشمالي وقد انتهى
اكثر من (٣٠٠٠) كيلو مترا من الخط المذكور وانتفعت به
اعظم الارتفاع كل من جنوبي افريقية وروديسية وزامبية.

والخط يخترق منطقة ذات مناظر خلابة من سهول
خضراء ذات تربة حمراء الى تلال كثيفة الاشجار مما جعل
المنظر ساحرا حقا ، وقد اخبرني السيد علي آدم انه
يملك منطقة واسعة من تلك الارض وانه قد اجر بعضها
ايطالين لزراعتها ، وبعضها قد أعد للايجار الا ان الوضع
الراهن في روديسية قد عاق تقدم الزراعة وجعل بعض
الناس لا يقدمون على توظيف اموالهم هنا خوفا مما يأتي
به المستقبل . وقال : ان اكثر بلاد روديسية تشبه هذه
المناظر فالأرض غنية بامكاناتها الزراعية ، وغنية بمعادنها
ايضا ولها مستقبل اقتصادي عظيم لانها واسعة وعدد
سكانها لا يزيدون على اربعة ملايين .

ثم انهى السيد علي طوافه بنا في ريف مدينة
سالسبوري الذي يشبه الى حد ما المنطقة التي كانت
لالورويين في كينية لولا انها في كينية جبلية وهنا ليس
فيها جبال مرتفعة ، وطاف بنا ايضا خلال مدينة سالسبوري
بسيارته فظهرت كما وصفتها . قطعة من اوروبنة
وضواحيها ، وفيلات غارقة في الحدائق .

يوم الاربعاء الموافق : ١٣٨٦/٩/١ هـ .
١٩٦٦/١٢/١٣ م

هذه اول مرة يدخل فيها شهر رمضان الكريم وأنا في بلاد غير اسلامية ، وليس ذلك فحسب بل في بلاد بعيدة كل البعد عن بلادنا السعودية ولو كان ما بينهما يقطع على ظهر الابل لما امكننا ان نصل الى بلادنا قبل ان يدركنا رمضان آخر فيما تقدر .

وقد صمت اليوم بعد ان اثبت المسلمون رؤية الهلال هنا ، وطريقتهم في ذلك ان يتحروا من يشهد من عدول المسلمين بدخوله فان لم يروه اكملوا عدة شعبان ٣٠ يوما وقد اكملوا فعلا شهر شعبان وصاموا اليوم ، وقد صمت بدون ان اتناول أي طعام ، وذلك لانه في هذا الفندق الذي نسكن فيه وسط هذه البلاد غير الاسلامية لا يوجد مطعم مفتوح في وقت السحر اما صاحبي الاستاذ عبدالله الباحث فقد ذهب الى احد اخواتنا المسلمين من الهنود الذي كان قد دعانا الى بيته لتناول طعام السحور ، ولكنني تأخرت لان الطعام الهندي ببهاراته الكثيرة لا يستطيع بطني تحمّله ، ومع ان لنا رخصة في الافطار لاتنا مسافرون فقد صمت اليوم ، وقلت : ان شق الصوم علي ولم استطع انهاء اعمالي فلا اصوم غدا ... والافسأستمر في الصوم .

في قنصلية البرتغال :

ذهبنا الى قنصلية البرتغال في مدينة سالسبوري وتقع في احدى الشقق في عمارة كبيرة تدعى العمارة الانكليزية الاميركية وهي تسكن في الطابق الحادي عشر من العمارة المكونة من (٢١) طابقا وقد دخلنا في احد المصاعد الفخمة الذي يتسع لحوالي خمسة عشر شخصا وقد فرشت ارضيته وجدرانه بالسجاد ، وتعزف الموسيقى الهادئة فيه بصفة مستمرة وطيلة الوقت للصاعدين فيه الى اعلى العمارة والنازلين مع ان المسافة في المصعد لا تستغرق وقتا يذكر ، وقد رأينا في مكتب القنصلية موظفا افريقيا وفتاة برتغالية وكلاهما ليس على جانب كبير من الادب الذي نعهده من الاوروبيين ، ورأيت الناس يزدحمون على طلب تأشيرات الدخول وذلك لكي يتمكنوا من قضاء عطلة عيد الميلاد (الكريسماس) في موزنبيق وكلهم يملأون الاستمارات الخاصة بذلك ثم يعرض طلبهم في داخل المكتب وهكذا فعلنا وانتظرنا طويلا ثم انتظرنا ثم سألنا الفتاة عن النتيجة فقالت ان الجوازين قد ارسلناهما الى القنصل العام واخيرا قالت انهم سوف يرقون الى حكومة موزمبيق يسألونها رأيها في منح التأشيرة لنا اسوة بغيرنا من الناس من غير الاوروبيين وانه من المنتظر ان يأتي الجواب يوم الجمعة بعد غد .

هذا ولم أخرج في هذا النهار بعد الظهر حيث اصبحت

في غاية التعب بسبب الصيام ولما اصابني من الصداع والضعف لان هذا اول يوم من ايام الصيام ولا تني لم اتناول طعاما في السحور .

الافطار :

وبعد العصر ذهبت الى المسجد الجامع في سالسبوري حيث تلوت ما تيسر من القرآن الكريم وقد اعجبني منظر الناس هنا ومنهم طائفة كبيرة موجودة في المسجد منذ ذلك الوقت يلبثون المدة الطويلة في قراءة القرآن الكريم لا يفترون ، مع انهم لا يفهمون معناه ، وقبل الاذان بحوالي خمس دقائق اصفى الي نائب امام المسجد واسمه الشيخ موسى وقال بالانكليزية : نستطيع ان نتناول (البركفاست) الآن يريد طعام الافطار فذهبت معه الى القاعة الملحقة بالمسجد وقد غصت بالمفطرين الذين احضر كل واحد منهم ما تيسر من طعام ثم قاموا بتوزيعه على الخوانات وتحلقوا عليها وهو يتألف من الحلوى (والسنبوسك) وقليل جدا من التمر وبعض الفواكه كالمانجو والبرتقال والموز كل ذلك بمقادير مقدرة بحيث اكتفى الناس وبقي شيء بعد ذلك لا يعتبر ضياعه اسرافا ، وقد افطر الناس قبل الاذان ثم شرع المؤذن في الاذان يمدده مدا طويلا ويطيله ليتمكن الناس من الافطار ولكنه لم يكده ينتهي حتى نهضوا جميعا لاداء الصلاة ، وقد دعانا بعضهم بعد الصلاة الى

تناول الطعام في بيوتهم فشكرناهم واعتذرنا ، وذهبنا بعد التراويح الى مطعم فاخر في سالسبوري فأكلنا فيه ما لذ وطاب من الأرز والسك والخضراوات المتنوعة ونقدناه بعد ان انتهينا (٢٤) شلنا أي (١٥) ريالاً سعودياً للاثنين .

صلاة التراويح في سالسبوري :

بعد ان اذن المؤذن لصلاة العشاء مباشرة اقام الصلاة ، وبعد الصلاة صلى كل فرد الاربعة ركعتين ، وقد غص المسجد بالحضور ما بين كبار وصغار وكلهم خاشع متأوه وحتى اتي لم ألاحظ ان أحداً قد خرج بعد الصلاة المفروضة بل استمروا جميعاً على البقاء في المسجد، وهكذا ابتدأت التراويح وصلاتها الامام صلاة اصدق ما توصف به انها صلاة عصر السرعة فقد كان يوجزها بل يكاد يختصرها ويقراً في كل ركعة سورة من الفيل حتى نهاية القرآن ، ثم يعود الى سورة الدين فما بعدها حيث يكرر ما قرأه سابقاً ، ثم اوتر بثلاث ركعات متصلة تشبه صلاة المغرب الا انه جهر بالقراءة في الثالثة وقبل الركوع سكت وسكت معه الناس هنيهة ظننتهم فيها يقنتون سرا لانهم احناف ، وهكذا انتهت تراويحهم بسرعة .

ومع ذلك فقد كان المأمومون بعد كل تسليمتين يجهرون ببعض الدعاء الذي يستغرق حوالي دقيقة واحدة ويتكون من سؤال المغفرة والصلاة على النبي صلى الله عليه

وسلم ، وقد خرجنا بعد اكمال التراويح ونحن معجبون
بغاية الاعجاب بالتفاف القوم على افطارهم في المسجد ،
وبتربيتهم اولادهم تربية اسلامية حتى على اكمال صلاة
التراويح .

يوم الخميس ٢ / ٩ / ١٣٨٦ هـ .
١٤ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

في ووترفول :

هناك ضاحية تبعد اربعة اميال الى الغرب من
السبورى تدعى ووترفول فيها جمعية اسلامية صغيرة
حيث يسكن في هذه الضاحية من اراد من الآسيويين
والافريقيين عكس ما عليه الحال في اماكن الافريقيين
الآخري حيث لا يسمح لغير افريقي ان يسكن مع الافريقيين،
وقد شاهدنا المدرسة الاسلامية الصغيرة التي تدرس مبادئ
الدين الاسلامي واللغة العربية هناك ، وقد قامت الجمعية
الاسلامية على افتتاحها وجلبت لها مدرسا من كيب تاون
في جنوبي افريقية وهو شيخ من اصل صومالي يدعى (أحمد
علمي) تزوج أبوه هناك وخلفه مع عدد من اخوانه ويقول :
ان والده يعرف العربية ، أما هو فيعرف بعض الكلمات
التي لا يستطيع نطقها نطقا صحيحا ولكنه كان قد تخرج
من مدرسة اسلامية في كيب تاون ويقوم في هذه المدرسة

بتدريس القرآن الكريم ، ومبادئ من حروف اللغة العربية وبعض مبادئ الصلاة والصيام الخ ..

والحي الذي تقع فيه المدرسة يسكن اغلبيته افريقيون حي نظيف حقا ، بيوته تحيط بها الحدائق ، وشوارعه تحف بها الاشجار الباسقة وطرقه مسفلتة ..

العرب في روديسية :

استرعى نظري فتى يدرس في تلك المدرسة فسألنا عنه فإذا به من اصل عربي كان ابوه قد جاء من اليمن منذ مدة طويلة وتزوج بأمرأة افريقية فسألت بهذه المناسبة وبعدها عن العرب في روديسية فعرفنا انه كان قد قدم منذ عهد طويل عدد من العرب من جنوب الجزيرة من اليمن وعدن لكي يساعدوا على مد السكة الحديدية حيث ان العمال الافريقيين لم يكونوا يحسنون هذا العمل في ذلك الوقت ، وقد لبث عدد منهم في هذه البلاد وبقي اولادهم ومعظمهم من زوجات افريقيات ولم يبق من اولادهم من يتكلم العربية وانما يوجد بعض ابناء الصوماليين يعرفون العربية لانهم كانوا قد خرجوا الى الصومال ثم عادوا الى روديسية وهذا خلاف ما عليه الامر في زامبية حيث لا يوجد فيها عرب او من يتكلم العربية ، مع ان روديسية ابعد من زامبية الى الجنوب ، كما انه في جنوب افريقية يوجد مسلمون كثيرون يبلغ عددهم

اضعاف عدد المسلمين في روديسية مع ان جنوب افريقية الى الجنوب من روديسية وذلك لان معظم المسلمين الذين في جنوب افريقية قد جاؤا اليها من جنوبي آسية الشرقي من القارة الهندية ومن بلاد الملايو لا من الجزيرة العربية.

الكلمة العربية الوحيدة :

مررت اليوم في قلب مدينة سالسبوري بمحل تجاري فخم كتب عليه بانوار (النيون) كلمة عربية هي (سجاجيد) جمع سجادة . وهي الكلمة العربية الوحيدة التي رأيتها مكتوبة على حانوت في روديسية وهو محل اوروبي لبيع السجاجيد كتب عليه بالانكليزية هنا تباع السجاجيد الايرانية وتحتها كلمة سجاجيد بالعربية وهذه الكلمة غريبة وحيدة هنا لا يوجد غيرها في تلك البلاد .

ولا شك ان ذلك المحل كتب كلمة (سجاجيد) امعانا منه في اظهار سجاجيده الايرانية بمظهر الاصيلي حتى كتابة اسمها بالحروف العربية التي يكتب بها الايرانيون .

الشرق الاوسط في روديسية :

وقد تصفحت اليوم جريدة (روديسيا هيرالد) وهي جريدة كبيرة تقع في (١٦) صفحة من الحجم الكبير وبحثت فيها عن أي خبر عن أي بلد من البلدان العربية فلم اجدها ذكرت منها شيئا . ولكن استمعت بعد المغرب الى الاذاعة

الروديسية وهي باللغة الانكليزية طبعاً، فاذا بها تذكر بعض الاخبار عن سورية ولبنان والعراق واذا بالمذيع ينطق اسماء البلدان والاشخاص نطقاً انكليزيا سليماً بدون تحريف .

مصنع النسيج :

اخذنا السيد علي آدم اليوم الى المنطقة الصناعية أو الحي الصناعي في السبوري ، وهو حي واسع جميل تفصل بين بناياته الحدائق والشوارع الواسعة ، وقال ان بعض تلك المصانع ملك للمسلمين ثم أرائنا مصنعاً الخاص وهو مصنع للغزل والنسيج ضخماً يعتز المرء بأنه تحت ادارة رجل مسلم ويمتلئ فخراً واعجاباً بهذا الرجل المسلم الذي نافس الاوروبيين وتغلب عليهم بل ان لديه ستة من الاوروبيين موظفين ما بين رجل وامرأة واحدهم اوروبي من جنوب افريقية ومن يسمون (الافريكانو) أي الاوروبيون الذين قدموا الى جنوب افريقية في وقت مبكر وتناسلوا هناك حتى اكتسبت بشرتهم شيئاً من السمرة جعلتهم يشبهون سكان الشرق الاوسط .

والمصنع المذكور يدخله القطن قبل غزله فيتم فيه غزله ونسيجه ثم كيه وطيّه واعداده للتصدير ، ثم ينقل بعضه الى مصنع له داخل البلد حيث يتم تفصيله وخياطته . والعمال فيه معظمهم من الافريقيين ولكن المحاسب هندي . وبعد ان انهينا الطواف في ذلك المصنع الفخم اخذنا

بسيارته الى منطقة تقع شمالي سالسبوري تسمى «كليفلاند». وتعتبر ضاحية من ضواحي سالسبوري تمتد حتى تتصل بالريف ، وهي مخصصة لسكنى الاوروبيين ويوتها عبارة عن فيلات تقع وسط الحدائق الغناء ، وكان المطر يهطل مدرارا .

والمنطقة كغيرها خضراء جميلة ذات تربة حمراء وقد وصلنا سدا يبعد عن سالسبوري (١٢) ميلا أي حوالي عشرين كيلو مترا أقيم على واد صغير ليحجز بعض الماء ، وفيه رأينا بعض الاوروبيين يمارسون هواية صيد السمك التي قال عنها صاحبنا بالانكليزية انها تحتاج الى ثم قال بالاوردية (صبر) ثم عدنا مع الغروب الى مدينة سالسبوري.

يوم الجمعة ٤ / ٩ / ١٣٨٦ هـ .

١٦ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

ذهبنا الى قنصلية البرتغال فاستقبلتنا الفتاة الاوروبية وقالت لنا بدون مجاملة انه لا يمكن لكم دخول موزمبيق لان ذلك يحتاج الى اذن من حكومة البلاد ، ويقول القنصل انه لا يؤمل ان توافق الحكومة ولذلك لا فائدة من ارسال جوازاتكم الى هناك .

متحف سالسبوري :

ذهبنا الى متحف سالسبوري ضحى اليوم فألفيناه صغيرا نسييا ، أكمل ما فيه القسم التاريخي الخاص بوسط افريقية وبخاصة روديسية الجنوبية وساحل موزمبيق ، وهو موضح بالرسوم واكثر ما استرعى انتباهي ثناء عاطر على العرب بانهم اول من وصل الى هذه البلاد في العصور القديمة واول من وضعوا لها الخرائط ووصفوها في كتبهم وفيه مخلفات بعض سلاطين العرب في الساحل من سيوف ورماح وادوات صنع القهوة . ثم فيه رسوم تبين عناصر الناس في تلك البلاد وما جاورها مثل الهنموت والبوشمن والباتو ، وفيه قسم رسموا فيه ادمغة الانسان والحيوانات ووضعوا فيه مخ الانسان الابيض في مقدمة القائمة وبرزوا له صفات ليست في مخ غيره جريا على عادتهم في التمييز العنصري .

والمتحف حديث ومحتوياته ليست كثيرة كما قدمت ، ولا يمكن ان يقارن بمتحف نيروبي ، ولا ان يداني المتاحف العربية .

ذكريات عجوز انكليزية :

كاتبة الفندق الذي نسكن فيه عجوز انكليزية اقدر ان عمرها في حدود (٦٠) سنة اخذت تتحدث اليوم معنا عن الحالة الحاضرة في افريقية وما كانت عليه منذ اربعين

سنة عندما جاءت الى افريقية اول مرة ، قالت : لقد جئت في ذلك الوقت ولم احتج الى ان ابرز جوازي فضلا عن ان يطلب مني تأشيرات دخول من شمال القارة الافريقية الى جنوبها .

اما الآن فقد اختلف الامر كثيرا فقد بعثت منذ اسبوعين كتابا الى حكومة زامبية اطلب منها ان تمنحني اذنا بالدخول لأتمكن من قضاء اجازة عيد الميلاد ورأس السنة مع ابني الذي يقيم فيها ، وحتى الآن لم يصلني الرد بالايجاب ولا ادري هل يصلني بعد ذلك ، فقلت لها : وما رأيك في الحالة التي عليها افريقية الآن ؟ وهل هي احسن منها عندما دخلت اليها اول مرة ؟ فتهتدت ثم قالت : هل السعادة في السلام ؟ أم في الكراهية والبغضاء ؟ ولما سألتها توضيح ما تعنيه ، قالت : انها في ذلك الوقت كانت تعتبر قارة سعيدة فلا كراهية ولا بغضاء ولا انقسامات بين دولها حتى الافريقيون سعداء بحالتهم التي كانوا عليها ، اما الآن فأين المكان الذي يسوده السلام والطمأنينة في افريقية ؟ أفي البلاد التي سيطر عليها البيض ويسومون السود سوء العذاب ؟ وهم - أي البيض - في فزع دائم من ان يأتي يوم يسيطر فيه عليهم الافريقيون فيكيلون لهم الصاع صاعين ، أم في الكنگو وكنيسة والصومال والحشة وزنجبار وغيرها وغيرها ؟ ثم قالت بل السلام الآن عزيز في اكثر البلاد فتلک

الولايات المتحدة اغنى دول العالم تعاني اضطرابا عنصريا
واهتياجا عاطفيا ، ثم أضافت قائلة : حتى بلادكم مهد
الحضارات القديمة ومطلع الرسائل السماوية ليس فيها
سلام فاليهود والعرب يتقاتلون وفئات الشعب في كثير من
بلدانه تتصارع والانتقالات تتلوها انتقالات ، ثم قالت ارى
ان الدعاء الذي يقال في كثير من البلاد (وعلى الارض
السلام) لم يستجب .

يوم السبت ٤ / ٩ / ١٣٨٦ هـ .
١٧ / ٢ / ١٩٦٦ م .

أكملنا في الصباح عملنا في السبوري عاصمة
روديسية الجنوبية وذلك فيما يتعلق بالطلبة الروديسين
الذين سيسافرون الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ،
كما اتمنا توزيع الاعانات المالية على الجمعيات والهيئات
الاسلامية في روديسية . كما اتفقنا مع الجمعية الاسلامية
على ارسال مدرسين لهم على نفقة دار الافتاء في المملكة
العربية السعودية ولم يبق الا السعي في مغادرة روديسية .
ولكن المشكلة في أن روديسية تقاطعها جاراتها الافريقيات
ولا تصلها طائرات الا من جنوب افريقية وملاوي والاخيرة
ليس فيها طائرات تسافر الى الكنفو مقصدنا بعد روديسية،
إذا لم يبق الا السفر عن طريق جوهانسبرغ في جنوبي

افريقية ، ولكننا ليس معنا سمة دخول تخولنا التجول في جنوب افريقية وانما حصلنا على مرور في المطار لبضع ساعات لذلك لا بد من ان تتولى احدى شركات الطيران الابرار بحجز اماكن لنا في احدى الطائرات المسافرة من جوهانسبرغ الى كنيشاسا . ويجب ان نسافر اليوم لأن الطائرة الاخرى لا تطير الا يوم الخميس القادم وليس باستطاعتنا ان نظل عدة ايام في روديسية بسبب ضيق الوقت.

المسالمون في روديانية

وقد اتصلنا فيها برئيس الجمعية الاسلامية الهندية السيد علي آدم ، وهو شخصية كبيرة ، وله ثراء واسع ونفوذ كبير ويملك من بين ما يملك اربعة مصانع ضخمة ولديه عدد من المستخدمين الاوروبيين ، ويعتبر رئيسا للمسلمين في منطقة سالسبوري وذلك لثراءه ولالثقة التي يضعها المسلمون فيه .

ويكفي للدلالة على عمله ان جمعيته تنفق على المدرسة الاسلامية والمسجد الجامع في سالسبوري .

المدرسة الاسلامية :

ويسمونها معهد سالسبوري الاسلامي ، وتقع في مكان جميل في مدينة سالسبوري كان في السابق قصرا على ابناء الاوروبيين ، تحيط بها حديقة واسعة ، غرفها واسعة فخمة وكراسي الطلبة فيها نظيفة ، وكل الطلبة فيها تقريبا من الآسيويين .

وهي بحق احسن مدرسة اسلامية رأيناها منذ خرجنا من بلادنا ، وذلك من حيث البناء والتنظيم والنظافة ، ولا شك ان ذلك له اهميته لأن المدرسة المذكورة تقع في حي لا يسكنه الا الاوروبيون والهنود ، ويجب الا تظهر مدرسة المسلمين بالمظهر غير اللائق .

وقد استحضرت جمعية المدرسة مدرسين للمدرسة على نفقتها من الهند كما وظفت احد المدرسين من الافريقيين

وامرأة مسلمة للتدريس فيها . كما ان الجمعية قائمة على شؤون المسجد بما في ذلك غرف للمسافرين العابرين من المسلمين ومحلات لتجهيز موتى المسلمين وتكفينهم وقد وقفوا اوقافا على المسجد كثيرة ولمدرستهم عناية خاصة بتلاوة القرآن الكريم ، وان كانوا يتلونه ولا يفهمون معانيه مع الاسف كما انهم يدرسون مبادئ الفقه الحنفي مترجما الى اللغة الانكليزية .

هذا وقد تجولنا في المناطق القريبة من السبوري عاصمة روديسية واتصلنا بالجمعيات الاسلامية الافريقية هناك . وقد لاحظنا مع الاسف الشديد ان هناك مدرسة افريقية قد اغلقت ابوابها بسبب عدم وجود مدرس وهي في حي افريقي يسكنه عدد من المسلمين ، وقد اتفقنا بواسطة الجمعية الاسلامية مع احد المدرسين من الافريقيين على التدريس بالمدرسة المذكورة لمدة سنة كاملة ، وادعنا رواتبه في البنك تحت امر الجمعية الاسلامية لتسحب كل شهر راتبه ، وتسلمه له ما دام قائما بالعمل ، فان مات او ترك العمل استبدل به غيره ، كما سلمنا مساعدات مالية باسم المملكة العربية السعودية الى العديد من الجمعيات المشرفة على بناء المساجد لاكمال بنائها او توفير بعض المرافق اللازمة لها .

المسلمون في روديسية :

يتكون المسلمون في روديسية من طائفتين :
اولهما : المسلمون الافريقيون وهؤلاء كلهم او جلهم
جاؤوا الى روديسية من ملاوي في السابق ، واستقروا في
روديسية . وحالتهم المادية ضعيفة جدا ، واكثرهم
من العمال كما انهم على حالة فظيعة من الجهل بأمور
الدين ، ولذلك لا يكاد يوجد بينهم نشاط اسلامي لولا
بعض المشائخ منهم الذين يقومون بالتبشير والدعوة
الاسلامية ، ولكنهم انفسهم بحاجة قصوى الى التوجيه .
ومع ان التبشير الاسلامي حر بمعنى ان الحكومة
لا تقيم اية عراقيل على الدعوة الاسلامية فان التبليغ هناك
ضعيف جدا . ولكن المؤكد انه لو وجد تبليغ اسلامي
فان الامل كبير جدا في نجاح الدعوة الاسلامية لأن روديسية
تعتبر مجالا خصبا للدعوة الاسلامية في الوقت الحاضر
بسبب شعور الافريقيين المعادي للبيض الذين لم يعرف
الافريقيون الدين المسيحي الا بواسطتهم .

ثانيهما : طائفة المسلمين الهنود وهؤلاء على جانب
كبير من الثراء واكثرهم يشتغلون بالتجارة ولكن عددهم
قليل نسبيا ، ويوجد اكثرهم في سالسبوري ، وبولاوايو ،
وهؤلاء يبذلون جهودا لا بأس بها من الناحية المالية .
ولكنهم مشغولون بتجارتهن عن النواحي الاخرى .

الاقترحات :

نوصي بزيادة ارسال المدرسين الى روديسية وخاصة اذا كانوا من اصل افريقي حيث يمكنهم ان يختلطوا في السكن بالافريقيين .

كما نقترح العمل على ارسال كتب ومنشورات اسلامية باللغة الانكليزية للحاجة الماسة اليها .

وكذلك بالاكثر من المنح الدراسية لابناء المسلمين هناك .

على أرض جنوب إفريقيا

يوم السبت ٤ / ٩ / ١٣٨٦ هـ .
١٧ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

السفر الى جوهانسبرغ :

ذهبنا الى مكتب شركة ساينا في مدينة سالسبوري في الموعد الذي حددته الشركة لمراجعتها اليوم أي في تمام الساعة العاشرة والنصف فوجدناهم قد أعدوا لنا تذاكر السفر من جوهانسبرغ الى كيشاسا عاصمة الكنفو وحجزوا لنا من هناك مقاعد ولكنهم قالوا ان الصعوبة هي لدى شركة خطوط جنوب افريقية لأننا لا نعلم هل ستقبل التذاكر التي اصدرتها الخطوط الجوية العربية السعودية لعدم وجود معاملة سابقة لها مع تلك الشركة . كما انه لا توجد أماكن خالية في طائرة شركة خطوط جنوبي افريقية المسافرة اليوم من سالسبوري الى جوهانسبرغ والرحلة المقبلة هي يوم الخميس القادم أي بعد ستة ايام .

وذهبنا فورا بين اليأس والرجاء الى مكتب شركة خطوط جنوبي افريقية وعرضنا عليهم تذاكرنا فقالوا : اتنا على استعداد لقبول تذاكركم الا أن الصعوبة في الاماكن ولكن على كل حال نحن نكتبكم في قائمة المنتظرين وعليكم ان تخرجوا الى المطار بعد ساعة واحدة فربما يتخلف احد الركاب .

وهكذا انهينا بقية أعمالنا في سالسبوري بسرعة ومنها
خرجنا مع السيد علي آدم ومعنا بعض اخوتنا المسلمين
الى مطار سالسبوري ولما عرضنا تذاكرنا على الموظفة
المختصة قالت انتظروا حتى نرى ، وفي اللحظة الاخيرة
وقبل قيام الطائرة بعشر دقائق حضرت الينا الموظفة وهي
فتاة أوروبية تشير الينا والى ثلاثة اوروبيين آخرين كانوا
في قائمة المنتظرين ايضا : انكم مسافرون .

وهكذا وبسرعة فائقة أنهوا كل شيء ومزرننا على
ضابط الجوازات وموظفي الجمرک ، ولم يستغرق
وقوفنا عندهم وقتا يذكر ، وانها كل شيء بسهولة ، بل
اخذ ضابط الجوازات يداعبنا فقال لنا اول ما رأنا أهلا
بأهل المدينة .

على طائرة جنوبي افريقية :

هي طائرة ضخمة نفائة حديثة من طراز (فس-١)
البريطاني وجميع مقاعدها تقريبا مملوءة . وكان بعض
الهنود في سالسبوري قد قالوا لنا ان هناك تمييزا عنصريا
في طائرات جنوبي افريقية جريا على سياستها العنصرية وان
هذا التمييز يكون أيضا في مطار جوهانسبرغ الذي
ستزلون فيه ققلت : هذه فرصة ثمينة لأرى بنفسي كيف
يطبق القوم سياستهم العنصرية الهوجاء . ولكننا ركبنا
في الدرجة الاولى وسط الاوروبيين بل لم يكن في الدرجة

الاولى كلها غير الاوروبيين الا نحن ، ووجدنا من المعاملة
الحسنة من القوم ما لم نكن نتصوره سواء منهم المضيفون
أو المضيفات أو الركاب .

فالمضيفون فتى وفتاتان من البيض من جنوبي افريقية
على جانب كبير من الذوق والتهديب . وقد بدوا لنا وبدا
لنا غيرهم من البيض المقيمين في جنوبي افريقية أشبه الناس
بسكان لبنان وسورية فهم ليسوا في صهبة الانكليز ولا في
بياض الفرنسيين .

وقد اعلنت المضيغة ان الرحلة الى جوهانسبرغ ستدوم
ساعة ونصفا وان ارتفاع الطائرة (٣٥) الف قدم ، وقد
كان جاري في المقعد أوروبيا عائدا الى وطنه في جنوبي
افريقية من روديسية ما ان رأى كتابتي على استمارات
الوصول بأنتي من المملكة العربية السعودية حتى التفت الي
وقال : حقا انك من المملكة العربية السعودية ؟ فقلت : نعم
فهش الي وبش ، وأخذ يحدثني عن جنوبي افريقية وعسى
ان تكون اقامتنا هناك طيبة ولما اخبرته اننا لم نحصل على
تأشيرة دخول الى جنوبي افريقية ابدى تأسفه ، وقال لعلكم
تحاولون ذلك في المطار ثم أعطاني عنوانه في جوهانسبرغ
وقال : ارجو ان اراك في بيتي هناك .

معالم مدينة جوهانسبرغ :

حين رأيناها من الجو بدت مدينة جميلة حقا ،

شوارعها غاية في التنسيق والمنطقة المحيطة بها خضراء والريف الذي تقع فيه ريف اخضر كثيف الخضرة بل لا ترى الا خضرة وأخذ جاري يلفت نظري الى كل ذلك ، حتى اشار الى المنطقة التي فيها في جوهانسبرغ ، وعندما حطت الطائرة في المطار ، كان الجو ماطرا فأحضروا لنا مظلات اعطوا كل واحد منا مظلة يستلمها منه موظف عند دخوله بناية المطار التي كانت قريبة جدا من موقف الطائرة.

مطار جوهانسبرغ :

بدا لنا مطارا فحما لطيفا ، تربص فيه عدة طائرات نقائفة ضخمة من طراز البوينغ ، ومن طراز (فس-١) البريطاني وكان يعج بالمسافرين من الآيبين والذاهبين ولكن جميع من فيه عدى الجمالين في قاعة الجمرك هم من البيض ، ولم نجد أي أثر في هذا الجزء من المطار للتمييز العنصري ، وربما كان ذلك لأننا مسافرون عابرون لم نتخط المنطقة التي يسمح للعابرين بالتجول فيها .

لم نشعر بالفربة في جوهانسبرغ :

عندما وقعت الطائرة وقبل نزول الركاب صعد اليها طيبب ذو لحية صغيرة يدل مظهره على انه من سكان الشرق الاوسط أو عاش هناك على الاقل فترة طويلة ، وطلب من الركاب ابراز شهاداتهم الصحية ولما رأى شهادتنا قال

باللغة العربية انتم من أين ؟ فدهشنا وسألناه ؟ وهل تعرف العربية ؟ قال نعم . وعندما دخلنا بهو المطار الخارجي اخبرناه اننا عابرون ، فقال اذهبوا الى تلك الفتاة التي في مكتب الاستعلامات واسألوها بالعربية فهي تعرف اللغة العربية فذهبنا اليها وسألناها فأجابتنا بلغة عربية سليمة وبلهجة مصرية وحدثتنا حديثا طويلا عما ينبغي لنا ان نعمله كل ذلك باللغة العربية ، ثم قالت انه بعد قليل ينبغي ان تذهبوا الى مكتب ساينا في المطار وستجدون فيه شخصين يعرفان اللغة العربية ، وهكذا وجدنا اربعة ممن يتكلمون اللغة العربية في مطار جوهانسبرغ وفي المنطقة المخصصة للعايرين فقط . وعندما عرضنا اوراقنا على ضابط الجوازات تحدث الينا طويلا بالانكليزية وقال انه سيبدل وسعه كي نحصل على تأشيرة دخول ولكنه لا يستطيع اكثر من ذلك ثم ذهب بنا الى ضابط أكبر منه رتبة وتحدث معه في الامر ولكنهم جميعا اعتذروا بأنه لا يستطيع منح تأشيرة الدخول الا دائرة واحدة مختصة في الحكومة ، وهكذا بقينا في المطار بعد ان دخلنا الى الجمرک واخذنا حقائبنا بدون تفتيش . وعرفنا بعد ذلك ان ثلاثة من الذين تحدثوا الينا بالعربية كانوا قد عاشوا اول حياتهم في مصر وقد حضر الينا الطبيب وضابط الجوازات وتحدثوا معي طويلا وعرضوا المشروب فاعتذرت اليهم ثم أخذوا عنواني ووعدوا بأنهم سيكاتبوني واعطوني عنوانهم وقد تحدثت اليهم

طويلا عن بلادنا ونهضتنا واصغوا لتلك المعلومات الجديدة بالنسبة لهم ثم تحدث الدكتور الى ضابط الجوازات فقال انه قد عاش في الشرق الاوسط فترة من الوقت وانه عرف العرب معرفة جيدة وانهم شعب طيب حتى الملونون منهم - على حد تعبيره - فهم طيبو القلوب نبيلو العواطف ، وقال : ان العرب في فترات طويلة من تاريخهم كانت تمر بهم نكسات سرعان ما ينتفضون منها ، وانهم الآن في نكسة ولكن المؤكد انهم سيستعيدون مكاتهم من جديد . وكان وقت الصلاة قد حان فسألته عن مكان نصلي فيه فأسرع بأن اخرج مضيفتين فتاتين اورويتين كاتتا في مكتبه وخرج معهما وتركنا المكتب بعد ان ابعد عنه الكراسي الموجودة واغلقه علينا ، ولما عرف اننا قد فرغنا من صلاتنا عاد اليه .

ثم حضر الينا موظف في شركة ساينا فكلمنا بلغة عربية سليمة واذا به يوناني ولد وعاش في مصر وهو شاب في سن الخامسة والعشرين تقريبا قال انه قد حضر الى المملكة اكثر من ست مرات ، وقد قام على تهيئة سفرنا من جوهانسبرغ الى كينشاسا على طائرة شركة ساينا بعد ساعات ، وقال انني سأحضر في الوقت المحدد لوداعكم . وقد كان المطار يعج بالمسافرين وخاصة ركاب الطائرة النفاثة الضخمة ذات المدى البعيد وقد وصل افواج من المسافرين من اوروبة وعلى وجوههم تبدو مظاهر الفقر

والحاجة مما يدل على انهم من القادمين الجدد الذين تسهل لهم حكومة جنوبي افريقية اجراءات الدخول والعمل هناك لكي تقاوم تزايد الملونين والسود . ومع تلك الحركة الكبيرة للطائرات فاني -والحق يقال- لم أر بين ركاب تلك الطائرات النفاثة الضخمة سواء منهم الذاهبون والآيون أي رجل افريقي أسود ولو واحدا وانما كان كل الركاب من الاوروبيين عدا شخصين يظهر انهما من الهنود قدما على احدى الطائرات ويظهر انهما من العائدين الى جنوبي افريقية .

الى كنشاسا :

قامت بنا طائرة شركة ساينا الضخمة من طراز بوينغ من مطار جوهانسبرغ الى كنشاسا في تمام الساعة السابعة مساء حسب توقيت جوهانسبرغ المساوي لتوقيت بيروت والذي يتأخر عن التوقيت الزوالي للملكة العربية السعودية ساعة واحدة وقد كانت مقاعدنا في مقدمة الطائرة ودخلنا من الباب الخلفي فاخترقنا صفوفنا من المقاعد مليئة بالركاب مما لا تستطيع معه ان تضع عينك على مقعد خال وكلهم من الاوروبيين الذاهبين الى اوروبة لقضاء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة هناك أو (الكريسماس) كما يسمونه وليس بينهم أي رجل غير اوروبي سوانا . وقد لبثنا فترة في الطائرة بين ذهاب المضيفين

واياهم مما اوضح لنا الفرق الكبير بين الانكليز السذي
يكون النظام هو الطابع الذي يميز جميع تصرفاتهم وبين
البلجيكين الذين يشبهون سكان الشرق الاوسط من
حيث ارتجالهم الامور ، وكثرة كلامهم ، ورفع اصواتهم
اثناء الكلام وترددهم بدون فائدة .

ثم اعلنت المضيفة ان الرحلة ستدوم ثلاث ساعات
ونصفا أي مقدار المسافة بين الرياض وجدة اربع مرات
وبعبارة اوضح انه لو كان السفر بالطائرة ذات المحركات
الاربعية لاستغرق عشر ساعات كاملة وان ارتفاع الطائرة
سيكون (٣٥) الف قدم .

وهكذا ذهبت تلك الطائرة الجبارة تتهادى بحملها
الثقيل بين احضان السحاب ولها أزيز وأطيط لأنها كانت
تطير بين اطباق السحب الكثيفة ، ثم ارتفعت عن مستوى
السحاب حتى ظهر لنا الشفق ولونه غاية في الروعة ابيض
رماديا تشوب أسفله مسحة برتقالية ، وقد بدا السحاب
اسفل الطائرة وعلى امتداد البصر تحت الافق رماديا كأنه
صفحة تحت ضوء الشفق الخافت او تحت ماء البحر
المضطرب ، وقد امتدت فترة الشفق طويلة لأن الطائرة
كانت متجهة الى الشمال الغربي .

كان المضيفون ثلاث فتيات وفتى وكلهم من البلجيكين
وكانت خدمتهم متوسطة أما طعام العشاء فكان طيبا مكونا

من لحم السدجاج والخضراوات والسلطة والحلوى ثم
القهوة او الشاي .

يدافع عن السياسة العنصرية :

كان جاري في المقعد في الطائرة اورويا ايض من
جنوبي افريقية ولما دار الحديث بيننا اخبرني عن نفسه انه
طيار من جنوبي افريقية متعاقد لتدريب جيش الكونغو
وانه لذلك يعتبر عضوا في السلاح الجوي الكونغولي وانه
عائد من اجازة في جنوب افريقية .

ثم اخذ يحدثني عن جمهورية جنوبي افريقية والتقدم
الذي يقول انها قد حققت في ظل السياسة العنصرية ثم
قال : ان العالم لم يفهم سياسة التفرقة العنصرية التي
تمارسها حكومة جنوبي افريقية حق الفهم ! فقلت له : ان
هذه فرصة لكي اسمع منك وجهة نظر حكومتك في هذه
القضية لاتي من الناس الذين لم يستطيعوا فهم
السياسة العنصرية المذكورة خصوصا وانه لم يتيسر
لي زيارة جمهورية جنوبي افريقية فقال : ان السياسة
العنصرية تقضي بان يعيش كل عنصر من عناصر
السكان على حدة في السكن والتعليم وغير ذلك من
مرافق الحياة . وهذه السياسة هي في صالح الافريقيين على
حد زعمه - لانه لو سمح مثلا للبيض او الآسيويين بأن
يسكنوا مع الافريقيين ويفتحوا لهم متاجر ومؤسسات اخرى

لديهم لغلبوا على أمرهم وأخذوا منهم الفرصة المتاحة لهم في ان يتمرنوا على التجارة والاعمال الحرة ، ولذلك تجد في جنوبي افريقية ان السود يملكون المتاجر والمحلات المخصصة للسود وليس كما عليه الحال في شرقي افريقية مثلا حين نجد السود حتى في الدول المستقلة محرومين من كل فرصة للعمل في التجارة ، وكذلك الحال بالنسبة للأسويين والملونين ثم اوضح ان العناصر عندهم اربعة هي البيض والآسيويون والملونون أي الذين كانوا نتيجة اختلاط بين الالوان ثم السود .

فقلت له : ولكن ما قولك في انكم تحرمون السود والملونين من الوظائف الرئيسية في البلاد ؟ وكيف يكون ذلك في صالحهم ؟ فأجاب ان البيض كما تعرف اكثر مهارة ورقيا من الملونين والسود في الوقت الحاضر واذا اطلق العنان للجميع في ان يتقاسموا الوظائف الهامة في البلاد بنسبة عددهم فان معنى ذلك ان يكون في ايدي البيض وظائف اقل ومعنى ذلك ايضا ان ينحط مستوى البلاد الاداري والاقتصادي لان الاكثرية من البيض غير متعلمة فمن المصلحة اذاً أن يكون تطور البلاد مبني على السياسة العنصرية .

ثم اضاف : وأكبر شاهد على ذلك ما تراه اليوم في اكثرية البلاد الافريقية من تدهور الشؤون الاقتصادية والادارية بعد الاستقلال بل انك ترى بعض البلاد يقتتل

فيها الافريقيون بعضهم مع بعض كما حدث في الكونغو
 ونيجيرية وغيرها وكما علمنا ان الرئيس السابق «نكروما»
 قد سرق عدة ملايين من خزينة الدولة في غانا هذا غير ما
 كان قد صرفه في غير مصرفه . فقلت له : اتنا في بلادنا لا يمكن
 ان نفهم وجهة نظركم في السياسة العنصرية لأن الاسلام
 يحارب العنصرية والقومية الضيقة فأنت في مكة والمدينة
 ترى المسلمين من جميع الالوان والعناصر مجتمعة
 في صعيد واحد للصلاة او الحج وهم ما بين ابيض وأسود
 وملون وعربي وغير عربي الخ . فقال ، ولكن عندكم
 سياسة تفرقة تفصل بين الناس كما تفصل بينهم
 سياستنا فأنتم لا تسمحون لأي يهودي او نصراني ان
 يدخل مكة أو المدينة ، ولا تتسامحون في بلادكم مع
 الاديان الاخرى على خلاف ما عليه الحال في بلادنا حيث
 تعيش جميع الاديان على قدم المساواة . ثم أضاف : ولا
 شك انك قد سمعت كما سمع غيرك ان المسلمين في بلادنا
 لهم الحرية الكاملة حتى في دعوة غيرهم الى الاسلام ،
 وانهم يصدرون مجلة عالمية لنشر الاخبار الاسلامية وهم
 يمتلكون ثروات طائلة فقلت له : أرجو ان تلاحظ ان التفرقة
 التي ذكرت انها موجودة في بلادنا تعتبر تفرقة فكرية بمعنى
 ان الرجل من أي جنس او لون كان له الحق بل اتنا
 لنرحب به اذا اعتنق ديننا أي الدين الاسلامي وآمن بفكرته
 أن يكون له ما لنا وعليه ما علينا ، ولا يكون هناك فرق

بيننا وبينه ، والدخول في الدين الاسلامي متاح لأي فرد
 بخلاف سياستكم التي تفرق بين الناس على اساس شيء
 ليس من صنعهم وليس لهم فيه يد ، ولا يستطيعون ان
 يصبحوا مثلكم فأنتم تشرطون لكي يساووكم ان يكونوا
 بيض الالوان وهذا ما لا يمكنهم كما تعرف ، وأن الابيض
 لم يكن أبيض بفعله واجتهاده الخاص ، والاسود لم يكن
 اسود لتقصيره في العمل ، بل ذلك شيء فطره الله عليه ،
 فأنتم تسيئون الابيض على ما لم يعمل وتعاقبون الاسود على
 ما ليس من فعله ! ولكن ألا ترى اذاً أن سياستكم العنصرية
 غير انسانية ؟ فقال ولماذا تكون كذلك، فأنت اذا كان عندك
 شخص غير ماهر فانك تضعه في المكان المناسب له ولا يكون
 ذلك منك عمل غير انساني ، ثم قال : أريد ان اذكرك بشيء
 وهو ان العرب وهم نصف ملونين ولما سألته عن معنى قوله
 نصف ملونين قال انهم في درجة أعلى من الملونين على
 حد قوله ، ولكنه لم يقل : انهم اقل من الاوروبيين وان
 كان يقصد ذلك ، وقد سجل لهم التاريخ أمجادا كثيرة فقد
 فتحوا بلادا كثيرة وأسسوا حكومات وأنظمة عظيمة
 وخلفوا آثارا هائلة من المساجد والمدارس وغيرها
 وساهموا في الثقافة الانسانية فقلت له : ولا تنس انهم
 حكموا جزءا من اوروبة قرونا طويلة ، ثم قال : ولكن
 هؤلاء السود هل رأيتهم حكموا احدا في الماضي ؟ لقد اراد

أن يقنعني بحديثه عن طريق مس مشاعري بمدح العرب ! وطبيعي : ان ما قاله غير صحيح ، وان سبب التمييز العنصري هو خوف الاوروبيين من ان يتعلم الافريقيون فيتفوقون عليهم وليس لانهم اي الاوروبيين يعتقدون اعتقادا صحيحا بان الملونين والسود لا يفلحون ابدا .

ثم قال : انا ساعون في تطوير الافريقيين على حدة وانه بعد عشرين او ثلاثين سنة وبعد ان يحصل الافريقيون على قدر كاف من التعليم والخبرة يتكون لهم حكم محلي في الاماكن التي يكثرون فيها ، فقلت له : وما رأيك في المسألة الروديسية ؟ وما يقال عن تدمير روديسية ؟ فقال : نحن لا نخشى شيئا لأن من بأيديهم القوة لا يمكن ان يستعملوها ضدنا ، أو ضد روديسية أما من يرغبون تدميرنا حقا فائنا اقوى منهم ، ثم قال انه اذا اشتد الضغط على روديسية أو البرتغال فان من الممكن ان تتكون وحدة أو اتحاد بين كل من جنوبي افريقية وروديسية وموزمبيق وانغولا وبذلك توجد دولة كبيرة للبيض فيها السيطرة الكاملة ولا يقوى احد على تدميرها .

ثم قال انني اتمنى من صميم قلبي ان تزور جنوبي افريقية حتى ترى بعينك كيف يكون مستوى معيشة الافريقيين فيها مما لم يلقه امثالهم في البلاد المستقلة ثم قال :

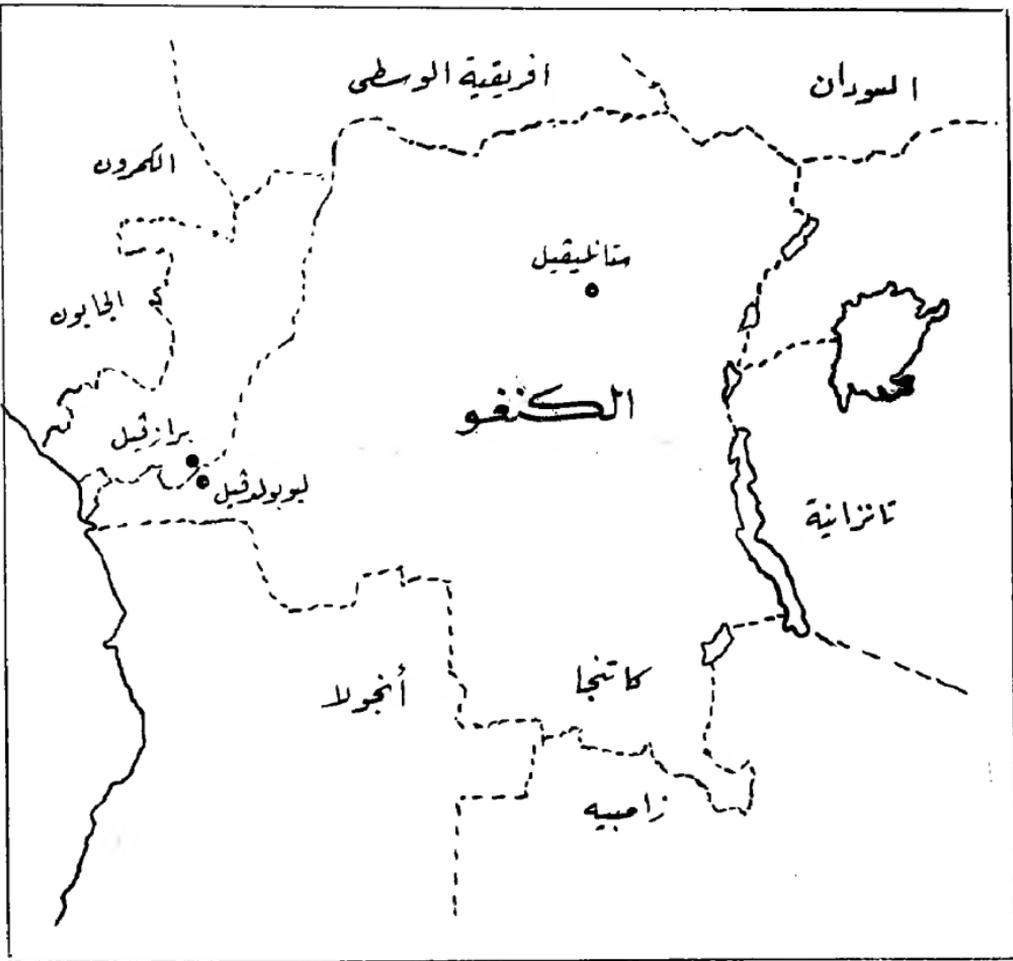
انك اذا كنت ترغب في دخول جنوبي افريقية فاني سوف أعطيك عنواني في الكنفو وسوف احصل لك بنفسى تأشيرة الدخول وارسلها اليك ، ثم اعطاني عنوانه الدائم في الكنفو فشكرته على ذلك ، وقلت له : انتي لا أظن انتي سوف احاول زيارة جنوبي افريقية مرة اخرى في المستقبل القريب وان كنت اود ذلك .

ثم اخذ يحدثني عن عمله في الكنفو وقال ان العمل مع اهل الكنفو متعب غير انهم يدفعون رواتب مغرية ، ثم سألته عما سمعته عن الصعوبات التي يلاقها الواصلون الى الكنفو من قبل الموظفين في المطار فقال انها حقيقة ولكن ارجو ان اكون معكم حتى تنتهي جميع الاجراءات فأساعدكم عليها .

ومن الانصاف ان اقول انه قد وفى بوعدده كل الوفاء فعلى الرغم من انه وجد زوجته تحت سلم الطائرة في انتظاره ، حيث طوقته بذراعيها ، وأخذت تقبله امامنا ، وهي تصرخ من الفرح بقدمه ، واخذت بذراعه الى كل الدوائر الرسمية في المطار وعلى الرغم من ان المرء في مثل هذه الحالة أي حالة لقائه بمن يحبه قد ينسى رفيقه او صديقه ، فقد ظل معنا هذا الرجل وزوجته يساعدانا على انهاء الاجراءات من مكتب الى مكتب حتى أنهينا كل شيء ،

واوصى موظفين عسكريين من الاوروبيين في المطار بنا
خيرا ، وكان قد قدم لنا زوجته عندما سلمت عليه ، و قدمنا
اليها فقال هؤلاء اصدقاءني من المملكة العربية السعودية
وقد كان لوجودهم معي في هذه الطائرة اطيّب الاثر في
نفسي ، وتقدير الشعور بأمد الرحلة .

یہ فی الکشفو



يوم السبت ٤/٩/١٣٨٦ هـ
١٧/١٢/١٩٦٦ م

في مطار كنشاسا :

الوقت ليل ولم نستطع أن نتعرف على معالم المطار ،
وقد توقف موظف الجوازات في المطار حول جوازاتنا هنيهة
سألنا خلالها عن بلادنا هل هي مملكة ؟ مع أن الجواز بين
يديه فيه أنها المملكة العربية السعودية ثم قال هل ملككم
يدعى الحسن ؟ ثم طلب منا رسما قدره عشرون دولارا
امريكا فلما توقفنا ذهب الى رئيس له يستشيريه وذلك
بعد أن ختم الجوازات بخاتم الدخول ، ثم عاد الينا وأعطانا
الجوازات وأعفانا من الرسم فانتقلنا الى مفتش الجمرك
الذي أخذ يسألنا عما في حقائبنا ؟ فقلنا : انها ملابس فقال
هل فيها آلات تصوير ؟ قلنا : لا . قال : وجهاز راديو ؟ قلت :
نعم . فأراد فتحها ولكن الضابط الذي كان معنا سألني هل
هو مستعمل ؟ فقلت : نعم ، انا استعملته بالطبع قال : لا حاجة
للفتح وهكذا انتهينا من عنده بدون أن تفتح حقائبنا
فأسرعنا الى الخروج من باب الجمرك . وعند خروجنا من
الجمرك اجتمع حولنا ثلاثة من الاوروبيين لا أعرف
جنسياتهم وأخذوا يتبرعون بالنصائح الينا حول معاملة
السكان هنا وكان مما قالوا لنا : لا تسكنوا الا في فندق
كبير مشهور ولا تركبوا سيارة أجرة الا مجتمعين ولا

تحملوا تقودا كبيرة معكم ، ولا تضعوا تقودكم الا في البنوك ، ولا تسافروا خارج المدينة الا ومعكم من تعرفونه من الافريقيين ، ولا تركبوا حافلة وأنتم تحملون تقودا ، واذا رأيتم اجتماعا للافريقيين فتجنبوا الدخول فيه ، كل ذلك وهم لا يعرفوننا .

ولم يكن قد نزل معنا من ركاب الطائرة النفاثة الضخمة غير ثلاثة أما الباقون فكانوا عابرين الى أوروبا لقضاء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة هناك .

كان أحد هؤلاء صاحبنا الضابط الطيار الذي ذهب به زوجته وأصدقائه بعد أن ودعونا جميعا عندما اتهينا وبقي من اصحابه أوروبي من جنوب افريقية لم أعرف عمله ويظهر أنه انكليزي الأصل ، أخذ يحدثنا ونحن في الطريق من المطار الى مدينة كنشاسا عن الكنفويين وينصحنا بما تيسر ، فكان مما قال : أن هؤلاء القوم مشاكلهم كثيرة فلا يمش أحدكم ليلا وحده ولا ينفرد أحدكما عن الآخر ثم أخذ يشرح لنا معالم ما نمر عليه ، ونحن في الليل ، ولا نستطيع أن نراه فكان مما أرانا المنطقة الصناعية ثم السجن قرب مدينة كنشاسا وقال وهو يضحك انه مليء .

مدينة كنشاسا او (ليوبولدفيل) :

دخلناها في منتصف الليل تماما ، وكنا قد سمعنا أن أجرة الفنادق فيها مرتفعة ، وأن السرير الواحد فيها تبلغ

أجرته في الليلة الواحدة خمس جنيهات استرلينية أي اثنين وستين ريالاً سعودياً ، ومع ذلك فقد كنا ندعو الله تعالى أن يسر لنا مكاناً في أحد فنادقها .

ذهبنا إلى أكبر فندق فيها ويدعى فندق روجينا ولكن الموظفين فيه اعتذروا بعدم وجود أماكن خالية فيه ، فانتقلنا إلى فندق كبير آخر يسمى « فندق مملج » ولكن موظفيه قالوا لنا كما قال الأولون وهكذا بقية الفنادق ، حتى الأتزال الصغيرة التي لا يتوفر فيها الأمان المطلوب قرعنا بابها فلم نجد فيها مكاناً خالياً حتى تعبنا وتعب معنا سائق الشركة الذي كنا في سيارته .

موقف حرج ٠٠٠

لم نستطع أن نجد مكاناً ننزل فيه ، ونحن نحمل معنا نقوداً كثيرة تبلغ قيمتها آلاف الجنيهات الاسترلينية . وبلاد الكنفو مشهورة بسراقها بل وبمتهيبها حتى لا يأمنهم من هم في البيوت فكيف بغرباء مثلنا يحملون نقوداً ، اننا بلا شك صيد سمين وهذا ما يفزعنا إذا تصورناه ، وقد زاد الطين بلة أن سائق السيارة التي تحملنا وهي تابعة لشركة طيران الكنفو لا يعرف من الإنكليزية حرفاً ، ونحن لا نعرف من الفرنسية شيئاً مذكوراً ، ولم نصادف من يحسن الإنكليزية فضلاً عن العربية حتى إذا تعبنا صادفنا رجلاً هندياً في آخر نزل كنا نبحث فيه عن مسكن فإذا به يعرف

الانكليزية فكأنما أنزل علينا من السماء ، فقلنا له اتنا لم نجد مكانا تنزل فيه ولنا صديق مسلم يدعى الحاج جمعان باوا وبيته قريب من جامع كئشاسا فيما ذكر لنا ، فأرجو أن تدلنا عليه وأن تصفه للسائق حتى يذهب بنا اليه وتخبره أنه اذا ظل معنا حتى نجد صاحبنا فانتا سوف ندفع له مكافأة مالية مرضية . فأجاب انني لا أعرف الرجل المذكور ولا جامع كئشاسا ، ولكنني أعرف رجلا مسلما يعد من كبار المسلمين هنا ويسمى «بلال» والأحسن في رأيي ان تذهبوا اليه وتقضوا بقية هذه الليلة لديه ثم تروا رأيكم بمشورته عندما يصبح الصباح فشكرناه على ذلك بعد أن وصف بيته للسائق .

وكانت توفيقا من الله سبحانه وتعالى فقد ذهب بنا السائق ، وقابلنا الشخص المذكور فاذا به من اخواننا العرب الليبيين الذين يشتغلون بالتجارة في الكنفو . وقد قضينا في ضيافته بقية تلك الليلة من شهر رمضان المبارك في غرفة من فيلا قريبة من بيته الذي يسكنه وهي «فيلا» غير مسكونة لأن بناءها لم يستكمل بعد ، ولذلك لم يصلها التيار الكهربائي وكنا نستعين بشموع أحضرها لنا من بيته ، وكانت ليلة ليلاء لم نسترح فيها الا اذا ذكرنا أننا قد نجونا الآن من المكث في مكان مجهول قد يكون أحد الشوارع في عاصمة الكنفو .

كان الحر شديدا حتى أنه ذكرنا بجو مدينة جدة .

وكان البعوض كثيرا ألهب اجسامنا بلسعته ، وكان طينه يزيد أعصابنا المرهقة ارهاقا .

وعندما استقربنا المقام قال لنا مضيفنا - جزاه الله خيرا - انه يستحسن اذا كان معكم نقود أن تسلموها لنا لنحفظها لكم في الخزانة الحديدية الكبيرة داخل بيتنا لأن البلاد هنا غير آمنة فقلنا له : ان هذه الفيلا عليها حارس كنفوي فقال : انه لا يعني عنكم شيئا كثيرا فاللصوص يتسورون الدار من جهة اخرى في الليل ، وقد يأتون من قبل الباب ، فلا يستطيع الحارس أن يفعل شيئا لأنهم يؤذونه أو يهددونه ولما كنا لا نعرف الكثير عن مضيفنا فقد شكرناه على شعوره .

وعندما خرج من عندنا ذكرنا موقفنا قبل ساعة حينما كنا معرضين للضياع التام فهو لم يأمن علينا مع أننا في بيت من الاسمنت المسلح ، محكم غلقه ، وعليه حارس .

وقد فتحت جهاز الراديو أبحث عن المحطات العربية في هذا الجزء من غرب افريقية الذي أصله اليوم لأول مرة ، فكان أول ما سمعته على الموجة المتوسطة اذاعة تونس قوية، ثم اذاعة الجزائر دونها قليلا وقد أصبحنا صائمين رغم الحر الشديد مع جواز الافطار لنا لأننا مسافرون . لن تقيم في كنشاسا ولكننا لم نشأ أن يرانا من اخواننا المسلمين من لا يعرف أن لنا كمسافرين رخصة في الافطار .

يوم الاحد ٥ / ٩ / ١٣٨٦ هـ .
١٨ / ١٢ / ١٩٦٦ م .

جولة في مدينة كنشاسا :

بدأت لنا مدينة كنشاسا أو «ليوبولدفيل» كما كانت تسمى سابقا ، مدينة ضخمة هي أكبر المدن الإفريقية التي شاهدناها منذ ابتدأت رحلتنا وهي بحق مدينة إفريقية يشعر المرء فيها بذلك أينما ذهب بل لا يشعر بأن هناك فيها من الناس غير الإفريقيين أحد على عكس بقية مدن شرقي إفريقيا التي تجد فيها الآسيويين والأوروبيين .

صولة وصولجان :

وتتكون كنشاسا من فيل أي المدينة بالفرنسية وهذه كان يسكنها البلجيكيون زمن الحكم الاستعماري ، شوارعها مسفلتة وتحوطها الأشجار الباسقة وان كانت لا تصل الى مستوى مدن الاستعمار الانكليزي فالذوق الانكليزي المنظم معدوم هنا والحدائق المتسعة البديعة غير موجودة ، وانما توجد أماكن خالية يكسو أرضها العشب الأخضر ، وهي بمثابة الميادين ، والأرصفة الجميلة هنا تكاد تكون معدومة وتتكون فيل أو المدينة حول ضفة نهر الكنغو العظيم .

وفي ميدان واسع غير بعيد من ضفة النهر قريبا من مقر رئيس الجمهورية الكونغولية الآن يقف تمثال

(ليوبولد) ملك البلجيك الذي سميت المدينة باسمه - كما قيل لنا - راكبا على حصانه شامخا بأنفه يشير الى مجد الأوروبيين قد زال ، ودولة كانت للبلجيكين قد دالت . وعمارات الحي المذكور تتكون من فيلات تحيط بها حدائق صغيرة ومن عمارات كبيرة ، وقد نزل في الاولى الافريقيون الآن ، ولم يبق من البلجيكين أنفسهم الا أقل القليل ، ومع أن هذا الحي هو سرّة المدينة ، وأجمل نقطة فيها فان شوارعه ضيقة ، وسفلتتها ضعيفة ، ومستوى الصيانة فيها أضعف ، ولا غرو فقد استلمه الافريقيون فيما استلموه من البلجيكين من شؤون الكنعو فجأة ، وبدون استعداد ، فكانوا مثل « اللي ما يعرف الصقر يشويه » . هذا الى أن البلجيكين أنفسهم لا يمكن أن يقارنوا بالانكليز والفرنسيين في مهارتهم وذوقهم ومعاملتهم للآخرين .

وفي هذا الحي تقع معظم دوائر الحكومة ووزاراتها والسفارات الاجنبية ، وترى الافريقيين ذاهبين آيين في الحي زرافات ووحدانا لقضاء مصالحهم على عكس ما عليه الحال في معظم البلدان التي كنا قد مررنا عليها حيث يكون الافريقيون في مثل هذه الأحياء الراقية من المدن أشبه بالغرباء منهم بأهل البلاد .

اما بقية المدينة باستثناء الضواحي التي فيها بعض الفيلات فانها عبارة عن احياء مزدحمة بالافريقيين شوارعها طويلة ضيقة متقاطعة بعضها مسفلت ضعيفة وبعضها غير

مسفلت ولا مبلط أصلا ، وتتكون منازلها من غرف مبنية بالطوب ، وغير مسورة بل تجد الافريقيين أطفالهم ونساءهم بل ومطابخهم أمام تلك الغرف فيما بينها وبين الشارع ، وتمتد المجاري على جانبي الطريق وهي مكشوفة يلعب بها الأطفال في بعض الأماكن ، ويرى المار منظرًا يجعله يتقزز بل ويكاد يغلبه الغثيان وهو منظر المجاري وقد اخضر مؤها واسود في بعض الأماكن ، وقد لاحظت بعد ذلك أن مياه الامطار التي تنزل على المدينة تأتي عادة على تلك المجاري فتحمل ما فيها الى نهر الكنغو ، وعندما وصلنا الى المدينة سألتناهم عن سبب الحر الشديد فيها ؟ فقالوا : ان لهم حوالي خمسة ايام لم ينزل عليهم المطر ، وهذا شيء غير عادي في مثل هذا الوقت من السنة .

أما الاطفال في عاصمة الكنغو فلعمر الله اني لم أر أكثر عددا منهم في أي بلد من البلدان التي زرتها اذ تجد البيت المكوّن من غرفتين وقد انتشر أمامه عدد ضخم من الاطفال لا يكاد يفصل بينهم في الأعمار فاصل . وهم شبه عرايا بل بعض الصغار منهم عرايا حقيقة وهم يمرحون ويلعبون في الشارع ومعهم أمهاتهم يطهين الطعام ويغسلن الملابس في الشارع على مرأى من الذاهبين والآيبين وأغلبهن قد برز نصف صدرها الأعلى مما جعل منظرها منسجما مع المنظر غير اللائق المحيط بها ويزيد المنظر غرابة أن الكونغوليّات من النساء والفتيات يجعلن رؤوسهن ضفائر صغارا مشددة

الى أعلى لا الى أسفل لأن شعورهن قصيرة فيبدو شعر
الواحدة منهن متجها الى أعلى كأنه عدة قرون في رأسها
وهن بذلك يخالفن معظم الأفريقيات في شرقي افريقية وتحت
خط الاستواء حيث تعد هؤلاء الأخيرات الهى حلاقة
رؤوسهن تخلصا من شعرهن القصير في أكثر الأحيان .

وفي تلك الشوارع غرست بعض الاشجار التي تتكون
غالبا من اشجار المانجو ومن اشجار نخيل الزيت الذي لا
تكاد تفرق بينه وبين نخيل الثمر مما يجعلنا نتذكر منظر
النخيل في بلادنا .

وخلاصة القول أن مدينة كنشاسا أكبر مدينة في
افريقية السوداء رأيتها وأكثر المدن الافريقية بل هي مدينة
افريقية حقا ليس لغير الافريقيين فيها نصيب الا نصيب
الضيف غير المحبوب في بيت مضيفه .

الكنغويون :

لا يمكننا أن نطلق كلمة الكنغويين على سكان كنشاسا
فتكون تلك الكلمة مطابقة لمعناها كل المطابقة لأن كلمة
الكنغو تطلق على اقليم بل أقاليم واسعة شاسعة يقطنها
أجناس من الافريقيين يتكلمون لغات متعددة ، ويتفاوتون
في درجة تعليمهم وثقافتهم ان لم يكن في عنصرهم ولكننا
هنا نريد بالكنغويين سكان مدينة كنشاسا وهم يتكونون

من الكنغويين الاصليين أي سكان تلك المنطقة التي كان البلجيكيون قد بنوا بقربها مدينة باسم ملكهم ليوبولد فقالوا «ليوبولدفيل» أي مدينة ليوبولد كما يتكونون من الجاليات التي جاءت من أقاليم الكنغو المختلفة وهم على وجه العموم سود الألوان يمتازون عن بقية السود الذين شاهدناهم من قبل بشيئين رئيسيين ظاهرين أولهما : قصر القامة ، والثاني أنه ليس في أشكالهم من الوجاهة والضحامة ما للكينيين والأوغنديين مثلا ، وأنتك حين ترى الافريقيين من غربي افريقية من السنغال ومالي ونيجيرية وهم بقاماتهم العالية وأجسامهم الضخمة التي تبدو عليها الفخامة والوجاهة لتمييزهم على البعد عن الكنغويين بل الواحد منهم بين الكنغويين كأنه علم في رأسه نار .

أما الشيء الأهم الذي يميز الكنغويين عن الافريقيين الآخرين فهو وحدة طباعهم ، وقوة شكيمتهم ، وتقلب أمزجتهم ، وشيء من الشعور بالعزة والوطنية في نفوسهم يجعلهم يشعرون بأنهم أرفع من غيرهم من الناس ان لم يكونوا يتخيلون أنهم أرفعهم .

في المدرسة الاسلامية :

تلك أول مدرسة اسلامية في مدينة كنشاسا قام على انشائها جماعة من النيجيريين الموجودين في الكنغو والذين يشتغلون في التجارة ليسدوا النقص الموجود هناك حيث لم

يكن من الممكن سابقا لأبناء المسلمين أن يجدوا من يعلمهم مبادئ الدين أو اللغة العربية لأن سياسة الحكومة الاستعمارية تقوم على عدم السماح بالتعليم الاسلامي في الكنفو .

وقد زرناها هذا اليوم فوجدنا فيها الرئيس القبلي للنيجيريين في كنشاسا (الحاج باوا) وإمام المسجد الجامع في كنشاسا الذي بناه النيجيريون منذ حوالي ثلاثين سنة .

والمدرسة كما قلت تعلم القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية وشيئا من الأحكام الدينية الأولية على مذهب الامام مالك ، وقد استقبلنا طلابها بنشيد ترحيب باللغة العربية وأدوه أداء حسنا لا يقل عن أداء اطفال أية مدرسة ابتدائية في الاقطار العربية ثم تكلم مدير المدرسة بالسواحلية ثم ترجم كلامه الى اللغة العربية التي يفهمها بعض الحضور ثم ألقى كلمة باللغة العربية كان أكثر الحاضرين من القوم يفهمونها أما الطلبة فلم يفهموا منها شيئا وقد ترجمها لهم أحد المدرسين في المدرسة ، وفي المدرسة ١٢٥ طالبا وطالبة أكثرهم من النيجيريين وفيهم من غيرهم من المسلمين ، وفيها مدرسان ، وقد أعلنت لهم عن التبرع للمدرسة المذكورة بمساعدة مالية مجزية من دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية .

الافطار في كنشاسا :

ذهبنا قبل غروب الشمس الى جامع كنشاسا فوجدنا المسلمين محتشدين هناك استعدادا للافطار وصلاة المغرب وغالبيتهم من النيجيريين يليهم السنغاليون فالعرب الغينيون فالكنغويون وهذه اول مرة أحتك فيها بالمسلمين من غربي افريقية في خارج المملكة العربية السعودية وقد وجدتهم يمتازون عن مسلمي شرقي افريقية بتفوقهم في معرفة اللغة العربية فلا تكاد تجد أحدا منهم لا يعرف شيئا من اللغة العربية على تفاوت بينهم بخلاف أغلب المسلمين في شرقي افريقية الذين كان بعضهم لا يعرف حتى معنى « كيف حالك » ؟ وجوابها : طيب ، كما أنهم أكثر ثقافة وفهما للاسلام من الشرقيين ، وحتى في التجارة والاقتصاد فان بينهم ناجحين ومبرزين في التجارة ، وقد أحضروا السى المسجد صناديق زجاجات المياه الغازية ، وعناقيد الموز ، وبعض الخبز وذلك تبرع من الموسرين منهم فكان كل شخص يأخذ نصيبه حتى اذا حان موعد الافطار بدأ المؤذن بالأذان فأفطروا متفرقين على خلاف ما عليه الحال في روديسية حيث يفطر المسلمون مجتمعين على مائدة واحدة تتكون من عدة موائد ، وقد دعانا امام الجامع الى تناول طعام الافطار معه في غرفته الخاصة ثم صلينا المغرب فكان أعجب ما في ذلك أن المؤذن أقام الصلاة كالأذان تماما ما عدا الاقامة حيث كانت مرة واحدة فقط ثم كان المؤذن

يسمع بعد الامام فيقول بعد الرفع والتكبير «اللهم رب
ولك الحمد» وعند الفراغ من الصلاة كان التسليم عبارة
عن جملة واحدة فقط هي السلام عليكم فقط فيخرجون من
الصلاة حتى بدون التفات . وذلك لان القوم مالكية .

وبعد صلاة المغرب أحضرت الينا في بيتنا مائدتان
هدية احدهما من كبير المسلمين النيجيريين والاخرى من
كبير الكونغوليين الذين اصلهم من شرقي البلاد وقيمون
في كنشاسا .

التراويح :

شهدنا التراويح معهم فكانت تراويح خفيفة موجزة
الى حد يكاد يبلغ حد الاختصار وهي اكثر ايجازا من
تراويح القوم في روديسية فكانت خمس تسليمات فقط
يقراً الامام في كل ركعة آية واحدة مثل قوله تعالى : «والهمك
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » ومثل قوله :
« فبأي آلاء ربكما تكذبان » ، وهكذا ثم يوتر بثلاث
ركعات ، ويجمع ركعتين ثم يسلم ثم يصلي الثالثة ولا يقنت
اصلا .

وألطف ما فيها أنه بعد كل تسليمة يذكر احد المأمومين
كم صلى الامام فبعد التسليمة الاولى يقول باللغة العربية،
صلى واحدة او يقول : (الاول) يعني الاولى ، ثم بعد
الثانية والثالثة وهكذا وبعد ان ينهي الخمس يقول :
كمل الخمسة .

هذا وقد كان الجو حارا بحيث كانت المراوح
لكهربائية في المسجد على اشد دورتها ، وهو اول مسجد
ندخله تستعمل فيه المراوح منذ ان وصلنا الى افريقية .

يوم الاثنين ١٣٨٦/٩/٦ هـ .
٠م ١٩٦٦/١٢/١٩

اجتمعنا بعدد من زعماء المسلمين من سائر انحاء
الكنغو ، وقد بحثنا معهم كل ما يتعلق بمهمتنا .
وقد نصحونا جميعا بعدم الذهاب الى الاقليم الشرقي
الذي عاصمته «كازبكاني» ستانلي فيل سابقا والى اقليم
«كيفو» وكلاهما فيه اقلية اسلامية كبيرة وذلك لعدم توفر
الامن فيه ، ولأن الحكومة لا تسمح بالسفر اليهما الا باذن
خاص والسفر اليهما فيه خطر على حياتنا وبخاصة في
الاقليم الشرقي كما اخبرونا .

يوم الاربعاء ١٣٨٦/٩/٨ هـ .
٠م ١٩٦٦/١٢/٢١

الاسد فلت :

حاولنا خلال اقامتنا القصيرة في كنشاسا ان نجد وقتا
نزور فيه ما يستحق الزيارة فيها مثل حديقة الحيوانات ،
وعندما تيسر لنا الوقت كان دليلنا أخا مسلما ممن تشاد

يعرف الفرنسية والعربية ويعرف الى جانبها اللغة الكونغولية والسواحلية وضرب لنا موعدا بعد عصر اليوم .
وعندما ذهبنا معه وكنا جميعا صائمين والحر شديد ، والتعب قد بلغ منا من جراء العمل صباحا مبلغه ، وصلنا الى باب حديقة الحيوانات فترأى دليلا مع البواب ثم جاء الينا وقال : (الاسد فلت) ولما لم تفهم اوضح لنا مراده بأن الاسد قد أفلت من قفصه ، وهو الآن طليق في الحديقة لذلك لا يمكن لنا الزيارة هذا اليوم لأن دخول الحديقة ممنوع لهذا السبب بطبيعة الحال .

لا سفر الى الكنفو برازافيل :

ذهبنا الى السفارة الفرنسية في كنشاسا على رجاء ان تمنحنا تأشيرة دخول الى الكنفو الآخر على ضفة نهر الكنفو أو قل الى المدينة التي نراها بوضوح من مكاننا في مدينة كنشاسا ، ولكن السفارة الفرنسية اعتذرت الينا بأنها الآن ليس لديها صلاحية منح التأشيرات المذكورة . وهكذا فشلنا في وصول القطر المذكور علما بأنه لا يفصل بين القطرين الا نهر الكنفو وان الكنفويين الكنشاسيين يمكنهم السفر بدون تأشيرات دخول الى بلاد الكنفويين الآخرين في برازافيل والعكس بالعكس أي ان المرور ما بين القطرين الكونغويين يشبه الى حد ما المرور بين سورية ولبنان لرعايا البلدين المذكورين .

ولما كانت الوسيلة الوحيدة لدخول الكنفو الآخر هي ان نرسل طلبا الى حكومته ثم ننتظر الرد الذي ذكر لنا انه قد يستغرق اسبوعين ، وليس بإمكاننا الانتظار ، فقد صرفنا النظر عن السفر اليه .

يوم الجمعة ١٠/٩/١٣٨٦ هـ .

٢٣/١٢/١٩٦٦ م .

السفر من الكنفو :

خرجنا بعد صلاة الفجر مباشرة الى مطار كنشاسا (ليوبولدفيل) سابقا عاصمة الكنفو والذي يبعد عن المدينة ٣٢ كيلو مترا ويسمى مطار انجيلي ، وأنجيلي في لغة الكونغو المحلية هي النهر ، وقد أكملنا اجراءات قطع التذاكر ووزن الحقائب في مدة وجيزة ثم ذهبنا الى البهو الداخلي في المطار فلبثنا هناك مدة ساعة كاملة ونصف الساعة سئمنا فيها الانتظار ونمنا في القاعة وصحونا ، وقد رأينا كيف انه حتى المسافرون الى لمباشي (اليزايث فيل سابقا) قد لبثوا مدة طويلة واقفين عند باب الخروج الى الطائرة بدون ان يؤذن لهم بالسفر . مع ان رحلتهم داخلية والملاحظ في هذا المطار ان هناك عددا لا بأس به من المسافرين الافريقيين على الطائرات وهو أكثر بكثير من العدد الذي يسافر على الطائرات من الافريقيين في بقية

اقتطار افريقية التي زرناها ولا شك ان ذلك يرجع الى صعوبة المواصلات البرية في الكونغو وطول مسافاتها ، وعدم توفر الامن فيها الامر الذي يضطر الكثير من الناس الى السفر بالطائرات ، الى جانب كون الكونغوليين انفسهم يملكون من مصائر بلادهم اكثر مما يملكه اخوانهم في بعض الدول الافريقية الاخرى .

قبل الخروج الى الطائرة :

وبعد طول انتظار رأيت الركاب يتجهون الى قسم الجوازات والمكوس ، بدون أن ينادى عليهم فأسرعوا الى الباب كل يريد ان يسبق صاحبه ، وكان فيهم عدد من الاوروبيين الذين اصطفوا كعادتهم للدخول بدون ان يزاحم احد منهم الآخر ، ولكننا وقفنا عند الباب قبل ان يؤذن لنا مع انه لم يكن هناك قبلنا طائرة اخرى مسافرة للخارج وبعد ان جاء الاذن كان هناك حاجب يدخل الناس اثنين اثنين .

ولما دخلنا رأينا رجلا فسألنا عن اوراقنا الصحية فأبرزناها له مع اننا نغادر البلد ولا ندخله ، ولم يسألنا احد طوال رحلتنا عن اوراق الصحة عند المغادرة لأنهم يكونون قد اطلعوا عليها عند الدخول ، ثم اشار الى موظف آخر بعده فسألنا عن اسمنا العائلي فأخبرناه ثم انتقلنا الى فتاة افريقية فطلبت منا أن نريها تذاكر السفر فأريناها

اياها ثم انتقلنا الى موظف رابع فرأى جوازاتنا ثم احالنا الى الموظف الخامس والاخير الذي اعاد طلب الاطلاع على تذاكر سفرنا ثم تكلم بالفرنسية ولما كنا لا نعرف الفرنسية فقد دخل صديق لنا كان معنا يعرفها وتحدث معه فتركنا وهكذا انتقلنا من قسم الجوازات ولم يختم احد على جوازاتنا بشيء ولا على تذاكرنا .

لدى موظفي الجمرك :

ثم انتقلنا الى قسم الجمرك حيث حضر موظف يعرف قليلا من الانكليزية فأمرنا بفتح حقائبنا ففتحناها ففحصها ولكن الحمالين اخذوا يشيرون الى افواههم ويرونا قليلا من النقود الكنفولية المعدنية وفهمت انهم يطلبون «بقشيشا» فأعطيتهم ما تيسر ، ولم نكد نعرف اننا اتهمنا ، أو هكذا اعتقدنا ، حتى نادانا موظف آخر فاقترادنا الى غرفة فيها مكتبان ، على احدهما فتى والآخر عليه فتاة وقد تبين لنا فيما بعد ان الفتى يفتش الرجال والفتاة تفتش النساء ، وكنا سمعنا انهم في الكنفو قد يجردون الناس من ثيابهم للتأكد منهم عند الخروج لأن الكنفو يصدر الماس والمعادن الثمينة وبعض الناس يحاولون اخراجها وتهريبها .

وطلب منا الموظف جوازات السفر وتذاكر الركوب ثم أشار الى حقائب ايدينا التي نحملها ان اقتحوها ففتحناها

فتفتشها تفنينا دقيقا ثم قال : ألا يوجد معكم أي نوع من انواع النقود ؟ فأجبناه بالنفي ، فكرر قوله فنفسنا ان يكون معنا نقود ثم قال اروني ماذا في جيوبكم فحضر في هذه اللحظة صديقنا كمال السنغالي الذي يعرف العريية والذي كان معنا طوال اجراءات السفر في المطار يترجم لنا من الفرنسية الى العريية لأن الموظفين لا يعرفون الانكليزية فكلمه فأطلق سراحنا وقال : لا بأس اذا كنتم تريدون ان تذهبوا ، وهنا لم نكد نصدق لأنه كان معنا شيكاتنا السياحية التي دخلنا بها ولو عشر عليها لعاق سفرنا ولعقد اجراءاته و لرفع الامر الى رؤسائه ، ولا ندري ماذا يحدث بعد ذلك ، وليس ذلك لأن الشيكات السياحية غير مشروعة . فهي مالنا دخلنا به الى الكنفو ، ونريد ان نخرج به ، وقد خرجنا به من جدة ، ولا غبار على مشروعية حملها في الدخول ، أو الخروج ، وقد كنا نخبر بها في المطارات التي يسود فيها النظام ولكن في الاماكن التي تسود فيها الفوضى فان الاخبار بها تعريض لها للضياع وسببه للحوق السوء بحاملها .

وهكذا خرجنا من عنده ونحن لا نكاد نصدق بالخلاص منه ثم انتظرنا مع جميع الركاب حوالي نصف ساعة خارج ساحة المطار حتى سمح لنا بالذهاب الى الطائرة التي وجدناها ممتلئة بالركاب وفيهم عدد من الافريقيين وفيهم بعض الاوروبيين وهندي واحد . وكان معظم

المسافرين في مدينة قوما الكونغولية التي عرفنا أن
الطائرة ستمر بها ثم اتتية في اوغندا ثم نيروبي .
وهكذا تحركت الطائرة في تمام الساعة الثامنة
والنصف وخمس دقائق من مطار كنشاسا وكانت ممتلئة
بالركاب وقد تسارعوا الى الصعود اليها قبلنا ثم جاء
بعض الموظفين بأناس محسوين عليهم بعد صعود الركاب
الى الطائرة فأوقفونا حتى اركبوهم قبلنا ، وعندما صعدنا
كانت جميع مقاعد النوافذ قد شغلت قبلنا فاضطررنا ان
نركب في وسط الطائرة وفي مكان يقع فوق جناحها
مباشرة لذلك لم نتبين من معالم الارض شيئا بل لم
نتمكن من النظر الى الارض اصلا .

وكانت الطائرة من طراز « دي سي سكس » ذات
المحركات الاربعة تابعة لشركة الخطوط الجوية الكونغولية
وقوادها بلجيكيون اما المضيفون فهم فتيان وفتاة كلهم من
الكونغوليين .

تكلم المضيف بالفرنسية التي لا نفهم منها شيئا
ثم تكلم آخر بانكليزية ضعيفة فقال ان الرحلة الى (قوما)
ستدوم ثلاث ساعات وخمسا وأربعين دقيقة ، أي اربع
ساعات الا ربعا وبالمقارنة نقول انها تساوي المسافة من
جدة الى الرياض مرة ونصفا كل ذلك في ارض الكونغو
وارتفاع الطيران «(١٨ الف قدم)» .

وهكذ سارت الرحلة بطيئة متثاقلة ، وكان جاري في

المقعد افريقيا يظهر انه احد الموظفين الكنفويين وعندما حضر الغداء وهو عبارة عن شريحة من لحم الخنزير النيء ! - تصور والعياذ بالله - لحم خنزير نيء تقدمه فتاة كنفولية عابسة ، واذا قسنا نظافته بنظافتها فلا شك انه يصدق عليه المثل العامي النجدي «تمنّ وسوى صلّب» .

مطار قوما :

نزلنا في مطار قوما دون ان أتبين معالم البلد عند النزول لبعدي عن النافذة ، وكان المطار صغيرا وغير نظيف وقد توجهنا الى قاعة العابرين (الترانزيت) وهي عبارة عن ركن صغير تتسع لحوالي ١٥ شخصا وقد قدموا للعابرين المرطبات على حساب الشركة ، فلبثنا هناك مدة ساعة كاملة وقبل ان نصعد الصعود النهائي خرجنا من القاعة ولا ادري من الذي دعانا ونحن ركاب نيروبي حوالي ١٠ وتوجهنا الى الطائرة ولكن عندما سعدنا ردونا على اعقابنا وقالوا ان الوقت لم يحن بعد .

مدينة قوما من الجو :

لقد انخفض عدد الركاب الى الربع لذلك وجدنا مقعدا بجانب النافذة ونظرت الى مدينة (قوما) من الجو فألفيت المنظر ساحرا اذ تقع المدينة وضواحيها على شاطئ بحيرة تنجانيقة في منطقة كلها خضراء شديدة الخضرة وبدت مباني المدينة اشبه بالغرف والعنابر كلها مبنية بالطوب ومسقفة

بالصفيح المسنم ، اما مباني الارياف البعيد منها فهي اكواخ
بنيت بالقش او هكذا بدت لنا .

لقد اعلنت المضيفة ان الرحلة من (قوما) الى (اتتية)
ستدوم ساعة وربعاً اما أنا فان الطريق الى اتتية قد
عرفته حق المعرفة فقد قطعتة ذهاباً واياباً اربع مرات قبل
هذه المرة ، ومع ذلك فان منظر بحيرة فكتوريا عندما
تقارب اتتية وشواطئها الخضراء لا يمكن ان يمل .

ومن اتتية قامت بنا الطائرة الى نيروبي ودامت الرحلة
ساعة وربعاً أيضاً حيث نزلت الطائرة بنا مطار نيروبي ولما
يبق على غروب الشمس غير ١٠ دقائق منهيّة بذلك رحلة
دامت من الثامنة والنصف صباحاً حتى قرب غروب الشمس
مع استثناء فرق التوقيت بين نيروبي وكنشاسا وقدره على
وجه التحديد ساعة وخمسون دقيقة .

العودة الى نيروبي :

وكانت اجراءات العودة الى نيروبي في المطار والجمرك
سهلة ميسرة وعدنا الى نيروبي ونحن لا نصدق أننا خرجنا
فعلاً من الكنفو سالمين . وكنا نحس ونحن ندخل مدينة
نيروبي كأننا كنا قد دخلنا الى المملكة العربية السعودية
ويكفي أن تعلم أن المسافة بين كنشاسا ونيروبي أبعد من
المسافة بين نيروبي وجدة وأن المسافة أيضاً بين جوهانسبرغ
وبين كنشاسا أبعد كذلك من المسافة بين نيروبي وجدة علماً

بأن المسافة بين نيروبي وجدة أبعد أربعة أضعاف من المسافة بين جدة والرياض .

نيروبي تحتفل بعيد الميلاد :

وقد دخلنا نيروبي وهي تستعد للاحتفال بعطلة عيد الميلاد الذي سيبدأ غدا . وقد رأينا مظاهر الاحتفال بالعيد في صور « بابا نويل » على متاجر الاوروبيين وفي كثرة المترددين على الحانات والمتسكعين حولها من الافريقيين والافريقيات حيث يكون العيد أكبر موسم لشرب الخمر عندهم ، ولم أجد ما يعطي عيدهم شيئا من البهجة سوى منظر الاطفال الذين كانوا قد لبسوا الملابس الجديدة وتجميلوا ما استطاع أهلهم مما ذكرني بمنظر الاطفال عندنا في ايام الاعياد كما ازدانت واجهات المحلات الكبيرة بشجرة الميلاد .

أما اخواتنا العرب في نيروبي وكذلك الهنود فكأن العيد لا يعينهم بشيء اذ أن أكثر حوانيتهم ومحلاتهم التجارية مفتوحة ولم يحفلوا بعيد الميلاد أو يظهروا أي تغيير في لباسهم ، وقد أصبحت الاحياء الاوروبية في نيروبي مقفرة تقريبا اذ أن أكثر الاوروبيين قد غادروا نيروبي الى ممباسة وغيرها لقضاء عطلة عيد الميلاد هناك وبعضهم قد سافر الى أوروبا لقضاء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة فيها ...



الاسلام پشترقي الكنگو



وصلنا الى كنشاسا عاصمة الكنگو قادمين من روديسية ونظرا لضيق الوقت واتساع اقاليم الكنگو وتفرق المسلمين فيه وتشديد الحكومة بحظر السفر الى المقاطعات المتفرقة الا بعد اذن خاص منها ، فقد اقتصرنا على زيارة العاصمة . وقد اتصلنا بكبار المسلمين هناك ويتكلمون المسلمون من ثلاث طوائف رئيسية :

الطائفة الاولى طائفة الكنگويين

وهؤلاء قليلو العدد ، وضعفاء في الثقافة والمكانة وأكثرهم ممن قدموا من الاقاليم النائية مثل اقليم كينغو والاقليم الشرقي وليس لهم منظمة تجمعهم وان كانوا يتهيئون لكي يؤسسوا جمعية اسلامية كنگولية يقصرون الدخول فيها على الكنگوليين الاصليين ، وقد نصحناهم بتوحيد جهودهم في سبيل الله والدعوة الى الاسلام ، وعدم ادخال العنصرية أو القومية في هذا الصدد ، وأن يوحدوا جهودهم مع باقي المسلمين في الكنگو ، بغية السعي بكل ما يمكن لادخال عدد كبير من الناس في الاسلام وبخاصة في هذا الطرف بالذات الذي هو في الواقع - ظرف مؤات للدعوة الى الاسلام في الكنگو حيث تخلصت البلاد من الحكم البلجيكي الذي كان أكثر حكم استعماري تعصبا ضد الاسلام في افريقية حتى كان التعليم في حكمهم كله تشرف عليه الكنيسة .

الطائفة الثانية طائفة النيجريين :

وقد بنوا مسجدا جامعا هو أكبر جامع في كنشاسا حتى الآن وهو معمور بالمصلين منهم وغيرهم كما أسسوا مدرسة اسلامية في هذا العام بعد أن بنوا لها غرضا ملحقة بهذا المسجد ، ولهم جهود مشكورة في الدعوة الى الله ويستغلون بالتجارة في الكنفو ورئيسهم هو الحاج عمر المشهور بالحاج باوا .

الطائفة الثالثة طائفة السنغاليين :

ولهم نشاط طيب في الدعوة الاسلامية ايضا وقد حصل احدهم الذي اكتسب الجنسية الكونغولية لأن والدته من الكنفو على رخصة رسمية من الحكومة بانشاء جمعية كونغولية للمسلمين في كنشاسا خاصة ، وبدأ في بناء مسجد كبير ومدرسة اسلامية في كنشاسا بعد أن منحته الحكومة الارض بالمجان . ويدعى الحاج محمد سيسي . وقد قدمت له مساعدة مالية طيبة .
هذا بالنسبة للمسلمين في داخل العاصمة .

المسلمون في الكنفو :

بناء على المعلومات التي حصلنا عليها ممن اتصلنا بهم من كبار المسلمين في العاصمة نذكر ما يلي عن أحوال المسلمين في بقية أنحاء الكنفو .
كان المسلمون في السابق يوجدون بصفة رئيسية في

مقاطعتين هما مقاطعة «كينغو» ومقاطعة «اورينتال» أي المقاطعة الشرقية ، وعاصمتها كسنغاني (ستانلي فيل) سابقا أما الآن فانه يوجد مسلمون في مقاطعة كاتنجا ايضا ، وقد شيد فيها مسجد كبير وهو أعظم مسجد في جميع أنحاء الكونغو كما دخل الاسلام في السنوات الاخيرة الى مقاطعة كاساي وهي مقاطعة لم يكن فيها قبل سنوات مسلم واحد ، وأخذ الآن ينتشر سريعا هناك .

كما ان المقاطعة الاستوائية أخذ الآن الاسلام ينشر فيها ايضا الى جانب المقاطعتين الرئيسيتين اللتين أخذ يزداد انتشار الاسلام فيهما .

ويقال : إنه لو تيسر بذل جهود أكثر لكانت النتيجة أعظم .

وأكثر انتشار الاسلام كان بسبب جهود فردية من بعض المشائخ والدعاة الافريقيين المغمورين ، والذين تكفي أقل مساعدة مادية لمعاونتهم على ألا تكون على شكل نفود تدفع اليهم بل تكون على شكل مساعدة لمدارسهم ودفن نفقات لتجوالهم ، ومعاونة الداخلين الجدد في الاسلام لمدة زمنية معينة ، وما أشبه ذلك .

ونجد اكثر المسلمين في جهة (كاسنغو) في اقليم (كينغو) وفي (كيسنقاني) و (كيندو) و (بونوة) في اقليم (الارينتال) و(البرت فيل) في مقاطعة كاتنجا .

ويوجد عدد من المسلمين الجدد في مدينة بومبا قاعدة

مقاطعة (كواتير) الاستوائية رئيسهم الشيخ عبد الرحمن بن اولانقا يساعده اخوه حميد .

أما المسلمون في اللوابور قاعدة مقاطعة كاساي فلهم جمعية اسمها بالفرنسية (منسيون اسلاميك) وترجمتها الجمعية التبشيرية الاسلامية رئيسها بودا سليمان ونائبه ابراهيم كانيا ، وسكرتير الجمعية كودي طاهر .

وتعتبر مدينة كاسنغو في اقليم كيفو أكبر معقل للمسلمين في الكونغو لأنها أول بلد دخله المسلمون الذين دخلوا الكونغو لأول مرة منذ مائة سنة وأكثرهم كانوا ممن قد استقروا في ساحل تنجانيقة من قبل وهم من العرب العمانيين والافريقيين السواحليين .

٤٤٤

في ختام حديثنا عن الشؤون الاسلامية في افريقية
نقترح ما يلي :

اولا : ايجاد دائرة خاصة في كل بلد اسلامي تسمى :
«دائرة الاتصال بمسلمي افريقية» او ما يقرب من مدلول
هذا الاسم تكون مهمتها العمل على نشر الاسلام ورفع
شأن المسلمين في افريقية .

ثانيا : تعيين ملحق في كل سفارة اسلامية في افريقية
يتفرغ للنظر في مساعدة المسلمين ونشر الدعوة الاسلامية
وتلقي المساعدات من بلاده وايصالها للمسلمين في حدود
الامكانيات المتوفرة ، وفي نطاق الاعراف السياسية القائمة
في كل بلد .

ثالثا : انشاء صندوق اسلامي عالمي لتمويل الدعوة
الاسلامية في افريقية يساهم فيه المسلمون على مستوى
الحكومات والجمعيات والافراد ، ونحن لا نشك مطلقا في
ان الوقت الحاضر هو انسب الاوقات للقيام بحملة اسلامية
واسعة للدعوة والارشاد ونشر محاسن الاسلام امام
الافريقيين من غير المسلمين ذلك لان الدين المسيحي الذي
هو المنافس الرئيسي قد ارتبط في اذهان كثير من ابناء
افريقية بالاستعمار الاوروبي لانه جاء الى افريقية مع الرجل
الاوروبي ونظرا الى ضعف سلطان الاستعمار الاوروبي
وبالتالي ضعف المنافس فان الفرصة الآن سانحة لنجاح
الدعوة الاسلامية اكثر من ذي قبل . وذلك كله اضافة الى

ما هو معروف ومعلوم من ان الاسلام دين الفطرة ، وهو
بساطته ووضوحه ويسره الدين الوحيد الملائم لكل
زمان ومكان .

رابعا : الاكثار من المنح في الجامعات والكليات
والمدارس الاسلامية في البلاد الاسلامية خارج افريقية
وذلك حتى تتاح الفرصة لأكبر عدد ممكن من ابناء المسلمين
في افريقية للتزود من العلوم الاسلامية فيها ثم العودة الى
بلادهم مبشرين ومنذرين وهادين مهتدين عملا بقوله
تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون» .

خامسا : المساعدة على انشاء ملاجئ ودور للايتام
في البلاد الافريقية التي يقطنها مسلمون . وذلك وقاية
لابناء المسلمين من ان يقعوا في احضان التربية الكفرية التي
تربيههم على الكفر وتصدهم حتى عن اسم الاسلام ، لانه
لوحظ ان تلك الطريقة منتشرة انتشارا واسعا لانها تكاد
تكون الطريقة الوحيدة العملية لاجراء بعض المسلمين من
دائرة الاسلام ، بعد ان لوحظ انه ما من مسلم يدخل
الاسلام في قلبه ثم ينبذ الاسلام وينضم علنا الى صفوف
المشركين .

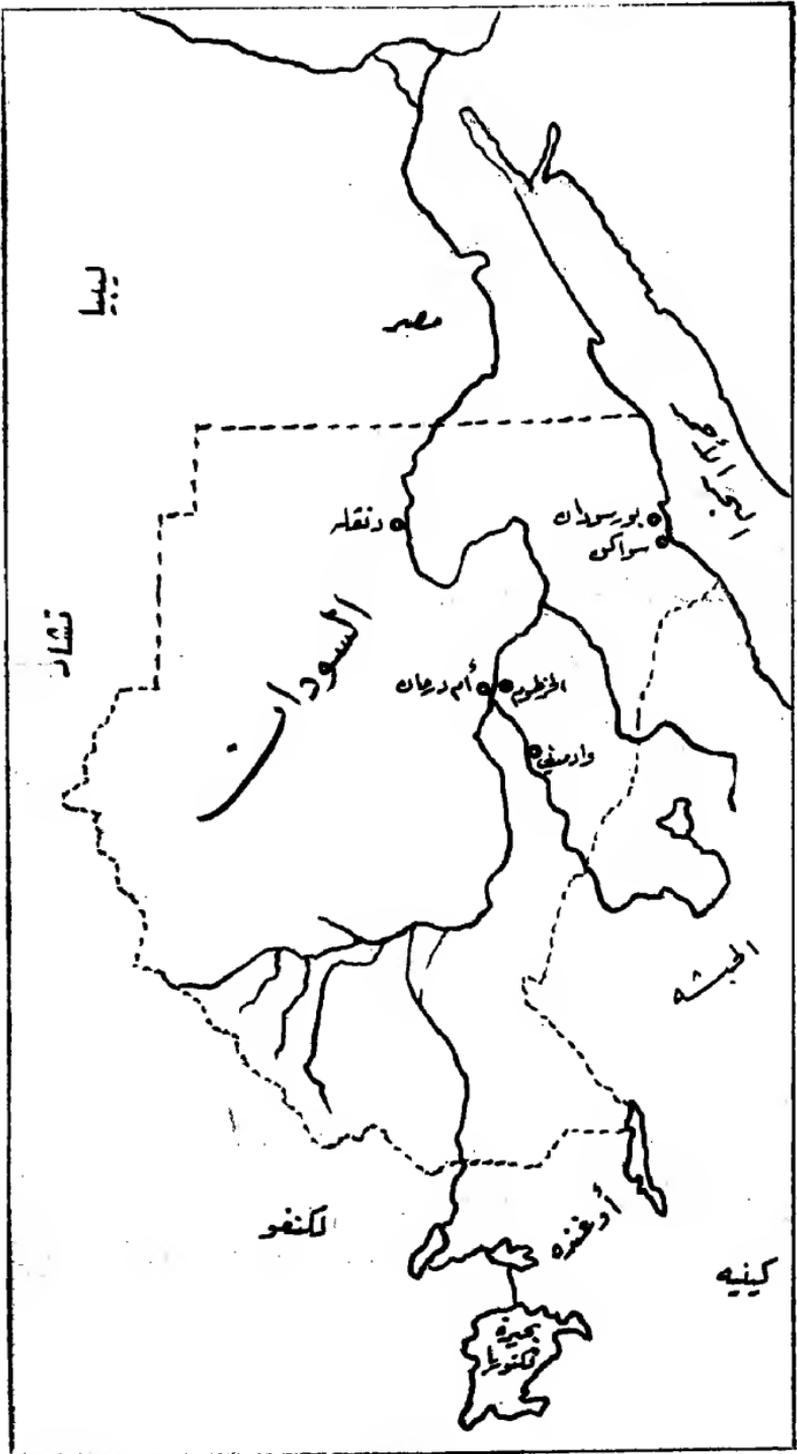
سادسا : ان يختار من المدرسين من مختلف البلاد
الاسلامية من ذوي الاستعداد للتضحية والعمل في سبيل
الله ويرسلوا الى الاقطار الافريقية المحتاجة مع مراعاة

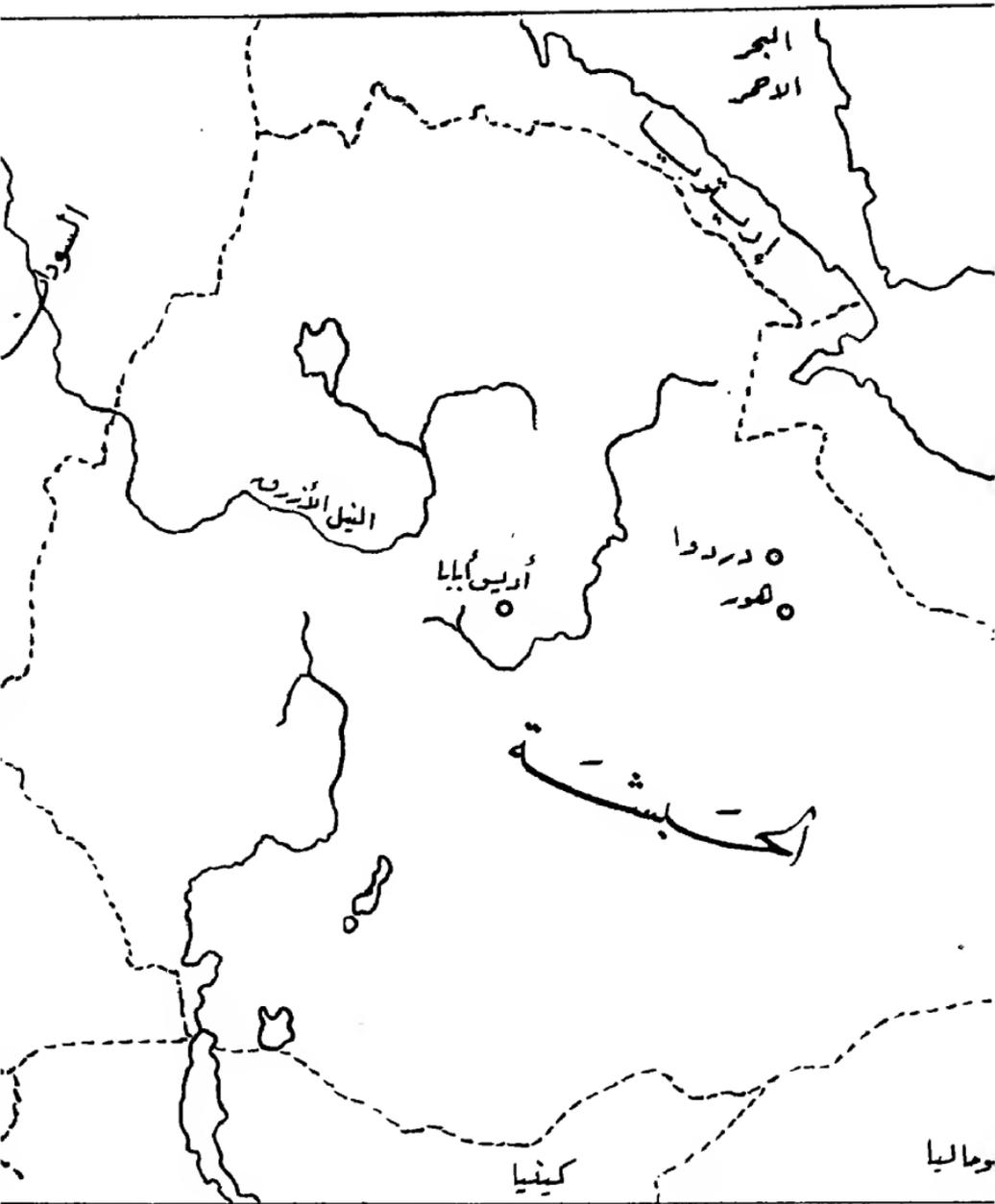
الظروف والملابسات السياسية المحيطة بكل بلد افريقي،
وذلك بلا شك علاج سريع .

سابعاً : العمل على كثرة طبع الكتب الاسلامية مترجمة
الى اللغات الاقليمية واللغات العالمية السائدة في افريقية مثل
الانكليزية والفرنسية والسواحلية وغيرها ، وتوزيعها حيث
لاحظنا قلة الكتب الاسلامية بل ندرتها في بعض الاقطار .

هذه بعض المقترحات ، وهي ليست بصعبة اذا ما
صحت العزائم وخلصت النيات خاصة لان الاسلام دين
الدعوة والجهاد ، دين العمل والحركة بل ان كل مسلم
سبيله في الحياة ان يدعو الى الله على بصيرة كما قال تعالى
لرسوله صل الله عليه وسلم «قل هذه سبيلي ادعو الى الله
على بصيرة انا ومن اتبعني » وقال تعالى : « ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وقال تعالى : « ومن
احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً » ..

مع أن العبء ثقيل، والميدان واسع وناهيك بالتخطيط
للعمل في قارة من القارات اذا لا بد من تضافر الجهود ،
وتكاتف الهمم ، نسأل الله تعالى ان ينصر دينه ويعلي
كلمته وان يوفق المسلمين الى الرجوع الى دينهم ، والعمل
بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم انه سميع
قريب والحمد لله رب العالمين .





محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	اهداء
٨-٧	مقدمة
٢٠-٩	تصدير
	خطة العمل ، الرحلة الثانية ، ترتيب الكتاب ، المساعدات .
٥٠-٢١	في جمهورية السودان

الى بور سودان، الى الخرطوم، في مطار الخرطوم،
الربيع ، الخرطوم ، المرور ، في الفندق ، جامع
الخرطوم الكبير ، في ام درمان ، في مسجد
ام درمان ، مع مفتي السودان ، في دار القائم
بأعمال السفير السعودي ، في خرطوم بحري ،
الخرافات ، الروح الدينية ، في مسجد خرطوم
بحري ، مطاعم الخرطوم ، في البنك المركزي
السوداني ، في حديقة الحيوان ، في الخرطوم

جنوب ، الصحافة السودانية ، الصيف في الربيع
والربيع في الصيف ، وبعد الخريف صيف ، اللغة،
الالوان ، ابو جنزير .

في السودان .. ثانياً ٦٤-٥١

من جدة الى الخرطوم ، افريقية مرة ثالثة ، في
مطار الخرطوم ، جولة في الخرطوم ، في المركز
الاسلامي الافريقي ، على مائدة السفير ، حالة
الاسلام في جنوب السودان ، الاسلام في جنوب
السودان ، الاقتراحات ، مصلحة الشؤون الدينية
في السودان .

في اريتريا ١٠٨- ٦٥

السفر الى اريتريا ، في اسمره ، العربية ،
السكان ، الجو ، مسجد الخلفاء الراشدين ، شارع
هيلاسلاسي ، في مدرسة الجالية العربية ، في
مدينة مصوع ، مصوع ، رأس مدر ، البغاء في
مصوع ، الشيخ الحمال ومشايخ آخرون ، ليلة
ليلاء في مصوع ، العودة الى اسمره ، في المركز

الاسلامي ، منظر مؤلم ، المطاعم ، على مائدة
سكرتير الجالية العربية ، الاذاعات العربية ، الى
مدينة كرن ، أظننا بخروف ، كيلو الجوافة
بقرش ، اذن نحن أرخص اسعارا منهم ، الى
مدينة اغردات ، اغردات ، العودة الى أسمره ،
جولة في ضواحي أسمره .

الاسلام والمسلمون في أريتريه ١٠٩-١٢٤

الاسلام في اريتريه ، النشاط الاسلامي والنشاط
المعادي للاسلام ، حالة المسلمين المادية ، المدارس
والمؤسسات الاسلامية ، الاقتراحات .

في بلاد الحبشة ١٢٥-١٨٤

الى اديس أبابا ، المطر المتواصل ، شلالات سبت ،
يوم لا ينسى ، الظبي بثمانية ريالات ، بلاد الغالا ،
ارض البحيرات والمناظر الساحرة ، الماء والخضرة
والوجه ، جلد الافعى بسبعة ريالات ، الذئب
والضباع في ضواحي العاصمة ، البحيرة العميقة ،
في مدينة الفتح الاسلامية ، سوق العرب ، العرب

في اثيوبيا ، الجامع الانور ، في السفارة البريطانية ،
 في طريق أمبو ، في طريق انطوطو ، الى مدينة
 دردوا ، دردوا ، جامع دردوا ، جولة في دردوا ،
 العربية هي السيدة السائدة ، في مقبرة المسلمين ،
 سوق القات ، مطعم الطاووس ، جولة على المدارس
 الاسلامية ، صورة نادرة ، الى مدينة هرر ،
 مدينة هرر ، البيت الذي ولد فيه الامبراطور ،
 مناظر مؤلمة ، في مسجد الخضر ، هل نحن مفامرون
 حقا ، منظر مؤلم ، العودة الى دردوا ، المساجد
 في دردوا ، العودة الى اديس أبابا ، يقتحم الغرفة ،
 اللغة الامهرية .

حالة المسلمين في الحبشة ١٨٥-١٩٤

عدد المسلمين في الحبشة ، الاقتراحات ، المساجد
 في الحبشة ، النشاط المعادي للاسلام ، حالة
 المسلمين المادية .

في كينية ١٩٥-٢٧٢

السفر الى نيروبي ، المنظر الآن في المطار عجيب

وغريب ، مطار نيروبي ، نيروبي ، جولة في الحي
الاوروبي ، في المسجد الجامع ، اكثر من ثلاثمائة
جمعية اسلامية ، في ماجنقو ، في الحي التجاري
الهندي ، اللغة والجنس ، الى كيسومو ، افريقية
الخضراء ، مدينة كيسومو ، في ضفاف بحيرة
فيكتوريا ، مع نضيلة القاضي ، جولة في مدينة
كيسومو ، قرية بانداني الاسلامية ، العودة الى
نيروبي ، في متحف نيروبي ، في مسجد عبدالله
شاه ، حديقة البلدية ، عودة الى متحف نيروبي ،
في مصرف باركليز ، في حديقة الحيوان ، الى
مباشرة ، عراة من الماساي ، هل نحن في نجد ،
مع فضيلة رئيس القضاة ، جولة في ممباشرة ،
السواحليون ، في مكتب الوالي السابق ، نزهة
على ساحل المحيط ، العودة الى نيروبي ، سباق
السيارات القديمة في نيروبي .

الى كينية .. مرة أخرى ٢٧٣-٣١٨

من مقديشو الى نيروبي ، عملنا في كينية ،
الدكتور محمد العيسى ، حديقة الحيات ، في

فورت هول ، الوحوش الطليقة ، السفر الى
 ممباسة ، في ممباسة ، مع زعماء المسلمين في
 ممباسة ، الى مدينة مالندي ، في بلاد القرياما ،
 مدينة ماليندي ، مدينة قيدي الاثرية العربية ،
 جولة في مدارس ماليندي ، اللباس ، في ممبروي ،
 في شورى مويو ، مقهى ستانلو ، الى قرية كراي ،
 الحقبة المفقودة ، مشاكس .

حالة المسلمين في كينية ٣١٩-٣٢٨

الجمعيات الاسلامية ، النشاط الاسلامي ، مركز
 المسلمين المادي والاجتماعي ، النشاط المعادي
 للاسلام ، الاقتراحات .

في جمهورية الصومال ٣٢٩-٣٥٦

الى مقديشو ، مطار مقديشو ، مقديشو ، اللغة
 في الصومال ، المرأة في الصومال ، العودة الى
 نيروبي .

الى الصومال .. مرة أخرى ٣٥٧-٣٧٨

في مطار عدن ، جولة في مدينة عدن ، القنابل ، شيء قدر ، الى مقديشو ، مهمتنا في الصومال ، مع قائد الشرطة في الصومال ، في المجلس الوطني الصومالي ، معنى كلمة الصومال ، دار الآثار القديمة ، الامواج المتراقصة على ساحل مقديشو ، الماء في مقديشو ، لبن الابل في المطاعم ، نشاط الدول الكبرى في الصومال ، الصوماليون يعتقدون انهم من العرب ، الى جوهر .

الى مقديشو .. ثالثة ٣٧٩-٤٠٦

من الخرطوم الى مقديشو ، في مطار اديس ابابا ، في مطار مقديشو ، في كيلو ١٤ ، في افقوى ، في معهد التضامن الاسلامي ، جولة فيما حول مقديشو ، صورة نادرة ، لدى وزير العدل والشؤون الدينية ، في حارة العرب في مقديشو ، العرب في الصومال ، الشعبين في الطريق ، مع رئيس الجمهورية السابق ، دبلوماسي وشيخ

وطيار ، في وزارة التربية والتعليم الصومالية ،
على مائدة العرب ، السفر الى السودان .

أوغندة ٤٠٧-٤٣٠

من نيروبي الى كمبالا ، في انتيبي ، الى كمبالا ،
مدينة كمبالا جولة في كمبالا ، انا من ارباب
الخطوة ، الأخ خميس والأخ جمعة ، مع الامير بدر
ابن نوح ، في كتومو ، ٨٩ أصبع موز بشلن ، على
ضفاف بحيرة نيانزا ، العاصمة .

الاسلام في أوغندة ٤٣١-٤٤٠

عدد المسلمين في أوغندة ، نشاط الدعوة
الاسلامية ، حالة المسلمين المادية ، الاقتراحات .

الى أوغندة كرة اخرى ٤٤١-٤٥٠

خطة العمل .

في مملكة بورندي ٤٥١-٤٧١

السفر الى بورندي ، مدينة بوزمبورا ، في جامع

مويانزي ، مدرسة ارشاد الحياة الاسلامية ،
الجمعية الاسلامية السنية ، العرب في بورندي ،
عود الى نيروبي .

في بورندي .. ثانية ٤٧٢-٤٩٢

سرقوا حقيبتي من جمر ك المطار ، جولة في
بوزمبورا ، البهوت والاطوس ، اللفة ، اللباس ،
الخدم بالمجان ، الاجانب في بورندي ، العودة الى
نيروبي .

المسلمون في بورندي ٤٩٣-٥٠٢

عمل البعثة ، الدعوة الاسلامية في بورندي ،
الجمعيات الاسلامية ، التعليم الاسلامي ، النشاط
المعادي للاسلام ، الاقتراحات .

في روديسية الشمالية (زامبية) ٥٥٢-٥٠٣

السفر الى روديسية الشمالية ، جبل كليمنجارو
الى الطائرة ثانية ، مطار اندولا ، اليوم عيد

روديسية الشمالية، في اندولا ، جولة في اندولا ،
 انها زامبية ، مع زعماء المسلمين ، في الحي
 الافريقي ، جمعية المسلمين الهنود ، لا عربية في
 اندولا ، سلطنة اسلامية ، في مدينة لوانشسا ،
 مسجد لوانشا ، في مناجم النحاس ، لا عرب في
 روديسية الشمالية ، السفر الى لوساكا ، جولة
 في لوساكا ، في مسجد الافريقيين في لوساكا ،
 العودة الى اندولا .

حالة المسلمين في زامبية ٥٥٨-٥٥٢
 الاقتراحات .

تنجانيقة ٥٨٢-٥٥٩

في دار السلام ، جولة في دار السلام ، العرب في
 دار السلام ، مع كبير علماء تنجانيقة ، المتحف
 الوطني ، جمعية تشجيع التعليم الاسلامي ،
 عرب بلا عربية ، في مطار زنجبار ، لماذا لم نزر
 زنجبار ، اسباب كارثة زنجبار ، والآن ما هي
 الحالة في زنجبار ، العرب في شرقي افريقية ، الى
 تنجانا ، الى ممباسة .

الى تنزانية .. مرة اخرى ٥٨٣-٦١٠

مطار ماليندي ، مطار زنجبار ، دار السلام ،
لدى الجمعية الاسلامية ، في سفارة الكنفو ، مع
رئيس الجمعية الاسلامية ، لدى قنصل زامبية،
جمعية الاسعاف الاسلامية ، اللغة السواحلية .

الاسلام في تنزانية ٦١١-٦١٨

الاسلام في تنزانية ، الدعوة الاسلامية .

في ملاوي .. (نياسالاند) ٦١٩-٦٥٦

الى ملاوي ، في مطار بلاندير ، أزمة السكن ،
الاهالي ، اللغة ، في جامع بلاندير ، الليلة الاولى في
ملاوي ، جولة في بلاندير ، في قنصلية البرتغال ،
مدينة زومبا ، مسجد زومبا ، جولة في زومبا ،
مع رئيس المسلمين الافريقيين ، على قمة جبل
زومبا ، النتيجة، حالة المسلمين في ملاوي ،
العودة الى لمبي .

المسلمون في ملاوي ٦٥٧-٦٦٢

الجمعية الاسلامية الافريقية في ملاوي .

في روديسية الجنوبية ٦٦٣-٧٠٢

السفر الى روديسية ، ذكاء ضابط الجوازات ،
الى سالسبوري ، في مطار سالسبوري ، مدينة
سالسبوري ، جولة في مدينة سالسبوري ، مع
رئيس الجمعية الاسلامية ، في جامع سالسبوري ،
هل نحن سعوديون حقا ، معهد سالسبوري
الاسلامي ، في قنصلية جنوب افريقية ، مسجد
هراري ، مسجد هايفل ، حتى في القبور ،
سد ماكلاوين ، في قنصلية البرتغال ، الافطار ،
صلاة التراويح في سالسبوري ، في ووتر فول ،
العرب في روديسية ، الكلمة العربية الوحيدة ،
الشرق الاوسط في روديسية ، مصنع النسيج ،
متحف سالسبوري ، ذكريات عجوز انكليزية .

المسلمون في روديسية ٧٠٣-٧٠٨

المدرسة الاسلامية ، المسلمون في روديسية ،
الاقتراحات .

على ارض جنوب افريقية ٧٠٩-٧٢٦

السفر الى جوهانسبرغ ، على طائرة جنوبي

الموضوع

الصفحة

افريقية ، معالم مدينة جوهانسبرغ ، مطار
جوهانسبرغ ، لم نشعر بالقرب في جوهانسبرغ ،
الى كنشاسا ، يدافع عن السياسة العنصرية .

في الكنفو ٧٥٢-٧٢٧

في مطار كنشاسا ، مدينة كنشاسا او (ليوبولدفيل)
موقف حرج ، جولة في مدينة كنشاسا ، صولة
وصولجان ، الكنفويين في المدرسة الاسلامية ،
الافطار في كنشاسا ، التراويح ، الاسد فلت ،
لا سفر الى الكنفو برازافيل ، السفر من الكنفو ،
قبل الخروج الى الطائرة ، لدى موظفي الجمرك ،
مطار قوما ، مدينة قوما من الجو ، العودة الى
نيروبي ، نيروبي تحتفل بعيد الميلاد .

الاسلام ينتشر في الكنفو ٧٥٨-٧٥٣

الطائفة الاولى طائفة الكنفويين ، الطائفة الثانية
طائفة النيجيريين ، الطائفة الثالثة طائفة
الستغاليين ، المسلمون في الكنفو .

٧٦٣-٧٥٩ خانمة

٧٧٩-٧٦٧ الفهرس